



الجامعة الإسلامية - غزة

عمادة الدراسات العليا

كلية أصول الدين

قسم التفسير وعلوم القرآن

منهج الشيخ السعدي في تفسيره

" تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان "

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير

إعداد الطالب /

ناصر العبد سليم المرخ

إشراف الدكتور /

عصام العبد زهد

العام الدراسي ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

إهداء

- إلى والدي العزيز، ووالدتي - رحمها الله - رحمةً واسعة
- إلى الأخوة والأخوات والأهل الفضلاء
- إلى أستاذي وشيخي الأول في عهد الصبا : الشيخ حسن عيسى
المناعمة - رحمه الله - الذي غرس حب القرآن في صدري منذ
نعومة أظفاري ، وكان السبب بعد الله تعالى في حفظي للقرآن
الكريم
- إلى أستاذي و مشرفي ،الذي طالما تعب معي وأتحفني
بتوجيهاته الرشيدة ، وآرائه السديدة
- إلى زوجتي العزيزة التي شجعتني على العلم
- إلى أساتذتي الأفاضل
- إلى زملائي الكرام
- إلى كل من ساهم - ولو قليلاً - في إخراج هذا البحث إلى النور
- إلى كل الشهداء الذين قضوا نحبتهم لإعلاء كلمة الله في الأرض
- إلى كل مسلم في أنحاء العالم الفسيح
أهدي إليهم ثمرة جهدي المتواضع

الباحث

شكر وتقدير

- الشكر لله أولاً وأخيراً، فهو صاحب الفضل والمنة، ولولا رعايته وتوفيقه ما خرج هذا البحث المتواضع إلي النور.
- كما وأتوجه بالشكر والثناء الخالص لأستاذي ومشرفي الدكتور: عصام زهد، فكم قدم لي من أقواله السديدة، وتوجيهاته الرشيدة، من أجل إخراج هذا البحث بأبهى حلة.
- وأشكر أستاذي المناقشين، د: رياض قاسم، د. زكريا الزميلي اللذين تفضلا بالمناقشة، وتزويد الرسالة بالمعلومات القيمة.
- وأتوجه بالشكر إلي الجامعة الإسلامية، والدراسات العليا، وأخص بالشكر كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن المتمثل بأساتذتي في القسم، فهذا من النبات الطيب الذي آتي أكله بإذن ربه.
- كما وأشكر الأخوة العاملين في المكتبة: المركزية والتخريج علي ما وفروه لي من أسباب الراحة لاستكمال هذا البحث.
- وشكري الجزيل أوجهه للأخ أبي أشرف السيلوي، الذي ملأ الفراغ أثناء غيابي عن المسجد لأجل هذا البحث المتواضع.
- وكما أخص بالشكر الجزيل الأخ فريد عبد رب النبي، أبا محمد، الذي طالما استضافني في بيته، وتحمل المعاناة من أجل حصولي على المعلومات المطلوبة لهذا البحث عن طريق الحاسوب، ولاسيما في تخريج الأحاديث.
- وفي النهاية أشكر كل من ساهم في إخراج هذا البحث إلى النور.

والله الهادي إلى سواء السبيل،،

الباحث

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين وعلي آله وصحبه ومن سار علي دربه، وستن بسنته إلي يوم الدين وبعد :-

كان التفسير في عهد رسول الله ﷺ منقولاً عن طريق الرواية والتلقي عن رسول الله ﷺ، ثم بعد الصحابة والتابعين ابتداءً التدوين لحديث الرسول ﷺ وكان التفسير باباً من الأبواب التي اشتمل عليها الحديث، فلم يفرده له تأليف خاص، ثم انفصل التفسير عن الحديث فأصبح مستقلاً بنفسه، ومرتباً حسب ترتيب المصحف علي أيدي طائفة من العلماء، وكل هذه التفاسير مروية بالإسناد إلي رسول الله ﷺ، ثم صنف في التفسير خلق كثير اختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال دون أن ينسبوا إلي قائلها فاختلط الصحيح بالعليل، ثم خطا خطوة أخيرة امتدت من العصر العباسي إلي يومنا هذا، وهي اختلاط الفهم العقلي بالتفسير النقلي نتيجة لظهور الفرق .

والتفسير الذي بيننا " تيسير الكريم الرحمن " من أكمل التفاسير التي اختصرت الأسانيد للتيسير علي عامة الناس، والجميع ينطوي تحت قوله تعالي: " ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر " (سورة:القمر: ١٢).

أولاً : أسباب اختيار الموضوع :-

- ١- إن خير الكلام كلام الله تعالي ، فيه سعادة البشرية كلها ما دامت متمسكة به.
- ٢- عدم شهرة هذا التفسير إذا قيس بغيره من المشهورين، حتى إنني لم أعرفه شأني شأن أكثر الناس، فأردت أن أظهره للناس حتى يتعرفوا عليه.
- ٣- نصيحة أستاذي المشرف - بارك الله فيه - بالبحث في هذا الموضوع لكون - الشيخ السعدي - موافقاً لأهل السنة والجماعة ، وأنه لم يتطرق إليه أحد من قبل من حيث بيان منهجه في التفسير.
- ٤- إبراز المقارنة بين تفاسير القدامى والمحدثين.

ثانياً: أهمية هذا البحث :-

- ١- أن هذا البحث يبين مدى تفاوت المفسرين القدامى والمحدثين في تفسيرهم لكتاب الله تعالى، "وفي ذلك فليتنافس المتنافسون". (المطففين)
- ٢- خدمة كتاب الله تعالى من حيث أنه كتاب هداية وإعجاز بالدرجة الأولى ، وأنه حل لكل مشاكل البشرية إلى قيام الساعة.
- ٣- رغم كثرة المفسرين للقرآن الكريم فإننا نجد أن كل واحد منهم يكتشف شيئاً جديداً من كنوز القرآن، التي تريد من يبحث عنها ، فهو حقاً لا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد.

ثالثاً : أهداف البحث :-

- ١- بيان منهج الشيخ السعدي في تفسيره ، وإبراز شخصيته للقراء .
- ٢- إثراء المكتبة الإسلامية باحتوائها على منهج من مناهج المفسرين المحدثين، وليكون مرجعاً هاماً لمن أراد الرجوع إليه عند الحاجة.
- ٣- محاولة معرفة كيف فهم المعاصرون القرآن الكريم؟
- ٤- بيان ما له وما عليه من خلال تفسيره.
- ٥- بيان مكانة هذا التفسير الدعوية بين التفاسير.

رابعاً : الجهود السابقة :-

- ١- لقد بحثنا عن هذا الموضوع إن كان قد كتب فيه من قبل وذلك بواسطة مركز الملك فيصل للدراسات ، فلم نجد أحداً تناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة إلا باحثين في مواضيع أخرى لم تتطرق إلى جانب التفسير وهي كالتالي :-
- الدراسة الأولى : رسالة بعنوان " منهج السعدي وأثره في العقيدة" مقدمة من الباحث: عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد ، وهذه الرسالة في قسم العقيدة بتاريخ : ١٤٠٨هـ.

الدراسة الثانية: بعنوان : الشيخ عبد الرحمن السعدي : "منهجه وأثره في الدعوة" مقدمة من الطالب: عبد الله محمد رميان، وهذه الرسالة مقدمة في قسم أصول الدعوة تاريخ المناقشة ١٤١٤هـ.

٢- من خلال البحث في المكتبة المركزية في الجامعة الإسلامية بغزة ، وذلك في دليل الرسائل الجامعية الأردنية وغيرها ، فلم نجد أحداً تناول منهج السعدي في تفسيره ، فهو موضوع بكر يحتاج إلى دراسة ، وهذا ما شجعتني لتناول هذا الموضوع بالدراسة والبحث.

خامساً : منهجي في البحث :-

- ١- قراءة التفسير وبيان منهج المفسر في التفسير .
- ٢- الرجوع إلى المصادر والمراجع الأساسية بالإضافة إلى الكتب الحديثة المتعلقة بالتفسير .
- ٣- بيان معاني المفردات الغريبة مع الرجوع إلى مصادرها الأساسية.
- ٤- توثيق الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية.
- ٥- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، وبيان حكم العلماء عليها إن أمكن.
- ٦- بيان الأقوال المختلفة عند عرض بعض المسائل الهامة، مع بيان الترجيح.
- ٧- تعريف بتراجم للأعلام التي ترد في البحث وخاصة الغير معروفين.
- ٨- التعريف بالأماكن والبلدان المجهولة من خلال الرجوع إلى مظانها في كتب البلدان.
- ٩- عمل فهرس للبحث تشمل الآيات والأحاديث والأعلام والموضوعات والمصادر والمراجع.

سادساً: خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وستة فصول ،ولكل فصل مقدمة تحتوي علي موضوعاته ،ثم أنهيته بخاتمة.

التمهيد: تحدثت فيه عن عصر الشيخ السعدي وأهمية تفسيره.

- **الفصل الأول:** ويشتمل على ترجمة للشيخ السعدي ،تضمنت القضايا التالية: اسمه ونسبه ،حياته العلمية ، شيوخه وتلاميذه ،مصنفاته ،أخلاقه ووفاته ،عقيدته ومذهبه الفقهي.

- **الفصل الثاني:** يتحدث عن منهج السعدي في التفسير بالمأثور وعلوم القرآن: ويتكون من مبحثين وهما كالآتي:-

• **المبحث الأول:**يتناول التفسير بالمأثور: وضحت فيه عن منهج السعدي في تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وبأقوال الصحابة والتابعين.

• **المبحث الثاني:** اهتمامه بعلوم القرآن ويتناول : أسباب النزول، قلّة استعراضه للقراءات القرآنية ،الحروف المقطعة في أوائل السور، الناسخ والمنسوخ، موقفه من الإسرائيليات ،موقفه من القصة القرآنية ،نظرته إلي الإعجاز في القرآن.

- **الفصل الثالث:** وفيه منهجه في تفسير آيات العقيدة والرد علي المخالفين ويتضمن ثلاثة مباحث.

• **المبحث الأول:** استعراض منهج السعدي في التوحيد بأنواعه: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية ،توحيد الأسماء والصفات.

• **المبحث الثاني :** منهج السعدي من القضايا الغيبية مثل: الملائكة ،الجن، عذاب القبر ونعيمه، البعث والجزاء ، الجنة والنار، والقضاء والقدر.

• **المبحث الثالث:** وفي هذا المبحث تناولت رده علي المخالفين لأهل السنة والجماعة، مثل : الأشاعرة ،المعتزلة ،والخوارج.

- **الفصل الرابع :** يتحدث عن منهجه في التفسير بالرأي وفيه ثلاثة مباحث

• **المبحث الأول :** تناولت أصول التفسير بالرأي عند السعدي :وضحت فيه منهجه في المطلق والمقيد، العام والخاص، والمجمل والمفصل، وعلم المناسبات .

- **المبحث الثاني** : تناول التفسير اللغوي عند السعدي وفيه تحدثت عن عرضه للأساليب البلاغية، والأسرار البيانية، النحو والإعراب عنايته بالأمثال في القرآن.
 - **المبحث الثالث** : تناول التفسير العلمي عند السعدي، حيث وضحت فيه عرضه للموضوعات العلمية مثل : علم الطب، وعلم البحار ، علم الفلك .
 - **الفصل الخامس** : وفيه منهجه في استعراض المسائل الفقهية والقضايا الاجتماعية، ويتكون من أربعة مباحث:-
 - **المبحث الأول** : وبدأ بفقه العبادات التي شملت : الصلاة و الزكاة والصوم والحج.
 - **المبحث الثاني** : يتناول فقه المعاملات مثل : البيوع والإشهاد عليها والرهن والدين والربا.
 - **المبحث الثالث** : تناول فقه الأحوال الشخصية، وتضمن الموضوعات التالية: الزواج والطلاق والميراث .
 - **المبحث الرابع** : منهج السعدي في استعراض القضايا الاجتماعية وأهميتها مثل : الأسرة وتكوينها واهتمامه بالقضايا المعاصرة وعلاجها مثل : قضية المساجد والجهاد والتدخين .
 - **الفصل السادس** : وهو عبارة عن خلاصة البحث كله من حيث تقييم تفسير السعدي ماله وما عليه ، ويتكون من مبحثين هما :
 - **المبحث الأول** : محاسن تفسير السعدي .
 - **المبحث الثاني** : استدراقات علي تفسير السعدي .
 - وأخيراً جعلت خاتمة البحث عبارة عن خلاصة عامة له ، متضمنة بعض التوجيهات والدعوات، وأتبعته الخاتمة فهارسها كالآتي:
١. فهرس الآيات القرآنية
 ٢. فهرس الأحاديث النبوية
 ٣. فهرس الأعلام
 ٤. فهرس المراجع
 ٥. فهرس الموضوعات

التمهيد

عصر الشيخ السعدي وأهمية تفسيره، وفيه مبحثان

المبحث الأول : عصر الشيخ السعدي ويشتمل على مطلبين

المطلب الأول : الحالة السياسية

المطلب الثاني : الحالة الاجتماعية

المطلب الثالث: الحالة الثقافية والحركة العلمية وأثرها علي منهج

السعدي

المبحث الثاني : أهمية تفسير السعدي ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: القيمة العلمية للتفسير ومكانته

المطلب الثاني: المصادر التي اعتمدها المفسر في تفسيره

المطلب الثالث: أنواع التفسير التي اشتمل عليها تفسير السعدي

التمهيد

عصر الشيخ السعودي وأهمية تفسيره، وفيه مبحثان :-

لابد وقبل كل شيء من التعريف علي المفسر (الشيخ السعودي) من حيث العصر الذي نشأ فيه، و البيئة المحيطة به و الظروف السياسية التي تحياها البلد التي نشأ فيها ، و الحالة الاجتماعية من حيث المعيشة للمفسر من غني أو فقير ، والمركز الاجتماعي الذي يحتله بين أبناء بلده بالإضافة إلي الحركة العلمية وتطورها أو انعدامها ، وإقبال الناس علي التعليم والثقافة العامة وأثر ذلك كله علي تفسير الشيخ ومنهجه وسنبدأ ، إن شاء الله بعصر الشيخ السعودي المتمثل بالمبحث الأول .

المبحث الأول

عصر الشيخ السعودي

ويقصد به : الحالة السياسية التي تحيط بعصره ،والجهة الحاكمة في ذلك الزمان، وعلاقتها بما حولها من البلدان ، ووضع البلد من حيث الاستقرار، أو عدم الأمان، والاضطراب السياسي ،وهذه أول حالة سنبدأ الحديث عنها وأطلقنا عليها الحالة السياسية أولاً ثم الاجتماعية والعلمية .

أولاً / الحالة السياسية :

ولد الشيخ السعودي رحمه الله في أواخر عهد آل الرشيد ١٣٠٧هـ وبدأ حياته العلمية في أوائل الدولة السعودية الأولى عام ١٣١٩هـ - الموافق عام ١٩٠١ م ، حيث كان عمره اثني عشر عاماً وفي عهد الملك عبد العزيز الثاني مؤسس الملكة العربية السعودية سنة ١٣٤٤هـ التي تضم الحجاز ونجد وملحقاتها(١).

وكان في الجزيرة العربية قوتان في مطلع القرن العشرين هما: السلطنة العثمانية و الإمبراطورية البريطانية، وكانت هناك قوى عربية تعيش في ظل هاتين القوتين الكبريتيين.

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي . د. أحمد شليبي ج ٧ ص ١٠٢ - مكتبة النهضة - ط ٣/١٩٨٥ م.، انظر: تاريخ نجد الحديث لأمين الريحاني ص ٧، ٤٢٧ - دار الجيل - بدون تاريخ، وانظر ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم لأمين محمد سعيد ص ١٥٧ - مكتبة مدبولي ١٩٩٩ م.

- ففي ظل السلطنة العثمانية كانت تعيش قوي الداخل منها عنيزة بلد الشيخ السعدي - رحمه الله - وكان بها نائف الهذال(١).

أما منطقة الخليج فكان ولاؤها للإنجليز .

المرحلة الأولى : مرحلة الشباب:

وفي هذا الجو وصل عبد العزيز إلي مرحلة الشباب ، وأراد أن يخلص الرياض من آل الرشيد(٢) لتكون خالصة له وحده فخرج في ستين رجلاً من خلصائه منهم : أخوه محمد وابن عمه عبد الله بن جلوي(٣) واستطاع بهذا العدد الضئيل وخطته المحكمة أن يقتل ابن الرشيد ، ويعيد الرياض إلي آل سعود، وذلك في الرابع من شوال عام ١٣١٩هـ ، ١٩٠١ م .

-وكان لهذا الانتصار الذي أحرزه عبد العزيز بالغ الأثر في نفوس المواطنين، حيث خلصهم من ظلم ابن الرشيد ، فامتألت المدينة بالزغاريد وتوافد المهنئون يعلنون الفرح والتأييد وقد قتل في هذه المعركة اثنان من أتباع عبد العزيز و جرح أربعة.

المرحلة الثانية من الكفاح:

بعد فترة من الانتصار الأول ومقتل ابن الرشيد رأى عبد العزيز الثاني أنه آن الأوان لاستعادة ملكة السليبي ، فبدأت حملاته خارج الرياض عبر نجد حيث بعثت الضجيج فيها وهاجم مقاطعاتها واحدة بعد الأخرى حتى استعادها جميعاً .
- وهذا الكفاح بدأ من عام ١٣٢٠هـ - ١٣٢٤هـ الموافق (١٩٠٣-١٩٠٦ م) وقد احتل عبد العزيز منطقة عنيزة مسقط رأس الشيخ السعدي عام ١٣٢٢هـ الموافق

(١) انظر موسوعة التاريخ الإسلامي ج٨ ص٣١٦ .

نائف الهذال : بن محمد بن فيصل بن حزام أبو الكلاب ابن حشليه ، من قبيلة العجمان ، تحالف مع مبارك الصباح (١٩٠٤م) لخاربة ابن الرشيد ، وتولى زعامة (العجمان) ١٩٢٩م - اشترك مع ثورة الأخوان ضد عبد العزيز، واعتقله عبد العزيز في (الجهراء)(١٩٣٦م) حاول الهروب سنة (١٩٣٤م) ثم نقل إلى سجن تعيد في الأحساء. (الأعلام ج٨ ص٦).

(٢) آل الرشيد : محمد بن عبد الله بن رشيد من شمر ، أكبر أمرائهم إبان حكمهم في حائل ، توطدت له الإمارة بعد مقتل أخوته وأبناء أحميه الخمسة ، وامتد حكمه لأطراف العراق والشام ، وانتهاز فرصة الخلاف بين أمراء آل سعود ، فأدخلهم في طاعته إلى أن توفي في حائل . (الأعلام ج٦ ص٢٤٤).

(٣) عبد الله بن جلوي:(١٩٣٥م - ١٣٥٤هـ) بن تركي - أمير من شجعان آل سعود في نجد ، وأحد الذين صحبوا الملك عبد العزيز في الكويت ضد آل الرشيد واسترداد الرياض - وهو الذي أجهز على متولي الرياض (١٣١٩هـ) ، تولى إمارة الأحساء وعرف فيها بالشدّة إلى أن توفي ، واسم ابيه مشتق من الجلاء لمولده عند جلاء آل سعود . (الأعلام ج٤ ص٧٧).

عام ١٩٠٥م ، حيث كان عمره - رحمه الله - خمسة عشر عاماً ، أي أنه كان في مرحلة الشباب .

- وفي موقعة (روضة مهنا) قتل ابن الرشيد عام ١٩٠٦م فتضعضت بموته سلطة قومه وكذلك العثمانيون فاضطروا للصلح مع عبد العزيز ولكنه لم يثق بهم فكان لا يبد من حسم الموقف بحد السيف فقامت جولات أشد ضراوة من سابقتها في الجزيرة العربية ، ومناطق هذه الجولات هي :

الأحساء (١) ، حائل (٢) ، عسير (٣) ، الحجاز (٤)

نتائج فتح الأحساء :-

١. ازدهار المملكة من الناحيتين السياسية والاقتصادية فقد وضع السعوديون أقدامهم علي ساحل الخليج مرة أخرى حيث البترول وكنوزه مما أدى إلي حصول الترف والخير لمملكة آل سعود . أي أن الجزيرة العربية كانت في رغد من العيش عند ما كان الشيخ السعدي - رحمه الله - في مقتبل شبابه وتقريباً في السابعة عشرة من عمره .

٢. فتح الأحساء يضع مؤشراً خطيراً فان الحرب العالمية الأولى كانت علي الأبواب، وبذلك يكون شيخنا السعدي قد عاصر الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م وهو في

(١) الأحساء : جمع حسي ، وهو الماء الذي الأرض من الرمل - والأحساء ماء لقبيلة طيء بأجار ، وأحساء خرشان - ويحد أنا لحاجز في طريق قلة وأحساء بني وهب علي خمسة أميال من المرتقى بين القرعاء وواقية علي طريق الحاج فيه بركة وتسع آبار . (معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي، ج ١ ص ١١١ ، ١١٢ - دار الكتب العلمية ط ١/١٤١٠هـ).

(٢) موضع باليمامة لبني نجير وبني حمان من بني كعب بن سعد بن زيد مناه من تميم وقال غيره : من أرض اليمامة لبني قشير وهو وادي أصله من الدهناء ، وقال أبو زياد: موضع بين أرض اليمامة وبلاد بأهلية وأرض واسعة المساجد من سوقة وهي قرية معروفة (معجم البلدان ج ٢ ص ٢١٠).

(٣) بئر بالمدينة كانت لأبي أمية المخزومي سبأها رسول الله صلى الله عليه وسلم - السيرة عن نصر. (معجم البلدان ج ٤ ص ١٢٥).

(٤) الحجاز : هو جبال تحجز بين تهامة ونجد ، وقيل : لأنه حجز بين الغور والشام وبين البادية ، وما سال من ذات عرق مقرباً فهو الحجاز (معجم البلدان ج ٢ ص ٢١٨).

سن الرابعة والعشرين مما اضطر العثمانيون للاعتراف بعبد العزيز والياً علي نجد، ومتصرفاً علي الأحساء علي أن تكون نجد لأولاده وأحفاده من بعده .
وهذا الاضطراب من العثمانيين كان سببه مواجهة الخطر الداهم من بريطانيا ولكن اعترافهم بعبد العزيز لم يكن مخلصاً فقد كانوا ممدّي آل الرشيد بالسلاح لمجابهة السعوديين والذي جعلهم يتنازلون عن نجد هو أن البترول لم يكن قد تدفق آنذاك في الأحساء .

٣. ومن نتائج النصر أن بريطانيا بدأت تتصل بعبد العزيز وتدخل معه في مفاوضات سياسية حيث كانت تحتل الكويت ، و مقبلة علي الحرب وكان من نتيجة هذه المباحثات أن عقد معاهدة (العقير) بين عبد العزيز وبريطانيا وكانت هذه المباحثات تأييداً لعبد العزيز من القوة العظمي مع بعض القيود ضد استقلال السعودية، ولكن عبد العزيز أصر علي التخلص من هذه القيود فيما بعد عند ما تتاح الظروف^(١).

أثر الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م :-

انتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة العثمانيين وطردهم من البلاد العربية ومن ضمنها الجزيرة العربية و قد قفز علي إثر ذلك شريف الحجاز ليحل محل العثمانيين في الجزيرة

- كانت منطقتنا عسير وحائل تنتظران الصراع مع عبد العزيز مما اضطر عبد العزيز إلي خوض الصراع مع هذه القوي^(٢) ونجزم إن طرد العثمانيين من البلاد العربية وشبة الجزيرة العربية كان نتيجة تواطؤ بعض العرب مع بريطانيا للتخلص من السلطنة العثمانية المتمثلة في السلطان عبد الحميد- رحمه الله - هذا من جانب .
- والجانب الآخر هو تحقيق أطماع هؤلاء المتواطئين بالاستيلاء علي السلطة في الجزيرة بدل العثمانيين ،وهو ما جعل الشريف حسين حاكماً علي شبة الجزيرة

(١) الموسوعة ج٧ص١٥١-١٥٢، موسوعة التاريخ الإسلامي ج٨ص٢٩٩-٣٠٦.

(٢) الموسوعة ج٧ص١٥١-١٥٢، بتصرف.

العربية وكان هذا العمل المشين و الخيانة العظمي تمهيداً للقضاء علي الخلافة الإسلامية في تركيا وللأسف الشديد نالوا ما يصبون إليه بمساعدة هؤلاء الخارجين عام ١٩٢٤م ، وبذلك انتهت الخلافة الإسلامية التي كانت تهدد مصالح الغرب في بلاد المسلمين .

- وعلي هذا يكون الشيخ السعدي قد بلغ سن الرابعة والثلاثين من عمره عندما قضي علي الخلافة الإسلامية مما كان له أعظم الأثر علي تفسيره حيث تطرق إلي الذل والهوان والهزيمة التي وصل إليها المسلمون نتيجة ابتعادهم عن منهاج ربهم القويم.

- وقد استطاع الملك عبد العزيز أن ينتصر علي أعدائه جميعاً ويوحد المملكة العربية السعودية بعد أن كانت أشتاتاً فقد أمضي نصف قرن من الزمان في صراع عسكري مع آل الرشيد والعثمانيين وبعض القبائل البدوية التي خرجت عليه .
مما سبق يتضح لنا أن عصر الشيخ السعدي السياسي مليء بالصراع علي السلطة في عدة جبهات، وفي حياته توحدت المملكة العربية السعودية علي يد الملك عبد العزيز الثاني .

ومن الجدير بالذكر :

أن الشيخ السعدي قد عاصر الملك عبد العزيز الثاني منذ أن بدأ باستعادة ملك آبائه وأجداده إلي أن انتهى من ذلك منتصراً وملكاً علي المملكة . وقد توفي الملك عبد العزيز الثاني قبل شيخنا السعدي بثلاث سنين وذلك في ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ الموافق ٩ نوفمبر عام ١٩٥٣م .

تنبيه : كان علي الملك عبد العزيز الثاني أن يقف بجانب الدولة العثمانية ضد الإنجليز المحتلين ، والذين يكونون العداوة للإسلام وأهله بدلاً من عقد الصلح معهم ، و حتى لا يدع فرصة للطامعين في بلاده ولكن حكام المسلمين وللأسف الشديد لا يتعلمون من أسلافهم الذين فتحوا مشارق الأرض ومغاربها بهذا الدين الحنيف ، ثم

بوحدتهم مع بعضهم البعض وكما قال ﷺ: (عليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية)(١).

محاولة الملك عبد العزيز الثاني ضم "العوازم" من الكويت :

- حاول عبد العزيز ضم العوازم إليه وجمع الزكاة منهم فاشتكى الشيخ سالم إلي (هملتن) المعتمد البريطاني في الكويت الذي سافر إلي الرياض وانتهت المشكلة لصالح الكويت عاد الخلاف بينهما حيث جرت بينهما معركة " حمض " انتصر فيها السعوديون .

- بنى الشيخ سالم سوراً حداثاً لمدينته (١٣٢٨هـ) ثم وقعت الحدود بين الكويت والسعوديين برأي إنجلترا ، التقى عبد العزيز مع " برس كوكس " في مينا العقير .
- هاجم السعوديون " الجهراء " عام ١٩٣٠م (٢) اثر ذلك اللقاء، ولكن الأمير السعودي فيصل بن الدويش لم يوفق فعاد مرة ثانية وأغار على الكويت .

- أمد أحمد الجابر " أحد أمراء الكويت " ابن الرشيد بالمال والأرز ضد عبد العزيز جراء حصاره له مما دعي ابن سعود للهجوم على أطراف الكويت عام ١٣٤٢هـ(٣).

الثورة العربية الكبرى :

في ٦ شوال "١٣٢٦هـ" عين الشريف حسين أميراً علي الحجاز ووصل إلي جده في ٩ ذي القعدة من نفس السنة وكان يخطط للثورة ضد العثمانيين .
وفي التاسع من شعبان " ١٣٣٤هـ" - ١٠ حزيران / يوليو ١٩١٦م أطلق الحسين رصاصة إيداناً ببداية الثورة وفي العاشر من تموز / يوليو هاجم الشريف حسين جدة بقوة يبلغ عددها أربعة آلاف محارب من قبيلته " حرب " وعاونه بوارج إنجليزية وفي السادس عشر تموز / يوليو ، أي بعد سبعة وثلاثين يوماً من بدء الثورة سلمت

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ج١ ص٣٣٠، كتاب الإمامة وصلاة الجماعة ح(٧٦٥) عن أبي الدرداء، وقال: حديث صدوق.

(٢) الأعلام : ج٨ ص٦.

(٣) التاريخ الإسلامي: محمود شاكر ج٨ ص٣١٧-٣١٨.

أو بعدها بسنوات دخل الملك عبد العزيز الثاني الحجاز وراء الإخوان، ولم يذكر التاريخ أن قبيلة " حرب " كانوا سابقين مع ابن سعود ولكن الإخوان (*، ١) عادوا عام ١٣٤٧ هـ فانتفضوا علي الملك عبد العزيز لاستعماله اللاسلكي في المملكة، وبيعه الدخان الذي يحرّمونه، ولم تجد معهم تنازلات الملك ولا مفاوضات فتوافعوا في " السبلة " فدمرت الإخوان وهزموا شر هزيمة (٢) .

خلاصة الحالة السياسية :

مما سبق رأينا أن الفترة أو العصر الذي عاشه الشيخ السعدي - رحمه الله - كان مفعماً بالصراع و الحروب علي مدي التسع والستين عاماً التي عاشها وقبل ذلك أيضاً وكله صراع علي السلطة والحكم و إراقة الدماء وقطع الرحم وأواصر القرابة، وقتل الأخ أخيه من أجل الرئاسة(٣).

- التحالف مع بريطانيا كما فعل عبد العزيز ضد العثمانيين .
- تحالف أحمد الجابر مع ابن الرشيد وإمداده بالمؤن والسلاح ضد الملك عبد العزيز.
- قيام الثورة العربية الكبرى لضرب الخلافة الإسلامية ولتحقيق أطماع الصليبيين " بريطانيا " في بلاد المسلمين علي يد الشريف حسين .
- ضرب مكة المكرمة " البلد الحرام " بالمدافع " وقتل أهلها في قلعة " أجياد " للقضاء علي الحامية التركية هناك .
- وكانت النتيجة كما أسلفنا سابقاً بالإضافة إلى تحكّم دول الغرب الصليبيين و سيطرتهم على دول الخليج العربي والسعودية بما تحتويه من بترول وثروة طائلة لتحقيق أطماعها ، فكان لهم هدفان هما: ضرب الإسلام والبترول.
- ولا عزة ولا كرامة إلا بالرجوع للإسلام وتعاليمه الحكيمة، ثم التوحيد علي كلمة واحدة وراية واحدة ،كما فعل الأوائل أسلافنا، وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ الرعد: ١١ .

(١) بعض القبائل البدوية التي خرجت عليه.

(٢) التاريخ الإسلامي ج ٨ ص ٨١٦-٨١٧.

(٣) الأعلام ج ٦ ص ٢٤٤ .

ثانياً : الحالة الاجتماعية :

ويقصد بها الأحوال المعيشية التي كانت تعيشها شبة الجزيرة ككل، سواء من الرخاء أو الضيق والضحك في العيش، وحال المجتمع آنذاك من حيث الوحدة أو الفرقة بصفة عامة، وحال الأسرة بصفة خاصة بالإضافة إلي ظاهرة العمران أو قلته في ذلك العصر ، وفي هذه الحالة نتناول مدي توفر هذه الظواهر أو عدمها في عصر السعدي . وفي هذا المطلب نتناول بقعة من شبه الجزيرة العربية كمثال علي ما نريده وهذا البقعة كانت تسكن فيها قبيلة " حرب " بين مكة والمدينة .

الحالة الاجتماعية لقبيلة " حرب " :

وكانت تسكن بين مكة والمدينة حيث نعمت برغد العيش لاعتمادها علي العناصر التالية :

١. الحج : حيث كان الحاج يمر من هناك ، فقامت حرب بحراسة الحاج وتأمين وصوله سالماً علي الجمال حيث كان الواحد منهم يملك ستين جملاً وأقلهم عنده خمسة جمال .

كانت أجرة الجمل سبعة جنيهاً ذهباً علي الأقل بين مكة والمدينة ومثلها " في العودة " وبين جدة ومكة أربع جنيهاً ومثلها في الرجوع وجنيهاً طلوعاً ونزولاً من عرفة ، وبحساب بسيط كان دخل الفرد عشرين جنيهاً سنوياً ومن ليست له جمال كان يفتح المقاهي في طريق الحجاج ليبيع العلف من الحشيش والنوى، وغيره يروي أو يحطب، وما كان ينتهي موسم الحج حتى تتحول بيوتهم إلي مستودع من المؤن .

٢. الزراعة : فهذه الأماكن بها زراعة كثيرة وكانت في المنطقة بين مر الظهران و المدينة (١٨٨) عيناً يعيش علي العين أربعمئة نسمة بالإضافة إلي الزراعة التي تعتمد علي الآبار.

٣. صيد السمك : وذلك لوقوع ديارهم علي ساحل البحر الأحمر الشرقي وهذا البحر غني بأنواع السمك التي تبلغ خمسمئة نوع ولا يزال قسم كبير منهم يعيش على الثروة السمكية .

٤. **الماشية** : من الجمال والأغنام ونظراً لوقوعها علي طريق الحاج فقد كانت تبع الماشية بسعر مرتفع لا يحصل عليه من هو في مكان بعيد عن المدن وظلت هذه القبيلة علي هذا المنوال من رغد العيش أكثر من تسعة قرون (١) ونتيجة للازدهار الاقتصادي في هذه المنطقة تجمع كثير من الناس وسكنوا هذه المنطقة مما نتج عن ذلك تجمع سكاني وعمراني وذلك لأسباب منها :-

أ- اندماج كثير من الأجناس في هذه القبيلة منهم الحاج الذي تخلف ومنهم من جاء لأسباب أخرى .

ب- **العمران** : لقد بنت هذه القبيلة قري عديدة منها المساجد، وكان في كل مسجد مُعلّم، وظهر فيها فقهاء كانوا يخطبون يوم الجمعة بخطب مطبوعة لمن سبقهم من العلماء (٢).

ج- **التكتل** : القوة مع الثروة وقبيلة حرب أثرت في تلك العصور فأسكتت القبائل المجاورة حتى أمنت شرها ،ثم توحدت فيما بينها لضمان حقوقها لذا فإن أمير الحاج المصري إذا أراد أن يحرم قبيلة من عائداتها حول طريقه مع ديار قبيلة أخرى ولكن حرباً جعلت قانوناً لذلك ألا يمر في ديارها قبل أن يدفع ما لجارتها.

- ومن هنا نشأت تسمية قبيلة حرب " قطاع طرق " والحقيقة أنهم يطالبون بمخصصات متفق عليها من الدولة وسلمت نقداً للأمير الحج ، ولكنه يريد بطريقته الخاصة أن يسلب هذه الأموال في وقت يريد فيه إيصال الحاج سالماً ولم يتيسر الأمران لأحد منهم.

نقول: واستمرت هذه الأحوال إلي وقوع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م حيث تغيرت الأحوال وانقلبت رأساً علي عقب حيث اجتاحت الحجاز عموماً وقبيلة حرب خصوصاً ضائقة من العيش والاستقرار وذلك كله راجع لأسباب عديدة منها " الحرب العالمية الثانية، ونكبة حرب " .

١- **الجفاف** : اجتاحت الحجاز جفافاً جعل الأخضر يابساً فتقهقرت الزراعة بل توقفت في كثير من الأودية .

(١) " موسوعة القبائل العربية " بحوث ميدانية وتاريخية - محمد سليمان الطيب ٢ ص ٨٤٤-٨٤٥ دار الفكر العربي - بدون تاريخ.

(٢) موسوعة القبائل العربية ج ٢ ص ٨٤٤-٨٤٥

٢- انتشار السيارات : وذلك بعد الحرب العالمية الثانية بسرعة مذهلة جعلت نقل الحاج بواسطة الجمال يتناقص بسرعة حتى صار أهل الحجاز يخرجونهم من مكة معاري لا يجدون ما يأكلون وتآكل ثم قضي عليها نهائياً خلال سنوات .

٣- غلاء الأسعار : في هذه الفترة غلاء فاحشاً وهدمت بعض أنواع الطعام فأخذت الحكومة السعودية توزع لأهل القرى الحب والكسوة ، ولكن المجاعة كانت أقوى من المكافحة .

- فانهاالت " حرب " في هجرة شبة جماعية إلي مكة العاصمة ومنهم من ذهب إلي المدينة (١) وفي مكة ضاعفوا عدد السكان وسكنوا عشائراً وصنادق .

- أخذت الحكومة توزع عليهم العيش غير أن الفوضى دبت فيهم مما حدا بالحكومة أن تبعد أكثرهم إلي مر الظهران فجعلت للفرد " قرصين " وقد أدركت أن هذه الفترة في حدود عام " ١٣٦٥هـ " أو بعدها بقليل ثم سمحت الحكومة بعودتهم إلي مكة وفي مكة كونوا معظم الأحياء الجديدة الغربية مثل الزهراء ، الزهر ، ريع الكحل وغيرها .

يقول الباحث: إن حالة الرخاء والرغد في العيش الذي عايشته حرب كان له أكبر الأثر في ازدهار الاقتصاد وانتشار العمران حيث كانت أجرة الحاج تكفي الواحد منهم من الموسم إلي الموسم القادم ، ولا شك أن هذا من بركة دعوة أئينا إبراهيم عليه السلام إذ قال: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ إبراهيم: ٣٧ .

(١) موسوعة القبائل ج ٢ ص ٨٤٦-٨٤٧ بتصرف .

- ولكن الأيام كما نعلم دول بين الناس وهذا ما حصل لقبيلة حرب بعد الحرب العالمية الثانية ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ آل عمران: ١٤٠ ، مما يدل الرخاء ضنكاً في العيش والأمن عدم استقرار حيث تفرقوا في البلاد وأصبحت الحكومة تتصدق عليهم بعد ان كانوا يجمعون الجنيهات الذهب ولعل هذا من تأديب الله لهم لأنهم لم يشكروا الله علي هذه النعمة وهذا كما أخبر القرآن ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ النحل: ١١٢ .

- ثم عادوا إلي خلقهم الأول ولكن بأسلوب معاصر وآليات حديثة في مجال الزراعة والصناعة والعلم حتى كانوا محتكرين وسائل المواصلات بين مكة والمدينة نقلاً وصيانة كما رأينا .

العلاقة التي كانت تسود الفترة :

كما رأينا أن العلاقة الاجتماعية السائدة في عصر الشيخ - رحمه الله - كانت متمزقة ومتفككة سواء علي مستوي الحكام أو المحكومين إلا من رحمه الله تعالي ، وكذلك بين أبناء الأسرة الحاكمة كانت النزاعات قائمة علي أشدها .

أولاً : العلاقة بين الحكام أنفسهم من شتي القبائل :-

حيث كانت الجبهات علي مساحة شبه الجزيرة العربية متعددة فمثلاً كانت النزاعات شديدة بين آل الرشيد وآل سعود، وكان كل فريق يتربص الدوائر بالفريق الآخر، لينقض عليه .

-فابن الرشيد استغل الخلاف بين أمراء آل سعود فحاربهم وانتصر عليهم واستولي علي الرياض (١) وبالمقابل استغل الملك عبد العزيز آل سعود الفرصة بانشغال ابن الرشيد مع أعدائه واستعاد الرياض ١٣١٩هـ - ١٩٠١م وقتل ابن الرشيد .

-إغارة الملك عبد العزيز وأتباعه على الكويت عدة مرات ومحاولة ضم " العوازم " إليهم حيث جمع منهم الزكاة عام ١٣٤٢هـ .

-استعانة أحمد الجابر أمير الكويت بابن الرشيد وإمداده بالمال والأرز علي الملك عبد العزيز آل سعود جراء حصاره الكويت .

(١) الأعلام ج٦ ص٢٤٤ .

استعانة الحكام العرب ببريطانيا علي بعضهم البعض :

حيث اشتكى الشيخ سالم أمير الكويت الملك عبد العزيز للمعتمد البريطاني، حيث سافر المعتمد إلى الرياض وحل المشكلة لصالح الكويت ، وضع الحدود بين الكويت والسعودية بأمر من بريطانيا ١٣٢٨هـ .

نقول : كان من الواجب علي الحكام العرب أن يحلوا مشاكلهم ويفضوا النزاعات بينهم بأنفسهم وبالتفاهم والعقلانية وأن يتحدوا جميعاً ضد عدوهم المشترك وهي بريطانيا التي تتربص بهم الدوائر وتقوم بدور المصلح بين الأطراف وصدق الله حيث قال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾ " الممتحنة": ١ ، فبريطانيا احتلت فلسطين ونهبت خيراتها ثم قدمتها على طبق من ذهب لإخوانهم اليهود وكان الوعد المشئوم من بلفور ١٩١٧م .

- فكان الواجب عليهم أن يخلصوا المسجد الأقصى " أولى القبلتين " من دنس اليهود والإنجليز بدل ضرب البلد الحرام بالمدافع بأيدي العرب .

الخلاف بين أبناء الأسرة الحاكمة الواحدة :

كما أشرنا سابقاً أن الخلاف دائر بين أمراء آل سعود أنفسهم، وكان نتيجة ذلك طردهم من البلاد وانتصار ابن الرشيد عليهم ، وقد أشرنا سابقاً أن الرشيد بعد موت أبيه وقتل إخوته قام بقتل أبناء أخيه الخمسة مرة واحدة، ولم يبق إلا على السادس لصغر سنه وهو " نايف "، فقد قفز إلي الحكم مرة واحدة بقتل هؤلاء جميعاً، لذا فإن شهوة الحكم كالفرس الجامح الذي لا يستطيع صاحبه أن يكبح جماحه فيأخذ كل شيء في طريقه وكذلك كان ابن الرشيد، وصدق صلي الله عليه وسلم : (إنها أمانة وإنما يوم القامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها)(١). فمن من حكام المسلمين طبق هذا الحديث في الوصول إلي الحكم فما من أحد منهم إلا سلك مسلك ابن الرشيد، ولم يكن لها كفوفاً ولكنها شهوة الملك ، كذلك كان القتل بين أبناء الأسرة الحاكمة الواحدة في الكويت .

(١) مسند أحمد ٢٤١هـ، ج ٥ ص ١٧٣ ح (٢١٥٥٢) - مؤسسة قرطبة - مصر - دون تاريخ " عن أبي ذر".

العلاقة بين الحكام و المحكومين :

إن العلاقة بين الحكام والمحكومين في ظل هذه الظروف لا بد أن تكون متقطعة الأوصال، وهذا ما حدث عندما استعاد الملك عبد العزيز آل سعود مدينة الرياض من ابن الرشيد .

يقول : صاحب موسوعة التاريخ الإسلامي :

وكان لهذا الانتصار الذي أحرزه عبد العزيز بالغ الأثر في نفوس المواطنين حيث خلصهم من ظلم ابن الرشيد فضجت المدينة بالزغاريد وتوافد المهنتون يعانون الفرح والتأييد (١) .

العمران : عندما تحدثنا عن الحالة الاجتماعية في قبيلة " حرب " بيّننا أن المساجد قد انتشرت في ذلك الزمان وكان عددها كثيراً فيها للتعليم وخطبة الجمعة، كما شيدت المدارس والمعاهد والكليات والجامعات، أي أنه كانت كان هناك ظاهرة عمرانية كبيرة بالإضافة إلى القصور الملكية ومديريات التعليم للبنين والبنات كما أقيمت عدة أحياء في المملكة مثل الزهراء ، الزهر ، وريع الكحل وذلك في مكة المكرمة (٢) .

ثالثاً : الحالة الثقافية والحركة العلمية وأثرها علي منهج الشيخ :-

إن كل مفسر للقرآن الكريم في أي عصر من العصور لا بد وأن يحيط به حالة ثقافية علي مستوي العالم وحركة علمية علي فئات مخصوصة من المجتمع المحيط به وهذه الظروف كلها لها أثر كبير وتأثير علي منهج المفسر .

الحركة العلمية :-

وقد أنشأت أول مديرية للتعليم علم ١٩٢٦م وكانت تابعة لإدارة الشؤون الداخلية ، وفي عام ١٩٥٣م أنشأت أول وزارة للمعارف في تاريخ شبه الجزيرة العربية وتولاها الأمير فهد بن عبد العزيز (٣) ومنذ ذلك الحين تطور التعليم بالمملكة تطوراً عظيماً وقد وجدت البنت السعودية طريقها للعلم عام ١٩٦٠م (٤) .

(١) ج٨ ص٣١٦

(٢) تقدم ص١٢ في الحالة الاجتماعية هذه .

(٣) ملك السعودية اليوم .

(٤) الموسوعة أحمد شليبي ج٧ ص٢٠١ .

يقول الباحث : من خلال ما سبق يتضح لنا أن الشيخ السعدي رحمه الله حفظ القرآن الكريم وهو لا يزال في سن الحادية عشرة أي عام ١٩٠١م، الموافق ١٣٨١هـ—، وقد بدأ في التعليم على علماء بلده وعلى علماء من الخارج حتى عام ١٣٣٠هـ— ١٩١٣م ثم بعد ذلك أصبح معلماً ومدرساً وفي نفس الوقت يتعلم من العلماء أي أن التعليم في عصر الشيخ السعدي كان على الطريقة القديمة في التعليم والتي كانت في المساجد علي شكل حلقات حول العالم حتى أواخر عمره بثلاث سنين تقريباً وذلك في عام ١٩٥٣م، وقد توفي السعدي في عام ١٩٥٦م .

- مما سبق نجد أن التعليم تطور تطوراً عظيماً في آخر أيام الشيخ السعدي - رحمه الله - أي أنه لم يشهد تطور العلم الحديث، ولكنه أخذ العلم من منهله الصافي العذب وقد فتحت الجامعات والمعاهد أبوابها في مختلف العواصم بالمملكة وشيدت مئات المدارس والمعاهد والكليات لاستيعاب الطلاب، كما ارتفع عدد المبعوثين للخارج من المملكة وكان الملك فيصل رئيساً للوزراء عندما أصدر أمراً بتعليم الفتيات حيث تحمل كل المشاكل التي واجهته من بعض العقول المتعصبة الراضية لتعليم الفتيات ولقد أصبح عدد الطلاب يقترب من المليون في جميع مراحل التعليم، وارتفعت مخصصات تعليم الفتيات إلي ٤٨٥ مليون ريال أي ٢٤٢ ضعفاً عما كانت عليه عام ١٩٦٠م (١) .

الحركة العلمية في عصر السعدي:

لقد كانت الفتيات محرومات من التعليم في عصر الشيخ السعدي - رحمه الله - والسبب كما رأينا هو مدي التعصب العقلي عند معظم الناس آنذاك، وربما هناك سبب آخر هو عدم انتشار المدارس والمعاهد والجامعات التي تضم تلك الفتيات .

أولاً : حصر التعليم الشرعي " القرآن الكريم "

وكان التعليم محصوراً علي الأولاد وعلي القرآن وحده ولهم به شغف، ولم يكن التعليم فقط للأولاد فإن بعضهم علم بناته ولكن كان فردياً وقد ذكر لي بعض المعمرين (٢) أنه في أواخر القرن الثالث عشر كان في ديار حرب المساجد التالية :

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي ص ١٨٨ .

(٢) هذا قول صاحب الكتاب .

- مسجد في عسفان^(١) وفيه معيظة^(٢) وجمعة وفي غران^(٣) كالذي قبله وفي خليص كسابقه^(٤) وفي الخوار^(٥) مسجدان في قديد في كل منها معيظة وجمعة ، هذا بالإضافة إلى القرى الكبرى مثل رابع والدعيجية وغيرها^(٦).

مما سبق يتضح أن التعليم قبل عصر السعدي - رحمه الله - وإلى قبيل آخر عمره بعدة سنوات كان محصوراً في المساجد وعلي فئة الذكور في الغالب والقلّة من البنات، كما كان العلم في القرآن الكريم فقط وقد شغفوا في حبه وتعليمه وإن كان ذلك كما ذكر المؤلف في أواخر القرن الثالث عشر أي قبل مولد السعدي بعشرات السنين ولم يتطور العلم إلا بعد عام ١٣٧٠هـ تقريباً الموافق ١٩٥٠م، وبلغ ذروته في عام ١٩٦٠م، أي في عام ١٣٨٠هـ.

ثانياً : يقول صاحب كتاب "موسوعة القبائل العربية" :-

مرت بلاد حرب بعد عام ١٣٧٠هـ بنهضة زراعية تعليمية فقد تخرج منها المدرسون والموظفون وهناك عدد لا يُستهان به في أجهزه الدولة الراقية كالأطباء والضباط وحملة العلم ، فعدد من يساهم اليوم مساهمة علمية في الدولة لا يمكن حصره، وقد يزيد عددهم على الآلاف ، فسبحان مغير الأحوال وجاعل العلم نوراً يهتدي به، قال تعال : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ الرعد: ١١ (٣).

(١) عسفان : بضم العين وسكون السين منهله من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة وقال غيره بين المسجدين وهي علي مرحلتين من مكة وقيل : قرية جامعة بما منبر ونخيل ومزارع علي ستة وثلاثين ميلاً من مكة وهي حد تامة وقد غزا النبي ﷺ بني حيان فيها " معجم البلدان ج٤ ص١٢١-١٢٢ " .

(٢) تصغير معلمة وهذا اللفظ يعادل كلمة " كتاب " بضم الكاف و تشديد التاء.

(٣) غران : موضع تامة وقيل وادي ضخم بالحجاز بين ساية ومكة وقيل : وادي رهاط يقال غران وهي منازل بني حيان وهي واد بين أمج وعسفان إلى بلد يقال له ساية " المعجم ج ٤ ص ١٩١ .

(٤) خليص : بالتصغير حصن بين مكة و المدينة " معجم البلدان " ج ٢ ص ٣٨٧ .

(٥) الخوار : قرية في ستارة من نواحي مكة قرب بزة فيها مياه ونخيل " معجم البلدان ج٢ ص٣٩٤ " .

(٦) انظر موسوعة القبائل العربية ج٢ ص٤٢٦-٤٤٧ .

مما سبق يؤكد أن التعليم لم يبلغ درجة الازدهار في عصر الشيخ السعودي إلا في أواخره وقبل موته بحوالي ست سنين تقريباً.

التعليم :-

أول اجتماع في تاريخ المملكة بمكة المكرمة :-

وذلك في شهر جماد الأول من عام ١٣٤٣هـ - ١٩٢٣م حث فيه العلماء علي نشر العلم والتعليم وقد تأكد هذا الاهتمام بإنشاء " مدينة المعارف " الذي تمّ في ١٣٤٤/٩/١هـ - ١٩٢٤م (١) وقد سبق إنشاء المدينة صدور التعليمات الأساسية التي وصف نظام الحكم والإدارة ١٩٢٥م واختيار نظام المديرية المتخصصة للنهوض بمختلف فروع الخدمات والإنتاج وكان من صلاحيات مديرية المعارف الإشراف علي جميع المدارس وكلية الشريعة في البلد .

وفي المادة الثالثة والعشرين نجد النواة الأساسية للتعليم في المملكة حيث قدمت أول تعريف لأمر المعارف فقد نصت المادة المذكورة علي أن أمور المعارف العمومية هي عبارة عن نشر العلوم والمعارف والصناعات وافتتاح المدارس والمكاتب وحماية المعاهد العلمية مع فرط الدقة والاعتناء بأحوال الدين الحنيف في أنحاء المملكة الحجازية كافة.

أسس النظام التعليمي في البلاد الحجازية :-

توحيد التعليم في الحجاز وجعله إجبارياً ومجانياً في المرحلة الابتدائية وأن يتكون التعليم من أربع مراحل تحضيرية ، ابتدائية ، ثانوية والتعليم العالي وكانت ميزانية المعارف في عام ١٣٧٣هـ - ١٩٥٢م تصل إلي " اثني عشر " مليون ريال قفزت في العام الأول للوزارة إلي " عشرين " مليوناً وبعد خمس سنوات أي في عام ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م وصلت ميزانيتها إلي حوالي " تسعة وثمانين " مليوناً ولعل خير دليل علي التطور المذهل للنظام التعليمي في المملكة هو أن مديرية المعارف كانت تشرف علي " خمس وستين " مدرسة يوجد بها عشرة آلاف طالب (٢).

(١) ولعل الصواب " ١٩٢٦م " بدل " ١٩٢٤م " كما ذكر أحمد شلبي في موسوعة التاريخ ولقد سبق ذلك صدور التعليمات " ١٩٢٥م " فكيف يكون السابق لاحقاً.

(٢) الرياض " مدينة المستقبل " ص ١٤٣-١٤٥ من إصدارات المعهد العربي لائتماء المدينة لعام ١٩٩٨م.

التعليم العام للبنين بمديرية الرياض :-

وهي مثال علي وفرة العلم وتطوره في عهد الشيخ السعدي ولكنها العاصمة فلقد كان التعليم العام للبنين بمديرية الرياض حتى عام ١٣٥٠هـ - ١٩٣٠م يعتمد في مجمله علي عدد من الكتاتيب المتناثرة داخل المدينة كما أشرنا سابقاً وفي بعض مساجدها وكانت هذه المدارس تركز علي تدريس القرآن الكريم " تلاوةً وحفظاً " وعلي بعض مواد العلوم الإسلامية و اللغة العربية وجزء يسير من مبادئ الحساب . وبعد ذلك التاريخ بدأ التطور في التعليم في مضمون وشكل الكتاب وأصبحت شبيهة في بعض خصائصها بالمدارس النظامية الجزئية في ذلك الوقت حيث بدأ هذا التطور حيثما أمر المغفور له الملك عبد العزيز عام ١٣٥٠هـ - ١٩٣٠م بافتتاح مدرسة لأبنائه في مكان مجاور لمجلسه في قصر الحكم وسط المدينة سميت باسم " مدرسة الأمراء " .

-وفي شهر ربيع الآخر من عام ١٣٥٩هـ - ١٩٣٩م تم افتتاح مدرسة خاصة بأنجال ولي العهد آنذاك " سعود بن عبد العزيز " وقد تم في عام ١٣٦٠هـ - ١٩٤٠م تغيير أسمها باسم " معهد الأنجال " وفي نفس العام أنشأ الأمير منصور بن عبد العزيز حينما كان أميراً للقصور الملكية أول مدرسة عامة في الرياض في منطقة " المربع " وفي عام ١٣٦٢هـ - ١٩٤٢م افتتحت مدرسة الأيتام في حلة الأحرار بمدينة الرياض وربطت بمدينة الشرطة .

- وفي المحرم ١٣٦٣هـ - ١٩٤٣م ضمت هاتان المدرستان في مدرسة واحدة باسم " المدرسة السعودية " وميزانيتها من القصر الملكي ، وفي عام ١٣٦٢هـ - ١٩٤٧م افتتح الأمير عبد الله بن عبدالرحمن مدرسة لأولاده بقصره .

- وفي العام ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م تم افتتاح أكبر مجموعة من المدارس الابتدائية بمدينة الرياض حتى ذلك التاريخ وهي : مدرسة سعيد بن جبير ، الجاحظ ، القادسية ، معن بن زائدة، مدرسة المنصور .

- وفي العام الذي تلاه ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م أنشئت مدرسة أم الحمام ، الجزائر .

- كما أنشئت عام ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م المدرسة السعودية قنينة بن مسلم، والبحتري (١).
نقول : مما سبق أن تطور التعليم في عصر الشيخ السعدي - رحمه الله - وبخاصة في مدينة الرياض كان في العقد الخامس من عمره أي في الثالثة والأربعين من عمره ورأينا الكم الهائل من المدارس التي أنشئت في عهده والتي تدل علي اهتمام الملك عبد العزيز بالتعليم والعلم علي أصول الدين الحنيف ومما ساعد علي إقبال الناس علي العلم والتعليم في ذلك الزمان هو مجانية التعليم وإلا جبار عليية .
- وفي عام ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م افتتح بالرياض المعهد العلمي الذي يضم قسماً تمهيدياً يعادل الصفين الخامس والسادس الابتدائي وقسماً ثانوياً وقسماً ثالثاً يدعي القسم الخاص " خاص بمن فقد نعمة البصر " .
- وحتى عام ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م - أي في العام الذي توفي فيه الشيخ السعدي كان التعليم بمدينة الرياض مقتصرأ علي الابتدائي ولم يكن هناك تعليم متوسط ولا ثانوي إذا ما استثنينا القسم المتوسطة بالمعهد العلمي ، والقسم المتوسط بمعهد الأنجال اللذين ظلا يمثلان المرحلة المتوسطة داخل الرياض حتى افتتحت المدرسة المتوسطة الأولى بالرياض عام ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م وبعد موت الشيخ السعدي توالى المدارس المتوسطة حتى أصبح عددها " ١٠٢ " مدرسة متوسطة منها ، النهارية ، والليلية (٢) .

(١) الرياض "مدينة المستقبل" ص١٤٦ بتصرف قليل ، انظر الرياض " حضارة عريقة وحاضر زاهر " من إصدارات المعهد العربي لإنماء المدينة لعام ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ص١٧٣-١٧٤ .
(٢) الرياض " مدينة المستقبل " ص١٤٨ بتصرف قليل ، نظر : الرياض حضارة عريقة وماضي زاهر ص ١٧٥ وما بعدها .

مدرسة المعارف بنجد :-

وقد أنشئت عام ١٣٦٥هـ - ١٩٤٥م وكان يقوم بإدارتها المرحوم الطرابلسي وبعد ذلك أنشئت إدارة التعليم بنجد (١).

تعليم البنات :-

في أواخر عهد الشيخ السعودي - رحمه الله - كان تعليم البنات فردياً نتيجةً للتعصب العقلي الغالب علي معظم الناس في عهده ، كما كان مقصوراً علي المدارس الأهلية وليس له جهاز مخصص، أو جهة حكومية منتظمة للإشراف عليه . وقد صدر الأمر السامي عام ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م بإنشاء جهاز يشرف علي تعليم البنات بالمملكة ويتولى وضع الخطط والمناهج الخاصة به ، وأطلق عليه اسم " الرئاسة العامة لتعليم البنات " في الرياض ، ويعتبر عام ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م بداية لتعليم الفتاة في المملكة حيث تم افتتاح خمس عشرة مدرسة ابتدائية بمختلف المدن الرئيسية بالمملكة (٢) وكان نصيب مدينة الرياض منها مدرستان ابتدائيتان (٣).

الأهداف الرئيسية في تعليم البنات :-

١. غرس العقيدة الإسلامية في نفوس الطالبات ونشرها.
 ٢. تزويدهن بالقيم والتعاليم الإسلامية.
 ٣. اكتسابهن المهارات المختلفة في شتى المجالات المختلفة المناسبة لهن .
 ٤. تهيئتهن ليكن عضوات نافعات للمجتمع .
- وقد كانت المدارس الأهلية قبل عام ١٣٨٠هـ منطلق البداية في تعليم المرأة السعودية وقد مر هذا النوع من التعليم بمراحل ثلاث :-
المراحل التي مر بها تعليم البنات :-
١. مرحلة الكتاتيب :

التي كانت تتولى فيها امرأة أو مجموعة من نساء المجتمع تعليم البنات في منازلهن فيعلمنهن القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة .

(١) الرياض " مدينة المستقبل " ص ١٤٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥١ ، انظر : الرياض حضارة عريقة ص ١٨١ .

(٣) مدينة المستقبل ص ١٤٩ .

٢. المدارس : شبه المنتظمة التي لم يكن يربط بينها منهاج ولا يوحدها إشراف .
٣. المدارس الأهلية : المنظمة ومن أقدم المدارس الأهلية التي عرفتها المملكة مدرسة البنات الأهلية بمكة المكرمة عام ١٣٦٢هـ - (١) .

الخلاصة

مما سبق أكد أن التعليم في المملكة وفي أوائل عصر الشيخ السعودي - رحمه الله - كان مقتصرًا على الذكور ولا يتعدى القرآن الكريم وبعض العلوم الإسلامية ومبادئ الحساب ثم كان يتعلم بعض البنات علي شكل فردي وكلا الجنسين كان يتعلم من غير نظام حكومي ولا إشراف وبغير خطط دراسية .

-وبعد عام ١٣٥٠هـ-١٩٣٠م بدأ انتشار المدارس الحكومية المنتظمة في أنحاء المملكة وفي الرياض بصفة خاصة وكانت المدارس ابتدائية فقط وبعد موت السعودي انتشرت المدارس المتوسطة والثانوية .

-وفي عام ١٣٨٠هـ -١٩٦٠م تطور تعليم البنات بأمر من الملك ووضعت له الميزانية من الأموال والخطط الدراسية المنظمة حتى أصبح في المملكة خمس عشرة مدرسة ابتدائية كان نصيب الرياض منها مدرستين ابتدائيتين ، وهذا العطاء الزاهر من العلم للذكور والإناث كان إيماناً من القائمين عليه بأن (النساء شقائق الرجال)(٢) وأن (طلب العلم فريضة علي كل مسلم ومسلمة)(٣).

أثر الحركة العلمية علي منهج الشيخ :

كانت للحركة العلمية في عصر الشيخ السعودي أثر على منهجه في التفسير وذلك بأن استغني عن الخوض في مفردات اللغة والاقتصار على بيان المقصود من آيات القرآن وهو الهداية.

(١) الرياض " حضارة عريقة " ص ١٨١ بتصرف قليل .

(٢) سنن الترمذى، محمد بن عيسى ج ١ ص ١٩٠ باب ما جاء فيمن يستيقظ فيري بللاً ولا يذكر احتمالاً ج(١١٣) عن عائشة، وهو جزء من حديث، فيه يحي بن سعيد ضعيف لحفظه .

(٣) شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨ ج ٢ ص ٢٥٣ ، الباب : السابع عشر من شعب الإيمان ج ١٦٦٣ عن أنس بن مالك وهذا الحديث شبه مشهور وإسناده ضعيف وقد روي من أوجه كلها كمال - دار الكتب العلمية ط ١/١٤١٠هـ - تحقيق / السعيد بسبوني زغلول .

منهج السعدي في نقده للتفسير:

يقول - رحمه الله تعالى - عن ذلك فقال : " كثرت تفاسير الأئمة - رحمهم الله - لكتاب الله تعالى فمن مطول خارج عن المقصود ومن مقتصر يقتصر علي حل بعض الألفاظ اللغوية بقطع النظر عن المراد وكان الذي ينبغي في ذلك ان يجعل المعني هو المقصود ،واللفظة وسيلة إلية فينظر في سياق الكلام وما سبق لأجله ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر " التفسير بالمأثور " ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم ،عالمهم وجاهلهم حضريهم و بدويهم فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله من أعظم ما يعين علي معرفته ومنهم المراد منه خصوصاً إذا انضم إلي ذلك معرفة علوم العربية علي اختلاف أنواعها .

فمن وفق ذلك لم يبق عليه إلا الإقبال علي تدبره وتفهمه وكثرة التفكير في ألفاظه ومعانيه ولوازمها وما تتضمنه وما تدل عليه منطوقاً ومفهوماً فأن بذل وسعه في ذلك فالرب أكرم من عبده فلا بد أن يفتح عليه من علومه أموراً لا تدخل تحت كسبه). (١)

هدف السعدي من تفسيره:

١ . المقصود الأول يجب أن يكون عند المفسر هو الهداية لجميع الناس علي اختلاف درجاتهم ومراكزهم .

٢ . الاهتمام بسيرة الرسول ﷺ التي هي النبراس للخلق كلهم، ولا سيما التعامل مع أبناء دينه ومع أعدائه ولعل في هذا إشارة من الشيخ السعدي - رحمه الله - إلي الصراعات السياسية التي في عصره علي امتداده ،والولايات التي جرتها هذه الصراعات ، فهو يريد أن يقول : اقتدوا بنبيكم في تعامله مع أبناء دينه ووطنه وفي تعامله مع أعدائه وجهادهم .

٣ . وأخيراً الاهتمام بعلوم العربية ودلالاتها المتعددة .

الأخذ بالأسباب السابقة، ثم التوكل على الله ليصل المفسر إلى مراده .

(١) تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٢-١٣ دار الذخائر، انظر كتاب اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر .د. فهد بن عبد الرحمن الرومي لعام ٢٠٠٠م ص ١٥٠-١٥١، انظر القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي ص ٥-٦ ، دار الاستقامة - ط ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

" أهمية تفسير السعدي "

لابد لكل تفسير من التفاسير من أهمية علمية ودينية بين غيره من التفاسير الحديثة ولأن تفسير شيخنا السعدي - رحمه الله - يعد من التفاسير الحديثة لأنه فرغ منه عام ١٣٤٤هـ حيث كان يبلغ السابعة والثلاثين من عمره .
وقد أردنا أن نتناول أهمية هذا التفسير من حيث المصادر التي اعتمد عليها السعدي في تفسيره بالإضافة إلى أنواع التفاسير التي استخدمها السعدي في تفسيره كالتفسير التحليلي أو الموضوعي مثلاً .

المطلب الأول/ مميزات تفسير السعدي ومكانته :-

١ . الوضوح والتيسير :-

(ومن أوضح التفاسير وأقر بها منهاجاً إلي طالب العلم تفسير العلامة الجليل " الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي " الموسوم بـ " تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " فكان تفسيراً ميسراً سهلاً أجاد فيه مؤلفه وانتهج منهاجاً وسطاً بين التطويل الممل ولاختصار المخل وبذلك كان مطابقاً لاسمه لفظاً ومعني سهلاً عظيم الفائدة(١).

٢ . بيان عقيدة أهل السنة:

حيث إن الأمة الإسلامية في حاجة ماسة لتفسير يعنى به صاحبه إلي بيان عقائد أهل السنة وشرحها وبيان ما يتعلق بها، وما يثار حولها من شبهات، وما يستدل به بعض النحل، وبيان الحق الواضح والدواء الشافي بما يجلو كل شبهة، ويثبت كل حقيقة.

والحق أن تفسير الشيخ السعدي - رحمه الله - أكمل وأجاد حيث بيان عقيدة أهل السنة والجماعة والأدلة عليها وبيان شبه المنحرفين والرد عليها رداً شافياً كافياً، ولا سيما في العصر الحديث .

(١) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٣ " كلمة الناشر "، انظر كتاب اتجاهات التفسير ص١٨١-١٨٢ بتصرف قليل تحت عنوان : رأي المؤلف في منهج أهل السنة والجماعة في تفاسيرهم المعاصرة .

٣. ربط التفسير بالواقع المعاصر :-

وهذه ميزة أكثر المفسرين المعاصرين ومنهم شيخنا السعدي - رحمه الله

حيث الربط أو تطبيق التفسير علي المجتمع ،وتوجيه الأمة إلي ما ينبغي أن يكونوا عليه حسب توجيهات القرآن الكريم والعبودية من خلال آيات القرآن الكريم إلي علاج مشاكل المجتمع الإسلامي السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

٤. عدم الخوض في التفسير العلمي :-

فقد اعتنى به كثير من المفسرين في العصر الحديث فمنهم المفرط في ذلك والذي يجعل التفسير تابعاً للنظريات العلمية وكأنها هي الأصل ، ولكن الشيخ السعدي - رحمه الله - تعرض لهذا النوع من التفسير ولكن بشكل لا يكاد يذكر مع ما تناوله غيره من المفسرين المحدثين أما هو فقد تناول لمحات وإشارات خاطفة بين ثنايا التفسير التي تهدف إلي التدبر والتفكر في آيات القرآن ، لا لهدف التفسير والربط بين النص والنظرية (١) . وسوف نتعرض لهذا الجانب في مكانه في الفصل الرابع ، المبحث الثالث إن شاء الله تعالى .

٥. اهتمامه بالنحو والبلاغة التي استقاها من ابن القيم (٢) - رحمه الله - من كتاب بدائع الفوائد في النحو و البلاغة والتفسير .

٦. العبر والعظات المستفادة من النصوص ولا سيما الأحداث الهامة والجليلة والقصص القرآني كأصحاب الكهف وقصة يوسف عليه السلام وقصة الجهاد في سورة البقرة الخ .

٧. إثراء المكتبات الإسلامية بمثل هذه التفاسير يعطيها القيمة العلمية وأنه لا يزال هناك عطاء متواصل في خدمة كتاب الله عز وجل بالإضافة إلي بيان جهود السابقين

(١) اتجاهات التفسير ص ١٨٢ .

(٢) ابن القيم :عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي(٥٠٨-٥٩٧هـ) أبو الفرج علامة عصره في التاريخ والحديث مولده ووفاته ببغداد ونسبته إلي مشرعة الجوز من محالها ،له نحو ثلثمائة مصنف منها : تلقيح فهوم أهل الأثر والناسخ والمنسوخ،تلييس إبليس ،مناقب عمر بن عبد العزيز (الأعلام :ج٣ص٣١٦).

و اللاحقين في خدمة الإسلام والمسلمين وأن كتاب الله لا تنفذ علومه علي مر الدهور .

المطلب الثاني : المصادر التي اعتمد عليها المفسر في تفسيره :-

لا شك أن كل مفسر من المفسرين ولاسيما المعاصرين ينقلون عن من سبقهم من المفسرين كابن تيميه والطبري وابن كثير وغيرهم ، ولما كان الشيخ السعدي سلفي العقيدة فإنه يأخذ عن السلفيين أمثال ابن تيمية - رحمه الله - وابن كثير الدمشقي وابن القيم الجوزية وغير ذلك .

أولاً : مختصر تفسير ابن كثير :- وقد اعتمد الشيخ السعدي علي تفسير ابن كثير في كثير من الآيات منها:-

١ . عند تفسيره لقوله تعالى ﴿أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ البقرة : ٢٤ قال : وفي قوله "

أعدت للكافرين " ونحوها من الآيات دليل لمذهب أهل السنة والجماعة علي أن النار موجودة الآن لقوله تعالى " أعدت " أي رصدت وهيئت (١) وقد ذكر ابن كثير - رحمه الله - جملة من الأحاديث الصحيحة والمتواترة في هذا المقام لم يتعرض لها السعدي لانتهاجه الإيجاز في التفسير .

٢ . عند تفسيره لقصة بني إسرائيل مع البقرة التي أمروا أن يذبحوها وتعدد الروايات في أصل هذه القصة وكيف تم قتل النفس وقد نقلها عن عبدة السلطان (٢) والسدي فقال " وهذه الروايات عن " عبدة " و " السدي " مأخوذة من كتب بني إسرائيل وهي مما يجوز نقلها ولكن لا تصدق ولا تكذب " (٣).

ب. وفي قصة الخصمين اللذين تسورا المحراب علي داود عليه السلام يقول: " وقد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذة من الإسرائيليات ولم يثبت منها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روي ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده لأنه

(١) مختصر تفسير ابن كثير ج١ ص٤٣ - اختصار وتحقيق محمد الصابوني - المكتبة الفيصلية.

(٢) عبدة بن عمرو السلماني، بسكون اللام أو فتحها، المرادي، أبو عمرو الكوفي، تابعي كبير، فقيه ثبت، مات سنة اثنتين وسبعين، والصحيح أنه مات قبل سنة سبعين.

انظر: تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ - ص٦٥٤، حققه وعلق عليه ووضحه، وأضاف إليه أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، تقديم بكر أبو زيد - دار العاصمة السعودية - ط١٤١٦/١هـ -

(٣) مختصر تفسير ابن كثير ص٧٧ في الحاشية .

من رواية يزيد الرقاشي^(١) عن أنس رضي الله عنه ويزيد وإن كان من الصالحين، ولكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر علي مجرد تلاوة القصة وأن يرد علمها إلي الله عز وجل فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق " (٢) .

- وأشار إلي أقاويل المفسرين في الحاشية فقال : (زعموا أن المراد بالخصم جبريل وميكائيل وضمير الجمع في تسوروا يرجع إليهما حملاً علي لفظ الخصم، والنعجة كناية عن المرأة والمراد : أم سليمان، وكانت امرأة أوريا قبل داود إلي آخر ما هنالك من أقوال غير صحيحة) (٣) .

ولم يذكر الإمام السعدي هذه الروايات اكتفاء منه بموقفه أول مرة من الإسرائيليات، وهو بطبعه لا يذكر الروايات مطلقاً ولكنه يقول : كثر في هذه الآيات من الروايات الإسرائيلية ويعيب علي المفسرين الذين يسردونها .

٣. الصفا و المروة ركن من أركان الحج :-

وذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ . . .﴾ البقرة: ١٥٨ يقول (وهما معروفان " من شعائر الله " - أي أعلام دينه الظاهرة التي تعبد بها عباده وإذا كان من شعائر الله فقد أمر الله بتعظيم شعائره فقال ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الحج : ٣٢، فدل مجموع النصين أنهما من شعائر الله، وأن تعظيم شعائره من تقوي القلوب والتقوى واجبة علي كل مكلف وذلك يدل علي أن السعي بها فرض لازم للحج والعمرة كما عليه الجمهور ودلت عليه الأحاديث

(١) يزيد بن طهمان، أبوالمعتمر الرقاشي البصري، روى عن الحسن وابن سيرين، وروى عن وكيع، سكن الكوفة، مستقيم الحديث (صالح الحديث لا بأس به).

انظر : كتاب الجرح والتعديل للإمام الحافظ أبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم، ت: ٣٢٧هـ، ج٩ ص٢٧٣- دار الكتب العلمية- ط١ - بدون تاريخ.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ج٣ ص٢٠٠ .

(٣) المصدر نفسه ص٢٠٠ " في الحاشية " . كلام ابن كثير.

النبوية وفعله النبي ﷺ وقال (خذوا عني مناسككم) (١) ، ولكن الأحاديث لم يوردها هنا خوف الإطالة ولكن ابن كثير ذكرها في تفسيره .

٤ . النقل عن ابن كثير ومخالفته الرأي والرد عليه :-

مسألة النسخ في آية الوصية الواجبة :-

وذلك في قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة ١٨٠ .

يقول : (واعلم أن جمهور المفسرين يرون أن هذه الآية منسوخة بآية المواريث، وبعضهم يرى أنها في الوالدين و الأقربين غير الوارثين مع أنه لم يدل علي التخصص دليل والأحسن في هذا أن يقول : إن هذه الوصية للوالدين والأقربين مجملة ردها الله تعالى إلي العرف الجاري ثم إن الله تعالى قدر للوالدين الوارثين وغيرهما من الأقارب الوارثين هذا المعروف في آيات المواريث بعد أن كان مجملاً وبقي الحكم فيمن لم يرثوا من الوالدين الممنوعين من الإرث وغيرهما ممن حجب بشخص أو وصف فإن الإنسان مأمور بالوصية لهؤلاء وهم أحق الناس بیره .

وهذا القول تتفق عليه الأمة ويحصل به الجمع بين القولين المتقدمين لأن كلاً من القائلين بها كل منهم لاحظ ملحظاً واختلف المورد .

فبهذا الجمع يحصل الاتفاق والجمع بين الآيات فإنه لو أمكن الجمع كان أحسن من ادعاء النسخ الذي لم يدل عليه دليل صحيح (٢)

(١) والحديث: صحيح مسلم ج٢ ص٩٤٣ كتاب: الحج، باب: استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً، عن جابر ﷺ ح (١٢٩٧) المكتب الإسلامي - تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١٢١ ، مختصر تفسير ابن كثير ج١ ص١٤٥

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١٤٢، انظر ابن كثير ج١ ص١٥٧ بالتفاصيل، انظر التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي ج(١) - (٢) ص١٢٢ دار الفكر - ط١ - ١٩٩١ م .

الرد علي النسخ :-

ونقول : إن السعدي - رحمه الله - قد نقل الآراء عن ابن كثير - رحمه الله - ولكنه خالفه الرأي في نسخ أية الوصية للوالدين مع أن الجمهور متفق على نسخها، كما قال أكثر المفسرين، وللحديث القائل (إن الله قد أعطي كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث) (١) وقول ابن عباس رضي الله عنه أيضاً.

يقول الباحث: إن رأي السعدي مرجوح، والراجح ما قاله أكثر المفسرين، ولعل السعدي قد تأثر بما قاله صاحب مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي الذي نقل رواية تقول إن هذه الآية غير منسوخة وإنما هي مفسرة بأية المواريث وهذا ما عبر عنه السعدي بقوله : " والأحسن أن نقول : إن هذه الوصية مجملة ردها الله إلي العرف الجاري " .

وقد فصل الإمام ابن كثير هذه المسألة تفصيلاً دقيقاً ورد علي الأقوال جميعها وعلي الرازي بصفة خاصة وتعجب منه في ذلك (٢)، والباحث يؤيد رأي الجمهور للأدلة الواردة.

٥. في قوله تعالى : ﴿ . . . وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِندَهُمْ . . . ﴾

الإسراء. ٦٤.

يقول : بل ذكر كثير من المفسرين أنه يدخل في مشاركة الشيطان في الأموال والأولاد ، ترك التسمية عند الطعام والشراب والجماع وأنه إذا لم يسم الله في ذلك شارك فيه الشيطان كما ورد فيه الحديث (٣) .

نقول : الحديث الذي عناه السعدي هنا قد أورده الإمام ابن كثير - رحمه الله - أن رسول الله ﷺ قال (لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال : باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينها ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبداً) (٤) .

٦. في قوله تعالى ﴿ . . . فَأَخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ طه: ١٢

(١) الحديث : صحيح البخاري ج٣ ص١٠٠٨ كتاب الفرائض باب لا وصية لوارث ح(٢٥٩٦) عن ابن عباس رضي الله عنه .

(٢) مختصر ابن كثير ج١ ص١٥٧، انظر التفسير الكبير ج٥ ص٦٢-٦٣ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ج٣ ص١٢١، انظر مختصر ابن كثير ج٢ ص٣٣٨ بالمعني .

(٤) صحيح البخاري ج١ ص٦٥ كتاب النكاح باب التسمية علي كل حال وعند الوقاع ح ١٤١ عن ابن عباس .

يقول " فاخلع نعليك " وقد قال كثير من المفسرين: إن الله أمره أن يلقي نعليه لأنهما من جلد حمار " فإله أعلم بذلك " (١) وعند ابن كثير وصف النعلين بأنها من جلد حمار غير ذكي^(٢). يقول الباحث: لم يرد فيهما حديث معتمد.

٧. الاختلاف في رجل " مدين " صاحب موسى عليه السلام " ورد السعدي " وهو الذي سقى موسى عليه السلام لابنتيه الغنم ، وهذا الرجل أبو المرأتين صاحب مدين ليس بشعيب النبي المعروف كما اشتهر عند كثير من الناس فإن هذا قول لم يدل عليه دليل .

رد السعدي :و غاية ما يكون أن شعيباً عليه السلام قد كانت بلده مدين، وأيضاً فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمان شعيب، فكيف بشخصه؟! ولو كان شعيباً لذكره الله تعالى ولسمته المرأتان، وأيضاً فإن الله أهلك قومه ولم يبق إلا من آمن به وقد أعاد الله المؤمنين به أن يرضوا لابنتي نبيهم بمنعهما عن الماء وصد ماشيتهما حتى يأتي رجل غريب فيحسن إليهما ويسقي ماشيتهما، وما كان - شعيب ليرضي أن يرعى موسى عنده - وهو يعلم أنه أفضل منه وأعلى درجة إلا أن يقال أن هذا قبل نبوة موسى، فلا منافاة، وعلى كل حال لا يعتمد علي أنه شعيب النبي بغير نقل صحيح عن النبي ﷺ والله أعلم. (٣)

يقول الباحث: والحق : أن السعدي - رحمه الله - قد أكمل وأجاد - في الرد علي القول المرجوح وأوافقه في ذلك، لأنه لم يرد خبر صحيح يدل علي ذلك، كما نقل ابن كثير هذا عن ابن عباس ؓ.

ثانياً : شيخ الإسلام ابن تيمية : -

تأثر السعدي بإمامه ابن تيمية في العقيدة والمذهب وهذه نماذج تدل على ذلك:

(١) تيسير الكريم الرحمن ج٣ص٢٢٦ مختصر ابن كثير ج٢ص٤٧١ عن علي بن أبي طالب . وغير واحد من السلف .

(٢) ذكي : ذكيت الذخية أذكيتها إذا ذبحتها أو من الفعل " ذكا " يدل علي حدة في الشيء ونفاذ (انظر معجم اللغة لابن فارس ٣٩٥هـ - ج١ص٣٥٩ ، انظر معجم مقاييس اللغة ج٢ص٣٥٧ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ج٤ص١٦ ، انظر مختصر ابن كثير ج٣ص١٠ بالتفاصيل ، انظر التفسير المنير ج٢٠ص٨٥.

١. في قول تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة : ٧٥ .

يقول : قال شيخ الإسلام: (فإن الله ذم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه وهو متناول لمن حمل الكتاب والسنة علي ما أصله من البدع الباطلة وذم الذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وهو متناول لمن ترك سر تدبر القرآن ولم يعلم إلا مجرد تلاوة حروفه، ومتناول لمن كتب كتاباً بيده مخالفاً لكتاب الله لينال به دنيا وقال : إنه من عند الله مثل أن يقول هذا هو الشرع والدين وهذا معنى الكتاب والسنة وهذا معقول السلف والأئمة وهذا هو أصول الدين الذي يجب اعتقاده علي الأعيان والكفاية ومتناول لمن كتتم ما عنده من الكتاب والسنة لئلا يحتج به مخالفه في الحق الذي يقوله و هذه الأمور كثيرة جداً أفي أهل الأهواء جملة كالرافضة وتفصيلاً مثل كثير من المنتسبين إلي الفقهاء)(١) .

٢. في قوله تعالى ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾ الطور: ٣٥-٣٦ .

يقول : (وهذا الاستدلال عليهم بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق، أو الخروج عن موجب العقل والدين، وقد تقرر في العقل والشرع أن ذلك لا يخلو من أحد ثلاثة أمور .

- إما أنهم خلقوا من غير شيء أي لا خالق خلقهم بل وجدوا من غير إيجاد ولا موجد وهذا عين المحال .
- أم هم الخالقون لأنفسهم وهذا أيضاً محال فإنه لا يتصور أن يوجد أحد نفسه فإذا بطل هذان الأمران وبان استحالتهم، تعين القسم الثالث وهو أن الله هو الذي خلقهم، وإذا تعين ذلك علم أن الله وحده هو المعبود وحده الذي لا تتبغي العبادة، ولا تصلح إلا له تعالى)(٢) .
- وهذا نفس الكلام الذي قاله شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في إثبات وجود الخالق عز وجل وأن هذا الدليل فطري بديهي مستقر في النفوس، والدليل هو " أم خلقوا من غير شيء فهذا ممتنع في بداية العقود أم هم خلقوا أنفسهم ؟

(١) انظر التفسير الكبير لابن تيمية ج٣ ص٣٦، ٣٧ تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٧٠-٧١ .
(٢) تيسير الكريم الرحمن ج٥ ص١١٠ ، دار الصفا، انظر التفسير المنير ج٢٧ ص٨٠، انظر في رحاب التفسير للشيخ عبد الحميد كشك ج٧ ص٥٩٨٠، المكتب المصري الحديث.

- فهذا أشد امتناعاً فعلم أن لهم خالقاً خلقهم " .

ثالثاً : ابن القيم رحمه الله تعالى :-

١ . حيث نقل عنه فوائد مهمة تتعلق بتفسير القرآن من كتاب " بدائع الفوائد " وقد نقل عن كتابه سنة فصول في البلاغة والنحو وعلوم القرآن والفقه وغيره ، كما اشتمل النقل علي خمس فوائد في النحو والبلاغة وعلوم القرآن، وفوائد استنبطها من الآيات (١) .

٢ . نقل الشيخ السعدي - رحمه الله - عن إمامه الإمام شمس الدين ابن القيم في الهدي النبوي (٢)

وقال : (فإن فيها إعانة علي فهم السورة وقد تكلم علي معانيها وأسرارها)، والقصة التي نقلها عنه هي قصة الحديدية في سورة الفتح ونظراً لكبرها وطولها فإننا سنشير إلي موضعها من تفسير السعدي (٣) .

رابعاً : الإمام فخر الدين الرازي :-

وذلك عندما نقل عنه رأي عدم نسخ الوصية للوالدين والأقربين بالآية " للرجال

نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان

والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً " النساء: ٧ ، أو بالحديث " إن الله

أعطي كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث " (٤) وكان رأي الشيخ السعدي في ذلك مثل رأي الرازي القائل : أن الآية التي ذكرناها سابقاً مفسرة أو مفصلة لما أجمل في الآية الأولى " الوصية " وقد رددنا عليه في هذه المسألة " في مطلب المصادر التي اعتمد عليها السعدي " (٥) .

(١) بدائع الفوائد ج٢ ص٢١٧ وما بعدها - ضبط وتخرىج أحمد عبد السلام - دار الكتب العلمية ط١/١٤١٤هـ، تيسير الكرمي الرحمن ج١ ص١٤/٢٠١ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ج٢ ص١٢٢ وما بعدها - دار الكتاب العربي - دون تاريخ .

(٣) تيسير الكرمي الرحمن ج٥ ص٥٤-٦٣ ، دار الصفا .

(٤) تقدم تخرىجه ص٢٩ .

(٥) تقدم ذكره ص٢٦ .

المطلب الثالث : أنواع التفسير التي اشتمل عليها تفسير السعدي :-

لقد اشتمل تفسير السعدي- رحمه الله -علي أكثر من نوع من التفاسير المعروفة مثل التفسير الإجمالي والتحليلي والموضوعي حيث إن التفسير لا يخلو من نوع من هذه الأنواع.

- ولكن الإمام السعدي ركز في تفسيره علي المعني لا علي اللفظ فهو لا يهتم بالألفاظ و النحو والبيان كثيراً ولكنه يكرس جهده علي بيان المعني المراد الذي يستفاد من كتاب الله تعالى وما فيه مصلحة المسلمين .

- ومن خلال الدراسة في تفسيره وجدنا أن أكثر تفسيره يشتمل علي التفسير الموضوعي، ثم التحليلي والإجمالي .

أولاً: التفسير الموضوعي :

ويقصد به: أن يجمع المفسر الآيات الكريمة المتعلقة بموضوع واحد على مستوى القرآن كله أو مجموعة من سوره " كالحواميم " مثلاً ويؤلف منها موضوعاً واحداً مترابط العناصر (١) .

نماذج من التفسير الموضوعي عند السعدي :

موضوع الرحمة : -

١- قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ الأحزاب: ٤٣ .

يقول : (أي من رحمته بالمؤمنين ولطفه بهم أن جعل من صلاته عليهم وثنائه وصلاة ملائكته ودعائهم ما يخرجهم من ظلمات الذنوب والجهل إلي نور الإيمان والتوفيق والعلم والعمل ، فهذه أعظم نعمة أنعم بها علي العباد الطائعين ليستدعي منهم شكرها والإكثار من ذكر الله الذي لطف بهم ورحمهم وجعل حملة عرشه أفضل الملائكة من حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا فيقولون: ﴿ . . . رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ غافر: ٧-٩، فهذه رحمته ونعمته عليهم في الدنيا وأما رحمته بهم في الآخرة فأجل رحمة وأفضل ثواب وهو الفوز برضا ربهم

(١) المدخل إلي التفسير الموضوعي د. عبد الستار فتح الله سعيد ص ١٧ دار التوزيع والنشر الإسلامية - ط ١٤١٧هـ - ١٩٩١ م .

وتحيته واستماع كلام الجليل ورؤية وجهة الجليل وحصول الأجر الكبير الذي لا يدريه ولا يعرف كنهه إلا من أعطاهم إياه (١) .

إثبات عذاب القبر :

٢- وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه: ١٢٤ ، حيث أراد أن يقرر من خلال الآيات واقعية عذاب القبر .

يقول : (وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، وأنه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه ويعذب جزاءً لإعراضه عن ذكر ربه، وهذه إحدى الآيات الدالة علي عذاب القبر والثانية قوله تعالى: ﴿ . . . وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ . . . ﴾ الأنعام: ٩٣، " والثالثة قوله: ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْيِ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ . . . ﴾ السجدة: ٢١، والرابعة قوله عن آل فرعون: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ غافر: ٤٦، والذي أوجب لمن فسرها بعذاب القبر فقط من السلف وقصرها علي ذلك والله أعلم أحر الآيات وأن الله ذكر في أواخر الآيات يوم القيامة (٢) .

فهذا من ألون التفسير الموضوعي لأن السعدي جاء بالآيات العديدة التي تخدم موضوعاً واحد وهو عذاب القبر ومن خلالها خرج بنتيجة من هذه الآيات بأن حياة البرزخ هي المقصودة بالعذاب قبل يوم القيامة، ونحن نوافق رأي السلف - رحمهم الله - في هذه المسألة وهناك آيات أخرى تدل علي ذلك منها: ﴿ . . . سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ التوبة ١٠١، فالمرّة الأولى للعذاب كما قال بعض المفسرين : عذاب القتل أو الموت في الدنيا، والمرّة الثانية عذاب القبر في البرزخ ثم يرد إلي العذاب العظيم وذلك يوم القيامة (٣) .

ثانياً: التفسير التحليلي :

(وهو الذي يتبع فيه المفسر ترتيب المصحف فيشرح جملة من الآيات أو سورة أو القرآن كله علي هذا النمط الموضوعي ويبين ما يتعلق بكل آية من مناسباتها ،وسبب نزولها

(١) تفسير الكرمي الرحمن ج ٤ ص ١٥٨ ، انظر التفسير المنير ج ٢٢ ص ٤٣ .

(٢) تفسير الكرمي الرحمن ج ٣ ص ٢٥٨ أنظر مختصر بن كثير ج ٢ ص ١٦٦ .

(٣) مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٦٦ انظر فتح القدير ج ٣ ص ٣٩٢ .

ومفرداتها ونحو ذلك مما يتقرر به معناها (١) . مثل: القراءات والتشريعات والأحكام.

نموذج من تفسيره التحليلي :

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ البقرة: ٢٠٧ .

يقول : معنى المفردات، قال في الصحاح: شريت الشيء أشريه شراء :إذا بعته وإذا اشتريته أيضاً وهو من الأضداد(٢) .

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴾ أي يبيعها، وقال تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ أي باعوه: ومثله في القاموس، وهذه الآية نزلت في صهيب بن سنان الرومي حين أراده المشركون علي ترك الإسلام، كما رواه ابن عباس وأنس وسعيد بن المسيب وأبو عثمان النهدي^(٣) وعكرمة^(٤) وجماعة غيرهم وذلك أنه لما أسلم بمكة وأراد الهجرة منعه الناس أن يهاجر بماله فأحب أن يتحرر منه ويهاجر، فتخلص منهم وأعطاهم ماله، فأنزل الله فيه هذه الآية ، فتلقاه عمر بن الخطاب وجماعة إلي طرف الحرة^(٥) فقلوا له : ربح البيع ربح البيع فقال : وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم وما ذاك ؟ فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية

ويروي أن رسول الله ﷺ قال له " ربح البيع صهيب "^(٦) وحدث أبو عثمان النهدي عن صهيب قال وساق الرواية بنحوها وقال حماد بن سلمة عن علي بن يزيد^(٧) عن سعيد بن المسيب، قال وذكر رواية أخرى بنحوها .

(١) المدخل إلي التفسير الموضوعي ص١٦ ، التفسير الموضوعي د. صلاح الخالدي ص٢٧- دار النفائس-١٤١٨هـ .

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور الإفريقي ج٣ ص٢٢٥٢ .

(٣) عبدالرحمن بن قل الكوفي، سكن البصرة، أدرك الجاهلية وأسلم على عهد النبي ﷺ ولم يلقه وهاجر إلى المدينة بعد موت أبي بكر ﷺ وسمع من عمر ﷺ، توفي سنة إحدى وثمانين بالبصرة. وهو ابن مائة وأربعين سنة. (انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ أبي الحجاج يوسف بن عبدالرحمن المزني.ت٧٤٢هـ، ج١٧ ص٤٢٤-٤٢٩ بتصرف، حققه وضبطه وعلق عليه، د. بشار معروف - مؤسسة الرسالة - ط١-١٤١٣هـ).

(٤) عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما، أصله بربري، ثقة ثبت، عالم بالتفسير، لم تثبت عنه بدعة، مات سنة أربع ومائة (انظر تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ص٦٨٧، ٦٨٨).

(٥) الحرة: حرة واقم، وهي إحدى حرتي المدينة الشرقية وإليها نسبت موقعة الحرة ٦٣هـ في زمن يزيد بن معاوية (انظر معجم البلدان ج٢ ص٢٤٩ - دار الفكر - ط٢/١٩٩٥م).

(٦) أخرجه أبو عبد الله الحاكم ت: ٤٠٥هـ في المستدرک ج٣ ص٤٥٠ باب: ذكر مناقب صهيب ﷺ ح(٥٧٠٠)، عن أنس بن مالك - دار الكتب العلمية ط/١٤١١هـ، انظر تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١٦٣ .

(٧) علي بن يزيد: وهو أحد ثلاثة أشخاص وهم: ١- علي بن يزيد أبي هلال الألهاني، وهو دمشقي ضعيف منكر الحديث، ٢- علي بن يزيد بن سليم الصوائي، أبو حسن الكوفي قال أبو حاتم: ليس بالقوي منكر الحديث، ٣- علي بن يزيد بن ركانة بن عبد يزيد المطلبي روي عن أبيه وأرسل عن جده، قال البخاري لم يصح حديثه، وذكره ابن حبان في الثقات (تهذيب التهذيب: ج٧ ص٣٤٥-٣٤٧٩).

وأما الأكثرون فحملوا ذلك علي أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: ١١١، ولما حمل هشام بن عامر^(١) بين الصفتين أنكر عليه بعض الناس فرد عليهم عمر بن الخطاب وأبو هريرة وغيرهما وتلو هذه الآية "ومن الناس من يشرى نفسه" (٢).

نقول: وهكذا رأينا أن الشيخ السعدي بدأ بشرح المفردات المتشابهة والتي تحوى الأضداد في لفظ واحد ثم سرد روايات أسباب النزول الثلاثة بأسانيدها وهذا قل ما يورده وكذلك آيات من القرآن الكريم وهذا هو التفسير التحليلي ونكتفي بهذا المثال لأنه كاف واف .
ويقول **الباحث:** "أن يشرى" هنا و الله أعلم معناها يشتري لأنه اشتري نفسه من المشركين وفي نفس الوقت باع ماله وما يملك وضحى به من أجل الفرار بدينه إلي المدينة حيث رسول الله ﷺ فنجد أنه جمع بين المعنيين في آن واحد وهو شراء نفسه وفداها منهم وبيع ماله لهم ابتغاء مرضاة الله ولذلك استحق "ربح البيع" .

وقد رصد الشيخ السعدي - رحمه الله - قاعدة هامة في تفسير القرآن وهي القاعدة الثانية " العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذه الآيات إن نزلت في صهييب ﷺ إلا أنها تشمل كل مجاهد يبيع نفسه ابتغاء مرضات الله - والله أعلم (٣) .

ثالثاً: التفسير الإجمالي: هو الذي يبين فيه المفسر خلاصة معني الآية أو الآيات التي يفسرها ويبرز مقاصدها وكشرح الدقيق من ألفاظها وسبب نزولها حتى يتقرر المعني العام بلا دخول في تفاصيل كثيرة (٤) .

نموذج من التفسير الإجمالي عند السعدي :-

وذلك في تفسيره لقصة بنى إسرائيل وجهادهم الأعداء مع ملكهم طالوت:
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لِهْمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلُ

(١) هشام بن عامر : بن أمية بن الحسحاس بن مالك بن عامر بن غنم يقال كان اسمه شهاباً فغيره رسول الله ﷺ، سكن البصرة ومات بما روي عن النبي ﷺ ووروي عنه ابنه سعد وقد عاش هشام ﷺ إلي زمن زياد " تهذيب ج ١١ ص ٣٩ رقم ٨٣ ."

(٢) تيسر الكريم الرحمن ج ١ ص ١٦٣-١٦٤ باختصار نقلاً عن مختصر ابن كثير ج ١ ص ١٨٤-١٨٥ .

(٣) القواعد الحسان لتفسير القرآن للشيخ السعدي ص ٦، دار الاستقامة.

(٤) المدخل إلي التفسير الموضوعي ص ١٧ .

فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ، وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ، وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿

البقرة: ٢٤٦-٢٤٨

يقول : " يقص الله تعالى هذه القصة علي الأمة ليعتبروا وليرغبوا في الجهاد ولا ينكلوا عنه ، فإن الصابرين صارت لهم العواقب الحميدة في الدنيا والآخرة والناكلين خسروا الأمرين فأخبر تعالى أن أهل الرأي من بني إسرائيل وأصحاب الكلمة النافذة تراودوا في شأن الجهاد واتفقوا علي أن يطلبوا من نبيهم أن يعين لهم ملكاً لينقطع النزاع بتعيينه وتحصل الطاعة التامة ولا يبقى لقائل مقال وأن بينهم خشي أن طلبهم هذا مجرد كلام لا فعل معه .

فأجابوا نبيهم بالعزم الجازم وأنهم التزموا ذلك التزاماً تاماً وأن القتال متعين عليهم حيث كان وسيلة لاسترجاع ديارهم ورجوعهم إلي مقرهم ووطنهم وأنه عين لهم نبيهم طالوت ملكاً يقودهم في هذا الأمر الذي لا بد له من قائد يحسن القيادة وأنهم استغربوا تعيينه لطالوت وهو أحق منهم .

فأجابهم نبيهم : إن الله اختاره عليكم بما آتاه الله من قوة العلم بالسياسة وقوة الجسم اللذين هما آلة الشجاعة والنجدة وحسن التدبير والملك ليس بكثيرة المال ولا كون صاحبه من أبناء الملوك فلم يكتفوا بهذه الصفات بل أتى لهم بالمعجزة هو أن أتاهم التابوت فيه سكينة وبقيه مما ترك آل موسى وآل هارون .

فلما ترأس فيهم طالوت وصبرهم ورتبهم وفصل بهم إلي قتال عدوهم وكان قد رأى منهم من ضعف العزائم والهمم ما يحتاج إلي تمييز الصابرين من الناكل قال: " إن الله مبتليكم بنهر " تمرن عليه وقت الحاجة إلي الماء ثم بين تعالى فائدة الجهاد فقال: ﴿...وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ...﴾ البقرة: ٢٥١

باستيلاء الكفار والفجرة وأهل الشرك والفساد ، ولكن الله بلطفه بالمؤمنين شرع الجهاد لحفظ النفس والدين" (١) والأوطان والأموال والأبد أن وأن المجاهدين ولو شقت عليهم الأمور فإن عاقبتهم حميدة وكما أن الناكلين ولو استراحوا قليلاً فإن عاقبتهم وخيمت وسيتعبون طويلاً ففي هذه القصة أعطانا الشيخ السعدي الخلاصة من معني الآيات دون الدخول في التفاصيل وبعض الفوائد من هذه القصة أعرضنا عنها صفحاً لطولها .

- وهذه القصة يجب أن يتعلم منها المسلمون في شتي بقاع الأرض وذلك لما فيها من تعاليم سامية ، و من ضوابط يجب أن تتوفر في القائد المسلم من العلم والحكمة وقوة البدن وقوه الدين والتعامل مع الأعداء في سلم والحرب ، وكذلك الصفات التي يجب توافرها في الجنود من الصبر والتحمل وقوة العقيدة لأنهم سيواجهون المتاعب والجوع والعطش فلا بد لهم من تربيته روحية إسلامية وذلك بالتقرب إلي الله عز وجل ، كما قال تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ البقرة: ٢٨٣ .

- وما دام حكام المسلمين وولاتهم ووزراؤهم يفقدون هذه الصفات فلن يصلوا بشعوبهم إلي بر الأمان أو إلي النصر المبين وسيطلون تحت حكم اليهود وإن كانوا في أوطانهم لأن الكلمة الأولى ولأخيرة لأعدائهم بل يستخدمون بلادهم لحرب إخوانهم .

رابعاً: التفسير المقارن :-

(هو الذي يتتبع فيه المفسر آية من القرآن أو جملة من الآيات ليستطلع آراء المفسرين، فيها ويقارن بين أقوالهم ويستخلص نتائج المقارنة سواء من معاني الآيات الكريمة، أو كلام المفسرين، وذلك كآيات الحج في سورتته، أو آية الصيام في سورة البقرة، إذا عرضت علي أقوال المفسرين سلفاً وخلفاً، وفي كتب المأثور أو الرأي المحمود) (٢) .

نموذج من التفسير المقارن :

قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَوَعَدَ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ النساء ٩٣ ، يقول وقد اختلف الأئمة رحمهم الله في

(١) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١٩٦-١٩٩ بتصرف، انظر الظلال ج١ ص٢٧١، ٢٧٠، انظر في رحاب التفسير ج١ ص٤٨٧ .

(٢) المدخل إلي التفسير الموضوعي ص١٧ .

تأويلها مع اتفاقهم علي بطلان قول الخوارج والمعتزلة الذين يخلدونهم في النار ولو كانوا موحدين والصواب في تأويلها ما قاله الإمام المحقق " شمس الدين ابن القيم " رحمه الله في المدارج (١) فإنه قال بعد ما ذكر تأويلات الأئمة في ذلك وانتقدها فقال: (وقالت فرقة إن هذه النصوص وأمثالها مما ذكر فيه المقتضي للعقوبة وهو القتل العمد ولا يلزم من وجود مقتضى الحكم وجوده، فإن الحكم إنما يتم بوجود مقتضية وهو القتل وانتقاء موانعه من المكفرات وغاية هذه النصوص الإعلام بأن كذا سبب للعقوبة ومقتضى لها .

وقد قام الدليل علي ذكر الموانع فبعضها بالإجماع وبعضها بالنص، فالتوبة مانع بالإجماع ما عدا حقوق أهل القتل والتوحيد مانع بالنصوص المتواترة التي لا دافع لها والحسنات العظيمة ما حيه، والمصائب الكبرى مانعة وإقامة الحدود في الدنيا بالنص ولا سبيل إلي تعطيل هذه النصوص (٢) .

فقد استعرض السعدي آراء المفسرين، والجمهور في هذه المسألة ثم وضع رأيه - من خلال بعض المفسرين الذين تأثر بهم وهذا هو التفسير المقارن .

الخلاصة : من خلال هذا الفصل التمهيدي تعرفنا علي حياة الشيخ السعدي وبيئته السياسية والعلمية والاجتماعية وأهمية تفسيره ومكانته والمصادر التي استقي منها تفسيره، وأنواع التفاسير المختلفة في تفسيره، والله الهادي إلي سواء السبيل.

(١) مدارج السالكين ج ١ ص ٤٢٨ - دار الحديث - ط ١٤٠٣/١هـ - ١٩٨٣م. بتصرف.

(٢) انظر ابن كثير ج ١ ص ٤٢٢ - ٤٢٤ بالتفصيل، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣٨٧.

الفصل الأول

الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي وترجمته
ويشمل على ثلاثة مباحث

المبحث الأول : ترجمة المفسر، ويحوي خمسة مطالب

المطلب الأول : اسمه ونسبه

المطلب الثاني : حياته العلمية

المطلب الثالث : شيوخه وتلاميذه

المطلب الرابع : مصنفاة

المطلب الخامس : أخلاقه ووفاته

المبحث الثاني : عقيدته

المبحث الثالث : مذهبه الفقهي

الفصل الأول

الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي وترجمته

من الواجب أن نبدأ بالحديث عن الشيخ السعدي - رحمه الله - قبل أن نتعرف على سيرته الذاتية فقبل أن نبحت في المؤلف لابد أن نتتبع حياة المؤلف من حيث معرفة اسمه ونسبه وحياته العلمية وبعض شيوخه وتلاميذه والكنز اللامع الذي تركه وراءه من المصنفات وما كان يتمتع به من الأخلاق الحميدة لكونه عالماً من الأفاضل ، ثم كيف كانت نهاية هذا العالم من العلماء والبحر الفياض من المعلومات الزاخرة التي استنقت من ينبوع القرآن الكريم فأنبئت نباتاً طيباً بإذن الله. ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث ، وهي على الترتيب .

المبحث الأول : ترجمة المفسر :

ويشتمل هذا البحث : اسم المؤلف ونسبه ، ثم مسيرته العلمية خلال حياته ، وما تقلده من المناصب العلمية ، وما قدمه لهذه الأمة من العلم ، والتعرف على بعض شيوخه الذين أخذ عنهم هذا العلم ، وتلاميذه الذين حملوا هذا النور من بعده ، ويشتمل هذا المبحث على خمسة المطالب وهي كالتالي :-

المطلب الأول : اسمه ونسبه :-

هو الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي . (١) من قبيلة تميم (٢) من أهل نجد (٣) مفسر من علماء الحنابلة (٤) ولد في بلدة عُنيزة في

(١) انظر الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٣٤٠ . ط ١٩٨٩/٨ م - دار العلم للملايين، تيسير الكريم الرحمن: ج ١ ص ٥٠ بقلم أحد تلاميذه)

(٢) تميم : قبيلة اصبح افرادها من حاضرة نجد وجبل شمر والديساكر النجدية ، تحوي عناصر من تميم ، ونظراً لتحضرها فقد انعدمت الميزات التي تميز الأفخاذ والعشائر كما تفعل القبائل المحافظة على عصبيتها، ويمكن القول أن الموجود في نجد من تميم يحصرون في ثلاثة بطون وهي : ١- بطن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وزحف من أبناء هذه القبيلة على بلاد الشام ومنهم من سكن فلسطين وخاصة مدينة الخليل كعادة القبائل العربية التس سكنت بلاد العراق ودمشق والقدس ٢- بطن سعد بن زيد ٣- بطن عمرو بن تميم (معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: عمر رضا كحالة ، ج ١ ص ١٢٥ - مؤسسة الرسالة - ط ١٤٠٢/٣ هـ - ١٩٨٢ م).

(٣) كل ارتفع عن تمامة فهو نجد، وقيل ما ارتفع عن وبطن الرمة فهو نجد إلى ثنانيا ذات عرق ، وقيل ما وراء الخندق الذي خندقه كسرى فهو نجد إلى أن تميل إلى الحرة ، فإذا مالت إليها فأنت في الحجاز ، وقيل حدها ذات عرق من ناحية الحجاز (معجم البلدان ج ٥ ص ٣٠٤).

(٤) الأعلام: ج ٣ ص ٣٤٠.

القصيم(١) وذلك بتاريخ الثاني عشر من محرم عام ألف وثلاثمائة وسبعة من الهجرة النبوية.

المطلب الثاني : حياته العلمية:

لقد مر الشيخ السعدي - رحمه الله - بمراحل العلم منذ نعومة أظفاره، حيث توفيت أمه وله أربع سنين ، وتوفى والده وله سبع سنين ، فتربى يتيماً ، ولكنه نشأ نشأة حسنة ، واسترعى الأنظار منذ حداثة سنه بذكائه ورغبته الشديدة في العلوم ، وقد قرأ القرآن بعد وفاة والده ثم حفظه عن ظهر قلب ، وأتقنه وعمره أحد عشر عاماً ، ثم اشتغل في التعليم على علماء بلده وعلى من قدم بلده من العلماء فجَد واجتهد حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم .

- ولما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة جلس للتدريس فكان يتعلم ويعلم ، ويقضي جميع أوقاته في ذلك .

- في عام ألف وثلثمائة وخمسين صار التدريس ببلده راجعاً إليه ، ومعول جميع الطلبة في التعلم عليه.(٢)

آثاره العلمية:

من آثاره العلمية أنه أنشأ مكتبة متواضعة تضم العديد من الكتب الإسلامية في القصيم سنة ١٣٥٨هـ(٣).

يقول أحد تلامذته : فقد تناول العلماء كتبه واتجاهاته العلمية بالدراسات والبحوث ، وصنفوا في حياته، وعن مؤلفاته وبحوثه العلمية والعقدية الرسائل الكبار، والبحوث الطوال ، وترجم له في صدر غالب ما طبع من مؤلفاته حتى صار علماً بارزاً لا تخفى حياته وأحواله الطيبة على أحد من قراء العربية (٤).

(١) القصيم : قال أبو منصور: القصيم موضع معروف يشق طريقه بطن فلج ، قال أبو عبيد السكوني ، القصيم بلد قريب من التياج، فيه أودية ، وفيه شجر الفاكهة والتين والخوخ والعنم، والقصيم في هذه الآونة تعتبر سلة غذاء المملكة العربية السعودية وذلك لأن مناخها معتدل صيفاً ممطر شتاءً يساعد على نماء الثروة النباتية والحيوانية. (معجم البلدان ج ٤ ص ٣٦٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن : ج ١ ص ٥ ، شرح جوامع الأخبار : ص ٧ ، انظر الوسائل المفيدة : ص ٣ - مؤسسة النور.

(٣) الأعلام للزركلي : ج ٣ ص ٣٤٠.

(٤) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد للمؤلف : ص ٧ ، اعنى به /سعد بن فواز العميل ، وقدم له فضيلة الشيخ/عبد الله بن عبد الرحمن البسام - دار ابن الجوزي - ط ١ سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٨ م .

ثناء أحد تلامذته عليه: -

يقول أحد تلامذته : رئيس محكمة التمييز بالمنطقة الغربية وعضو مجلس كبار العلماء: "وشيخنا العلامة ضرب في كل علم من العلوم الشرعية ، وفي كل فن من الفنون العربية بسهم صائب وحظ وافر" ، فقد فسر القرآن الكريم وبين أصول التفسير ، وشرح الأحاديث الشريفة ، وصنف في التوحيد بأقسامه الثلاثة ، ورد على أصحاب المقالات المنحرفة والعقائد الفاسدة ، وتتبع الأحكام الشرعية والفرعية فقرب بعيدها ، ويسر عسيرها ، وفصل أقسامها ، وميز متشابهها ، وجمع أطرافها وأنواعها بعبارة واضحة وأسلوب سهل ميسر يستفيد منه كل قارئ ، ثم إنه أيد هذه الأحكام بالدليل ، وبين ضعف الروايات المخالفة لتلك الأقوال الصحيحة والأدلة القوية (١).

مكانة المؤلف العلمية:

كان ذا معرفة تامة بالفقه ، أصوله وفروعه ، حفظ بعض المتون من الفقه الحنبلي ، وكان له مصنف في الفقه نظم رجز نحو أربعمئة بيت وشرحه شرحاً مختصراً ، ولكنه لم يرغب ظهوره .

-كان له من الخير الكثير في الأصول والتوحيد والتفسير والفقه وغيرها من العلوم النافعة بسبب عكوفه علي كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، لم يكن متقيداً بالمذهب الحنبلي ، بل يرجح ما ترجح عنده بالدليل الشرعي ، ولا يطعن في علماء المذاهب ، وله اليد الطولي في التفسير ، حيث ألف تفسيراً جليلاً في عدة مجلدات .

-كان يفسر القرآن ارتجالاً من غير قصد للتصنيف ويبين معاني القرآن وفوائده ، ويستنبط منه الفوائد البديعة والمعاني الجليلة ، وكان مجلسه لا يمل لفصاحته وجزالة لفظه ، وتوسعه في سياق الأدلة والقصص ، ومن قرأ مصنفاً وفتاويه عرف مكانته العلمية (٢) .

(١) مجموع الفوائد : ص ٧-٨ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن : ج ١ ص ٧٥٦ بتصرف .

غايته من التصنيف :

كانت غايته نشر الدعوة والعلم، ولهذا كان يؤلف ويطبّع ما يقدر عليه من مؤلفاته لا ينال منها عرضاً زائلاً من الدنيا، بل يوزعها مجاناً ليعم النفع بها، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً. (١) وهذا دأب العلماء العاملين الذين يبذلون كل غال ونفيس في خدمة الدين والعلم وطلابه، فهذا هو الكنز المدخر لهم عند ربهم حيث قال ﷺ: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له) (٢) فيظل أجره يجري عليه إلى يوم القيامة، وآخر دعوانا أن الحمد رب العالمين.

المطلب الثالث : شيوخه وتلاميذه :-

لابد لكل عالم جليل برع في العلوم الشرعية وخاصة قبل انتشار المدارس والمعاهد والجامعات من شيوخ يأخذ عنهم مختلف أنواع العلوم الشرعية من القرآن والسنة والعقيدة والفقه والأصول والتفسير ... الخ ، وفي نفس الوقت يكون له تلاميذ يأخذون عنه العلم وهكذا تظل الحلقة متصلة لقوله ﷺ : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) (٣) وشيخنا السعدي - رحمه الله - عاش في أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين الميلادي فلذلك فإن له شيوخاً وتلاميذ وسوف نبدأ بذكر شيوخه أولاً ثم تلاميذه .

أولاً : شيوخه : يقول أحد تلاميذه محدثاً عن شيخه السعدي في ترجمته " أخذ عن الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر^(٤) وهو أول من قرأ عليه ، وكان المؤلف يصف شيخه بحفظه للحديث ويتحدث عن ورعه ومحبته للفقراء ومواساتهم، وكثيراً ما يأتيه الفقير في اليوم الشاتي فيخلع أحد ثوبيه ويلبسه الفقير مع حاجته إليه وقلة ذات يده - رحمه الله - .

(١) تيسير الكريم الرحمن : ج ١ ص ٩ .

(٢) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٢٥٥ كتاب: الجنائز باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ج ١٦٣١ عن أبي هريرة ورواه الترمذی ج ٣ ص ٦٦٠ ح ١٣٧٦ عن أبي هريرة .

(٣) البخاري ج ٤ ص ١٩١٩ كتاب: العلم باب " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " عن عثمان بن عفان . ج ٤٧٣٩ .

(٤) لم نعثر له على ترجمة.

-ومن مشايخ المؤلف الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل(١) قرأ عليه في الفقه وعلوم العربية وغيرهما، ومنهم الشيخ صالح بن عثمان القاضي(٢) " قاضي عنيزة " قرأ عليه في التوحيد والتفسير والفقه أصوله وفروعه وعلوم العربية (٣) وهو أكثر من قرأ عليه المؤلف ولازمه ملازمه تامة حتى توفي رحمه الله ومنهم الشيخ عبد الله بن عايض ومنهم الشيخ صعب القويجرى ومنهم الشيخ علي السناني ومنهم الشيخ علي الناصر أبو وادي قرأ عليه في الحديث وأخذ عنه الأمهات الست(٤) وغيرها وأجازه في ذلك ومنهم الشيخ محمد بن الشيخ عبد العزيز المحمد المانع(٥) مدير المعارف في المملكة العربية السعودية " في وقتنا الحالي وقد قرأ عليه المؤلف في عنيزة ومن مشائخه الشيخ محمد الشنقيطي(٦) نزيل الحجاز ثم الزبير " لما قدم عنيزة وجلس فيها للتدريس، قرأ عليه المؤلف في التفسير والحديث ومصطلح الحديث وعلوم العربية كالنحو والصرف ونحوهما(٧).

- وهكذا نجد أن للشيخ السعودي - رحمه الله - شيوخاً كثيرين أخذ عنهم العلوم بأنواعها إن دل هذا فإنما يدل علي سعه علمه وذكائه الخارق منذ نعومة أظفاره وتفوقه في كثير من العلوم حتى أنه جلس للتدريس وهو في أول شبابه فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ونفع بعلمه الأمة.

(١) لم نعثر له على ترجمة.

(٢) لم نعثر له على ترجمة.

(٣) تيسير الكريم الرحمن : ج١ ص ٥ ، انظر شرح جوامع الأخبار ص ٧-٨ للمؤلف ، انظر الوسائل المفيدة للمؤلف: ص ٣ ، مقدمة الطبعة الأولى - مؤسسة النور .

(٤) الكتب الستة في الحديث (صحيح البخاري ومسلم والسنن الأربعة)

(٥) تيسير الكريم الرحمن : ج١ ص ٥-٦ .

(٦) محمد بن الشيخ عبد العزيز المانع " ١٣٠٠-١٣٨٥هـ - ١٨٨٣-١٩٦٥م " ابن شبرمة الوهيب التميمي مولد ونشأ في القصيم ورحل في طلب العلم إلي بريدة فالبصرة ١٣١٨ فبغداد واستقر في الأزهر ولزم الشيخ محمد عبده مناصب عدة وتوفي ببيروت ونقل إلي قطر وله مؤلفات " مختصر عنوان المجد ، رسالة في تحريم ، الإجارة علي القرآن .(انظر الأعلام ج ٦ ص ٢٠٩)

(٦) محمد بن الأمين :مفسر مدرس من علماء شنقيط "موريتانيا" ولد وتعلم بها وحج ١٣٦٧هـ، واستقر مدرساً في المدينة المنورة ثم الرياض ٧١ وأخيراً في الجامعة الإسلامية بالمدينة ١٣١٨، وتوفي بمكة له كتب منها: أضواء البيان في تفسير القرآن ، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، دفع إيهام الاضطراب عن أي الكتاب "الأعلام ج ٦ ص ٤٥".

ثانياً : تلاميذه : من تلامذته : فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام^(١).

المطلب الرابع : مصنفاته :-

من البديهي لأي عالم من العلماء بلغ درجة عالية من العلم في الدين أن تكون له مصنفات في مختلف العلوم الشرعية؛ لأنه ورث عن العلماء وبدوره لا بد أن يرثه غيره ومصنفاته التي يتركها وراءه هي ميراثه في هذه الدنيا التي أخبر عنها صلي الله عليه وسلم بقوله (العلماء ورثه الأنبياء وإن العلماء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا علماً فمن أخذه أخذ بحظ وافر) " (٢) والشيخ السعدي - رحمه الله - من جملة العلماء الذين ورثوا العلم النافع علي هبئه مصنفات بلغت نحو ثلاثين كتاباً من الكتب المطبوعة.

أولاً التفسير :-

١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :

وقد تقدم الحديث عنه في خطة مقدمة البحث صفحة " ب" وله عدة طبعات محققة^(٣)

٢. تيسير اللطيف المنام في خلاصة تفسير القرآن (٤)

ويشمل تفاسير بالرأي المحمود بالإضافة إلي تفاسير حديثه ويبلغ ٢٠٣ صفحة يتطرق فيه إلي تفسير بعض السور القرآنية .

٣. المواهب الربانية من الآيات القرآنية (٥)

ويتكون الكتاب من آيات القرآن وتفسير حديثه وتفسير المؤلف وقرآن كريم وموضوعات في علوم القرآن ثم مباحث قرآنية ويبلغ ٧٨ ص .

(١) رئيس محكمة التمييز بالمنطقة الغربية وعضو مجلس كبار العلماء وهو الرصيد المعروف من تلاميذه من خلال جميع المصنفات التي ترجمت له ولا يعتبر هذا تقصيراً والله أعلم.

(٢) رواه الترمذي ج ٥ ص ٤٨ باب ما جاء في فضل الفقه علي العبادة ج ٢٦٨٢ عن أبي الدرداء وقال الترمذي : حسن صحيح أو هو جزء من حديث طويل .

(٣) له طبعة ثانية، تقع في خمس مجلدات مكتبة الأوس - دار الصفا، وله طبعة ثالثة تقع في مجلد واحد، ورابعة تقع في سبعة مجلدات.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٩.

(٥) انظر تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٨، ٩، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي ص ١٤٨ - ١٥٠، انظر شرح جوامع الأخبار ص ٩، ١٠. من فاكس مبعوث من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض - رمضان ١٤٢١ هـ .

٤. القواعد الحسان لتفسير القرآن (١)

ويحتوي علي تفسير وقواعد التفسير وقد بلغت سبعين قاعدة وأصول التفسير وعلوم القرآن ومباحث قرآنية وهذا الطبعة غير مصححة ١٤٢ص، وتوجد طبعة مصححة من قبل : محمد حامد الفقي وتبلغ ٢٠٨ص .

٥. التوضيح والبيان لشجرة الإيمان : تفسيره - أصوله وموارده - من أي شيء يستمد فوائده وثمراته (٢)

وقد حققه : أشرف بن عبد المقصود ويبلغ ٩٦ص

ثانياً : علوم القرآن :

٦. فوائد قرآنية (٣)

وقد حققه محمد زهير الشاويش ويحتوي هذا الكتاب علي " ١٠١ص " شملت إعجاز القرآن ، بلاغه القرآن ، مباحث قرآنية محكم ومتشابه آيات الأحكام، أخلاق إسلامية ، أسماء وصفات ، ألفاظ القرآن توحيد ، جهاد ، عقائد ، علوم القرآن مطلق ومقيد ، معاني القرآن .

٧. قصص الأنبياء : فصول ذكر ما قص الله علينا في كتابه من أخبار الأنبياء مع أقوامهم :

وقد حققه : أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم - الرياض : مكتبه أضواء السلف ، ط/١٤١٦/١٩٩٥م ، ويبلغ ٢٢٤ص .

٨. قصص الأنبياء في القرآن الكريم وما فيها من العبر والفوائد الكثيرة المستقاة من قصص القرآن .

ويبلغ ١٤١ص ويحتوي علي قصة : أصحاب الكهف ، ذي القرنين سيرة ، علوم القرآن مباحث قرآنية، موسى والخضر .

ثالثاً : الحديث النبوي الشريف :

(١) تيسير الكريم الرحمن : ج١ص٨ .

(٢) من فاكس مبعوث من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض - رمضان ١٤٢١هـ -

(٣) تؤخذ جميع مصنفاته من الكتب التي أشرنا إليها قبل ذلك.

٩. بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار
أ- ويبلغ ٢٧٨ص تحتوي علي : الثقافة الإسلامية ، وأحاديث ومختارات
الرياض - المؤسسة السعدية ط/١٩٨٢م .

ب- وله طبعة أخرى لدار الريان للتراث-القاهرة،صححها وخرج أحاديثها : أشرف
بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، واشتملت علي تسعة وتسعين حديثاً مع
شرحها في مختلف العلوم والعقائد والأخلاق وقد افتتح الكتاب بمقدمة للمحقق ثم
نبذة مختصرة عن حياة الشيخ السعدي تلاها شرح الأحاديث ثم فهرس الأحاديث
والموضوعات وقد احتوى هذا الكتاب علي ٣٨٤ص .

ت- الطبعة الثالثة : " الكويت - مكتبة السندس ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م وقد خرج
أحاديثها : بدر البدر ويبلغ ٣٣٨ص .

رابعاً : كتب في مجال العقيدة :

١٠. الأدلة القواطع والبراهين في أصول الملحدين (١):

ويشمل هذا الكتاب علي الإلحاد والملحدين والتوحيد ورد شبهات والفلسفة الإلحادية
سمعيات وعقائد وغيبيات فطرة ونبوات ويقع في ١٤٤ص الطبعة الثانية مراجعة
ومنقحة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م مؤسسة الرسالة .

١١. الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية (٢)
ويقع في " ٦٣ص " يحتوي علي الموضوعات التالية : توحيد الأسماء والصفات توحيد
الألوهية توحيد الربوبية الكافية الشافية شرح عقائد ونظم - مكتبة المعارف - الرياض -
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٢. الدرّة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية (٣)

(١) له طبعه أخرى تحقيق إبراهيم بن عبد الله الحازمي - الرياض - دار الشريف ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ويقع
في ١٨٨ص بزيادة عدة موضوعات " آثار الإلحاد - أسبابه فلسفة أرسطو .

(٢) تيسير الكريم الرحمن : ج١ص ٨ .

(٣) له طبعة ثانية / تحقيق / أشرف بن عبد المقصود - الرياض : مكتبة أضواء السلف ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ويقع
في ١٠٤ص .

ويقع هذا الكتاب في " ٧٨ " صفحة ويحتوي ويحوي علي الموضوعات التالية : الإمام ابن تيميه مع القضاء والقدر المنظومة التائية في القدر كأن ابيات هذه القصيدة تنتهي بحرف " التاء " شرح المنظومة ، عقائد الرياض - مكتبة المعارف ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م
١٣. التنبيهات اللطيفة علي ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة (١)
ويقع هذا الكتاب في " ١١٠ص " ويشمل الموضوعات التالية : الأسماء والصفات التوحيد كراميات الأولياء العقائد فضائل الصحابة وقد علق عليه فضيلة الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله بن باز وحققه : علي حسن علي عبد الحميد - الدمام طبعة دار بن القيم ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

١٤. القول السديد شرح كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب :
ويقع هذا الكتاب في " ٢٠٥ "صفحة ويشمل الموضوعات التالية : أسماء وصفات ، توحيد الألوهية توحيد الربوية التوسل والشفاعة عقائد متنوعة . ومتن : محمد بن عبد الوهاب بن سليمان طبع الرياض - طبعة دار الوطن ١٤١٢ هـ .

١٥. المواهب الربانية من الآيات القرآنية :
ويقع هذا الكتاب في " ١٧٢ص " ويشمل الموضوعات التالية : أدعية قرآنية أسماء وصفات الإيمان بالغيب دعاء الأنبياء لطف الله وعظ وإرشاد . تحقيق / سمير الماضي - الدمام : رمادي ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

١٦. توضيح الكافية الشافية في الانتصار للفرق الناحية لابن قيم الجوزية :
ويقع هذا الكتاب في " ٢٨٨ص " تحقيق / أشرف بن عبد المقصود - الرياض : مكتبة أضواء السلف ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

خامساً: كتب في مجال الفقه :

١٧. رسالة في القواعد الفقهية :

ويقع هذا الكتاب في " ١٥٧ " ويشتمل على الموضوعات الآتية : العبادات ، المياه ، النية ، الإحسان ، الإخلاص ، الجنائيات الحدود الخلع ، الرضاع ، الصبر ، الطلاق ، الطهارة ، العادات ، العتق ، العرف الفرائض، القضاء ، النفقات ، النكاح ، الوقف ، فقه حنبلي ، قواعد فقهية . المشارك / عبد الرحمن حسن محمود .

(١) له طبعة ثانية / تحقيق / أشرف بن عبد المقصود مكتبة أضواء السلف ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ويقع في ١٦٦ .

١٨. المختارات الجلية من المسائل الفقهية :

ويقع هذا الكتاب في " ٤١٥ ص " ويشمل الموضوعات التالية : فقه، فقه حنبلي _
المشارك / فتحي أمين غريب - الرياض - المؤسسة السعدية.

١٩. الإرشاد إلي معرفة الأحكام :

ويقع هذا الكتاب في " ٢٣٢ ص " ويشمل الموضوعات التالية : أحكام فقهيه
، عبادات ، عقوبات ، معاملات ، فقه . : مطبعة العلم.

٢٠. منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين (١)

ويقع هذا الكتاب في " ١١٧ ص " ويشمل علي الموضوعات التالية: صلاة الجماعة
، عبادات، وضوء إجماع، أحكام البيع، أحوال شخصية، أدله فقهية، استنباط الأحكام،
أصول فقه، اقتصاد إسلامي، إيلاء، بيع، جنائيات، حج، حدود شرعية، ذبائح،
ردة، زكاة، زواج، سنة نبوية، صلاة الجنابة، العيدين، صوم، طلاق، ظاهر
، عتق، عقوبات إسلامية، فرائض، فقه لعان .

تصحيح وتعليق / عبد الله بن جار الله بن إبراهيم الجار الله، الأحساء : مكتبة ابن
الجوزي - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٢١. القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقسيم البديعة النافعة :

ويقع هذا الكتاب في " ١٨٧ ص " ويشمل الموضوعات التالية : أحكام فقهية ، فقه
عام ، قواعد فقهية . الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

٢٢. إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب :

ويقع هذا الكتاب في " ٢١٨ ص " ويشمل التالية : أسئلة وأجوبة ، فقه حنبلي .
الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م (٢)

٢٣. الفتاوى السعدية :

(١) له طبعة أخرى لنفس الكتاب يليه رسالة في أصول الفقه للمؤلف يقع في ٢٦٢ ص تحقيق / أشرف بن عبد
المقصود الرياض : مكتبة أضواء السلف ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م - طبعة ثالثة : وزارة الشؤون الإسلامية
والأوقاف والدعوة والإرشاد ١٤١٧هـ ويقع في ٦٧-١٧٦ .

(٢) الطبعة الثانية : المشارك : أشرف بن عبد المقصود ويقع في ٣٤٢ ص ، الرياض : مكتبة أضواء السلف
١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

ويقع هذا الكتاب في " ٦٩٤ ص " ويشتمل على الموضوعات التالية : فتاوى ابن
سعدى ، فتاوى عقائدية ، فتاوى فقهية ، فقه حنبلى . الرياض : المؤسسة السعدية
١٩٨٣ م .

٢٤ . الإرشاد إلى معرفة الأحكام :

ويقع هذا الكتاب في " ٢٣٢ص " ويشتمل على الموضوعات التالية : أسئلة وأجوبة ، فقه ، فقه حنبلي ، مسائل فقهيه . الرياض : مكتبة المعارف ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م .

٢٥ . رسالة لطيفه جامعة في أصول الفقه المهمة :

ويقع هذا الكتاب في " ١٥١ص " ويشتمل الموضوعات التالية : أصول الفقه ، أدله شرعيه ، قواعد أصولية .

تحقيق / نادر بن سعيد آل مبارك التعمري

مراجعة / مشهور حسن آل سلمان، سليم بن عيد الهلالي

بيروت : دار ابن حزم ١٤١٨هـ ، / ١٩٩٧ م .

٢٦ . المناظرات الفقهية :

ويقع هذا الكتاب في " ١٤٢ص "

المشارك / أشرف بن عبد المقصود " معلق " على الكتاب من باب التسهيل والبيان والشرح .

الرياض : أضواء السلف ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠ م .

سادساً : كتب في مجال اللغة العربية :

٢٧ . التعليق وكشف النقاب علي نظم قواعد الإعراب :

ويقع هذا الكتاب في " إحدى وستين صفحة " ويشتمل على الموضوعات التالية : إعراب ، لغة عربية ، نظم نحو .

تحقيق / محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام ، القاهرة ١٤١٢هـ .

سابعاً : منوعات شاملة :

٢٨ . الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة:

ويقع هذا الكتاب في " ٢٧٨صفحة " ويشتمل علي الموضوعات التالية :

إيمان ، توحيد ، ثقافة إسلامية ، وعظ وإرشاد ، آباء وأبناء " حقوق الآباء علي الأبناء وحقوق الأبناء علي الآباء " ، آداب إسلامية ، أخلاق إسلامية ، الإسلام والعلم ، حقوق الوالدين ، عبادات ، علاقات أسرية ، فضائل الحج ، فضائل الزكاة ، فضائل الصلاة ، فضائل الصوم ، قضاء وقدر ، مساواة .

الرياض : مكتبة المعارف طبعة ٣ / ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م .

٢٩. الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخلية في الدين الإسلامي :

ويقع في " خمس وخمسين صفحة " ويشتمل على الموضوعات التالية :
آيات الله المخلوقة ، آيات الله المنطوقة ، توحيد ، دعوة إسلامية ، إسلام ، إيمان ، ثقافة إسلامية ، حدود ، عمارة الأرض ، وعظ وإرشاد .

الرياض : مكتبة الرشيد طبعة ٢ مراجعة ومنقحة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٣٠. الدين الصحيح يحل جميع المشاكل :

ويقع هذا الكتاب في " ست وثلاثين صفحة " ويشمل الموضوعات التالية :
أخلاق إسلامية ، الإسلام والعلم ، عقائد ، فقر ، إسلام ، تراجم ، سياسة خارجية وداخلية ، صبر ، غنى .

الكويت : مكتبة دار الأقصى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٧م .

٣١. الوسائل المفيدة للحياة السعيدة :

ويقع هذا الكتاب في " اثنتين وثلاثين صفحة " ويشمل الموضوعات التالية :
أخلاق إسلامية ، إيمان ، عمل صالح ، وعظ وإرشاد ، إسلام ، صحة نفسية ، علوم اجتماعية .

الرياض : جامعة الإمام ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

- وله طبعة ثانية تقع في " سبع عشرة صفحة " تقديم الدكتور / عبد الله بن أحمد الزيد وكيل الوزارة المساعد لشؤون المطبوعات والنشر يليها مقدمة لمؤسسة النور اشتملت علي نبذة مختصرة عن حياة المؤلف السعودي ثم محتوى الكتاب وهو عبارة عن ثمانية فصول تتحدث عن : العمل الصالح، أسباب دفع القلق، أسباب انتشار الصدر، الأسباب الموجبة للسرور، أنفع الأسباب لزوال القلق والهموم، علاج أمراض العصب، واجب الزوجة، قصر الحياة السعيدة المطمئنة (١) .

٣٢. المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الله بن ناصر السعدي :

ويقع هذا المؤلف في " ٨ مجلدات " وتشمل العقيدة ، والحديث ، والفقه والوعظ والإرشاد عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

(١) وله طبعة ثالثة تقع في ٣٤ ص تحتوي علي أخلاق إسلامية ، الإسلام والسعادة العمل الصالح - المدينة المنورة - الجامعة الإسلامية - ٣ / ١٤١١هـ .

٣٣. الفواكه الشهية في الخطب المنبرية : (١).

ويقع هذا الكتاب في " ٢٤٤ ص " ويحوي الموضوعات التالية : آداب وأخلاق إسلامية ، خطب منبرية ، وعظ وإرشاد ، أحاديث الرقائق .

تحقيق / إبراهيم بن عبد الله الحازمي

الرياض : دار الشريف ١٤١٤ هـ .

٣٤. الفوائد السعدية لأبناء الأمة الإسلامية :

ويقع هذا الكتاب في " ٣٠ ص " ويحوي الموضوعات التالية : إظهار الدين أقسام العلوم ، الإسلام والعقل ، ثقافة إسلامية ، بلاد الإسلام ، وبلاد الكفار .

انتقاء : عبد المعز ناصر الجبيلي

الرياض : دار الشهاب ١٤١٢ هـ .

٣٥. الرسائل والمتون العلمية :

ويقع هذا المؤلف في " ٤ مجلدات " ويشمل الكتب والرسائل التالية :

إيمان ، توحيد ، علوم الدين الإسلامي ، فنون ، أصول الفقه ، رسالة في القواعد الفقهية ، رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه ، عقائد أهل السنة ، كتاب أصول التفسير ، كتاب أصول الفقه ، كتاب الحق الواضح البين ، كتاب ألفية علل الحديث ، كتاب القواعد المثلي ، كتاب القواعد والأصول الجامعة ، كتاب القول السديد شرح كتاب التوحيد ، كتاب تخلص فقه الفرائض ، كتاب تعليقات علي العقيدة الواسطة ، كتاب شرح أصول الإيمان ، كتاب شرح لمعة الاعتقاد ، كتاب عقيدة أهل السنة والجماعة ، كتاب مصطلح الحديث ، كتاب منهج السالكين ، مصطلح الحديث .

الرياض : دار الوطن ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

٣٦. طريق الوصول إلي العلم المأمون بمعرفة القواعد والضوابط والأصول : (٢)

ويقع هذا الكتاب في " ٣٧٤ صفحة " ويشمل الموضوعات التالية :-

(١) له طبعة ثالثة / تقع في ٢٨٧ ص بالإضافة إلي الخطب علي المناسبات الرياض : الرئاسة لإدارات البحوث

العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م .

(٢) طبعة ثانية تقع في ٣١٨ ص جمع / الشيخ السعدي بزيادة بعض الموضوعات مثل : مناظرات ومختارات

القاهرة، عبد الله بن محمد العوهلي.

أصول فقه ، ثقافة إسلامية ، عقائد ، علوم الحديث ، آداب وأخلاق إسلامية ، تفسير ، مؤلفات ابن القيم ، مؤلفات ابن تيمية .

تحقيق / سمير بن عدنان الماضي ، يوسف بن أحمد البكري .
الإمام : رمادي للنشر ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

٣٧ . من محاسن الدين الإسلامي :

ويقع هذا الكتاب في " ٣٨ص " ويشمل الموضوعات التالية :

أركان وخصائص الإسلام ، عبادات ، مبادئ الإسلام ، آداب إسلامية ، المال في الإسلام ، ثقافة إسلامية ، حدود ، رشوى ، معاملات .

تقديم / عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم .

الرياض : دار العاصمة ١٤٠٩هـ .

٣٨ . مجموع الفوائد واقتناص الأوابد :

ويقع هذا الكتاب في " ٢٧٩ص " ويشمل الموضوعات التالية :

ثقافة إسلامية ، آداب ، أحكام فقهية ، أحوال شخصية ، أخلاق ، توحيد ، عقائد ، معاملات ، وهذه الموضوعات علي هيئة فوائد بلغت ١٥٤ فائدة ملحقة بسؤال عن الحكمة في كون الحج يخالف سائر العبادات .

تقديم / عبد الله بن عبد الرحمن البسام (١)

تحقيق / سعيد بن فواز الصميل

الإمام : دار ابن الجوزي ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م (٢)

ومن خلال استعراضنا لمصنفات الشيخ السعدي - رحمه الله - تبين لنا أن أغلب مصنفاته في الفقه وأصوله ، ثم العقيدة ، فالتفسير ، وعلوم القرآن ولم نجد إلا مصنفاً واحداً في اللغة العربية والإعراب ، هذا بالنسبة للكتب المطبوعة وهناك كتب لم تطبع ولم تذكر مثل :

١ . حاشية علي الفقه استدراكاً علي جميع الكتب المستعملة في المذهب الحنبلي .

٢ . مختصر في أصول الفقه لم يطبع (٣) .

كتب مطبوعة أخرى :

(١) تقدمت ترجمته ص ٤٧ .

(٢) مصنفات السعدي من ١-٣٨ مأخوذة من فاكس بعته مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية -

الرياض دمعان ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

(٣) تيسير الكريم الرحمن : ج ١ ص ٨-٩ .

٣٩. وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني .
 ٤٠. تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله (١) .

المطلب الخامس: أخلاقه ووفاته :-

أخلاقه : بما أن العلماء ورثة الأنبياء، وأن سيد الأنبياء محمد ﷺ علي خلق عظيم لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤ ، فلا بد أن يرث العلماء الأخلاق عنهم لأنهم الأسوة الحسنة لذلك فهم أتقى الناس وأخشاهم لله عز وجل كما قال تعالى ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ...﴾ فاطر: ٢٨، والعالم بدون أخلاق كالجسد بلا روح قال رسول الله ﷺ (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)(٢) (أدبي ربي فأحسن تأديبي) (٣).

- والشيخ السعدي كان علي درجة من الأخلاق الحميدة لكونه عالماً عاملاً كما ورد عن بعض تلاميذه إذ يقول :

كان علي جانب كبير من الأخلاق الفاضلة، متواضعاً للصغير والكبير والغني والفقير كان يقضي بعض وقته مع من يرغب الحضور إليه ويحول المجالس إلي تعليم وعباده ويخاطب كل فرد بما يناسبه، ويصلح بين المتخاصمين بالعدل ويرضي الطرفين شفوفاً علي الفقراء والمساكين والغرباء بقدر استطاعته ويستعطف لهم المحسنين علي جانب كبير من الأدب والعفة والنزاهة والحزم ويعمل المناظرات بين تلاميذه لشحذ أفكارهم ويرصد الجعل(٤) لمن يحفظ المتون ولا يحرم منه أحداً وكان يشاور تلاميذه في اختيار الأنفع من كتب الدراسة ويرجح رأي الأكثرية ، و في حالة التساوي يكون هو الحكم ولذا حصل له عدد كبير من التلاميذ المحصلين(٥) .

(١) تيسير الكريم الرحمن : ج١ ص٨-٩ .

(٢) سنن البيهقي أحمد بن الحسين بن علي ٤٥٨ هـ ج١ ص١٩١ باب بيان مكارم الأخلاق ومعالجتها - مكتبة دار الباز ١٤١٤ هـ - يحقق / محمد عبد القادر عطا وذكره الهيثي في مجمع الزوائد .

(٣) كشف الخفاء ومزيل الإلباس لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي : ١١٦٢ هـ ج١ ص٧٢ حديث رقم : ١٦٤ عن علي ﷺ وتحقيق أحمد القلاش مؤسسة الرسالة طبعة ، رواه العسكري وابن السمعي عن ابن مسعود

١٤ وقال ابن تيمية معناه صحيح وليس له سند ثابت .

(٤) هو ما يعطي علي سبيل التشجيع من الهدايا ونحوها.

(٥) تيسير الكريم الرحمن : ج١ ص٦ بتصرف، انظر شرح جوامع الأخبار : ص ٨ .

وكان زاهداً معرضاً عن مفاتن الدنيا، ومباهج الحياة وزخارفها، لا يشارك الناس فيما يهتمون به من المناصب والجاه والنفوذ (١) .

- هذه نبذة من أخلاق المؤلف - رحمه الله - أخذها عن قدوته رسول الله ﷺ ثم عن بشيوخه الذين أخذ عنهم العلم حيث كان " يثني علي شيخه إبراهيم بن حمد بن جاسر ويصفه بالورع ومحبة الفقراء ومواساتهم وكثيراً ما كان يأتيه الفقير في اليوم الشتى فيخلع أحد ثوبه ويعطيه للفقير مع حاجته إليه، وقلة ذات يده رحمه الله " (٢) .
- وهذا الفعل تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿... وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر: ٩ .
وفاته :-

كل شيء له نهاية والعمر مهما طال فلا بد من دخول القبر لقوله تعالى ﴿... كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ القصص: ٨٨ ، وقال كعب بن زهير **رضي الله عنه** (٣)

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً علي آله حدباء محمول

وشيخنا السعدي من جملة عباد الله الذين استعدوا لهذه الساعة المهولة للقاء الله - عز وجل - حيث قضى عمره في طاعة الله وخدمة الإسلام والمسلمين، وخدمة كتاب الله بالتفسير والبيان، وكذلك السنة النبوية، والعقيدة الإسلامية مدافعاً عنها، شارحاً للفقهاء وأصوله، فجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء .

فلم يزل الشيخ - رحمه الله - علي حاله مرضية وسيرة محمودة حتى توفاه الله (٤) بسبب مرض مفاجئ شديد أنذر بدنو أجله حيث وافاه الأجل في ليلة الخميس

(١) شرح جوامع الأخبار : ص ٨ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن : ج ١ ص ٥ .

(٣) كعب بن زهير : بن أبي سلمى ت " ٢٦ هـ - ٦٤٥ م " وهو شاعر من أهل نجد ولما ظهر الإسلام هجا النبي ﷺ ما بلغه هدر دمه فأتى أبا بكر فلما صلى الصبح أتى به وهو متلثم بعمامة فقال يا رسول الله : رجل يبائعك علي الإسلام وبسط يده وحسر عن وجهه وقال : بأبي وأمي مكان العائد بك أنا كعب بن زهير فأمنه رسول الله ﷺ (البردة - أ - عبد العزيز آل عبد العال ص ٢) .

(٤) شرح جوامع الأخبار: ص ٩ .

الثالث و العشرين من جماد الآخر سنة ١٣٧٦هـ بمدينة عنيزة وقد ترك حزناً عميقاً في نفس كل من عرفه أو سمع عنه أو قرأ له - رحمه الله رحمة واسعة، ونفعنا بعلمه ومؤلفاته - آمين (١)

وقيل في الثاني و العشرين من جمادى الثاني سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف فرحمه الله ورضي عنه وبلغه منازل الصديقين في أعلى عليين، آمين (٢) ذلك بعد عمر طويل دام قرابة تسعة وستين عاماً في خدمة العلم (٣).

وهكذا فقد وجدنا حياته - رحمه الله - حياة مليئة بالجد والاجتهاد، وخدمة القرآن الكريم وهذا شأن كل عالم عامل في هذه الأمة .

المبحث الثاني

عقيدته

إن المتتبع لتفسير الشيخ السعدي ومصنفاته المختلفة يوقن أن عقيدته - رحمه الله - عقيدة أهل السنة والجماعة كما صرح في عدة مواضع من تفسيره بقوله : وهذا دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، وسنوضح ذلك بالأمثلة عند التفصيل أما بالنسبة لباقي مؤلفاته فقد صرح بذلك في مجموع الفوائد: (واعلم أنهم - والله الحمد - كلهم علي المذهب السلفي متفقون علي إثبات ما أثبتته الله ورسوله من صفات الله جل جلاله من غير استثناء علي الوجه اللائق بعظمة الله وكبريائه أو نفي ما نفاه الله ورسوله من النقص والكفو والند والتمثيل ومتفقون أيضاً علي الدعوة إلي الشهادتين: التوحيد الخالص والاتباع الخالص (٤).

-كما صرح بذلك بعض تلاميذه بقوله في مقدمه مجموع الفوائد: "فنسأل الله تعالى له المغفرة والرضوان والفوز بأعلى الجنان علي ما بذله في سبيل دينه وعاناه في

(١) الوسائل المفيدة : ص ٣.

(٢) شرح جوامع الأخبار : ص ٩ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن : ج ١ ص ٩ .

(٤) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد : ص ١٩٣ .

نشر عقيدته السلفية النقية " (١) وهي الفرقة الناجية التي أخبر عنها ﷺ في الحديث (تفترق اليهود علي إحدى وسبعين فرقه وتفترق النصارى علي اثنتين وسبعين فرقه وتفترق أمتي علي ثلاث وسبعين فرقه كلها في النار إلا ما أنا عليه وأصحابي) (٢).

-وهم المقصودون في القرون الثلاثة الأولى في الحديث (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) (٣) وهم سلف هذه الأمة وأهل السنة والجماعة وعقيدة الشيخ السعدي واضحة في تفسيره ومن أمثلة ذلك :

١. تفسير لقوله تعالى: ﴿... فَأَتَقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ

لِلْكَافِرِينَ﴾ البقرة : ٢٤

يقول : وفي قوله ﴿أعدت للكافرين﴾ ونحوها من الآيات دليل لمذهب أهل السنة والجماعة أن النار والجنة مخلوقتان (٤).

٢. فعند تفسيره لقوله تعالى ﴿...وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ...﴾ البقرة: ١٣٤

يقول : بتقديره لهذا المحنة (تحويل القبلة) وغيرها دخل في ذلك من مات من المؤمنين قبل تحويل القبلة فإن الله لا يضيع إيمانهم لكونهم امتثلوا أمر الله وطاعة رسوله ﷺ في،

(١) مجموع الفوائد : ص ٩ .

(٢) رواه الترمذي : ج ٥ ص ٢٥ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ح (٢٦٤٠) عن أبي هريرة، ﷺ وقال أبو عيسى : حسن صحيح، ورواه الحاكم في المستدرک ج ١ ص ٢١٧-٢١٩ كتاب العلم ج ٤٤١ عن أبي هريرة ﷺ وقال : صحيح علي شرط مسلم ولم يخرجاه .

(٣) ذكره الهيثمي علي بن أبي بكر " ت: ٨٠٧هـ " في مجمع الزوائد : ج ١٠ ص ٢٠ عن أبي هريرة الأسلمي - دار الريان للتراث دار الكتاب العرب ١٤٠٧هـ ، ورواه الطبراني وقال : إسناده حسن ، ورواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة وفيه داود بن يزيد الودي وهو ضعيف ، ورواه الطبراني عن جعده بن هبيرة إلا أن إدريس بن يزيد الأودي لم يسمع من جعده، وفي رواية : "خير الناس قرني".

(٤) مختصر ابن كثير ج ١ ص ٤٣- دار التراث العربي، تيسير الكريم الرحمن : ج ١ ص ٤٤ .

وقتها وطاعة الله امتثال أمر الله في كل وقت بحسب ذلك . وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان تدخل فيه أعمال الجوارح (١).

٣. في قوله تعالى: ﴿... يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ الأنعام: ١٥٨

يقول : والحكمة في هذا ظاهرة فإنه إنما كان الإيمان ينفع إذا كان إيماناً بالغيب وكان اختياراً من العبد فأما إذا وجدت الآيات صار الأمر شهادة، ولم يبق للإيمان فائدة كما قال تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ، فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا. .﴾ غافر ٨٤-٨٥ إلى أن قال : وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الأفعال الاختيارية لله تعالى، كالاستواء والنزول والإتيان لله تبارك وتعالى من غير تشبيه له بصفات المخلوقات، وفي الكتاب والسنة من هذا شئ كثير (٢). والباحث يؤيد السعدي في ذلك.

٤. في قوله تعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ. .﴾ التوبة: ٦ .

يقول : وفي هذا حجة صريحة لمذهب أهل السنة والجماعة القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لأنه تعالى هو المتكلم به وأضافه إلي نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها، وبطلان مذهب المعتزلة ومن أخذ بقولهم : إن القرآن مخلوق وكم من الأدلة الدالة علي بطلان القول ليس هذا محل ذكرها (٣)

وفي قوله تعالى: ﴿... لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا. .﴾ هود: ٧، تبارك: ٢.

(١) تيسير الكريم الرحمن : ج١ ص٤٤ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج٢ ص١٠٥ مراجعة وتقديم / طه عبد الرؤوف سعد - دار الصفا .

(٣) فنون الأفتان لابن الجوزي ص٢٤ - مكتبة ابن سينا. تيسير الكريم الرحمن : ج٢ ص٢٥٣ نفس الطبعة السابقة،

التفسير المنير ج١٠ ص١١٦ .

يقول : أي ليمتحنكم إذ خلق لكم ما في السموات والأرض بأمره ونهيه فينظر أيكم أحسن عملاً ، قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - .

"دين الله أخلصه وأصوبه" قيل يا أبا علي " ما أخلصه وأصوبه " ؟ فقال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً والخالص : أن يكون لوجه الله والصواب : أن يكون متبعاً فيه الشرع والسنة (١) .

- وهذا المثال وإن لم يصرح فيه برأي أهل السنة والجماعة ولكنه يشير إلي ذلك عندما جاء بمثال يؤيد كلامه من كلام أحد الأئمة الأعلام من أهل السنة والجماعة وهو الفضل بن عياض الإمام الزاهد المعروف ثم إن مضمون كلام الإمام - رحمه الله - عن الإخلاص والصواب ليدل دلالة قاطعة علي لسان أهل السنة والجماعة حيث يرددون هذه الألفاظ في جميع الأوامر والتكاليف الشرعية، ولاسيما في اشتراطهم أن تكون علي السنة والله أعلم .

المبحث الثالث

مذهبه الفقهي

إن الناظر والمتأمل في تفسير الشيخ السعدي ومصنفاته ليلمس أنه : كان متمسكاً بالمذهب الحنبلي تبعاً لمشائخه كما ورد في مقدمة تفسيره بقلم أحد تلاميذه . وبعد أن درس كتب شيخ الإسلام ابن تيمية - وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله - صار لا يتقيد بالمذهب الحنبلي، بل يرجح ما ترجح عنده بالدليل الشرعي، ولا يطعن في علماء المذاهب كبعض المتهوسين (٢) ، مما تقدم اتضح لنا أن السعدي غير متعصب لمذهبه الحنبلي شأن العلماء الآخرين بل يحترم آراءهم ويأخذ بها إن كانت هي الأصح من رأي مذهبه ورجحت عليه وهذا هو العدل والنزاهة، وتقدير العلماء فالكل يأخذ من الكتاب والسنة، ومن الأدلة علي تبنيه للمذهب الحنبلي في تفسيره ما يلي :-

(١) تيسير الكريم الرحمن : ج٢ ص٣٩٥ دار الصفا .

(٢) تيسير الكريم الرحمن : ج١ ص٦-٧ .

١ . كثرة نقله عن أئمة الحنابلة كابن القيم وابن تيمية والاستشهاد بأرائهم، وذلك في نقله لفوائد مهمة في تفسير القرآن من " بدائع الفوائد " لابن القيم رحمه الله تعالى وذلك علي هيئة فصول وفوائد (١) .

٢ . استشهاده بقول ابن القيم في مسألة المواريث، وذلك بقوله ، قال ابن القيم في " جلاء الإفهام " ويبدأ بنقل كلامه (٢) .

٣ . استشهاده بقول شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير بعض الآيات وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة ٧٥ ، فقال : قال شيخ الإسلام (٣).

قال شيخ الإسلام : فإن الله ذم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه وهو متناول لمن حمل الكتاب والسنة علي ما أصَّله من البدع الباطلة، وذم الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني وهو متناول لمن ترك سر تدبر القرآن ولم يعلم إلا مجرد تلاوة حروفه ، ومتناول لمن كتب كتاباً بيده مخالفاً لكتاب الله لينال به دنيا قال : إنه من عند الله مثل أن يقول : هذا هو الشرع والدين وهذا في الكتاب والسنة، وهذا معقول السلف والأئمة وهذا هو أصول الدين الذي يجب اعتقاده الأعيان والكفاية . ومتناول لمن كتم ما عنده من الكتاب والسنة لئلا يحتج به مخالفه في الحق الذي يقوله وهذه الأمور كثيرة جداً في أهل الأهواء جملة كالرافضة وتفصيلاً مثل كثير من المنتسبين إلي الفقهاء .

٤ . الاستشهاد بقول الإمام الفضيل بن عياض - رحمه الله - في تفسير بعض الآيات، ولاسيما التي تتحدث عن اتباع السنة في قوله تعالى: ﴿ . . . لِيُؤْكَمُ

(١) تيسير الكريم الرحمن ح١ص١٤-٢٠ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج١ص٣٢٣ ج٤ص٤٧٩ .

(٣) ابن كثير ج٣ص٣١٠ انظر فيض القدير ج٥ص٧٧١ . تيسير الكريم الرحمن ص٧٠

أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا . . . وقوله : إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، وصواباً علي السنة (١) .

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيحَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الجاثية: ١٨، يقول رحمه الله: " أي شرعنا لك شريعة كاملة تدعو إلي كل خير وتنتهي عن كل شر من أمرنا الشرعي فإن في اتباعها السعادة الأبدية والصلاح والفلاح .

ولا تتبع أهواء الذين تكون أهواؤهم غير تابعة للعلم ولا ماشية خلفه وهم كل من خالف شريعة الرسول ﷺ هو اه وإرادته فإنه من أهواء الذين لا يعلمون^(٢)، ويقول أيضاً: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الحشر: ٧ .

يقول : وهذا شامل لأصول الدين وفروعه وظاهره وباطنه وأن ما جاء به الرسول يتعين علي العباد الأخذ به وإتباعه ولا تحل مخالفته وأن نص الرسول ﷺ علي حكم الشيء كنص الله تعالى لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه ولا يجوز تقديم قول أحد علي قوله ، ثم أمر بتقواه وحذر من تركها وإيثار اتباع الهوى^(٣) .

ومع أن الشيخ السعدي من أنصار المذهب الحنبلي إلا أنه لا يتقيد به دائماً ولكنه يرجح بعض الآراء إن رآه صواباً باجتهاده كما بينا سابقاً وهذا أمثله :

الشيخ السعدي لا يتعصب لمذهب، وإنما يرجح ما يراه بالدليل الشرعي : وهذا أمثلة من بعض مصنفاته وليس من تفسيره لأنه لم يتعمق في سرد الآراء و الرد عليها وإنما يذكر الحكم غالباً باختصار .

١. في إجابته علي سؤال : إذا طاف أو سعى محمولاً لعذر ونوى كل من الحامل والمحمول عن نفسه فالمشهور في مذهب الحنابلة المتأخرين أنه لا يجزئ إلا

(١) الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي ج ٤ ص ٤٠٤ - دار الفكر. تيسير الكريم الرحمن : ج ٢ ص ٣٩٥ دار الصفا - مكتبة الأوس.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج ٤ ص ٤٧٩ بتصرف.

(٣) المصدر نفسه ج ٥ ص ٢٠١، ٢٠٢ بتصرف.

عن المحمول وهو ضعيف لا دليل عليه ولا تعليل صحيح يدل عليه والصحيح في هذا مذهب الإمام أبي حنيفة أنه يجزئ عن كل واحد من الحامل والمحمول وهو قول في مذهب الحنابلة استحسنة الموفق^(١)، وهو الصواب الذي تدل عليه الأدلة ثم أسهب في الرد علي أصحاب مذهب لا مجال لسرده هنا (٢) .

(١) الموفق : موفق الدين اليسرى البغدادي سنة ٦٩٩هـ الفقيه كان من أعيان مشايخ الحنابلة بدمشق توفي في رجب وصلي عليه عقيب صلاة الجمعة هو وعشرة أنفس أحدهم الشيخ يونس، المقصد الأرشدي في ذكر أصحاب الإمام أحمد : برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح " ٨١٦ - ٨٨٤هـ " ج ٣ ص ٤٤ - مكتبة الرشيد بالرياض - ط ١ / ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م - تحقيق وتعليق / د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين .

(٢) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد ص ٧١ وما بعد لمن أراد الاستزادة .

٢ . يقول السعدي : في مجموع الفوائد :

سئلت عن قول أصحاب الحنابلة : إن المتمتع إذا طاف لعمرة وسعى لها وتحلل منها ثم وطئ بعد هذا الحل ثم احرم بالحج وتممه ثم تبين له أن طوافه للعمرة قد كان بغير طهارة قالوا : لم يصح حجه، لأنه أدخل حجاً علي عمرة فاسدة وإدخال الحج علي العمرة غير جائز ولا منعقد فهل هذا القول صحيح وما الذي تختارونه فيها ؟

الجواب وبالله التوفيق : الذي تراه في هذه المسألة المهمة أن الحج صحيح حتى ولو حكمنا علي العمرة بالفساد وعندنا في هذا الرأي عدة مآخذ وذكر أربعة منها ويرد علي كل واحد منها بالدليل ومن قول ابن تيمية - رحمه الله - (١) .

٣ . يقول أيضاً : وعلي المذهب لا تنقل الزكاة مسافة قصر فأكثر إلا إذا لم يجد من يدفعها إليه وعلي الصحيح يجوز ذلك، وهو ظاهر الأدلة الشرعية (٢) .

٤ . قول - الأصحاب -^(٣) رحمهم الله في نفقة الزوجة : ولا يعتاض عن النفقة الماضية بربوى كان عوضها عن الخبز بحنطة أو دقيق فلا يصح ولو تراضيا عليه، لأنه ربا و انتهى فيه نظر : وهذا القول يشبه الأقوال التي تقع غلطاً محضاً لا وجه له من الدليل والتعليل لأن هذا ليس بمعاوضة حقيقية فإن الشارع لم يعتبر الواجب بأكثر من الكفاية؟ فبأي شيء حصلت الكفاية كان ذلك هو الواجب واستدل بحديث هند بنت عتبة^(٤) حيث قال لها رسول الله ﷺ (خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف) (٥) فقد ر ذلك بالكفاية وإنما صير إلي إيجاب الخبز عند الاختلاف لكونه القوت المعتاد ، وهذا القول الذي ذكرته هو الذي رجحه الشيخ الموفق في " المغني " (٦) .

(١) تيسير الكريم الرحمن : ص ١٢٥ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق : ص ١٤٨ .

(٣) الأصحاب : أصحاب الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله.

(٤) هند بنت عتبة : بن ربيعة بن عبد شمس، امرأة أبي سفيان بن حرب وأم معاوية وأمها صفية بنت أمية بن حارثة بن الوقص أسلمت بعد الفتح وأخذت عمر بن الخطاب معها حين أسلمت وهي متنبهة وهي إحدى السلاقي بايعن الرسول ﷺ في بيعة النساء ماتت في خلافة عثمان رضي الله عنه أن أبا سفيان مات في خلافة عثمان وكانت حية وقيل في خلافة عمر في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة " الثقات لابن حبان البستي سنة ٣٥٤ هـ - ج ٣ ص ٤٣٩ ، دار الفكر ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م ط ١ / تحقيق السيد اشرف الدين أحمد (انظر الإصابة لابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢ هـ - ج ٨ ص ١٥٥ - دار الخيل ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ط ١ / تحقيق / علي محمد البجاوي).

(٥) صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٠٥٢ باب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف ح ٥٠٤٩ عن عائشة رضي الله عنها .

(٦) مجموع الفوائد واقتناص الأوابر ص ١٦٤، كتات المغني لابن قدامة المقدسي.

الفصل الثاني

منهج السعدي في التفسير بالمأثور وعلوم القرآن ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول : التفسير بالمأثور وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول : تفسير القرآن بالقرآن

المطلب الثاني : تفسير القرآن بالسنة

المطلب الثالث : تفسير القرآن بأقوال الصحابة

المطلب الرابع : تفسير القرآن بأقوال التابعين

المبحث الثاني : اهتمامه بعلوم القرآن ، وفيه سبعة مطالب

المطلب الأول : اهتمامه بأسباب النزول

المطلب الثاني : قلة استعراضه للقراءات القرآنية

المطلب الثالث : الحروف المقطعة في أوائل السور

المطلب الرابع : الناسخ والمنسوخ

المطلب الخامس : موقفه من الإسرائيليات

المطلب السادس : موقفه من القصة القرآنية

المطلب السابع : نظرتة إلي الإعجاز في القرآن

المبحث الأول

التفسير بالمأثور وفيه أربعة مطالب :-

لقد اشتمل تفسير السعدي _ رحمه الله - علي التفسير بالمأثور وهو تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة، وبأقوال الصحابة والتابعين علي الرأي الراجح (١) فإن قيل ما أحسن طرق التفسير ؟

فالجواب : إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ النحل: ٦٤ (٢) ولهذا قال رسول الله ﷺ (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) (٣) يعني السنة المطهرة، بل لقد قال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - : كل ما حكم به رسول الله فهو مما فهمه من القرآن (٤) ، والإمام السعدي قد استعمل هذا اللون من التفسير مع أنه لم يعرض لذلك في مقدمة تفسيره وإنما كان جل اهتمامه بإبراز المعني في الآيات .

(١) التفسير و المفسرون محمد حسين الذهبي ج ١ ص ١٦٣ مكتبة وهبة ط ٧-١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م بتصرف، انظر التفسير ومناهج المفسرين ، ص ٦٩ د. عصام زهد د. جمال الهوي ط ٢ - مطبعة مقداد - غزة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير، المقدمة ج ١ ص ١٢ ، الشيخ محمد علي الصابوني - مكتبة الفيصلية .

(٣) مختصر ابن كثير، وهذا جزء من حديث أخرجه أبو داود عن المقدم بن معدي كرب وانظر صحيح ابن حبان ج ١ ص ١٨٨ حديث رقم "١٢" عن المقداد بن معد يكرب ، باب ذكر الخبر المصرح بأنه "ص" - يتلقي التشریعات كلها عن الله لا من تلقاء نفسه - مؤسسة الرسالة - ط ٢/١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، فهو صحيح عند ابن حبان.

(٤) المصدر نفسه ص ١٢ .

المطلب الأول : تفسير القرآن بالقرآن :-

وهذا النوع من التفسير بالمأثور موجود بكثرة في مواضع عدة من تفسير الشيخ السعدي وكما أسلفنا فإنه ما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما

عم في مكان فإنه قد خصص في آخر وما أبهم في مكان فإنه قد بين في آخر وهكذا إليك بعض الأمثلة المتعلقة بهذا اللون من التفسير بالمأثور في تفسير السعدي.

أولاً : في قوله تعالى في سورة البقرة الآية: ٤٨ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ قال رحمه الله " خوفهم بيوم القيامة الذي لا تجزي فيه أي : لا تغني نفس" ولو كانت من النفس الكريمة كالأنبياء والصالحين عن نفس ولو كانت من العشيرة المقربين شيئاً لا كبيراً ولا صغيراً وإنما ينفع الإنسان عمله الذي قدمه ولا يقبل منها أي : النفس شفاعته لأحد بدون إذن الله ورضاه عن المشفوع له ولا يرضى منه العمل إلا ما أريد به وجهه وكان موافقاً للقرآن والسنة ولا يؤخذ منها عدل أي فداء ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ . . .﴾ الزمر: ٤٧ (١)

يقول الباحث :

إن الآيات في ذلك أكثر مما ذكره السعدي، وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ...﴾ المائدة: ٣٦ .

وقوله : ﴿ . . . وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ . . . ﴾ الرعد: ١٨، وقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ . . .﴾ آل عمران: ٩١، وقوله ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا . . .﴾ الحديد: ١٥ .

ثانياً : عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا . . .﴾ البقرة: ٢١٤ ، وذلك بعيد تفسيره قال رحمه الله : وهذه الآية نظير قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ

(١) مختصر بتفسير ابن كثير ج ١ ص ٦٢، تفسير الكرمي الرحمن ج ١ ص ٥٨-٥٩ ، انظر الشعراوي ج ١ ص ٣١٦-

وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ آل عمران: ١٤٢، وقوله تعالى ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ العنكبوت: ٢، فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان (١).

يقول الباحث : وهذا نظير قوله تعالى أيضاً ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ محمد: ٣١، قوله تعالى ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ . . .﴾ آل عمران: ١٧٩، وقوله تعالى ﴿وَلِيَبْلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ آل عمران: ١٥٤ .

ثالثاً : قوله تعالى ﴿ . . . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ البقرة: ١٥، قال - رحمة الله - ومن استهزأه بهم يوم القيامة أن يعطيهم مع المؤمنين نوراً ظاهراً فإذا مشى المؤمنون بنورهم طفى نور المنافقين وبقوا في الظلمة بعد النور متحيرين، فما أعظم اليأس بعد الطمع ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتِنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ . . .﴾ الحديد: ١٤ (٢) .

يقول الباحث : إن الآيات التي نتحدث عن المنافقين لا حصر لها ، ولا سيما في القرآن سورة كاملة بشأنهم وهي سورة المنافقون وتحدثت سوره براءة عنهم كثيراً وخاصة في، هذه الآيات : قوله تعالى ﴿ . . . سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ التوبة: ٧٩ ، وقوله ﴿ . . . اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ . . . ﴾ التوبة: ٨٠ ، وقوله : ﴿ . . . فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ . . . ﴾ الأحزاب: ١٩ ، وقوله

(١) انظر مختصر تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٨٨ بنحوه ، انظر فتح القدير للشوكاني ١٢٥٠هـ، ج ١ ص ٢١٥ - دار الفكر ١٤٠٣هـ، تيسير الكريم الرحمن : ج ١ ص ١٦٩ - ١٧٠ ،

(٢) انظر مختصر ابن كثير ج ١ ص ٣٥ ، تيسير الكريم الرحمن : ص ٣٩، انظر تفسير الشعراوي ج ١ ص ١٦١ بنحوه ..

﴿... رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ﴾ محمد: ٢٠.

- فنجد الآيات مفسرة لبعضها البعض في سورة المنافقون طلب منهم أن يستغفر لهم رسول الله فاستكبروا ولووا رؤوسهم ، فعاقبهم الله بعدم قبول الاستغفار لهم حتى لو استغفر لهم رسول الله سبعين مرة أو أكثر ، كما جاء في سورة التوبة ، وكذلك إذا دعوا للجهاد في سبيل الله رأيتهم يكادون يسقطون موتي من شدة الخوف ، ودوران الأعين كناية عن التعرض للخوف الشديد فالآية التي في الأحزاب فسرت الآية في "محمد" ففيها تشبيهه بليغ ، حيث شبه حالهم عند الخوف بحال الميت إذا شخص بصره ، وهو دوران الأعين ، فيذهل ويذهب عقله ، فلا يطرف من الدهول (١).

المطلب الثاني

تفسير القرآن بالسنة :

سبق أن قلنا إن السنة شارحة للقرآن وموضحة له وهناك كثير من الفرائض كالصلاة والزكاة والصوم والحج وجاءت مبهمة في القرآن فجاءت السنة فبينت المبهم وقال: ﷺ (إني أوتيت القرآن ومثله معه) " (٢) وقوله: ﷺ (صلوا كما رأيتموني أصلي) (٣) ، وقوله (خذوا عني مناسككم) (٤) .

- وقد حذر رسول الله ﷺ من الذين لا يعترفون بالسنة النبوية عند التحاكم بينهم ويزعمون أن القرآن وحده هو الحكم لذلك قال في الحديث: (ألا هل عسي رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ علي أريكته فيقول : بيننا كتاب الله فما وجدنا

(١) انظر فتح القدير ج ٤ ص ٢٧٠ .

(٢) سبق تخريجه ص ٦٦ .

(٣) صحيح ابن حبان ج ٤ ص ٥٤١ ج ٥ ص ٥٠٣ كتاب الصلاة باب الأذان عن مالك الحويرث : حديث رقم : ١٦٥٨ - ٢١٣١ - مؤسسة الرسالة ط ٢/١٤١٤هـ - ١٩٩٣م - تحقيق / شعيب الأرنؤوط .

(٤) تقدم تخريجه ص ٢٨ .

فيه حلالاً حلتناه، وما وجدنا فيه حراماً، حرمانه وإن ما حرم رسول الله كما
حرم الله" (١).

وقد فسر الشيخ السعدي - رحمه الله - القرآن الكريم بالنسبة المطهرة ولكن ليس
علي وتيرة واحدة، فمرة يورد الحديث بدون الراوي الأعلى، وأخري يذكره وثالثة
يذكر السند، ونادراً ما كان يخرج، وذلك لأنه كان يستشهد بالأحاديث الصحيحة.
أمثلة علي منهج السعدي في تفسيره القرآن بالسنة:

أولاً : عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَاخِرُ الْآخِرِ وَمَا هُمْ
بِمُؤْمِنِينَ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ، فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا. . .﴾ البقرة: ٨-١٠ ، يقول - رحمه الله - أعلم أن النفاق
هو : إظهار الخير وإبطان الشر ويدخل في هذا التعريف النفاق الاعتقادي والنفاق
العملي كالذي ذكره النبي ﷺ في قوله: (آية المنافقين ثلاث : إذا تحدث كذب وإذا
وعد أخلف وإذا أتمن خان) (٢) وفي رواية (إذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) (٣) (٤).
يتضح أن المقصود من هذه الآية هو الحذر من الكذب ولزوم الصدق فعن ابن
مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ - (إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر
يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإن الكذب يهدي
إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله
كذاباً) (٥).

(١) والحديث نفس الحديث الذي تقدم تخريجه ص ٦٦ بالمعنى بلفظ " أوتيت الكتاب وما يعدله " رقم "٣" .
(٢) صحيح البخاري ج ١ ص ٢١-٤٤-٧٩-٣١٢-٣٥٨-٤٤٨ باب علامة المنافق ج ٣٣ عن أبي هريرة " ر"
دار ابن كثير / اليمامة - ط ٣/١٤٠٧-١٩٨٧م - تحقيق / مصطفى البغا .
(٣) صحيح البخاري ج ١ ص ٢١، ج ٢ ص ٨٦٨ باب علامة المنافق عن عبد الله بن عمرو ج ٣٤، متفق عليه.
(٤) تيسير الكريم الرحمن : ج ١ ص ٣٦، انظر فتح القدير ج ١ ص ٤١، ٤٠، بنحوه، تفسير الشعراوي ج ١ ص ١٤٦ -
١٥١ .

(٥) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠١٢ باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله عن عبد الله ج ٢٦٠٧ دار إحياء
التراث العربي تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي .

إذ إن فـالمنافق مذموم لأن ظاهره يكذب باطنه فهو في حالة اضطراب فكري وعقدي وهو دائم الصراع مع نفسه؛ لأنه لا بد من توافق الظاهر مع الباطن فهو أشر من الكافر لأن الكافر وافق ظاهره باطنه وهذه هي مشكلة المنافقين في هذا العصر وهم الذين سموا بالطابور الخامس حيث ينقلون أخبار وأسرار المسلمين إلي أعدائهم ليقوموا بالقضاء علي كل رجل مصلح يريد أن يعلي كلمه الله في الأرض مع تثبيطهم من عزائم المسلمين فلا يقوموا بالجهاد ضد عدوهم.

ثانياً : في تفسيره لقوله تعالى ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً. . .﴾ البقرة: ٧٤، يقول - رحمه الله "واعلم أن كثيراً من المفسرين رحمه الله قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل ونزلوا عليها الآيات القرآنية وجعلوها تفسيراً لكتاب الله محتجين بقوله ﷺ (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) (١) ، وسنتوسع في الحديث بالتفصيل في مطلب بني الإسرائيليات إن شاء الله تعالى.

ثالثاً : تخصيص العام في القرآن :-

وذلك في قوله تعالى ﴿... حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ. . .﴾ المائدة: ٣، قال رحمه الله: فأخبر أنه حرم : " الميتة " والمراد بالميتة ما فقدت حياتها بغير ذكاه شرعية فإنها تحرم لضررها وهو احتقان الدم في جوفها ولحمها المضر بآكلها وكثيراً ما تموت بعلة تكون سبباً لهلاكها فتضر بالآكل ويستثني من ذلك ميتة الجراد والسّمك فإنه حلال .

والدم أي : المسفوح كما قيد في الآية الأخرى (٢) وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ

(١) تيسير الكريم الرحمن ج١ص٦٨ و الحديث في صحيح البخاري ج٣ص٢٧٥ عن عبد الله بن عمرو باب ما ذكر عن بني إسرائيل ج٣٢٧٤ سنن الترمذي ج٥ص٤٠ باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل ح(٢٦٦٩)، انظر مختصر ابن كثير ج١ص٧٧ في الحاشية .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ج١ص٤٧٨ ، تيسير الكريم الرحمن : ج١ص٤٥٣ ، تفسير الشعراوي ج٢ص٧١٥ ، طبعة ١٩٩١م - أخبار اليوم.

خَنْزِيرٍ... ﴿ الأنعام: ١٤٥، ومن خلال تفسير هذه الآيات عند الشيخ السعدي نجد أنه - رحمه الله - لم يصرح بالتخصيص في تفسيره ولكنه ذكر الاستثناء فقط دون أن يشير إلي الحديث المعروف: "أحلت لكم ميتتان ودمان فأما الميتتان فالسمك والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال" (١) (وقد سئل ﷺ عن ماء البحر؟ فقال: هو الطهور ماؤه الحل ميتته) (٢).

ثالثاً: تفصيل المجمل في القرآن :-

في قوله تعالى ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ النساء: ١٥، قال - رحمه الله - (احبسوهن عن الخروج الموجب للريبة وأيضاً فإن الحبس من جملة العقوبات حتى يتوفاهن الموت) أي هذا منتهى الحبس أو يجعل الله لهن سبيلاً أي : طريقاً غير الحبس في البيوت .
فهذه الآية ليست منسوخة وإنما هي مغيية إلي ذلك الوقت فكان الأمر في أول الإسلام كذلك حتى جعل الله لهن سبيلاً وهو رجم المحسن والمحصنة ، وجلد غير المحسن والمحصنة (٣) .

ومن خلال تفسيره لهذه الآية نجد أنه - رحمه الله - لم يصرح بأن السنة قد جاءت لتفصيل المجمل وهو " السبيل " والبيان في حديث الرسول ﷺ (خذوا عني خنوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد

(١) سنن البيهقي الكبرى ج١ ص٢٥٤ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه باب الحوت يموت في الماء والجراد - ج١١٢٨ - مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ط١٤١٤هـ - ١٩٩٤م تحقيق محمد عبد القادر عطا وقال : إسناده صحيح.

(٢) السنن الصغرى للنسائي ج ص١٥١ عن أبي هريرة رضي الله عنه باب ما تكون به الطهارة عن الماء ج١٩٧ - مكتبة الدار - المدينة ط١٤١٠/١هـ - ١٩٨٩م تحقيق / د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٣) تيسير الكريم الرحمن : ج١ ص٣٢٩ مختصر تفسير ابن كثير ج١ ص٣٦٦ تفسير الشعراوي ، ج٤ ص٢٠٥٩ .

مائة والرجم)(١) ولكنه اكتفى بذكر الحكم بالنسبة للمحصن والبكر من الذكر والأنثى فدل علي أنه كان يتطرق لبيان منزلة السنة من القرآن مع عدم التصريح في ذلك وهذا بالنسبة للنساء مع الرجال، وكذلك في حق الرجال يقول تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا . . .﴾ النساء: ١٦ فيقول : وكذلك للذان يأتياها ، أي الفاحشة منكم من الرجال والنساء فأدوهما بالقول والتوبيخ والتعيير و الضرب الرادع عن هذه الفاحشة فعلي هذا يكون الرجال إذا فعلوا الفاحشة يؤذون والنساء يحبسن، ولا يؤذين، فالحبس غايته للموت والأذية نهايتها إلي التوبة والإصلاح (٢).

من خلال هذا العرض نري أن السعدي - رحمه الله - اعتبر الآيتين في سياق واحد وهو فعل الفاحشة بين الرجل والمرأة ولكن هناك من المفسرين من جعل كل آية في سياق مختلف عن الآخر فالإمام ابن كثير جعل الآية الأولى في حق الرجل والمرأة والآية الثانية في حق الرجال مع الرجال كما في رواية مجاهد (٣) وكذلك الرجل مع المرأة (٤).

ولكن الشيخ الشعراوي(٥) - رحمه الله - فسر الآية الأولى بالمرأة مع المرأة والثانية الرجل مع الرجل ، يقول _ رحمه الله - " والذين يقولون : إن هذه المسألة خاصة بعملية بين رجل وامرأة يقول لهم : إن كلمة " واللاتي " هذه اسم موصول لجماعة الإناث أما إذا كان هذا بين ذكر وذكر ففي هذه الحالة يقول ﴿ . . . وَالَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا . . .﴾ النساء: ١٦ ، . . . وحدثنا كتب التشريع أن رسول الله

(١) صحيح مسلم ج٣ ص١٣١٦ عن عبادة بن الصامت " ر" باب حد الزني ج ١٦٩٠ - دار إحياء التراث العربي، ورواه وقد روي الإمام أحمد في مسنده حديثاً مثله بلفظ ونفي سنه أبداً تغريب عام الإمام أحمد في مسنده بمثله بلفظ: "ونفي سنة".

(٢) مختصر ابن كثير ج١ ص٣٦٦ ، فتح القدير ج١ ص٤٣٨ ، تيسير الكريم الرحمن : ج١ ص٣٢٩ .

(٣) مجاهد بن جبر المكي - المفسر أبو الحجاج المخزومي ولد سنه ٢١هـ في خلافة عمر وتوفي بمكة وهو ساجد سنه ١٠٤هـ .

(٤) مختصر تفسير ابن كثير ج١ ص٣٦٧ .

(٥) تفسير الشعراوي ج٤ ص٢٠٥٦-٢٠٥٩ بتصرف، فتح القدير ج١ ص٤٢٨ .

ﷺ حمل الآية علي أنها تختص بزنا يقع بين رجل وامرأة وليس امرأتين ،ويؤيد ذلك بحديث عبادة السابق الذكر (١).

والباحث :يميل إلي رأي الشعراوي -رحمه الله- للدلالة الحديث السابق ،ثم دلالة الألفاظ مثل "اللاتي "أي :الرجل مع المرأة لأن المرأة لا تزني مع المرأة ولو أراد ذلك في "اللدان"قال:"والذين".

المطلب الثالث

تفسير القرآن بأقوال الصحابة : -

لا شك أن الصحابة - رضوان الله عليهم - هم أعلم الناس بكتاب الله تعالى وذلك لمعاصرتهم التنزيل ومشاهدتهم القرائن والأحوال والحوادث التي كان ينزل فيها القرآن كما قال ابن مسعود - رحمه الله - " والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأن أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تتاله المطايا لأتيته " (٢).

ودعائه ﷺ لابن عباس **رضي الله عنه** (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) (٣) وقد ورد أن معاذ بن جبل **رضي الله عنه** أعلم الناس بإحلال والحرام وزيد بن ثابت (٤) في الفرائض

(١) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج٢ ص٤١٢-٤١٣ دار الكتب العلمية - ط٣-١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، والحديث: تقدم تخريجه ص٧٢.

(٢) ابن كثير ج١ ص١٢، الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج٢ ص٤١٣ دار الكتب العلمية - ط٣-١٤٤٥هـ - ١٩٩٥م.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ج٣ ص٦١٥ باب ذكر عبد الله بن عباس **رضي الله عنه** ح(٦٢٨٠٩) وهو جزء من حديث، صحيح ولم يخرجاه.

(٤) زيد بن ثابت : بن الضحاک أبو سعيد وأبو خارجة الأنصاري الخزرجي النجاري المقريء الفرضي كان كاتب النبي ﷺ وأمينه علي الوحي **رضي الله عنه** وكان شاباً ذكياً ثقفاً جمع القرآن علي عهد رسول الله ﷺ وجمعه في صحف لأبي بكر **رضي الله عنه** ثم تولى كتابة مصحف عثمان **رضي الله عنه** الذي بعث به نسخاً إلي الأقطار، شهد الخندق وبيعة الرضوان وكان عمر **رضي الله عنه** يستخلفه علي المدينة إذا حج، له مناقب جمّة توفي سنة ٤٥هـ علي الأصح " معرفه القراء الكبار ج١ ص٣٦-٣٨ " .

وعطاء في الحج (١) وهكذا فتحن نجد أنهم استوعبوا كل أمور الدين وكل واحد منهم كمل الآخر .

- وإذا ما نظرنا إلي تفسير السعدي نجده قليل النقل عن الصحابة بشكل كبير و إذا نقل عنهم لا يذكر أسماءهم وإذا ذكر فهو نادر جداً ولا يزيد علي قوله : كما قال المفسرون أو كما ذكر المفسرون ، فمثلاً عند تفسير لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا..﴾ البقرة: ٢١٩ ، قال - رحمه الله - : "أمر الله نبيه أن يبين لهم منافعها ومضارها وذلك كمقدمة لتحريمها وبين مضارها من ذهاب العقل والمال والصد عن ذكر الله والصلاة والعداوة والبغضاء أكبر مما يظنونه من نفعهما من كسب المال بالتجارة بالخمير وكان هذا البيان زاجراً للنفوس عنهما لأن العاقل يرجح ما ترجحت مصلحته ويتجنب ما ترجحت مضرته ولكن لما كانوا قد ألفوها وصعب التحريم بتركها أول وهلة قدم هذه الآية مقدمة للتحريم، ولهذا لما نزلت آية تحريم الخمر قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: انتهينا انتهينا (٢).

- في قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى..﴾ مريم: ٧٦، قال - رحمه الله - لما ذكر أنه يمد للظالمين في ضلالهم ذكر أنه يزيد المهتدين هداية من فضله عليهم ورحمة والهدى يشمل العلم النافع والعمل الصالح ، فكل من سلك طريقاً في العلم والإيمان والعمل الصالح زاده الله منه وسهله عليه ويسره له ووهب له أموراً أخرى لا تدخل تحت كسبه وفي هذا دليل علي زيادة الإيمان ونقصه كما قال السلف الصالح (٣) ولا شك أن السلف الصالح هم الصحابة والتابعون ومن بعدهم وهكذا نجد أنه يستشهد بأقوالهم مع عدم ذكر لأشخاصهم وإنما علي سبيل الجملة لا التفصيل في بيان معني الكلاله في قوله تعالى ﴿... وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً...﴾ النساء: ١٢ ، قال - رحمه الله - (وله أخ أو أخت أي : من أم كما هي في بعض القراءات وأجمع العلماء علي أن

(١) عطاء بن أبي رباح : اسمه أسلم القرشي مولاهم أبو محمد المكي روي عن خلق كثير قال ابن المديني : هو مولى حبية بنت ميسرة بن أبي خيثم نشأ بمكة وانتهت إليه الفتوى فيها وكان ثقة فقيها عالماً كثير الحديث وكان أعلم الناس بالحج ومات عن مائه سنه " تهذيب التهذيب ج٧ ص١٧٩-١٨١ رقم ٣٨٥ .

(٢) مختصر ابن كثير ج١ ص١٩٢-١٩٣ ، تفسير الشعراوي ج٢ ص٩٣٩ بالتفاصيل ، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١٧٥

(٣) مختصر ابن كثير ج٢ ص٤٦٣ بنحوه ، انظر فتح القدير ج٣ ص١٣٤٨ ، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٢١٧ .

المراد بالاخوة هنا الأخوة للام فإذا كان يورث كلاله أي ليس للميت والد ولا ولد أي: لا أب ولا جد ولا ابن ولا ابن ابن ولا بنت ولا بنت ابن وإن نزلوا وهذه الكلاله كما فسرها أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد حصل علي ذلك الاتفاق والله الحمد(١).

- وفي بيانه لميراث الجد في آيات المواريث قوله - رحمه الله - : (وأما ميراث الجد مع الاخوة الأشقاء أو لأب وهل يرثون معه أم لا ؟ فقد دل كتاب الله علي قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه : إن الجد يحجب الإخوة الأشقاء أو لأب أو لأم كما يحجبهم الأب وبيان ذلك أن الجد أب في غير موضع من القرآن كقوله تعالى: ﴿... إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ...﴾ البقرة: ١٣٢.... وإذا كان ابن الأختين ابن الصلب فلم لا يكون الجد بمزلة الأب؟ وإذا كان جد الأب مع ابن الأخت، فقد اتفق العلماء علي أنه يحجبه ، فلم لا يحجب جد الميت أخاه ؟ فليس مع من يورث الاخوة مع الجد نص ولا إشارة ولا تنبيه ولا قياس صحيح (٢) .

- وهكذا ترى : أن الشيخ السعدي - رحمه الله - قد استشهد في تفسيره بأقوال الصحابة رضي الله عنهم بمواضع قليلة جداً في القرآن إما بذكر اسم الصحابي أو مصطلح يدل عليهم كقوله : السلف الصالح مع أن الأصل أن يوعز الرأي لصاحبه .

المطلب الرابع

تفسير القرآن بأقوال التابعين :-

لا شك أن التابعين قد نقلوا عن الصحابة رضي الله عنهم وهم بدورهم " الصحابة " نقلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك يعتبر قولهم حجة، ويؤخذ به في التفسير علي الرأي

(١) مختصر ابن كثير ج١ ص٣٦٤ ، انظر فتح القدير ج١ ص٤٣٤ ، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٣٢١ ، تفسير الشعراوي ج٤ ص٢٠٣٢ .

(٢) مختصر ابن كثير ج١ ص٣٦٤ ، فتح القدير ج١ ص٤٣٢ ، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٣٢٥ .

الراجح لأنه قد اختلف في الأخذ عنهم (١) ومما يدل علي قوة علمهم في التفسير قول مجاهد : عرضت المصحف علي ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلي خاتمته أوقفه عند كل آية منها وأسأله عنها وقتادة يقول : ما في القرآن آية لا وقد سمعت فيها شيئاً (٢) ولذلك استعان الإمام السعدي - رحمه الله - في تفسيره بأقوال التابعين كما هو منهجه في التعامل أقوال الصحابة وهو ندرة النقل عنهم وهذا بيانه .

- عند تفسيره لقوله تعالى ﴿فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ المؤمنون: ٤١، قال - رحمه الله: أي أتبعوا مع عذابهم البعد واللعنة والذم من العالمين ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ الدخان: ٢٩، هذا ومجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم وفيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقداه فيقال عنه " بكت عليه السماء والأرض " ومنه ما روى : " أن الرجل إذا مات ليبيكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصاعده ومهابط رزقه وآثاره في الأرض (٣) وعن الحسن : يبيكي عليه أهل السماء والأرض (٤).

- وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً . . .﴾ طه: ١٢٤ ، قال - رحمه الله - " أي فإن جزاءه أن يجعل معيشتة ضيقة مشقة ولا يكون ذلك إلا عذاباً، و فسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر وأنه تضيق عليه قبرة ويحصر فيه ويعذب جزاء لإعراضه عن ذكر ربه، وهذا إحدى الآيات الدالة علي عذاب القبر قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ غافر: ٤٦، والذي أوجب لمن فسرها بعذاب القبر فقط من السلف وقصدها علي ذلك - و الله أعلم - أخر الآية وأن الله ذكرها في آخرها عذاب يوم القيامة (٥)

(١) الإتيقان ج٢ ص٤١٨، ٤١٧، التفسير والمفسرون ج١ ص١٣٨-١٣٩ بتصرف.

(٢) مختصر ابن كثير ج١ ص١٣، تيسير الكريم الرحمن ص١٣٨.

(٣) أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده " الحافظ أحمد بن المثنى التميمي ٣٠٧هـ - عن أنس بن مالك ، ج٧ ص١٦٠ تحقيق وتخريج / حسين أسد ط١/١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م - دار المأمون للتراث وأخرجه ابن جزير عن ابن عباس موقوفاً : قال : الترمذي غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه وإسناده ضعيف جداً " ج١ ص٧٤-٧٤ طه/٤٠٠هـ دار المعرفة .

(٤) تيسير الكريم الرحمن ج٣ ص٣٥٧، مختصر ابن كثير ج٣ ص٣٠٣، فتح القدير ج٤ ص٥٧٧، ٥٧٥ .

(٥) المصدر نفسه ج٣ ص٢٥٨ بتصرف، مختصر ابن كثير ج٢ ص٤٩٧، فتح القدير ج٣ ص٣٩٢ .

-فهنا نجد أن الشيخ السعدي - رحمه الله - لم يصرح بذكر صاحب القول وإنما أطلق مصطلح " السلف " الذي يدل علي الصحابة والتابعين ومن بعدهم وقد ذكر الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية بعد أن ذكر أقوال الصحابة والتابعين: أن المقصود بالمعيشة الضنك هو عذاب القبر برواية سفيان بن عيينة(١) عن أبي سعيد قال: يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه (٢) .

- في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً . . .﴾ .
سبأ: ١٨ ، قال رحمه الله : منها أن الله لما علم احتياجهم في تجارتهم ومكاسبهم إلي الأرض المباركة الظاهر أنها : قرى صنعاء كما قال غير واحد من السلف وقيل أنها الشام هيأ لهم من الأسباب ما به تيسير وصولهم إليها بغاية السهولة من الأمن ، وعدم الخوف وتواصل القرى بينهم وبينها بحيث لا يكون عليهم مشقة بحمل الزاد والمزاد(٣) وهكذا نجد الإمام السعدي - رحمه الله - يستشهد بأقوال السلف الصالح وكأنه يفرق بين الصحابة، والسلف الصالح فعندما يريد الصحابة يصرح بذلك أما ما عداهم يقول السلف الصالح .

- مثال آخر : كان - رحمه الله - يستشهد بأقوال التابعين ورواياتهم في تدعيم أسباب النزول وذلك عندما ذكر سبب نزول قوله تعالى ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾ ، فقال : وقال حماد بن سلمة(٤) عن علي بن يزيد عن سعيد بن المسيب قال : وذكر الرواية (٥) فسعيد بن المسيب **رضي الله عنه** من سادات التابعين، ومن الذين تعرضوا للتفسير والحديث .

(١)سفيان بن عينة : ابن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي يسكن مكة ولد سنة ١٠٧ هـ قال ابن المديني ليس في أصحاب الزهري أتقى منه وقال العجلي : ثقة ثبت في الحديث قال ابن الصلاح وجزم في علوم الحديث بأنه مات سنه ١٩٨ هـ وكان انتقاله من الكوفة إلي مكة سنه ٦٣ واستمر بها إلي أن مات نهدى التهذيب ج٤ ص١١٧-١٢٢ -دار صادر ط ١٣٢٥/١ هـ "

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ج٢ ص٤٩٧ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ج٤ ص١٨٣ .

(٤) تقدمت ترجمته ص٣٨ .

(٥) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١٦٤ .

- وكذلك في قوله تعالى: ﴿... وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ النساء: ١١٣، فقال: والحكمة إما السنة التي قد قال فيها بعض السلف: إن السنة تنزل عليه كما ينزل القرآن (١) كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ النجم: ٤، ٣.

خلاصة المبحث :

يتضح مما سبق أن السعدي اهتم بتفسير القرآن بالقرآن بدون ذكر أسماء السور، أو رقم الآيات، حيث ترك ذلك لطالب العلم.
- كذلك فسر القرآن بالسنة النبوية، دون ذكر سند الحديث، أو الراوي الأعلى كذلك شأنه في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.
- وكان الأولي أن يذكر أصحاب الأقوال ولكنه اكتفى بذكر مصطلح السلف الصالح إلا أنه ذكر روايتين بالسند في بعض المواضع من هذا المبحث.

المبحث الثاني

اهتمامه بعلوم القرآن، وفيه سبعة مطالب :

لقد اهتم الشيخ السعدي - رحمه الله - في أثناء تفسيره بعلوم القرآن وكانت واضحة فيه بين المد والجزر فمكثر منها ومقل وسنبين ذلك إن شاء الله في مطالب سبعة في هذا البحث مبينين منهجه وهي كالاتي :

المطلب الأول

اهتمامه بأسباب النزول :-

ونقصد به ما نزل بشأنه قرآن وقت نزوله كحادثة أو سؤال وبذلك يخرج من التعرف ما حدث قبل البعثة من حوادث كحادثة أصحاب الفيل والعلم بأسباب النزول يساعد علي فهم مقصود و القرآن الكريم وإزالة الأشكال وبيان حكمة، لتشريع وتخصيص الحكم عند من يري أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(١) المصدر نفسه ج١ ص٤٠٥ .

قال الواحدى (١) : (لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف علي مقصدها وبيان نزولها، قال ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يعين علي فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالسبب" (٢) ومن خلال تفسير الشيخ السعدي - رحمه الله - وجدناه قد تعرض لهذه العلوم وبخاصة سبب النزول مبيناً معني الآية من خلاله، وذلك بإيراد سبب النزول بالمعني مرة، وبالنص أخرى وثالثة يذكر سند الرواية، وأحياناً يورد سبب النزول بروايتين بسنديهما، ويذكر سبب النزول نقلاً عن المفسرين كذلك وها هي بعض الأمثلة :-

أ- سبب النزول مختصراً: ذكر سبب نزول قوله تعالى ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ البقرة: ٤٤، يقول ما نصه : هذه الآية وإن نزلت في بني إسرائيل فهي عامة لكل أحد لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبِرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الصف: ٢، وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أن يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٣) فكذلك نجد أن السعدي - رحمه الله - قد ذكر سبب نزول الآية هنا علي سبيل الاختصار وبالمعني وأكد أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ب: ذكر سبب النزول في قصة: في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ، ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾ البقرة ٨٤-٨٥ ، قال : وذلك أن الأوس والخزرج وهم الأنصار كانوا

(١) الواحدى : علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن مفسر عالم بالأدب ت: سنة ٦٨هـ - بينسابور لقبه الذهبي يمام

علم التأويل أصله من سادة والواحدى نسبة إلي الواحد بن الدليل بن مهرة له أسباب النزول شرح الأسماء الحسنی.

(٢) الإتيقان : ج٢ ص٦١-٦٢ مناهل العرفان للزرقاني ج١ ص١٠٢ دار إحياء التراث العربي، علوم القرآن د.

عدنان زرزور ص١٢٧ - المكتب الإسلامي.

مناهل العرفان للشيخ عبد العظيم الزرقاني ج١ ص٩٩، ط٣- دار إحياء التراث العربي، الإتيقان في علوم القرآن

للسيوطي ٩١١هـ، ج٢ ص٦١، انظر مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان - ط٩ - مؤسسة الرسالة .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٥٧ مختصر تفسير ابن كثير ج١ ص٥٩ ، فتح القدير ج١ ص٨٠، ٧٩.

قبل مبعث النبي ﷺ مشركين وكانوا يقتتلون علي عادة الجاهلية فنزلت عليهم الفرق الثلاثة من فرق اليهود : بنوقريظة بنوالنضير وبنوقينقاع .

فكل فرقة منهم حالفت فرقة من أهل المدينة فكانوا إذا اقتتلوا أعان اليهودي حليفه على مقاتليه الذين يعينهم الفرقة الأخرى من اليهود، فيقتل اليهود اليهودي ويخرجه من دياره إذا حصل جلاء ونهب ثم إذا وضعت الحرب أوزارها وكان قد حصل أسرى بين الطائفتين فدي بعضهم بعضاً (١) وهكذا أورد السبب بقصة.

ج- ذكر السبب بالنص: قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ . . ﴾

البقرة ١٨٦ ، يقول : هذا جواب سؤال سأل النبي ﷺ بعض أصحابه، فقالوا يا رسول الله: أقریب ربنا فنناجیه أم بعيد فننادیه فنزلت الآية (٢) وهنا أورد السبب بالنص.

- وقوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ . . ﴾ البقرة: ٢٠٧،

يقول : هذه الآية نزلت في صهيب بن سنان الرومي حين أراده المشركون علي ترك الإسلام كما رواه ابن عباس وأنس وسعيد بن المسيب وأبو عثمان النهدي وعكرمة وجماعة غيرهم وذلك أنه لما أسلم بمكة وأراد الهجرة منعه الناس أن يهاجر بماله وإن أحب أن يتجرد منه ويهاجر زحف فتخلص منهم و أعطاهم ماله فأنزل الله فيه هذه الآية فتلقاه عمر بن الخطاب وجماعة إلي طرف الحرة فقال له ربح البيع ربح البيع فقال : وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم وما ذاك ؟ فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية (٣) فهنا أورد السعدي سبب النزول بالمعني علي هيئة القصة ولكننا نجده يورد نفس السبب بطريقة أخرى وهي : ذكر النص بسنده وفي الأولى عدد الرواة الذين رووا السبب فهذا يدل علي تعدد طرقه في العرض، فهذه الرواية

جمعت بين القصة، وبين تعدد الرواة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

(١) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٧٣-٧٤ مختصر ابن كثير ج١ ص٨٥ فتح القدير ج١ ص١١٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١٤٥ ، مختصر ابن كثير ج١ ص١٦٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١٦٣ ابن كثير ج١ ص١٨٤، انظر أسباب النزول للواحدي ص٤٣-مكتبة

د- تعدد روايات أسباب النزول ، الرواية الثانية السبب : قال ويروى أن الرسول ﷺ قال له (ربح البيع صهيب) (١) وحدث أبو عثمان عن صهيب قال : لما أردت الهجرة من مكة إلي النبي ﷺ قالت لي قريش يا صهيب قد جئت إلينا ولا مال لك وتخرج أنت وما لك ؟ والله لا يكون ذلك أبداً فقلت لهم : أرأيتم إن دفعت إليكم مالي تخلون عني ؟ قالوا : نعم فدفعت إليهم مالي فخلوا عني فخرجت حتى قدمت المدينة فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال (ربح البيع صهيب ، ربح البيع صهيب) مرتين (٢).

- وهذه رواية ثالثة لنفس السبب يسندها إلي سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال : وقال حماد بن سلمة - عن علي بن يزيد عن سعيد بن المسيب (٣) قال : أقبل صهيب مهاجراً نحو النبي ﷺ فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وأخرج ما في كنانته ثم قال : يا معشر قريش قد علمتم أنني من أركم رجلاً وأنتم والله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ثم افعلوا ما شئتم وإن شئتم دللتكم علي مالي وقنيتي بمكة ، وخليتم سبيلي ، قالوا له نعم ، فلما قدم علي النبي ﷺ قال (ربح البيع) قال ونزل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد (٤) .

وهكذا نري تعدد الطرق في عرض سبب النزول عند الشيخ السعدي ، وهذا يدل على سعة علمه واطلاعه علي القرآن وعلومه ، وإن كان لا يذكر المصدر الذي أخذ منه غالب الأحيان .

هـ - نقل سبب النزول عن المفسرين : ومن منهج السعدي أيضاً في إيراد سبب النزول أنه ينقله عن المفسرين . فيقول : وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ . . . ﴿آل عمران : ١٨١﴾ ، نزلت في قوم من يهود تكلموا بذلك وذكروا منهم "

(١) تقدم تحريجه ص ٣٧ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن : ج ١ ص ١٦٣ - ١٦٤ ، والحديث تقدم ص ٣٧ .

(٣) تقدمت ترجمته ص ٣٦ .

(٤) أسباب النزول للواحد ص ٤٣ ، تيسير الكريم الرحمن : ج ١ ص ١٦٤ .

- فنحاص بن عازوراء " من رؤساء علماء اليهود في المدينة .
 وأنه لما سمع قول الله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا . . .﴾
 البقرة: ٢٤٥، ﴿. . . وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا . . .﴾ المزمّل: ٢٠، قال علي ، وجه
 التكبر والتجرؤ هذه المقالة قبحه الله فذكرها الله عنهم وأخبر أنه ليس بيدع من
 شنائعهم بل قد سبق لهم من الشنائع ما هو نظير ذلك وهو قتلهم الأنبياء بغير حق
 هذا القيد يراد به أنهم تجرعوا علي قتلهم مع علمهم بشناعته لا جهلاً وضلالاً بل
 تمرداً أو عناداً (١).

ومثال آخر نقلا عن المفسرين : -

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ،
 وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ . . .﴾
 النساء: ١١٣، ١١٢، قال - رحمه الله - وذلك أن هذه الآيات الكريمة قد ذكر
 المفسرون أن سبب نزولها أن أهل بيت سرقوا في المدينة فلما اطلع علي سرقتهم
 خافوا الفضيحة وأخذوا سرقتهم فرموها بيت من هو برئ من ذلك ، واستعان
 السارق بقومه أن يأتوا رسول الله ﷺ ويطلبوا منه أن يبرئ صاحبهم علي رؤوس
 الناس ، وقالوا : إنه لم يسرق وإنما الذي سرقة من وجدت السرقة ببيته وهو البريء
 فهم رسول الله ﷺ أن يبرئ صاحبهم فأنزل الله هذه الآيات تذكيراً وتبيناً لتلك
 الواقعة تحذيراً للرسول من المخاصمة عن الخائنين فإن المخاصمة عن المبطل من
 الضلال، فحفظ الله رسوله عن هذا النوع من الضلال كما حفظه عن الضلال، في
 الأعمال (٢).

هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب ؟ :

(١) مختصر ابن كثير ج١ ص٣٤٢ ، تيسير الكريم الرحمن : ج١ ص٢٩٨ ، بالمعني تفسير الشعراوي
 ج٣ ص١٩١٧-١٩١٨ ، بالتفصيل عن ابن عباس رضي الله عنها .

(٢) تيسير الكريم الرحمن " ج١ ص٤٠٥ بتصريف يسير، ذكر القصة العلامة ابن كثير في تفسيره ج١ ص٤٣٤
 بالتفصيل عن الترمذي وابن جرير من حديث قتادة بن النعمان ، تفسير الشعراوي ج٥ ص٢٦٢ باختصار شديد .

إن الشيخ السعدي يؤمن أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب في كثير من آيات القرآن الكريم. وهذا رأي جمهور العلماء.

- يقول: - رحمه الله - فمتى وجدت نكرة واقعة بعد المذكورات، أو وجدت مفردة مضافة إلي معرفة فأثبت جميع ما دخل في ذلك اللفظ، ولا تعتبر سبب النزول وحده، فإن " العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب " (١).

- وقد جعل هذه القاعدة المذكورة من القواعد التي يركز عليها المفسر في تفسيره لكتاب الله وجعلها من جملة القواعد في تفسير القرآن في مصنف مستقل أسماه "القواعد الحسان لتفسير القرآن" (٢).

- والآن مع أمثله علي ذلك من خلال تفسيره الذي بين أيدينا : فمثلاً في قوله تعالى حكاية عن بني إسرائيل ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ . . ﴾ البقرة: ٤٤ ، يقول : وإن كانت قد نزلت في بني إسرائيل فهي عامة لكل أحد لقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كُبِرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف: ٢(٣).

- وكذلك في قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ . . ﴾ البقرة ٢٠٧، قال : وأما الأكثر ون فحملوا ذلك علي أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله كما قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ التوبة: ١١١، ولما حمل هشام بن عامر بين الصفين أنكر عليه بعض الناس فرد عليهم عمر بن الخطاب وأبو هريرة وغيرهما وتلوا هذه الآية (٤).

- فبعد هذه الأمثلة تبين لنا : أن الشيخ السعدي - رحمه الله - قد اتخذ هذه القاعدة منهجاً يسير عليه في الأوامر والنواهي، وهذا واضح في قوله " وهذا الأصل اتفق عليه المحققون

(١) تيسير الكريم الرحمن ج ٥ ص ٤٤٦ راجعة وقدمه له طه سعد دار الصفا - مكتبة الأوس .

(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي ص ٦ - دار الاستقامة ط ١٤٠٥/١هـ - ١٩٩٥ م .

(٣) مختصر ابن كثير ج ١ ص ١٨٥، فتح القدير ج ١ ص ٢١٠ بنحوه، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٦٤،

(٤) تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٥٧ .

من أهل الأصول وغيرهم ، فمتي راعيت هذه القاعدة حق الرعاية ، وعرفت ما قاله المفسرون من أسباب النزول : إنما هو علي سبيل المثال لتوضيح الألفاظ ، وليس معاني الألفاظ والآيات مقصورة عليها (١) .

المطلب الثاني

قلة استعراضه للقراءات القرآنية :-

قبل أن ندخل في منهج السعدي في عرضه للقراءات القرآنية لابد أن نتعرف علي معني القراءات لغة واصطلاحاً .

القراءات : جمع قراءة والقراءة من الفعل قرأ ، قرأت الشيء قرأنا : جمعه وضممت بعضه إلي بعض ، ومعني القرآن معنى الجمع وسمي قرآناً ، لأنه يجمع السور فيضمها ، ومنه قولهم : ما قرأت هذه الناقة سلى قط ، وما قرأت جنيناً قط : أي لم يضم رحمها على ولد (٢)

اصطلاحاً : علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله (٣) وهذا تعريف الإمام ابن الجزري والمقرئ : العالم بها أداء ورواها مشافهة (٤) .

وعرفها البنا الدمياطي (٥) بقوله : (اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف والسبب الداعي إلي أخذ القراءة عن القراء المشهورين دون غيرهم أنه لما كثر الاختلاف فيما يحتمله رسم المصاحف العثمانية التي وجهها - رضي الله عنه - إلى

(١) القواعد الحسان للسعدي ص ٦ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ٤ ص ٣٤٦٣ دار المعارف تحقيق / عبد الله الكثير محمد حسب الله ، هشام الشاذلي .

(٣) النشر في القراءات العشر لابن الجزري سنة ٨٣٣هـ ، ج ١ ص ١٠ دار الكتب العلمية ، انظر علوم القرآن د. عدنان زرزور ص ١٨٢ ، المغني في علم التجويد د. عبد الرحمن الجمل ص ١٩ فكري عبد اللطيف - ط ١٤١٨/١هـ .

(٤) تحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للعلامة الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي الشهير بالبنا ، - ١١١٧هـ ص ٦ وضع حواشيه : الشيخ أنس مهرة - دار الكتب العلمية ط ١٤١٩/١هـ - ١٩٩٨ م .

(٥) تحاف فضلاء البشر ص ٧-٨ بتصرف .

(٦) البنا الدمياطي : أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي ، الشهير بالبنا ، عالم بالقراءات ، ولد ونشأ بدمياط أخذ عن علماء القاهرة والحجاز واليمن ، توفي في المدينة حاجاً ، ودفن في البقيع من كتبه : تحاف فضلاء البشر ، اختصار السيرة الحلبية ، علي شرح المحلي لإمام الحرمين (الأعلام ج ١ ص ٢٤٠) .

الأمصار فصار أهل البدع يقرأون حسب أهوائهم فكان لا بد من اختيار أئمة ثقات تجردوا للاعتناء بالقرآن ، فاخترتوا من كل مصر وُجّه إليه مصحف أئمة مشهورين بالثقة والأمانة والضبط وتفرغوا لهذا العلم واشتهر أمرهم وذاع صيتهم وأجمعوا علي عدالتهم ثم إن هؤلاء الأئمة تفرقوا في الأمصار وأخذ عنهم خلق كثير فكثير الاختلاف وقل الضبط فلا بد من وضع ميزان يرجع إليه في ذلك وهو .

اتصال السند وموافقة الرسم وموافقة وجهاً من العربية ، فهذه الأوصاف ضابط القراءة الصحيحة ، ولو كانت عن العشرة حتى اشتهر في الآفاق سبعة من القراء وهم الذين اختارهم الإمام ابن مجاهد - رحمه الله - (٣)

- **وإذا نظرنا إلي منهج السعدي في القراءات القرآنية نجد أنه :** لا يوثق القراءة بذكر صاحبها، وإنما يقول وقريء بكذا وكذا. وبذلك لا يعرف القراءة الصحيحة من الشاذة، ولكن أكبر الظن أنه يورد القراءات الصحيحة غالباً ولا يتعرض للشاذة وأحياناً يستشهد بما اشتبه علي كثير من الناس أنه من قبيل القراءات وليس كذلك، وإنما هو تفسير للآيات وضعه بعض الصحابة **رضي الله عنهم** في حواشي مصاحفهم، فظنه الناس أنه من القراءات، وفي بعض المواضع يقوم الشيخ السعدي بتوجيه القراءات، وتأثيرها علي التفسير، ونادر جداً ما يذكر صاحب القراءة أو أهل البلد .

- **ذكر القراءة بذكر إمام واحد أو ذكر أهل البلد الخاصة بهم :** - وفي ذلك قوله تعالى ﴿وصدقت بكلمات ربها وكتبه﴾ التحريم: ١٢، فقال : وعموم المفرد المضاف من قوله " وصدقت بكلمات ربها وكتبه " ، (وكتابه) قرأ أهل البصرة وحفص (وكتبه) علي الجمع (١) .

- عدم ذكر إمام القراءة :

في نفس الآيات حيث قال : وقرأ الآخرون (وكتابه) علي التوحيد (٢) .

- توجيه القراءات وأثرها علي التفسير :

(١) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١٤ ، انظر تحاف فضلاء البشر ص٤١٩ ، صححه/علي محمد الصواع - ط/عبد الحميد حنفي .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١٤ ، تحاف فضلاء البشر ص٤١٩ .

وذلك في قوله تعالى ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ البروج: ١٥، يقول : وخص الله العرش بالذكر لعظمته ولأنه أخص المخلوقات بالقرب منه وهذا علي قراءة الجر يكون " المجيد " نعتاً للعرش وأما علي قراءة الرفع فإنه نعت لله والمجد سعة الأوصاف وعظمتها (١) .

(١) المصدر نفسه ج ٥ ص ٣٨٧ دار الصفا مراجعة / طه سعد ، انظر تحاف فضلاء البشر ص ٤٣٦ .

- الرد علي المخالفين واستنباط الأحكام الشرعية بقراءة الجمهور :
وذلك في آية الوضوء ﴿... وَأَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ...﴾ المائدة: ٦، يقول أثناء عرضة للفوائد والأحكام المستنبطة من الآية .
منها الرد علي الرافضة علي قراءة الجمهور بالنصب وأنه لا يجوز مسحهما ما
دامتا مكشوفتين، وفيه الإشارة إلي مسح الخفين علي قراءة الجر في " وأرجلكم "
وتكون كل من القراءتين محمولة علي معني (١) .

- توجيه القراءات مع الترجيح : وذكر في نفس آية الوضوء السابقة الذكر حيث
اعتمد قراءة الجمهور بالنصب ووجه القراءتين، فقال : فعلى قراءة النصب فيها
غسلهما إن كانتا مكشوفتين وعلي قراءة الجر فيها مسحهما إن كانتا مستورتين
بالخف (٢) .

- ذكر بعض القراءات الموهومة أنها من الصحاح :
لقد اعتبر السعدي بعض تفسيرات الصحابة رضوان الله عليهم من القراءات وهذا
من الوهم كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا . . .﴾ طه: ١٥، فيقول :
﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ أي لابد من وقوعها " أكاد أخفيها " ، أي عن نفسي ، كما في
بعض القراءات كقوله تعالى ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ
اللَّهِ...﴾ الأحزاب: ٦٣ ، وقال : ﴿... وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ . . .﴾ الزخرف: ٨٥ ،
فعلمها قد أخفاه عن الخلائق كلهم فلا يعلمها ملك مقرب أو نبي مرسل (٣) .

- مناقشة السعدي في هذه القراءة :
لا تعتبر هذه أمثالها من القراءات المعتمدة لأسباب عدة منها:-
أن القراءة الصحيحة لابد لها من توفر ثلاثة شروط وهي :
أ- اتصال السند : وهذه الرواية وردت عن شخص واحد وضعت في مصحفه
للتفسير فقط .

ب- موافقة وجه من أوجه العربية : وهذه غير متحققة ؛ لأن الرواية جاءت زيادة
علي كلام الله ، وإنما القراءة تكون في نفس الكلمة من القرآن باختلاف
الألفاظ في النطق .

ج- موافقة الرسم ولو احتمالاً : وهذا أيضاً منفي في هذه الرواية لنفس السبب
السابق (٤) .

(١) تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٤٦١ دار الذخائر، انظر تفسير القرطبي ج ٣ ص ٢٠٨٩، ٢٠٨٨، كتاب الشعب .
(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص ٥٧٦ وما بعدها - دار الفكر ، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٤٦١
(٣) مختصر ابن كثير ج ٢ ص ٤٧١ ونسبها لابن مسعود ؓ انظر روح المعاني ج ٦ ص ١٧٢ ، تيسير الكريم الرحمن ج ٣ ص ٢٢٧ دار
الذخائر
(٤) الإتقان ج ١ ص ١٦٩ ووصفه بالمدرج ، اتحاف فضلاء البشر ص ٦ بتصرف ، انظر علوم القرآن. زرزور ص ١٨٧ .

أمثلة من القرآن علي هذه الروايات التفسيرية ومناقشتها : -

وهناك في القرآن وردت أمثلة كثيرة مشابهة للمثال الذي ذكرناه هنا منها :

١. قوله تعالى ﴿... وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ...﴾ النساء: ١٢ قضية الكلاله، تحت عنوان بيان معني الكلاله ونصيبيها في الميراث " يقول : (ثم قال تعالى " وإن كان رجل يورث كلاله أو امرأة وله أخ أو أخت أي : من أم، كما هي في بعض القراءات، وأجمع العلماء علي أن المراد بالإخوه هنا الاخوة لأم (١) .

خلاصة القول : أن المعنى صحيح بإجماع العلماء، ولكنه ليس علي سبيل أنه قرآن يتلى وإنما هو لما قلنا من باب بيان نوع الأخ هل هو من الأم أو الأب ؟ وليس له علاقة بالقراءة وقد احتفظ الصحابة بهذه التفسيرات في حواشي مصاحفهم وليس في متونها .

٢. في قوله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا...﴾ المائدة: ٣٨ ، يقول السارق : هو من أخذ مال غيره المحترم خفية بغير رضاه وهو من كبائر الذنوب الموجبة للعقوبة الشنيعة، وهو قطع اليد اليمني كما هو في قراءة بعض الصحابة (٢) .

المطلب الثالث

الحروف المقطعة في أوائل السور :

ويقصد بها : الحروف التي بدئت بها السورة في القرآن الكريم مثل " ألم " في البقرة

وآل عمران و السجدة والعنكبوت و لقمان والروم

- الر : في يوسف ويونس وهود وإبراهيم والحجر

- حم : في غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف

- طسم: في "القصص" و"الشعراء"

- طس: النمل: " المص " في الأعراف ، المر في الرعد، كهيعص في مريم

(١) مختصر ابن كثير ج١ ص٣٦٤ وعزاها لسعد بن أبي وقاص، انظر أحكام القرآن لابن العربي ج١ ص٣٥٠،

تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٣٢١

(٢) تفسير القرطبي ج٣ ص٢١٦٩ ، المصدر نفسه ص٤٨٢ .

- طه في سورة طه "يس" في سورة يس: "ق" في سورة ق، "ص" في سورة ص
- ن في سورة القلم، فهذه تسع وعشرون سورة افتتحت بهذه الحروف منها ما هو آية ومنها ما هو بضع آية، ومنها ما هو آيتان مستقلتان كما في الشورى "حم"، عسق" (١).

وقال الزمخشري لم ترد مجموعة في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكيك وجاء منها علي حرف واحد مثل "ص" وحرفين مثل "حم" وثلاثة مثل "الم" وأربعة حروف مثل المص وخمسة مثل: "كهيعص" لأنه أساليب كلامهم منها ما هو علي حرف وعلي حرفين وعلي ثلاثة حروف وعلي أربعة وعلي خمسة لا أكثر من ذلك (٢).
وقال ابن كثير الدمشقي :-

(ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء في أغلب سور القرآن ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾ البقرة: ٢، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ...﴾ آل عمران: ٢-٣ ﴿المص، كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ...﴾ الأعراف: ١-٢، ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ...﴾ إبراهيم: ١، ﴿الم ، تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾ السجدة: ١ ﴿حم ، تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فصلت: ١ وغير ذلك من الآيات الدالة علي صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر (٣).

اختلاف المفسرين في بيان معنى هذه الحروف :-

قد اختلف المفسرون حول بيان معنى هذه الحروف علي آراء هي :
١. فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا عليها إلى الله، ولم يفسروها، حكاة القرطبي في تفسيره (٤).

(١)الكشاف ج١ص١٠٤، ١٠٣، تفسير الشعراوي ج١ص١٠٥ بتصرف ، انظر علوم القرآن. زرزور ص١٥٢.

(٢) مختصر ابن كثير ج١ص٢٧ بتصرف يسير .

(٣) مختصر ابن كثير ج١ص٢٧ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج١ص١٥٥-٣/ط دار الكتب المصرية، علوم القرآن. زرزور ص١٥٣.

٢. ومنهم من فسرها واختلف هؤلاء في معناها فقال بعضهم : هي أسماء السور قال الزمخشري وعليه إطباق الأكثر وقيل : هي اسم من أسماء الله تعالى يفتح بها السور فكل حرف منها دل علي اسم من أسمائه وصفه من صفاته فالألف مفتاح اسم " الله " واللام مفتاح اسمه " لطيف " والميم " مفتاح اسمه " مجيد " .
وقال آخرون : إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور بياناً لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها حكاة الرازي(١) عن المبرد(٢) وجمع من المحققين وحكاة القرطبي عن الفراء(٣) وقرره الزمخشري(٤) ونصره أتم نصر، وإليه ذهب الإمام ابن تيمية وشيخنا، الحافظ " أبوالحجاج المزي " (٥)(٦).

رأي الإمام السعدي في الحروف المقطعة :

لو تتبعنا رأي السعدي في هذه الحروف من خلال تفسيره لوجدناه متبعاً للرأي الأول وهو : أنه مما استأثر الله تعالى بعلمه(٧).

(١) مفاتيح الغيب ج١ ص٦.

(٢) المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ولد يوم الاثنين في ذي الحجة ليلة العيد سنة ٢١٠هـ وقرأ ثلث كتاب سيبويه علي الجرمي ثم توفي الجرمي فابتدأ قراءته علي المازني وتوفي ليوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ٢٨٦هـ، ودفن بمقبرة باب الكوفة وصلي عليه أبو محمد يوسف بن يعقوب القاضي.

(٣) الفراء أبو زكريا بن يحيى زياد الديلمي الفراء وكان أبرع الكوفيين في علمهم قال احمد بن يحيى لو لا الفراء ما كانت العربية لأنه حضاها وضطها ولولاه لسقطت العربية وقال أبو العباس كتبه لا يوازي بها كتاب توفي في طريق مكة سنة ٢٠٧هـ انظر طبقات النحويين ص ١٣١-١٣٣، انظر طبقات النحوية واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي ت: ٣٧٩، ص ١٠١-١١٠، باختصار تحقيق/محمد أبو الفضل ابراهيم- ط٢/دار المعارف.

(٤) الكشف ج١ ص١٠٤.

(٥) المزي يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج جمال الدين الزكي أبو محمد القضائي الكبر المزي محدث الله بار الشامية في عصره ولد بظاهر حلب سنة ٦٥٤هـ ونشأ بالمرزة وتوفي في دمشق سنة ٧٤٢هـ مهر باللغه ثم بالحديث ومعرفة رجال وصف كتبها منها تهذيب الكمال وتحفة الأشراف (الزركلي ج٨ ص٢٣٦).

(٦) مختصر ابن كثير ج١ ص٢٧، انظر علوم القرآن. زرزور ص ١٥٤، ١٥٥ بالتفصيل.

(٧) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٣١ بتصريف، تفسير القرطبي ج١ ص١٥٥- دار الكتب المصري.

ونقول يتضح مما سبق : أن هذا الرأي عام في كل الأمور فحقيقة الشيء لا يعلمها إلا الله ولكن العلماء يجتهدون لبيان إعجاز القرآن والدليل كما قال الإمام ابن كثير رحمه الله هو : أنه كل سورة افتتحت بهذه الحروف فلا بد أن يذكر الانتصار للقرآن بعدها مباشرة، وهذا في أغلب السور وإلا لكان لكفار قريش منفذ ينفذون منه إلي الطعن في هذه الحروف محتجين أنها ليست لها معنى، وأن مجيئها كان عبثاً.

نلاحظ هنا : أن الشيخ السعدي - رحمه الله - لم يخالف رأي ابن تيمية في هذا الموضوع الذي يرى أن هذه الحروف جاءت لبيان الإعجاز في القرآن، والإمام الشعراوي - رحمه الله - قد أسهب في الحديث عن الحروف المقطعة في تفسيره لذلك سوف نتعرض لها بشيء من الإيجاز والبيان فيقول - رحمه الله - :

- [أن هذه الحروف دليل علي أن هذا القرآن من عند الله وليس من عند رسوله - ﷺ] : وذلك أنه جعل للحروف أسماء ومسميات فالناس ينطقون بمسمى الحروف لا بأسمائها ولا يعرف ذلك إلا بالتعليم والدروس فالرسول ﷺ لم يقرأ ولم يكتب ولذلك لم يكن يعلم شيئاً عن أسماء الحروف فإذا جاء ونطق بأسمائها يكون هذا إعجازاً من الله تعالى بأن هذا القرآن موحى به إليه ﷺ، ولو أنه درس وتعلم لكان شيئاً عادياً أن ينطق بأسمائها، ولكن لو جاء إنسان أمي فإنه يستطيع أن ينطق بمسميات الكاف فيقول مثلاً: كوب فإذا طلب منه أن ينطق بأسمائها فإنه لا يستطيع أن يقول : أنها مكونة من الكاف والواو والباء فبذلك تكون هذه الحروف دليلاً قاطعاً علي صدق الرسالة والرسول (١).

هذه الحروف لها مواضع ينطق بها بأسمائها وأخري ينطق بها بمسمياتها :

فنجد في فواتح السور مثل " الم " ينطق بها بأسمائها فنقول : ألف ، لام ، ميم ، ومواضع أخري ينطق بها بمسمياتها في سورة الشرح مثل ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ الشرح: ١، وفي سورة الفيل ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ . . ﴾ فما الذي جعل الرسول

(١) تفسير الشعراوي ج ١ ص ١٠٣ بتصرف وذلك إشارة إلي قوله تعالى " وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه بيمينك إذا لارتاب المبتلون " العنكبوت: ٤٨، الظلال لسيد قطب ج ١ ص ٣٨ - دار الشروق - ط ١٢ -

﴿ينطق بأسماء الحروف في سورة البقرة ومسمياتها في سورة الشرح والفيل ؟ لا بد أنه ﷺ سمعها هكذا من جبريل عليه السلام ثم بعد ذلك يريدون قراءة القرآن كأبي كتاب نقول لا القرآن له تميز خاص لأنه مرة يأتي باسم الحرف ومرة يأتي بمسماه وأنت لا يمكن أن تعرف ذلك إلا إذا سمعت لقارئ يقرأ القرآن (١) .

يقول الباحث - والله أعلم - : أن الحكمة العامة في ذلك هي : الابتلاء والاختبار في السمع والطاعة لله عز وجل لتؤمن بالقرآن كله من عند الله سواء فهمناه أم لم نفهمه كما قال تعالى ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ . . .﴾ البقرة ١٤٢، ولأن عقول البشر قاصرة عن فهم مراد الله في كتابة وليبقى كتاباً معجزاً علي مر العصور، ولو فهمناه كله وعرفنا أسرار له لم تكن له تلك المعجزة، فهو يختلف عن باقي كتب البشر. وكذلك نجد أن الشيخ السعدي - رحمه الله - قد حدد موقفه من هذه الحروف المقطعة فقال في أول تفسيره لسوره البقرة في قوله تعالى: " الم " وأما الحروف المقطعة في أوائل السور فالأسلم فيها السكوت عن التعرض لمعناها من غير مستند شرعي، مع الجزم بأن الله تعالى لم ينزلها عبثاً بل لحكمة لا نعلمها (٢)

إذا أقر بأن لها حكمة، ولكن لم يبد رأيه فيها لذلك نراه يترك الحديث عنها بعد ذلك في ثمان وعشرين سورة من القرآن ، ففي بداية آل عمران يقول " الم " من الحروف التي لا يعلم معناها إلا الله (٣) وفي أول طه قال " طه " من جملة الحروف المقطعة المفتوح بها كثير من السور، وليس اسماً للنبي ﷺ (٤) (٥)

فقد تحدث الشيخ السعدي عن الحروف أول البقرة لأنها أول سورة ثم تحدث عنها أول آل عمران ليؤكد منهجه ورأيه فيها وتحدث عنها في أول طه ليوضح ما أشكل علي بعض الناس وهو : أن " طه " اسم للنبي ﷺ فنفي هذا القول، أما باقي السور

(١) المصدر نفسه : ج١ ص ١٠٣-١٠٤ بتصرف ومنه إشارة إلي قوله تعالى " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي

يوحى النجم ٣-٤، انظر روح المعاني للألوس ج١ ص ٩٨-دار الفكر.

(٢) انظر روح المعاني ج١ ص ١٠٠ . تيسير الكريم الرحمن : ج١ ص ٣١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن : ج١ ص ٢٢٩ ، انظر إرشاد العقل السليم لأبي السعود ج١ ص ٢٤-دار الفكر.

(٤) تيسير الكريم الرحمن : ج٣ ص ٢٢٣ إرشاد العقل السليم ج٣ ص ٤٤٧ .

(٥) انظر السور الباقية حسب ترتيب المصحف : ج٢ ص ١١٠، ص ٣٣٦، ص ٣٩٢، ص ٤٤٢، ص ٥٠٢ / ج٣ ص ٥، ص ٢٩ ص ١٩١، ص ٤٥٧، ص ٤٩٣ / ج٤ ص ٥، ص ٤٥، ص ٧٥، ص ١٠١، ص ١٢١، ص ٢٢٧، ص ٢٧٩، ص ٣٤٥، ص ٣٨٥، ص ٤٠٩، ص ٤٣٧، ص ٤٦٣، ص ٤٧٥ / ج٥ ص ٣، ص ٧٦، ص ٢٧٦ " طبعة دار الصفا - تحقيق / طه سعد " .

المشتملة علي تلك الحروف فقد ضرب عنها صفحاً لعدم التكرار، وسار السعدي علي درب صاحب كتاب: "التسهيل لعلوم التنزيل (١) ولكنه لم يبد رأيه فيها.

المطلب الرابع

الناسخ والمنسوخ :

لا شك أن الناسخ والمنسوخ في القرآن علم مهم له أهميته وخطره إن لم يؤخذ بالحسبان والذي يجهله لا يحق له التصدي لتفسير القرآن، وقبل أن نخوض في هذا الموضوع لابد أن نتعرف علي معني النسخ لغة وشرعاً .

النسخ لغة : يرد النسخ بمعني الإزالة ومنه قوله ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ. . .﴾ الحج: ٥٢، وبمعني التحويل كتناسخ الموارد بمعني تحويل الميراث من واحد إلي واحد، وبمعني النقل من موضع إلي موضع، ومنه نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه حاكياً للفظه وخطه (٢) .

ويقول الإمام الشعراوي : كلمه نسخ معناها نزيل آيه كانت موجودة ونأتي بآية أخرى بدلاً منها كما يقال نسخت الشمس الظل ... أي كان موجوداً و جاءت الشمس فحجبته وحلت هي مكانه ويقال نسخت الكتاب أي نقلته إلى صورة متعددة، ونسخ الشيب الشباب أي أصبح الشاب شيخاً (٣) .

اصطلاحاً: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي (٤) في نفس الموضوع متأخراً عنه (٥).

مدي أهمية علم الناسخ والمنسوخ في تفسير القرآن :

لا يحق التصدي لتفسير القرآن لأي إنسان ما دام جاهلاً بهذا العلم، والأدلة

علي ذلك كثيرة منها : قول علي رضي الله عنه لقاضي (١) أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟

(١) التسهيل لابن جزي ج١ ص٩٩، ٣٥- دار الكتاب العربي، ط٢/١٣٩٣هـ.

(٢) انظر لسان العرب ج٣ ص٦١، البرهان في علوم القرآن للزركشي ج٢ ص٢٩- دار إحياء الكتب العربية ط١/١٣٧٦هـ، انظر الإتقان ج٢ ص٤٤ ، انظر مناهل العرفان للزقاني ج٢ ص٧١ ودراسات في القرآن

وعلومه : د. عصام زهد ص٢١-٢٢ ط/١٤١٦هـ - ١٩٩٦م - مطبعة مقداد غزة.

(٣) انظر مختصر ابن كثير ج١ ص١٠٣- دار القرآن الكريم . تفسير الشعراوي " ج١ ص٥٠٨.

(٤) مناهل العرفان ج٢ ص٧٢ .

(٥) انظر علوم القرآن. زرزور ص١٩٤ ، دراسات في القرآن وعلومه د. عصام زهد : ص ٢٢ .

قال: لا قال : هلكت وأهلكت أي أهلكت نفسك وهلك من اتبعك على الضلال ، وقد ذكر الإمام المحقق أبو القاسم(٢): هذه الرواية بتوسع بالإضافة إلى رواية أخرى عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنهما قالوا لرجل آخر مثل قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - أو قريباً منه (٣) .

وقال : حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

لا يقصن علي الناس إلا ثلاث : أمير أو مأمور ورجل عرف الناس والمنسوخ والرابع متكلف أحق (٤) وقال : هذا هو الصحيح (٥) .

سبب تأليف أبي القاسم لكتاب "الناسخ والمنسوخ" :

يقول : ولما رأيت المفسرين قد تهالكوا علي هذا العلم ولم يأتوا فيه وجه الحفظ وخطوا بعضه ببعض ألفت هذا الكتاب ليقرب علي من أحب تعليمه وتذكراً لمن علمه وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيت (٦) .

وقال أيضا : فأول ما ينبغي لمن أحب أن يتعلم شيئاً من علم هذا الكتاب أي " القرآن العظيم " الابتداء في علم الناسخ والمنسوخ اتباعاً لما جاء عن أئمة السلف - رضي الله عنهم أجمعين - لأن كل من تكلم في شيء من علم هذا الكتاب العزيز ولم يعلم الناسخ والمنسوخ كان ناقصاً (٧)

(١) الإقتان : ج٢ ص٤٤ ، أسباب النزول وبها مشه الناسخ والمنسوخ للواحدى تأليف الشيخ أبي القاسم هبة الله بن سلامة أبي النصر - مكتبة المتنبى، بدون تاريخ.

(٢) هو أبو القاسم : هبة الله بن سلامة : بن نصر بن علي أبو القاسم مفسر ضرير من أهل بغداد، وبها وفاته كانت له حلقة في جامع المنصور له كتب منها : الناسخ والمنسوخ في القرآن صغير من رواية رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز التميمي والناسخ والمنسوخ في الحديث في التيمورية الأزهرية توفي سنه ٤١٠هـ - ١٠١٩م " الأعلام للزركلي ج٨ ص٧٢ ."

(٣) هامش أسباب النزول للواحدى : ص ٧ .

(٤) هامش أسباب النزول ص٧-٨ .

(٥) المصدر نفسه ص٨ وله تكملة من كلام المؤلف أبي القاسم .

(٦) هامش أسباب النزول ص٨-٩ .

(٧) نفس المصدر ص٤-٥ ، انظر النسخ في القرآن الكريم د.مصطفى زيد ج١ ص١٥، ١٤- دار الوفاء-

ط٣/١٤٠٨هـ.

وبعد هذه الأدلة المستفيضة ندرك أهمية هذا العلم لمن علمه وخطره الشديد علي من جهله كما قال علي رضي الله عنه للقاضي عبد الرحمن بن داب (١).

شروط النسخ :

١. أن يكون الحكم المنسوخ شرعياً .
٢. أن يكون الدليل علي ارتفاع الحكم خطاباً شرعياً متراخياً عن الخطاب المنسوخ حكمه
٣. ألا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيداً بوقت معين، وإلا فالحكم ينتهي بانتهاء وقته، ولا يعد هذا نسخاً (٢) .

قال مكي بن أبي طالب (٣) ذكر جماعة أن ما ورد من الخطاب مشعراً بالتوقيت والغاية قبل قوله في سورة البقرة ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ... ﴾
١٠٩،

٤. أن يكون بين ذلك الدليلين تعارض حقيقي (٥) .

ما يقع فيه النسخ :

١- يقع النسخ في الأوامر والنواهي سواء كانت طلباً صريحاً أو كانت بلفظ الخير الذي بمعنى الأمر أو النهي علي أن يكون ذلك غير متعلق بذات الله وصفاته وأركان الإيمان أو الآداب الخلقية أو أصول العبادات والمعاملات لأن مثل هذه الأمور لا نسخ فيها .

٢- كما لا يدخل النسخ الخير الصريح الذي ليس بمعنى الطلب كالوعد والوعيد (١) .

(١) وهو صاحب أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) مباحث في علوم القرآن مناع القطان : ص ٢٣٢ ، انظر مناهل العرفان : ج ٢ ص ٧٦، انظر النسخ في القرآن ج ١ ص ١٨٠ .

(٣) مكي بن أبي طالب : حمشى بن محمد ولد سنة ٣٥٥ هـ بالقيروان قرأ القراءات علي ابن غليون ولي خطابة قرطبة له ثمانون تأليفاً مشهور بالصلاح وإجابة الدعوة توفي في ٢/ محرم سنة ٤٣٧ هـ (معرفة القراء الكبار ج ١ ص ٣٩٤) .

(٤) مباحث في علوم القرآن : ص ٢٣٣ .

(٥) مناهل العرفان : ج ٢ ص ٧٦ .

طريق معرفة الناسخ والمنسوخ :

- النقل الصريح عن النبي ﷺ أو عن صحابي كحديث (كنت نهيتكم عن زيارة القبور إلا فزوروها) (٢) .
- إجماع الأمة علي أن هذا ناسخ وهذا منسوخ عند وجود التعارض.
- معرفة المتقدم من المتأخر في التاريخ .

بيان معنى النسخ عند الشيخ السعدي - رحمه الله - :

لقد ذكر الشيخ السعدي في تفسيره بيان معنى النسخ في القرآن والحكمة الإلهية من روائه ، ولكن بإيجاز وكذلك إنكار اليهود له مع وجوده في التوراة عندهم فكفرهم به وإنكارهم له عن هوي متبع فيقول : " النسخ هو النقل فحقيقة النسخ نقل المكلفين من حكم مشروع إلي حكم آخر أو إسقاطه ، وكان اليهود ينكرون النسخ ويزعمون أنه لا يجوز وهو مذكور عندهم في التوراة ، فإنكارهم له كفر وهوى محض فأخبر الله تعالى عن حكمته في النسخ فقال: " ما ننسخ من آية أو ننسها ، أي ننسها العباد فنزيلها من قلوبهم مصلحة لهم من الحكم الأول، وأنفع لهم فدل على أن النسخ لا يكون إلا مصلحة، لأن فضله تعالى يزداد خصوصاً علي هذه الأمة، وأخبر أن من قدح في النسخ قدح في ملكه وقدرته، فقال: ﴿... أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة ١٠٦، ومن تأمل ما وقع في القرآن والسنة من النسخ، عرف بذلك حكمة الله ورحمته لعباده، وإيصالهم إلى مصالحهم من حيث لا يشعرون بلطفه (٣)

عرض السعدي لآراء المفسرين في آيات النسخ ومناقشتها :

-
- (١) الإتيان : ج ٢ ص ٤٥ ، مباحث في علوم القرآن : ص ٢٣٣ باختصار، انظر تفسير الشعراوي ج ١ ص ٥١٣ - ٥١٤ ، انظر النسخ في القرآن ج ١ ص ١٨٠ .
- (٢) رواه الحاكم أبو عبد الله في المستدرک : ج ١ ص ٥٣٠ عن بريدة عن أبيه ج ١٣٩١ - دار الكتب العلمية - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م - ط ١ / بحقق / مصطفى عبد القادر عطا وقال : صحيح علي شرط مسلم ولم يخرجاه .
- (٣) تيسير الكريم الرحمن : ج ١ ص ٨٣ - ٨٤ بتصرف، انظر التفسير المنير ج ١ ص ٢٦٢ ، ٢٦١ .

في قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة ١٨٠ .

يقول : " واعلم أن جمهور المفسرين يرون أن هذه الآية منسوخة بآية المواريث، وبعضهم يرى أنها في الوالدين والأقربين غير الوارثين مع أنه لم يدل على التخصيص بذلك دليل، والأحسن في هذا أن يقال : إن هذه الوصية للوالدين والأقربين مجملة ردها الله للعرف الجاري، ثم إن الله قدر للوالدين الوارثين وغيرهما من الأقارب الوارثين هذا المعروف في آيات المواريث بعد أن كان مجملاً، وبقي الحكم فيمن لم يرثوا من الوالدين الممنوعين من الإرث وغيرهما ممن حجب بشخص أو وصف فإن الإنسان مأمور بالوصية لهؤلاء وهم أحق الناس ببره، وهذا القول تتفق عليه الأمة، ويحصل به الجمع بين القولين المتقدمين، لأن كلاً من القائلين بهما كل منهما لحظ ملحظاً، واختلف المورد فبهذا الجمع يحصل الاتفاق والجمع بين الآيات ، فإن أمكن الجمع كان أحسن من إدعاء النسخ، الذي لم يدل عليه دليل صحيح " (١) .

مناقشة رأي السعدي فيما ذهب إليه :

إن دعوى الشيخ السعدي بأن هذه الآية غير منسوخة غير صحيح لما يأتي : -

- قول ابن عباس رضي الله عنهما في الآية ﴿ . . . الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ . . . ﴾ البقرة: ١٨٠، نسختها هذه الآية ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ . . . ﴾ النساء: ٧ (٢)

- وهذه الرواية موجودة في صحيح البخاري مرفوعة لابن عباس رضي الله عنهما.

(١) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١٤٢ بتصرف يسير جداً والظاهر أنه رأي الشعراوي أيضاً لأنه لم يتكلم عن النسخ في هذه الآية ج١ ص٧٥٩ .

(٢) مختصر بن كثير ج١ ص١٥٧، انظر التفسير المنير ج١ ص١٢١، ١٢٠ .

- قول جمهور المفسرين : أن هذه الآية ناسخة لوجوب الوصية للوالدين والأقربين الوارثين بالإجماع ، بل منهي عنه للحديث " إن الله قد أعطي كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث " (١)

- إن الشيخ السعدي يقول : أنه لم يدل علي النسخ دليل صحيح وهذا غير صحيح لأن الإمام البخاري رحمته الله قد ذكر رواية عن ابن عباس في هذا الشأن وليس شيء أصح من أحاديث البخاري إلا القرآن الكريم .

- وأيد القول بالنسخ الإمام أبو القاسم بن سلامة بقوله : " كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت ... الخ " نسخت بالكتاب والسنة فالكتاب قوله ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ مِثْلِ الْأُنثَيَيْنِ . . .﴾ النساء : ١١ ، والسنة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وصية لوارث " - ومنهم من قال : إن من لم يوص فقد ختم عمله بمعصية ، وهو حديث عندهم .

- وقال آخرون أنها محكمة (٢) .

مثال آخر : آية الصيام ﴿ . . . وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامَ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة : ١٨٤ .

يقول : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ ﴾ أي : يطيقون الصيام " فدية " عن كل يوم يفطرونه " طعام مسكين " وهذا في ابتداء فرض الصيام ، لما كانوا غير معتادين للصيام وكان فرضه حتماً فيه مشقة عليهم ، دربهم الرب الحكيم بأسهل طرق وخير المطيق للصوم بين أن يصوم وهو أفضل أو يطعم ولهذا قال ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ ثم بعد ذلك جعل الصيام حتماً على المطيق ، وغير المطيق يفطر ويقضيه في أيام آخر (٣) .

(١) صحيح البخاري : ج ٣ ص ١٠٠٨ باب لا وصية لوارث ج ٢٥٩٦ عن ابن عباس مرفوعاً ورواه الترمذي

ج ٤ ص ٤٣٣ باب ما جاء لا وصية لوارث ج ٢١٢٠ عن أبي أمامة الباهلي ، وقال : حسن صحيح .

(٢) هامش أسباب النزول لأبي القاسم هبة الله بن سلامة ص ٥٤ ، التفسير المنير ج ١ ص ١٢٢ عن الفخر الرازي .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٤٤ .

- وكذلك كان رأي الإمام ابن كثير - رحمه الله - حيث قال في آية الصيام: ١١، وهذه الآية نسخت الإباحة المتقدمة لمن كان صحيحاً مقيماً أن يفطر ويفدي بإطعام مسكين عن كل يوم كما تقدم بيانه (١) أما الإمام الشعراوي - رحمه الله - فقد اعتبرها من قبيل التدرج في التشريع مثل الخمر وآية الوصية في الميراث (٢) .
نقول وبالله التوفيق : إن الرأي الصواب هو رأي النسخ عندما قال في هذه الآية ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ (٣) ثم نسخ بآية ثبوت الشهر وهو رأي أكثر المفسرين .

- ولكن الشيخ الزرقاني قال بالنسخ في الآية في مناهل العرفان : (٤) واستدل علي ذلك : بأن الحذف الذي قدره خلاف الأصل، وبالحدِيث الذي ذكره أبو جعفر النحاس في كتابه "الناسخ والمنسوخ" عن سلمة بن الأكوع (٥) أنه قال: لما نزلت " وعلي الذين يطيقونه فدية : كان من شاء منا صام ومن شاء أن يفدي فعل حتى نسختها الآية التي بعدها (٦) .

الرد علي رأي السعدي :-

- وبهذا نرد علي قوله درجهم الرب الحكيم وفي هذا نظر لأن التدرج يتنافى مع النسخ الذي لا يكون إلا في الأوامر والنواهي أما التدرج فيكون فيما اعتاد عليه الناس من الخبائث كما هو معروف كالتدرج في تحريم الخمر .
 مثال آخر : قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ . . .﴾ البقرة: ٢٤٠ .

(١) مختصر تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٦١ .

(٢) تفسير الشعراوي ج ٢ ص ٧٧٠ باختصار .

(٣) رأي أكثر أو جمهور المفسرين مثل ابن كثير والشيخ الزرقاني وانظر فتح القدير ج ١ ص ١٨١ .

(٤) مناهل العرفان ج ٢ ص ١٥٥ .

(٥) سلمة بن الأكوع : هو سلمة بن عمرو بن الأكوع قال أهل الحديث ينسبونه إلي جده ، كان ممن بايع تحت الشجرة سكن الربذة وتوفي في المدينة سنة ٧٤هـ وهو ابن ثمانين سنة وهو معدود من أهلها كان شجاعاً رامياً شخياً خيراً فاضلاً روي عنه جماعة من تابعي المدينة أنه كلم الذئب ، انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ج ٢ ص ٦٣٩ ، رقم: ١٠١٦ - دار الجليل - ط ١٤١٢/١هـ ، تحقيق/علي محمد الجاوي .

(٦) رواه البخاري : ج ٢ ص ٦٨٧ ، كتاب الصوم باب (وعلى الذين يطيقونه فدية ، ح (٢٨٤٦) .

يقول : اشتهر عند كثير من المفسرين أن هذه الآية الكريمة نسختها الآية التي قبلها وهي قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا. . .﴾ البقرة: ٢٣٤، وكان على الزوجة أن تتربص حولاً كاملاً ثم نسخ بأربعة أشهر وعشر ويجيبون عن تقدم الآية الناسخة أن ذلك في الوضع لا في النزول لأن من شروط الناسخ التأخر عن المنسوخ، وهذا القول لا دليل عليه، ومن تأمل الاثنتين اتضح له أن القول الآخر في الآية هو الصواب .

- وأن الآية الأولى على وجه التحتم علي المرأة ، و أما هذه الآية فهي وصية لأهل الميت أن يبقوا زوجة ميتهم عندهم حولاً كاملاً جبراً لخاطرها وبراً بميتهم (١) .
- ويؤيد هذا الرأي من المفسرين الإمام الشعراوي في تفسيره حيث قال: و المتوفى عنها زوجها بين حكيمين حكم لازم وهو فرض عليها بأن تظل أربعة أشهر وعشراً، وحكم بأن يوصي الزوج بأن تظل حولاً كاملاً لا تهاج إلا أن تخرج من نفسها " وغير إخراج " أي : لا يخرجها أحد ﴿. . . فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ. . .﴾ إن لها الخيار أن تظل عاماً حسب وصية زوجها ولها الخيار في أن تخرج بعد الأربعة الأشهر والعشر (٢) .

وكذلك من المفسرين الإمام ابن كثير - رحمه الله - لم يبد رأياً في هذه المسألة وإنما ذكر رواية عن عطاء ومجاهد ثم علق عليها ومال لرأيهم :-
قال مجاهد وعطاء : إن هذه الآية لم تدل علي وجود الاعتداد سنة كما زعمه الجمهور حتى يكون ذلك منسوخاً بالأربعة أشهر وعشر، وإنما دلت علي أن ذلك من باب الوصية بالزوجات أن يمكن من السكنى في بيوت أزواجهن بعد وفاتهم حولاً كاملاً إن اخترن ذلك فأما إذا انقضت عدتهن بالأربعة أشهر والعشر أو بوضع الحمل واخترن الخروج والانتقال من ذلك المنزل فإنهن لا يمنعن من ذلك للآية (٣) .

(١) البرهان ج٢ ص٣٧، ٣٨ ، تيسير الكريم الرحمن : ج ١ ص ١٩٣-١٩٤ .

(٢) تفسير الشعراوي : ج ٢ ص ١٢٢٨ .

(٣) مختصر ابن كثير : ج ١ ص ٢٢٠ .

تعليق : هذا القول له اتجاه وفي اللفظ مساعد له وقد اختاره جماعة، منهم الإمام

ابن تيمية رحمه الله.

أقول - والله أعلم - وهذا هو الذي جعل الشيخ السعدي يتبنى هذا الرأي " عدم النسخ " لأن إمامه ابن تيمية تبناه ، والله أعلم .

أما الشيخ الزرقاني : فقد خالف هؤلاء الأئمة واختار قول الجمهور بالنسخ (١) .
والذي نراه صواباً هو ما ذهب إليه الشيخ السعدي - رحمه الله - وشيخه حيث قال:-
- (لأن الله لا يجبر واحدة على الاعتداد أكثر من أربعة أشهر وعشر، ولكن هذه المدة مفروضة فما زاد عنها فهو باختيارها).

- من شروط النسخ : تعارض الحكمين " الناسخ والمنسوخ " والمتأمل في هذه الآيات لا يجد تعارضاً بل فرضاً أولاً ثم تخييراً لمن أراد .

- من شروط النسخ : أن يلغى الحكم المنسوخ من قبل الحكم الناسخ بالكلية، ولا يبقى له أثراً.

لكن في هاتين الآيتين نجد أن حكم الاعتداد حولاً كاملاً لم يبلغ نهائياً، وإنما بقي لمن أرادت ذلك ولا يجبرها أحد وفاء لزوجها مثلاً، وهذا ينفي النسخ - والله أعلم بالصواب .

مثال آخر : آية القتال في سورة الأنفال ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ...﴾ ثم قال ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ...﴾ ٦٦.

نقول : إن الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية لم يصرح بأنها منسوخة أو غير منسوخة وإنما قال كلاماً قد يورده البعض ورد عليه مثل أن هذه الآية خبرية وأنه قيد العدد فرد علي الاعتراض الأول بقوله : ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ دليل على أن هذا الأمر لازم وأمر محتم ثم إن الله خففه إلى ذلك العدد فهذا ظاهر في أنه أمر، وإن كان في صيغة الخبر .

(١) مناهل العرفان : ج ٢ ص ١٥٧.

- ويجاب عن الثاني : أن المقصود بتقيد ذلك بالصابرين أنه حث على الصبر، وأنه ينبغي منكم أن تفعلوا الأسباب الموجبة لذلك (١).

- والظاهر من كلام السعدي - والله أعلم - أنه يؤيد القول بالنسخ في هذه الآيات لأنه رد علي القائلين بأنها خبر والنسخ لا يكون إلا بالأمر أو النهي فرد عليهم بأنها خبريه في صيغة الأمر والتحتيم .

- وقد وافق السعدي في رأيه الإمام أبو القاسم في الناسخ والمنسوخ (٢) وابن كثير

في رواية عن ابن عباس رضي الله عنه (٣) والشيخ الزرقاني في مناهل العرفان والسيوطي في الإتقان (٤) وخالفه من المحدثين: الدكتور مصطفى زيد (٥).

- أما الشيخ الشعراوي فخالف وقال : بعدم النسخ، والتخفيف جاء للتخيير (٦) وهكذا نرى الشيخ السعدي ومنهجه في الناسخ والمنسوخ، وأنه يوافق الصواب أحياناً، ويخالفه في أخرى مع بياننا لوجه الصواب، مع تأييده في رأيه . ونرى أن الصواب بعدم النسخ لنص الآية. فالتخفيف غير النسخ.

المطلب الخامس

موقفه من الإسرائيليات

تطلق الإسرائيليات ويقصد بها : ما ورد عن اليهود والنصارى في كتب التفسير ولكن ما ورد عن اليهود أكثر لأنهم عايشوا المسلمين منذ التنزيل ويأخذ اليهود ثقافتهم من التوراة ودلت علي كثير من الأحكام التي ذكرها القرآن الكريم بالإضافة إلي النصائح والشروح التي لم تؤخذ عن موسى - عليه السلام - بطريق الكتابة وإنما تلقوها بطريقة المشافهة، ثم دونت وعرفت باسم التلمود .

- أما النصارى فيأخذون ثقافتهم من الإنجيل المذكور في القرآن، وفيه هدي ونور

(١) انظر تفسير الطبري مج ٦، ج ١٠ ص ٢٧ وما بعدها، دار المعرفة، تيسير الكريم الرحمن : ج ٢ ص ٢٤٤ ، بتصريف دار الصفا.

(٢) الناسخ والمنسوخ ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، هامش أسباب التزل للواحدي ، ص ١٧٧-١٧٩ بتوسع.

(٣) مختصر ابن كثير : ج ٢ ص ١١٧ .

(٤) مناهل العرفان : ج ٢ ص ١٦١-١٦٢ .

(٥) النسخ في القرآن ج ١ ص ٦١٠ .

(٦) تفسير الشعراوي : ج ٨ ص ٤٧٩٩ .

- وإذا أجلنا النظر في التوراة والإنجيل نجد أنها اشتملاً علي كثير من القصص والأخبار التي تعرض لها القرآن الكريم ولكن علي سبيل الإطناب والتفصيل
- أما القرآن الكريم فيختلف في طريقة عرضه لهذه القصص والأخبار لأنه يقتصر في عرضه لها بذكر موضع العبرة والعظة، لأنه كتاب هداية وإعجاز
- ولما كانت النفس البشرية مجبولة علي حب الاستطلاع فإنها وجدت في تلك القصص الروايات بغيتها لإشباع فطرتها من ذكر الأشخاص والبلدان وتفاصيل عن تلك القصص .

- ثم تطرق إليها التحريف والتبديل فأخذوا منها مع الإحجام عن الكثير منها، ثم بعد ذلك أكبوا عليها ينقلون عنها الطيب والخبيث دون تحرر أو نقد حتى عصر التدوين فوصلت إلينا عن طريق كتب التفسير (١) .

موقف المفسرين من الإسرائيليات :

يجب علي المفسر أن يكون حذراً وهو يتناول الروايات الإسرائيلية وذلك لأنه ليس كل ما يقال فهو صدق ولذلك يجب مراعاة الآتي :-

- يجب علي المفسر أن يكون ناقداً ويقظاً لكل ما يأخذ من الإسرائيليات .
- ألا يأخذ عنهم ما كان في شرعنا واضحاً لأن فيه الكفاية.
- الأخذ بقدر الضرورة، لأن الضرورة تقدر بقدرها وما أخذ بقدر الضرورة يجب ألا يتعارض وروح التشريع الإسلامي كذلك .
- لا مانع لأن يأخذ المفسر الأقوال المختلفة عنهم شريطة أن يبين الصحيح من السقيم والغث من السمين مع الدليل (٢) .

- وهذا الذي ذكرناه إنما هو من حيث كيفية النقل والرواية والآن سوف نتعرض لما يجب علي المفسر إزاء هذه الروايات الإسرائيلية من حيث القبول أو الرد أو التحذير بين القبول والرد .

الإسرائيليات من حيث القبول أو الرد :

تنقسم الروايات الإسرائيلية من حيث القبول أو الرد إلى ثلاثة أقسام :

(١) التفسير والمفسرون للذهبي : ج ١ ص ١٧٦-١٧٨ ، التفسير ومناهج المفسرين ، ص ٨٥-٨٦ .

(٢) التفسير والمفسرون ، ج ١ ، ص ١٩١-١٩٣ باختصار ، التفسير ومناهج المفسرين ، ص ٨٧-٨٨ .

القسم الأول : ما أخبر عنه ﷺ (بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) (١) ومثال ذلك :

ما رواه البخاري عن النبي ﷺ أن المقصود بصاحب موسى عليه السلام هو الخضر (٢) وهذا القسم مقبول صحيح .

القسم الثاني : ما كان ظاهر البطلان والكذب ولم يرد في شرعنا أو كان يتنافى مع العقل أيضاً فهو كذب مردود .

القسم الثالث : وهو مسكوت عنه لا يصدق ولا يكذب و هذا القسم تتوقف فيه فلا نصدقه ولا نكذبه ، ويجوز حكايته مصداقاً لقوله ﷺ (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا أمنا بالله وما أنزل إلينا) (٣) (٤) .

وهذا النوع من قبيل الاختلاف بين المفسرين وما لا فائدة منه تعود إلي أمر ديني كالاختلاف في أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم، وعصا موسى وأسماء الطيور التي ذبحها إبراهيم - عليه السلام - وجزء البقرة الذي ضرب القتل به الخ ، فهذا إن جاء عن بعض الصحابة فيها ونعمت و إلا يرد، حتى لو جاء عن بعض التابعين، لا يؤخذ به لكثرة نقل التابعين عن أهل الكتاب (٥) .

(١) سبق تخريجه : ص ٧٠ ، ٧١ .

(٢) صحيح مسلم ج ٤ . ص ١٨٥٣ ، ج (٧٤) في قول ابن عباس عن صاحب موسى هو الخضر .

(٣) صحيح البخاري : ج ٢ . ص ٩٥٣ ، ج ٤ ص ١٦٣٠ ، ج ٦ ص ٢٦٧٩-٢٧٤٢ ، باب قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، ح (٢٥٣٨) ، (٤٢١٥) ، (٦٩٢٨) ، باب قول النبي (لا تسألوا أهل الكتاب) .

(٤) بحر العلوم للسمرقندي ج ١ ص ٥٥-٥٥-دار الكتب العلمية - ط ١٣١٣هـ .

(٥) الإتيان : ج ٢ ص ٣٩١ ، التفسير ومناهجه ، ص ٨٩ ، التفسير والمفسرون : ج ١ ص ١٩٠ .

موقف الشيخ السعدي من الروايات الإسرائيلية :

إن المتتبع لرأي الشيخ السعدي في تفسيره للروايات الإسرائيلية يجد أنه شديد الحذر مع التعامل معها ولا ينصح بأي حال من الأحوال بالأخذ، بها إلا ما روى بطريق صحيح عن النبي ﷺ ورفض حتى ما جوزه الشرع بعدم التصديق والتكذيب فالإي بيان منهجه .

يقول : (واعلم أن كثيراً من المفسرين - رحمهم الله - قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل ونزلوا عليها الآيات القرآنية وجعلوها تفسيراً لكتاب الله محتجين بقوله ﷺ (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) (١).

والذي أراه أنه إن جاء نقل أحاديثهم علي وجه تكون مفردة غير مقرونة ولا منزلة علي كتاب الله فإنه لا يجوز جعلها تفسيراً لكتاب الله قطعاً، إذا لم تصح عن رسول الله ﷺ وذلك أن مرتبتها أن تكون مشکوكاً فيها وكان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن يجب الإيمان به، والقطع بألفاظه ومعانيه . فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة، التي يغلب على الظن كذبها أو كذب أكثرها معاني لكتاب الله مقطوعاً بها ولا يستدل بها أحد ولكن بسبب الغفلة عن هذا حصل ما حصل والله الموفق) (٢) وخالفه صاحب تفسير "بحر العلوم" فأكثر منها (٣).

المقصود من هذا : أن الشيخ السعدي لا يجوز الأخذ عن أهل الكتاب إلا ما كان صحيحاً عن صحابي أما القسم الثالث وهو : الإمساك عنها بعدم الصدق أو الكذب فلا يجعلها من تفسير القرآن بشيء رغم الجواز بالأخذ عنها.

مثال ثاني : في قوله تعالى ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ، فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ الكهف ٨٤ - ٨٥.

(١) تقدم تخريجه ص ٧١ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن : ج ١ ص ٦٨ .

(٣) بحر العلوم للسمرقندي ج ١ ص ٥٥، ٥٤، بدون تعليق علي ما نقله من الإسرائيليات.

يقول : وهذه الأسباب التي أعطاها الله إياها، لم يخبرنا الله ولا رسوله بها ولم تتناقلها الأخبار علي وجه يفيد العلم فلهذا لا يسعنا غير السكوت عنها وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة داخلية وخارجة بها صار له خبر عظيم (١).

- من خلال هذا الكلام يتبين لنا أن الشيخ السعدي قد طبق الحديث الذي يفيد السكوت عن الكلام الوارد إلينا من أهل الكتاب، وفي نفس الوقت آمن بمراد الله في آياته من غير بحث ولا سؤال عما لا فائدة منه .

(ومن المفسرين الذين ضربوا عن الإسرائيليات صفحاً الإمام ابن كثير في نفس الآية حيث قال :

وما يذكره أصحاب القصص والأخبار من أنه سار في الأرض مدة والشمس تغرب من ورائه فشيء لا حقيقة، له، وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب واختلاق زنادقتهم وكذبهم^(٢)، وكذلك صاحب تفسير "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"^(٣).

يذكر الرواية الإسرائيلية وينقضها بالدليل من عنده :

مثال : في قوله تعالى ﴿... مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ النمل: ٢٠، يقول بعد أن قال رأيه في تفسير الآية : ولم يصنع شيئاً من قال إنه تفقد الطير لينظر أين الهدهد منه ليدله على بعد الماء وقربة كما زعموا عن الهدهد أنه يرى الماء في تخوم الأرض فإن هذا القول لا يدل عليه دليل بل الدليل العقلي واللفظي دال على بطلانه .

- **أما الدليل العقلي :** فإنه قد عرف بالعادة أنه لا يوجد حيوان من الحيوانات يبصر مثل هذا البصر الخارق للعادة ولو كان ذلك لذكره الله لأنه من أكبر الآيات .

- **أما الدليل اللفظي :** فلو أريد هذا المعنى لقال " وطلب الهدهد له لينظر الماء فلما فقده قال ما قال " أو " فتش عن الهدهد أو بحث عنه " .

(١) تيسير الكريم الرحمن ج ٣ ص ١٨١ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٤ .

(٣) تفسير البيضاوي ج ١ ص ٦١ - مصطفى الباي الحلبي بمصر - ط ٢/١٣٨٨ هـ .

- إن سليمان عليه السلام لا يحتاج إلي هندسة من أحد لينظر له الماء فهو عنده الجن، فهي مسخرة بأمر من الله سبحانه إذا أراد الماء أتوه به، ولو بلغ من العمق ما بلغ

وقال : وهذه التفسير التي توجد وتشتهر بها أقوال لا يعرف غيرها تنقل هذه الأقوال عن بني إسرائيل مجردة ويغفل الناقل عن مناقضتها للمعاني الصحيحة وتطبيقها على الأقوال ، ثم لا تزال تتناقل وينقلها المتأخر مسلماً للمتقدم حتى يظن أنها الحق فيقع من الأقوال الخاطئة في التفسير ما يقع . واللييب الفطن إذا وجد أقوالاً منقولة عن غير رسول الله ﷺ ردها إلى هذا الأصل فإن وافقته قبلها لأن اللفظ دال عليها ، وإن خالفته لفظاً ومعني أو لفظاً أو معني ردها وجزم ببطلانها؛ لأن عنده أصلاً معلوماً مناقضاً لها، وهو ما يعرفه من معني الكلام وأدلته (١).

تعليق علي اعتراض الشيخ السعدي في تفسيره هذه الآية :-

- إن الذي أنكره الشيخ السعدي - رحمه الله - عن خاصية الهدد وهي : رؤية الماء في تخوم الأرض قد ذكرها ابن كثير في تفسيره لهذه الآية نفسها وهي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه مع رجل من الخوارج وهو : نافع بن الأزرق (٢) والقصة مبسطة بتمامها عند ابن كثير رحمه الله (٣) .

- ثم إن الإمام ابن كثير قد أكد هذه الرواية بعد تفسيره لآية ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . .﴾ النمل: ٢٥، وهي علي لسان الهدد . فقال : هذا مناسب من كلام الهدد الذي جعل الله فيه هذه الخاصية ما ذكره ابن عباس وغيره أنه يري الماء يجري في تخوم الأرض وداخلها (٤) .

(١) تيسير الكريم الرحمن : ج ٣ ص ٥٠٠-٥٠١ بتصرف وحذف لبعض العبارات.

(٢) نافع بن الأزرق : بن قيس الحنفي _ ٦٥هـ - ٦٨٥م) أبو راشد ، رأس الأزارقة وإليه نسبتهم ، كان أمير قومهم وفقههم ، صحب عبد الله بن عباس رضي الله عنه وله أسئلته ، كان من أنصار الثورة علي عثمان رضي الله عنه ومن الموالين علياً رضي الله عنه ولما كان التحكيم خرجوا عليه ، وعرفوا بذلك ، قتل يوم دولاب علي مقربة من الأهواز (الأعلام للزركلي ج٧ ص ٣٥١، ٣٥١) .

(٣) مختصر ابن كثير : ج ٢ ص ٦٦٨ ، وقد ذكر الإمام السيوطي في الإتقان ، مسائل ابن الأزرق ، انظر ج١ ص ٢٥٥-٢٨١ من الكتاب ..

(٤) مختصر ابن كثير ، ج ٢ ص ٦٧٠ ، انظر بحر العلوم ح ٢ ص ٤٩٢ ، تفسير البيضاوي ج ٢ ص ١٧٣ في الحاشية ..

- ونحن نعرف أن ابن كثير في تفسيره لا يسلم بالروايات الإسرائيلية ومن منهجه فيها إذا ذكرها أن يبين صحيحها من سقيمها ولو كانت كذلك لعلق عليها و بين أنها من أقاويل أهل الكتاب - والله أعلم بالصواب، ولا نجزم بما قالوه.

- ولعل ما ذكره ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنه من قبيل ما جوزه الشرع أو سكت عنه وهو مسموح به .

- ثم إن الإمام السيوطي - رحمه الله - نقل في كتابة الإتيان نماذج من المسائل التي طرحها نافع بن الأزرق الخارجي (١) علي ابن عباس ليحرجه أمام الناس (٢) .
مثال : في تفسيره لقصة سليمان - عليه السلام - مع بلقيس ملكه سباً وبعد أن فرغ منها قال : فهذا ما قصه الله علينا من قصة ملكة سباً وما جري لها مع سليمان وما عدا ذلك من الفروع المولدة والقصص الإسرائيلية فإنه لا يتعلق بالتفسير لكلام الله وهو من الأمور التي يتوقف لجزم بها علي الدليل المعلوم عن المعصوم والمنقولات في هذا الباب كلها أو أكثرها ليس كذلك فالحزم كل الحزم في الإعراض عنها وعدم إدخالها في التفسير - والله أعلم (٣) .

تعليق : إن كلام الشيخ السعدي يحمل علي التثبيت في النقل عند تفسير القرآن الكريم وليس علي سبيل الإلزام من قبل الشرع، لأنه يصرح بأن هذه الروايات من الأمور التي يتوقف الجزم بها علي الدليل.

فكلامه هذا : إنما ينطبق علي من لا يفرق بين الصحيح والسقيم والطيب والخبيث أما من يبين الصحيح، وينقض السقيم ويحكم عليه فلا بأس في نقله والله أعلم .

مثال آخر : وقد ذكر ابن كثير في تفسيره لهذه القصة في سورة النمل أثراً غريباً عن ابن عباس رواه ابن أبي شيبة، ولأنه من الإسرائيليات وهو كما قال ابن كثير منكر جداً من أوهام عطاء ابن أبي السائب (٤) عن ابن عباس (١) . إذن لا خير في

(١) تقدمت ترجمته ص ١٠٩ .

(٢) الإتيان : ج ١ ص ٢٥٥-٢٨١، بحر العلوم ج ٢ ص ٤٩٢، علي أن السائل هو عكرمة، وليس نافع بن الأزرق.

(٣) تيسير الكريم الرحمن : ج ٣ ص ٥٠٩ .

(٤) عطاء بن السائب : بن مالك ، ويقال زيد ويزيد الثقفى أبو السائب ، روى عن أبيه وعن أنس ، قال أبو اسحق : كان عطاء من البقايا ، وهو ثقة ، رجل صالح ، ووثقه النسائي ، وعبد الله بن الإمام أحمد ، يؤخذ بحديثه

ذكر مثل هذه الروايات ما دام المفسر يحكم عليها بعدم الصحة أو الضعف وفي نفس الوقت يكون عند القارئ علم بحكم مثل هذه الروايات إذا وجدها في تفاسير أخرى، عند مفسرين لا يحكمون عليها فهذا هو منهج السعدي في الإسرائيليات، لا يذكرها وإن ذكرها فإنه ينقضها إن كانت غير جائزة شرعاً.

ملاحظة لابد منها علي منهج السعدي في الإسرائيليات :-

كان لزاماً علي الشيخ السعدي أن يعلق علي المفسرين الذين حشوا تفاسيرهم بالروايات الإسرائيلية في قصة الملكين هاروت وماروت وما قيل عنهما من أقاويل عن أهل الكتاب في سورة البقرة وهما ملكان من عند الله ولكنه ضرب عن ذكر ذلك صفحاً ولم يحذر منه أو يعنف من قاله .

-وقد علق ابن كثير رحمه الله علي المفسرين الذين ذكروا هذه الأقاويل في تفاسيرهم فقال رداً علي الإمام ابن جرير في بعض أقواله عن بعض المعاني " ثم شرع ابن جرير في رد هذا القول وأن " ما " بمعني الذي ... وهذا الذي سلكه غريب جداً وأغرب منه قوله من زعم أن هاروت وماروت قبيلان من الجن كما زعمه ابن حزم " (٢)(٣) .
وتابع قوله : وقد روي في قصة " هاروت " " وماروت " عن جماعة من التابعين كمجاهد وغيره وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين وحاصلها راجع في تفصيلها إلي أخبار بني إسرائيل إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلي الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى وظاهر سياق

في أول عهده ، وفي آخره صار يخلط ، لذلك ضعفه أكثرهم في آخر حياته من جهة الحديث . (تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٧ ص ١٨٣ - رقم : ٣٨٦ .

(١) مختصر تفسير ابن كثير : ج ٢ ص ٦٧٤ ، في الحاشية .

(٢) ابن حزم الظاهري : هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (٣٨٤هـ - ٤٥٦هـ) عالم الأندلسي ، في عصر كان له مذهب (الحزمية) ولد بقرطبة ، وزهد عبد الملك واشتغل بالتأليف ، فقيها حافظاً ، طورد من الملوك لانتقاده العلماء ، فرحل إلى بادية لبلة بالأندلسي ، وتوفي فيها ، له نحو ٤٠٠ مجلد ، حتى قيل : لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان، من كتبه: الفصل، والحلى، والناسخ والمنسوخ (الأعلام ج ٤ ص ٢٥٤) .

(٣) مختصر ابن كثير : ج ١ ص ٩٧ بتصرف يسير، انظر الفصل لابن حزم الظاهري ج ٣ ص ٢٦١ - دار المعرفة ط ١٣٩٥/٢هـ - ١٩٧٥م، وبها مشه الملل والنحل للشهر ستاني .

القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى والله أعلم بحقيقة الحال (١) .

- وبعد هذا الإيضاح الذي ذكرناه كان واجباً علي الشيخ السعدي أن يعلق على الروايات التي تمس العقيدة الإسلامية لا علي الأقوال التي لا تمسها مثل : قصة الهدد مع سليمان عليه السلام (٢) أو قصة صالح -عليه السلام- مع قومه وذكر قصه الناقة وكيف خرجت من الصخرة (٣) فهذه القصص لا تضر أو تنفع في الدين فهناك ما هو أحق وأولي في الرد عليه من هذه القصص والله اعلم .

المطلب السادس

موقفه من القصة القرآنية :

لا شك أن القصة في القرآن الكريم لها دور كبير في تجسيد المعني القرآني وإقناع من يريد الوصول إلي الحقيقة لذلك لاحظنا أن القرآن قد حوى كثيراً من هذه القصص، مثل: قصص الأنبياء قصص الأمم الغابرة والحوادث السابقة ، ولما في القصة القرآنية من الأهمية بمكان فإن الشهيد سيد قطب - رحمه الله - قد ألف كتاباً في هذا الشأن أسماه " التصوير الفني في القرآن " ، وقبل أن نخوض في القصة القرآنية وأهميتها فلا بد أن نتعرف علي معني القصة في اللغة ولاصطلاح عند العلماء .

القصة لغة: قَصَصَ : قَصَّ الشعرَ : قَطَعَهُ، والقَصَّةُ من الفرس : شعر الناصية ، والقَصُّ : فعل القاصِّ إذا قَصَّ ، والقِصَّةُ معروفة ويقال : قَصَصْتُ الشيءَ إذا اتَّبَعْتُ أثرَهُ ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ . . ﴾ القصص: ١١ ، والقصة هي الخبر المقصوص **والقَصُّ :** البيان والقاصُّ الذي يأتي بالقصة علي وجهها كأنه يتبع معناها وألفاظها وقَصَّ آثارهم تتبعتها بالليل، أو قيل في أي وقت ﴿ . . فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ الكهف: ٦٤ (٤).

(١) مختصر ابن كثير.

(٢) سبق ذكرها ج ٣ ص ٥٠٠-٥٠١ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن : ج ٢ ص ١٤٨ .

(٤) لسان العرب ج ٤ ص ٣٦٥٠-٣٦٥١ باختصار، انظر مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ص ٣٠٦ ، علوم

القرآن: زرزور ص ٣٦٢ .

اصطلاحاً : ويقصد بالقصص القرآني : إخباره عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة وقد اشتمل القرآن علي كثير من وقائع الماضي وتاريخ الأمم وذكر البلاد والديار وتتبع آثار كل قوم وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه (١) .

تكرار القصص وحكمته:

نجد القصة في القرآن ترد في أكثر من موضع في القرآن فمرة تأتي مجملة، وأخري مفصلة ومرة تأتي بالإطناب وأخري بالإيجاز، وكذلك في تقديم بعض المشاهد وتأخيرها وما شابه ذلك والحكمة هي :

١. بيان بلاغة القرآن في أعلي مراتبها : فمن مميزات البلاغة إبراز المعنى الواحد في أكثر من صورة، والقصة المتكررة تأتي بأساليب مختلفة وتصاغ في قوالب متباينة فلا يمل منها الإنسان بل تتجدد في نفسه معان جديدة .
٢. قوة الإعجاز : فإيراد المعنى الواحد في صور مختلفة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدي و الإعجاز .
٣. الاهتمام بالقصة لتمكين عبرها في النفس : فإن التكرار من طرق التأكيد و إثارة الاهتمام كما هو الحال في قصة موسى - عليه السلام - مع فرعون لأنها تمثل الصراع الدائم بين الحق والباطل أتم تمثيل - مع أن القصة لا تتكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها ومن ثم تؤكد انتصار الحق علي الباطل .
٤. اختلاف الغاية التي تساق من اجلها القصة : فتأتي بعض معاني القصة في سورة ما لنتناسب مع موضوع السورة التي سيقت من أجله وتبرز معان أخرى في مقامات أخرى حسب اختلاف الأحوال (٢) .

القصة القرآنية حقيقية لا خيال :

(١) أساليب البيان في القرآن والسنة ، أ:خالد السعيد.

(٢) انظر علوم القرآن: زرزور ص٣٨٢، أساليب البيان : ص١٠٨-١٠٩ بتصرف ، مباحث : ص٣٠٧-

تختلف القصة في القرآن عن القصص البشري بأنها واقعية لا خيالية كقصص الأدباء التي تعتمد في أغلب الأحيان علي الخيال ، وكلما كانت خيالية كلما كانت مشوقة أكثر وكما قيل : إن أعذب الشعر أكذبه، أي أنه كلما كان يصد عن الواقع كلما كان أفضل والمقصود من هذا القصص إيصال المعنى بشتى الطرق والوسائل مهما كانت بعيدة عن الواقع، بعكس القصص القرآني فهي من الواقع تصاغ في صورة بديعة من الألفاظ المنتقاة والأساليب الرائعة .

- ومن الجدير ذكره أن أحد الطلاب الجامعيين في مصر قدم رسالة لنيل لنيل درجة الدكتوراة كان موضوعها " الفن القصصي في القرآن سنة ١٣٦٧هـ وكان الهدف من ورائها إثبات أن القصص القرآني خيالي وليس فيه صدق التاريخ وأن بعض القصص مختلق وقد أخطأ من عده تاريخاً يُعتمد عليه ، ولعل هذا الطالب تأثر بدراسة القصص الأدبي الفني الذي يعتمد علي الخيال في تصوير وتجسيد المعني .

- ولكن المسلم الحق هو الذي يؤمن بأن القرآن كلام الله منزله عن هذه الأقاويل وكله حق وصدق: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ. . .﴾ (١) يونس: ٣٧ وقال: ﴿... مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى. . .﴾ يوسف: ١١١ .

خصائص القصة القرآنية : -

١. تنوع طريقة العرض : فمرة تذكر القصة والعبرة منها أولاً ثم يفصلها كقصة أصحاب الكهف وأحياناً يذكر العبرة والعظة منها ثم يشرع في الحديث عنها كقصة موسى - عليه السلام - في سورة القصص وأحياناً يذكر القصة دون مقدمة ولا مغزى مثل قصة مريم مع الاقتصار علي بعض الجوانب والمفاجآت .
٢. تنوع طريقة المفاجآت : نجد القرآن يخفي علي القارئ المفاجآت مثل : قصة موسى مع الخضر في سورة الكهف ثم بيان الحكمة منها في النهاية ، ومرة يوضحها للقارئ ويخفيها علي أصحاب وشخصيات القصة مثل : قصة أصحاب الجنة في سورة القلم حيث بين لنا ما حدث لهم دون أن يعلموا .

(١) انظر علوم القرآن : زرزور ص ٣٦٢، مباحث في علوم القرآن . ص ٣٠٨-٣٠٩ بتصرف . أساليب البيان ص ١٠٩-١١٠ .

٣. لا يسرد الأحداث سرداً تاريخياً حلقة حلقة : كما في سورة يوسف - عليه السلام - حيث قسموها إلي ثمان وعشرين حلقة، ولكن القرآن كان يحذف بعض المشاهد خلال الآيات ويقتصر علي الحدث المهم ويبرزه (١) .

٤. التصوير الفني في القصة : وهو إبراز الخاصية الفنية في القصة، وذلك أن التصوير في مشاهد القصة ألوان : لون يبدو في قوة العرض والإحياء ولون يبدو في تخيل العواطف ولانفعالات ولون يبدو في رسم الشخصيات وليس هذه الألوان منفصلة ولكن أحدها يبرز في عرض المواقف ويظهر اللونين الآخرين فيسمى باسمه أما الحق فهذه اللمسات الفنية تظهر في مشاهد القصص جميعاً (٢) .

منهج الشيخ السعدي في تناول القصة القرآنية :

إن منهج الشيخ السعدي في عرض القصة القرآنية كالاتي :
يدلل على القضايا العقدية من خلال القصة القرآنية :-

وذلك كما ورد في تفسيره لقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ . البقرة: ٢٤٣ .
يقول : بعد عرض قصة هؤلاء الناس من بني إسرائيل وفي هذه القصة عبرة بأنه علي كل شيء قدير وتلك آية محسوسة علي البعث فهي منقولة نقلاً متواتراً عنهم وأن القدر لا يدفعه حذر من الموت ومنها ترغيب في الجهاد وترهيب من التقاعد لأنه لا يقدم ولا يؤخر في الموت (٣) .

مثال آخر : عند تفسيره لقوله تعالى عن مريم عليها السلام ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران ٤٢-٤٣ يقول " ولما كانت هذه القصة وغيرها من أكبر الأدلة علي رسالة محمد ﷺ حيث أخبر بها مفصلة محققة لا زيارة فيها ولا نقص وما ذاك إلا لأنه وحى من الله

(١) أساليب البيان في القرآن الكريم (ملزمة في مرحلة الماجستير - إعداد الدكتور/ زكريا الزميلي بتصرف . ص ٢٤٤-٢٤٧ باختصار.

(٢) انظر علوم القرآن : زر زور ص ٣٨٥ وما بعدها، ملزمة أساليب البيان في القرآن : إعداد الدكتور / زكريا الزميلي ، ص ٢٤٨ (مأخوذة من كتاب) دون مؤلف، أو تاريخ.

(٣) تيسير الكريم الرحمن : ج ١ ص ١٩٥، انظر الظلال ج ٢ ص ٢١٩- دار إحياء الكتب العربية- ط ٢.

العزیز الحکیم لا يتعلم من الناس وهذا هو المقصود الأعظم من القصص أنه يحصل بها العبر وأعظم العبرة الاستدلال علي الوحداية، والرسالة، والبعث، وغيرها من الأصول الكبار (١) .

استنباط العبر والعظات من القصة القرآنية :-

- ونجد ذلك بعد تفسيره لقصة لوط وإبراهيم عليهما السلام في سورة الحجر حيث لاقى لوط ما لاقاه من تعنتهم وقله حيائهم، حتى استعجل عقوبتهم، فيقول: (وفي هذه القصة من العبر منها: عنايته تعالى بخليته إبراهيم، فإن لوطاً عليه السلام من أتباعه فهو تلميذه فحين أراد الله هلاك قوم لوط أمر رسله أن يمروا علي إبراهيم - عليه السلام - كي يبشروه بالولد ويخبروه بهلاك قوم لوط(٢) وكذلك لما كانوا أهل وطنه فربما أخذته الشفقة عليهم فقدر الله من الأسباب ما جعل غيظه يشتد عليهم حتى استنبأ العقوبة عليهم لما قيل له ﴿ . . . مَوَعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ هود ٨١ - ومنها : أن الله تعالى إذا أراد أن يهلك قرية زاد شرهم وطغيانهم فإذا انتهى أو وقع بهم من العقوبات ما يستحقونه (٣) ، وهذا مماثل لقوله ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾ الإسراء ١٦، وفي قراءة أخرى : " أمرنا " بالتشديد أي جعلنا مترفيها أمراءها (٤) وفي القرآن كثير من الآيات الدالة علي نفس المعنى (٥) .

نقول - والله أعلم : إن مرور إبراهيم - عليه السلام - علي الرسل - أضياف لوط - وتبشيريه بالولد لدليل علي أن الله يحي ويميت في آن واحد فأحياناً مولوداً لإبراهيم وأهلك قوم لوط فسبحان من بيده ملكوت كل شيء .

(١) تيسير الكريم الرحمن : ج ١ ص ٢٤٤، انظر تفسير المنار - محمد شيد رضا ج ٣ ص ٣٠١ - دار الفكر - ط ٢ .
(٢) ويجوز أن نقول (لوط) دون تنوين، لأنه ثلاثي ساكن الوسط، مثل: نوح وهند، وهو د.. فيجوز فيها الوجهان، والله أعلم (انظر الجامع في الإعراب عز الدين جرادة ص ٥٢ - دار المستقبل - دار آفاق - ط ١/١٨٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م).
(٣) تيسير الكريم الرحمن : ج ٣ ص ٤٢، انظر الظلال ج ١ ص ٢١، ٢٠ .
(٤) تحاف فضلاء البشر : ص ٣٥١ .
(٥) يونس : ٢٥ ، الأنعام : (٤٠ - ٤٥) .

مثال آخر: يعلق الشيخ السعدي علي قصة أصحاب الكهف قائلاً : وفي هذه القصة دليل علي أن من فر بدينه من الفتن سلمه الله منها، ومن حرص علي العافية عافاه الله ومن أوى إلي الله آواه الله وجعله هداية لغيره ومن تحمل الذل في سبيل وابتغاء مرضاته كان آخر عهده العز العظيم من حيث لا يحتسب ﴿. . . وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ آل عمران: ١٩٨ (١)، وكذلك الشأن والحال بعد قصة موسى عليه السلام مع الخضر في سورة الكهف فقد اشتملت علي ست وثلاثين عبرة وعظة بدأها بقوله وفي هذه القصة العجيبة الجليلة من الفوائد والأحكام والقواعد شيء كثير ننبه علي بعضه بعون الله فمنها فضيلة العلم، والرحلة في طلبه، وأنه أهم الأمور، فإن موسى عليه السلام رحل مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه. ومنها : إضافة الشر إلي الشيطان، وإن كان بقضاء الله وقدره (٢).

استنباط القواعد الفقهية من خلال القصة القرآنية : -

وذلك في نفس المثال السابق حيث استنتج قاعدتين مهمتين هما :

١. القاعدة الكبيرة الجليلة : " ارتكاب أخف الضررين " مثل: قتل الغلام شر، ولكن بقاءه ليفتن أبويه عن دينها أعظم شراً منه فبقاء الدين أولي (٣) .
٢. درء مفسد الغير بدون إذنهم : وهي أن عمل الإنسان في مال غيره إذا كان علي وجه المصلحة وإزالة المفسدة انه يجوز ولو بلا إذن حتى ولو ترتب علي عمله إتلاف بعض مال الغير كما خرق الخضر السفينة لتعيب متسلم من غضب الملك الظالم وكذلك يجوز للإنسان أن يتصرف في مال غيره للحفاظ عليه من حرق، أو غرق أو نحوهما في دار إنسان أو ماله إذا كان في إتلاف بعضه سلامه للباقي .

أنواع التعليم القصصي في القرآن :-

وهذه الجملة اعتبرها الشيخ السعدي قاعدة رئيسية في تفسير القرآن الكريم فقال : من قواعد التعليم التي أرشد الله إليها أن القصص المبسطة يجملها في كلمات يسيرة ثم يبسطها .

(١) تيسير الكريم الرحمن : ج ٣ ص ١٥٠، الظلال ج ١٥ ص ٨٣ وما بعدها .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج ٣ ص ١٧٥، الظلال ج ١٥ ص ١٠٤ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ، ج ٣ ص ١٧٩، الظلال ج ١٦ ص ١٠٧ .

فالإجمال يكون كالقاعدة والأصل لها ثم يقع التفصيل لذلك الإجمال : يحصل به الإيضاح والبيان التام الكامل وهذا ما يدعوا إلي التشوق للقصة و من أمثله ذلك في القرآن قصة يوسف عليه السلام في قوله ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ... ﴾ يوسف: ٤، ثم أخذ في تفصيلها ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ ﴾ يوسف: ٨، ثم ساق القصة بتمامها وكذلك قصة أهل الكهف وموسى مع فرعون في القصص وآدم - عليه السلام - في سورة طه أجمل ثم فصل .

- والنوع الثاني من التعليم هو : تقرير قصة مهمة نفيًا أو إثباتًا من درجة إلي أعلى، أو أدنى منها، ومثال ذلك :

أنه قال في حق المنكرين للبعث ﴿ . . . بَلِ ادَّارِكُ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ . . . ﴾ النمل: ٦٦، أي علمهم فيها ضعيف سافل إلي أخط الدركات، ثم انتقل إلي ما هو أبلغ منه فقال " بل هم منها عمون " وكانقاله من ذكر الولد لذكريا عليه السلام علي كبره وعقم زوجته إلي ذكر مريم وعيسى عليها السلام (١) .

تقرير توحيد الألوهية من خلال القصة في القرآن :-

وذلك بعد تفسيره لقصة نوح - عليه السلام - مع قومه والطوفان في قوله ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ المؤمنون: ٣٠، يقول : إن في ذلك أي : في هذه القصة " لآيات " تدل علي أن رحمة الله وحده المعبود وعلي أن رسوله نوحاً صادق وأن قومه كاذبون، وعلي أن الله رحيم بعباده المؤمنين حيث حملهم في صلب أبيهم نوح في الفلك لما غرق أهل الأرض (٢) .

أثر القصص القرآنية في التربية و التهذيب :-

لا شك أن القصة تترك أثراً عميقاً في النفس ولا سيما في عهد الطفولة المفطورة علي حب القصص، وخاصة المشوقة منها المسترسلة مع المشاعر، فهذه الظاهرة الفطرية يجب أن يستفيد منها المربون في مجال التعليم، لا سيما الديني منه، ويستطيع المربي أن يصوغ القصة بالأسلوب الذي يتلائم والمستوي الفكري للمتعلمين حسب مستوياتهم التعليمية، وقد نجح الأستاذان " سيد قطب، والسحار (٣) "

(١) القواعد الحسان : ص ١٢١-١٢٢ باختصار.

(٢) تيسير الكريم الرحمن : ج ٣ ص ٣٥٤، انظر الظلال ج ١٨ ص ٢٤.

(٣) هو الأستاذ عبد الحميد جودة السحار ، صاحب مجموعة القصص القرآني للأطفال لغرض ديني تربوي.

في تقديم الزاد النافع لأطفالنا من خلال مجموعة القصص الديني التي ألفوها لهذا الغرض (١) .

فوائد قصص القرآن

وللقصص القرآني فوائد نجل أهمها فيما يأتي :

١. إيضاح أسس الدعوة إلي الله : وذلك ببيان أصول الشرائع التي بعث الله بها الأنبياء قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥ .

٢. تثبيت قلب الرسول ﷺ : وكذلك قلوب أتباعه من أمته وتقوية ثقة المؤمنين بنصره وخذلان الباطل وأهله ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هود: ١٢٠ .

٣. تصديق الأنبياء السابقين : وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم كما في قوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾ طه: ٩٩ ، وكقوله ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ البقرة: ٢٥٢ .

٤. مقارنته أهل الكتاب بالحجة : وذلك فيما كتّموه من البينات والهدى فقال ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ آل عمران: ١٨٧ ، وتحديه لهم بما كان في كتبهم من التبديل والتحريف فقال ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ آل عمران: ٩٣ .

(١) مباحث في علوم القرآن : ص ٣١٠ بتصرف ، أساليب البيان: ص ١١١-١١٢ بتصرف.

٥. والقصص ضرب من الأدب يصغي إليه السمع وترسخ عبره في النفس ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ . . .﴾ يوسف: ١١١ (١).

(١) علوم القرآن (لعدنان زرزور ص ١١٤، أساليب البيان في القرآن والسنة: خالد السعيد ص ١٠٨ بتصرف، انظر مباحث في علوم القرآن ص ٣٠٧).

المطلب السابع

نظرته إلى الإعجاز في القرآن

لا شك أن القرآن يختلف عن باقي المعجزات الأخرى، لأن معجزات الأنبياء السابقين كانت شيئاً والمنهج الذي يسرون عليه شيء آخر بخلاف القرآن الكريم الذي جمع بين العقلية الدائمة إلى قيام الساعة، وبين المنهج الذي هو بمثابة الدستور للأمة إن تمسكت به فلن تضل أبداً ﴿... فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ طه: ١٢٣ ، وقوله ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ الحجر: ٩ ، وقبل الخوض في موضوع الإعجاز وموقف الشيخ السعودي منه في تفسيره لا بد وأن نتعرف على معنى الإعجاز عند العلماء وشروطه .

المعجزة في اللغة :

عجز : العجزُ نقيضُ الحزم، عَجَزَ عن الأمرِ يَعْجُزُ وَرَجُلٌ عَجْزٌ وَعَجَزٌ ، وَعَجَّزَ فلان رأياً فلان إذا نسبه إلي خلاف الحزم ، والعَجْزُ الضعفُ ومنه قول عمر **رضي الله عنه** لا تلبثوا بدار مُعْجِزٍ وفي الحديث : كل شيء بقدر حتى العَجْزِ والكَيْسِ " والمعجزة : واحدة معجزة الأنبياء ، وأعجاز الأمور أو آخرها، والعَجْزُ ما بعد الظهر منه (١) .

اصطلاحاً : المعجزة هي ما يدل علي تصديق الله تعالى للمدعي في دعواه الرسالة أو هي تأييد الله مدعي النبوة بما يؤيد دعواه ليصدق المرسل إليهم (٢) .

تعريف آخر : أمر خارق للعادة يظهره الله علي يد مدعي النبوة علي وفق مراده تصديقاً له في دعواه مقروناً بالتحدي مع عدم معارضته وذلك كله في زمن التكليف (٣) .

شروط تحقيق الإعجاز في القرآن الكريم :-

١ . التحدي وهو طلب المنازلة والمعارضة : وهذا متحقق لأن القرآن دعاهم للتحدي وهو طلب المجيء بمثل هذا القرآن، أو بعشر سور مثله، ثم سورة وهذا في قوله

(١) لسان العرب ج٣ ص٢٨١٦-٢٨١٧ باختصار.

(٢) إعجاز القرآن الكريم : د. فضل عباس ، سناء عباس : ص٢١ - المكتبة الوطنية - ١٩٩١ م .

(٣) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : د. عبد السلام اللوح : ص٦ - آفاق - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

تعالى: ﴿... فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ الطور: ٣٤، وقال ﴿...
فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ...﴾ هود: ١٣، وقال ﴿... قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ
مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يونس ٣٨.

٢. وجود المقتضي للمعارضة : وهذا متحقق أيضاً وهو الدافع لأن يعارضوا، حيث
إن الرسول ﷺ قد سفه أحلامهم وعاب آلهتهم وضلل آباءهم وهو ما يثير
غضبهم ولكنهم بدل أن يعارضوه، ويتحدوه بالإتيان ولو بجزء من هذا القرآن،
ذهبوا يرمونه بالجنون والكهانة والسحر وأنه تعلمه من بشر ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ
الْأُولَىٰ اِكْتَسَبَهَا فَهِيَ تُمَلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ الفرقان: ٥، ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ
يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ...﴾ النحل: ١٠٣، ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ
بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ القلم: ٥١.

٣. عدم وجود مانع من المباراة والمنازلة : فلم يعلم بوجود مانع منعهم من تحدي
القرآن مع أن القرآن نزل بلسانهم-وهم أهل الفصاحة والبيان-منجماً على مدار
ثلاث وعشرين سنة أي: أن الفرصة كانت موجودة عندهم (١) كذلك لم يكن المانع
من الله جبرياً عليهم بمعنى أن الله لم يسلبهم القدرة علي الإتيان بمثله، أو جزء
منه، وما كان القرآن معجزاً ولكن الإعجاز هو : توفر الشيء مع عدم القدرة
علي الإتيان بمثله ومن خلال هذه الشروط المعجزة الثلاثة المتوفرة في القرآن
الكريم، يتحقق لنا أن الإعجاز القرآني ثابت ثبوتاً قطعياً، لا مجال لإنكاره.

شروط المعجزة :

ومن خلال تعريف المعجزة نستنتج أن لها شروطاً لا بد من توافرها :
- أن تكون من فعل الله تعالى : لأنها تصديق للرسول الذي أرسله الله فلا بد أن تكون من
فعل الله وقد تكون قولاً كالقرآن، أو فعلاً كفلق البحر، وقد تكون تركاً كنزع الإحراق من
النار التي ألقى فيها إبراهيم عليه السلام (٢).

(١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : ص ٧-١٠ مختصراً.

(٢) معجزة القرآن للشعراوي ص ٧- مكتبة التراث الإسلامي - الكتاب الأول.

- أن تكون خارقة للعادة : أي خارجة عن المألوف ومخالفة للأسباب الكونية وهذا شأن معجزات الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- فلم يكن من المألوف تحول العصا إلي حية أو النار لا تحرق،أو أن البلغاء عجزوا عن الإتيان بكلام بليغ .
- غير ممكن معارضتها : أي أن الناس يعجزون عن الإتيان بمثها إذ لو أمكن ذلك لم تسم معجزة ،ولم تصلح لذلك .
- ظهورها علي يد مدعي النبوة : فلو أتى غير مدعي النبوة بما هو خارق للعادة لا تسمي معجزة فهي مقصورة علي الأنبياء وهذا تصحيح للخطأ الشائع بين الناس من جعل كل ما يجري علي أيدي بعض الناس معجزة .
- أن يكون موافقاً لما ادعاه النبي : فلو قال معجزتي إحياء الموتى ولكن الذي حصل هو نطق الحجر مثلاً لم تكن معجزة .
- ألا تكون مكذبة لصاحبها : فلو قال معجزتي نطق الجبل ونطق الجبل فقال أنت كاذب لا تكون معجزة .
- أن تكون بعد دعوى النبوة : فلو كانت قبل دعوى النبوة لم تكن معجزة، وإنما تسمي كرامه إذا جرت علي يد رجل غير مدعي للنبوة، ومثال ذلك كلام عيسى عليه السلام في المهد ومن خلال هذه الشروط السبعة التي لا بد من توافرها في المعجزة الحقيقية ندرك الفرق بينها،وبين الكرامة والسحر والمخترعات الغريبة (١) .

القول في بيان إعجاز القرآن :-

قال أبو سليمان الخطابي(٢) قد أكثر الناس قديماً وحديثاً وذهبوا فيه كل مذهب وما وجدناهم خرجوا بأي نتيجة وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز فيه:

(١) إعجاز القرآن الكريم : ص ٢١-٢٢ بتصرف انظر الإعجاز العلمي ص ١١-١٤ بتصرف واختصار وقد أضاف المؤلف ثلاثة شروط أخرى هناك .

(٢) أبو سليمان الخطابي : حمد بن محمد بن إبراهيم الخطاب البستي (٣١٩هـ - ٣٨٨هـ) أبو سليمان من

نسل زيد بن الخطاب رضي الله عنه فقيه محدث من أهل بستان (بلاد كابل) توفي في بستان " في رباط علي شاطئ هيرمند " وله معالم السنن " ت شرح سنن أبي داود، وبيان إعجاز القرآن " غريب الحديث، وغيرها من التصانيف (الأعلام للزركلي ج٢ ص ٢٧٣)

١) فإما أن يكون معجزاً للخلق ممتنعاً عليهم الإتيان بمثله على كل حال فلا موضع له، لأن الله سلبهم القدرة على ذلك، مع توفرها عندهم.

نقص هذا الرأي : وذلك أن الحال أبين من أن نستدل عليه بأكثر من الوجود القائم من لدن نزوله إلى زماننا، وذلك أنه قد تحدى العرب قاطبة فعجزوا عن الإتيان بسورة من مثله وقد ظل يطالبهم مدة عشرين سنة وهم أهل الفصاحة والجدل و الرد فقال: ﴿... مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا...﴾ الزخرف: ٥٨، فقال ﴿... وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ مريم: ٩٧.

٢) الإعجاز في الصرفة "المعتزلة": أي صرف الهم عن المعارضة مع القدرة عليها. **نقصه :** وهذا ينافي الإعجاز لأنهم قادرون في الأصل، ولكن عجزوا لأمر خارج عن إرادتهم ولكن الظاهر أمام الناس جميعاً هو : أن القرآن تحداهم مجتمعين ومتفرقين علي أن يأتوا بمثله، ولكنهم عجزوا فكيف يتحداهم جميعاً وهو قد سلب أو صرف عنهم ذلك ؟ فإن هذا لا يسلم به أحد، وقد قال تعالى نافية قولهم: ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء: ٨٨، فوضحت الآية أن الله قد هيا لهم الظروف لأن يجتمعوا ويتحدوا ويبدلوا ما بوسعهم للإتيان ببعضه، ثم يسلموا بالعجز، وبهذا يبطل رأي المعتزلة بالإعجاز بالصرفة عقلاً وشرعاً .

٣. الإخبار بالغيب : أي أن إعجازه في إخباره عن الكوائن في المستقبل نحو قوله ﴿آلَم، غَلَبَتِ الرُّومُ ، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ الروم: ١-٣، ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ آوِيٍّ بِأَسِيٍّ شَدِيدٍ...﴾ الفتح: ١٦، وما شابهها من الأخبار التي وقعت وحدثت ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من القرآن .

النقص : قد أخبر القرآن أن كل سورة منه معجزة بنفسها مستقلة بذاتها من غير تعيين ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ البقرة: ٢٣ ، وهذا يقتضي برأيهم أن كل سورة فيها أمور الغيب فهي معجزة وغيرها من السور التي لا يوجد بها الحديث عن الغيب

غير معجزة وهذا ينافي القول في إعجاز القرآن، ولأن الله تعالى تحداهم بجميعه لا ببعضه فدل على أن المعنى غير ما ذهبوا إليه، وهذا الإعجاز المذكور بلاغي من حيث درجة الكلام، بياني من حيث وضع كل كلمة من القرآن في مكانها المناسب "التركيب" لها.

٤. الإعجاز بالبلاغة : ولكن أصحاب هذا القول لم يحددوا معالم هذه البلاغة، ولم يضعوا لها ضابطاً، بل اكتفوا بأن المستمع للقرآن يحس في نفسه ببلاغة لا توجد في غيره واستدلوا على ذلك بما كان من ذي الرمة حين نحله جرير أبيات وسمعها الفرزدق فأنكرها عليه. فأصحاب هذا القول يرجعون البلاغة إلي الذوق وحده دون أن يحددوا له ضابطاً وقواعد وأسس، والخطابي قد رد هذا القول، وقال : إنه لا يصلح أن يكون وحده لنبني عليه قضية الإعجاز.

وبعد هذا الاستعراض لوجوه الإعجاز فالأفضل أن نقول : إن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمناً أصح المعاني " (١) والآن إلي بيان نظرة الشيخ السعدي إلي الإعجاز في القرآن .
لا بد لكل من يتناول كتاب الله بالتفسير، والبيان أن يتطرق إلي قضية الإعجاز ولا سيما في الآيات التي تتحدث عن تحدي العرب جميعاً بأن يأتوا - بالتدرج - بحديث مثله، أو عشر سور، أو سورة ، والسعدي من جملة المفسرين الذين تعرضوا للإعجاز القرآني، ولكن بصورة مقتضبة جداً من خلال تفسيره أو يعلق على آيات التحدي في القرآن .

آيات التحدي حسب النزول :-

المثال الأول: في قوله ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ . . .﴾ الآية: ٨٨، يقول: وهذا دليل قاطع وبرهان ساطع علي صحة ما جاء به الرسول وصدقه حيث تحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثله، وأخبر أنهم لم يستطيعوا، ولو تعاونوا كلهم ووقع كما أخبر الله فإن دواعي أعدائه المكذبين به متوفرة علي ردّ ما جاء به بأي وجه كان من أهل

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : للرماني والخطاب وعبد القاهر الجاجاني : ص ٢١-٢٧ بتصرف تحقيق وتعليق / محمد خلف الله - د. محمد زغلول سلام - ط٣/دار المعارف بمصر، انظر إعجاز القرآن الكريم ص ٤٦-٤٨ باختصار، الإتيقان : ج ٢ ص ٢٥٥ وما بعدها باختصار .

الفصاحة واللسان فلو كان عندهم أدنى تأمل وتمكن من ذلك لفعلوه فعلم بذلك أنهم أذعنوا غاية الإذعان طوعاً وكرهاً وعجزوا عن معارضة (١) .

المثال الثاني: في تفسيره لقوله تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ هود: ١٣ .

يقول : ومنها أن هذا القرآن معجز بنفسه لا يقدر أحد من البشر أن يأتي بمثله ولا بعشر سور مثله بل ولا سورة من مثله، لأن الأعداء البلغاء الفصحاء تحداهم الله بذلك فلم يعارضوه لعلمهم أنهم لا قدرة فيهم علي ذلك (٢) ، وهكذا نرى الإمام السعدي لا يتعمق في مسألة الإعجاز وإنه يقتصر علي شرح الآية فحسب ولم يذكر العلماء آراءهم فيه ووجه الإعجاز بالتحديد أو بم يكون القرآن معجزاً ؟ إلي غير ذلك من الأمور التي تعرض لها بعض المفسرين كابن كثير وغيره ولنر الآن

المثال الثالث : في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَاذْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: ٢٣ .

يقول : فإن كان الأمر كما تقولون فأتوا بسورة من مثله، واستعينوا بمن تقدرون عليه من أعوانكم وشهدائكم فإن هذا أمر يسير عليكم خصوصاً وأنتم أهل الفصاحة والخطابة والعداوة العظيمة للرسول فإن جنتم بسورة من مثله فهو كما زعمتم وإن لم تأتوا بسورة من مثله وعجزتم غاية العجز فهذه آية كبيرة علي صدقه وصدق ما جاء به وهذه الآية ونحوها يسمونها آية التحدي وهو تعجيز الخلق عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن قال تعالى ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ الإسراء: ٨٨، وكيف يقدر المخلوق أن يكون كلامه ككلام رب الأرباب؟ كيف يقدر الفقير الناقص من جميع الوجوه أن يأتي بكلام الكامل الذي له الكمال المطلق ؟ وكل من له أدنى ذوق ومعرفة بأنواع الكلام إذا وزن هذا القرآن بغيره من كلام البلغاء، ظهر له الفرق العظيم (٣) .

(١) تيسير الكريم الرحمن : ج٣ ص١٣٠، انظر تفسير الشعراوي ج٤ ص٨٧٢٦ وما بعدها .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج٢ ص٣٩٨، تفسير الشعراوي ج١٠ ص٦٣٧٥ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن : ج١ ص٤٣-٤٤، ج٣ ص١٣٠، ج٣ ص٣٩٨ .

الإمام ابن كثير والإعجاز .

يقول : إن ثلاث آيات من آيات التحدي نزلت في مكة (١) وواحدة نزلت في المدينة (٢) أي أنه تحداهم في مكة والمدينة، على وجه التأييد " فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا وهذه معجزة أخرى من غير خوف ولا وجل ولا مشفق فكيف يشبه كلام الخالق كلام المخلوقين ؟

ويستطرد ابن كثير في الحديث عن وجوه الإعجاز من حيث اللفظ، والمعني، ومن جهة إخباره عن أحوال الماضي، وفي الترغيب والترهيب، والوعظ، وكذلك معجز من حيث الأحكام، والأوامر، والنواهي ووصف الميعاد (٣) .

أما الشيخ الشعراوي: - رحمه الله - فقد استفاض في الحديث عن الإعجاز البياني ووضح أنه وجه الإعجاز الوحيد، وأن ما عداه من الوجوه فهي لا يعتمد عليها وحجته في ذلك أن الإعجاز البياني يشمل سور القرآن كلها ، أما باقي أنواع الإعجاز فقد يأتي إنسان و يبرع في أحدها أيكون بذلك قد تحدي القرآن ؟ وحملتها أنها تثبت أن القرآن من عند الله، ولا تثبت أنه معجز، لأن كونه معجزاً شيء وكونه من عند الله شيء آخر، فيجب التفريق بينهما وذكر في تفسيره نماذج أمثله علي الكلمة القرآنية والإفراد، والجمع، والتعريف به والتأخير والتكثير، ودعوي الترادف في القرآن، وبلاغه الحرف، والتأكيد والتقديم والحذف والذكر الخ من أمور الإعجاز البياني .

فمثلاً : أتى بمثال علي الإفراد والجمع في قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ . . .﴾ الأعراف: ٥٤، فقال فكما خلق سبع سموات خلق سبع أراضين ولكن أتى بلفظ السموات بالجمع لخفتها علي اللسان وجاء بلفظ الأرض مفردة لتقل جمعها وهو أراضين ولكن لما احتاج إلي جمعها قال ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ . . .﴾ الطلاق: ١٢ (٤) فإذن كل ما تقدم عن الشيخ السعدي كان في مجال الإعجاز العام، وسنذكر هنا مثلاً واحداً وجدناه في تفسيره عن الإعجاز التشريعي وإن لم يصرح به قولاً مباشراً.

(١) يونس، هود: ١٣، الإسراء: ٨٨.

(٢) البقرة: ٢٣ .

(٣) مختصر بن كثير : ج١ ص٤١-٤٢ باختصار رشديد، الشعراوي ج٧ ص٤١٦٣ .

(٤) انظر أضواء البيان ج٨ ص٣٦٧، ٣٦٨ بالتفصيل - مكتبة ابن تيمية، تفسير الشعراوي ج٧ ص٤١٦٣ .

المثال : في قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ...﴾ البقرة: ١٧٩، يقول : أي تتحقن بذلك الدماء وتتقمع به الأشقياء لأن من عرف أنه مقتول إذا قتل لا يصدر منه القتل وإذا رأى القاتل مقتولاً اندعر بذلك غيره وانزحر فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل لم يحصل انكفاف الشر، وهكذا سائر الحدود الشرعية، فيها من النكاية ما يدل على حكمة الغفار ونكر " الحياة " لإفادة التعظيم والتكثير (١) .

ونلاحظ أنه لم يصرح بالإعجاز التشريعي، ولكن نفهم ذلك من خلال التفسير والعرب قديماً قالت مثلاً عن القتل هو : القتل أنفة للقتل ولكن الآية الكريمة أفادت معان أكثر في اللفظ واختياره، وفي المعاني وكثرتها، وقد فرق العلماء بين المثل والآية الكريمة (٢) وهكذا رأينا منهج السعدي في بيان الإعجاز وأنه من المقلين في ذلك بالنظر إلي غيره ولم نر إلا مثالا واحداً علي الإعجاز التشريعي .

الخلاصة:

مما سبق وخلال هذا المبحث يتضح لنا الآتي :

١. اهتمامه بأسباب النزول، وتناوله ذلك بعدة صور منها: ذكر السبب بسند أو أكثر أو بدون سند، أو نقلاً عن غيره من المفسرين أو مرة واحدة وهكذا .
٢. ندرة تعرضه للقراءات القرآنية خلال تفسيره والتي لم تتجاوز الأربع، أو الخمس مرات خلال تفسيره .
٣. عدم خوضه في معنى الحروف المقطعة في أوائل السور ورد كيفية معناها إلى الله عز وجل فقد ذكر رأيه فيها في أول التفسير ثم أعرض عنها صفحاً في باقي سور القرآن .
٤. تعرض للناسخ والمنسوخ في تفسيره كله وذكر الأقوال فيه، ورد على بعضها بالنقض ووافق البعض الآخر .
٥. رفضه الأخذ بالإسرائيليات ولو كانت من الجائر نقله احتياطاً لصحة التفسير وصوناً لحرمة .
٦. استعراضه للقصة القرآنية، ولا سيما القصص المهمة ذوات الشأن، التي تخدم العقيدة في ليها مثل : أصحاب الكهف، وموسى عليه السلام مع الخضر، وقصة يوسف عليه السلام، وقصة داود مع الخصمين .
٧. بيانه لإعجاز القرآن الكريم العام من خلال آيات الإعجاز في القرآن مع قلّة ذكره للنماذج علي ذلك، والله أعلم.

(١) انظر المحرر الوجيز ج٢ ص٦٣ - تحقيق/المجلس العلمي بفاس، تيسير الكريم الرحمن: ج١ ص١٤١ بتصرف.

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : ص١٦٩ - ١٧٠ لمن أراد المزيد والبيان .

الفصل الثالث

منهجه في تفسير آيات العقيدة والرد علي المخالفين،
وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : منهج السعدي في التوحيد، وفيه مطلبان

المطلب الأول : وحدانية الله تعالى وأدلتها

المطلب الثاني : أنواع التوحيد

أولاً : توحيد الربوبية

ثانياً : توحيد الألوهية

ثالثاً : الأسماء والصفات

المبحث الثاني : "منهج السعدي في القضايا الغيبية" وفيه ستة

مطالب :-

المطلب الأول : الملائكة

المطلب الثاني : الجن

المطلب الثالث : عذاب القبر ونعيمه

المطلب الرابع : البعث والجزاء

المطلب الخامس : الجنة والنار

المطلب السادس : القضاء والقدر

المبحث الثالث : "رده علي المخالفين لأهل السنة والجماعة" وفيه

ثلاثة مطالب :-

المطلب الأول : الرد علي الأشاعرة

المطلب الثاني : الرد علي المعتزلة

المطلب الثالث : الرد علي الخوارج

الفصل الثالث

منهجه في تفسير آيات العقيدة والرد علي المخالفين ،ومنه ثلاثة مباحث :-

إن العقيدة الإسلامية الصحيحة تؤخذ من كتاب الله عز وجل أولاً، ثم من الستة النبوية المطهرة ،وعقيدة السلف الصالح - رضوان الله عليهم - وما عدا ذلك فالعقيدة ناقصة، أو فاسدة خرجت عن جادة الطريق، والصواب أن العقيدة هي مقياس المرء وبها يعرف ،فهي ولاء وبراء .

والإمام السعدي ممن تناول آيات العقيدة بالتفسير الواضح البين ولا سيما وهو ممن يتبنون عقيدة أهل السنة والجماعة فيقر ما كان موافقاً للكتاب والسنة ،وينفي ما عداها ،مع الرد علي المخالفين من أصحاب الفرق الضالة، وذلك تحقيقاً لقوله :
﴿ تَرَكْتُ فَيْكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي ﴾
أبداً كتاب الله وسنتي (١).

المبحث الأول

منهج السعدي في التوحيد ،وفيه مطلبان :-

ويتكون من مطلبين : وحدانية الله تعالى أدلتها وسنوضح فيه تعريفاً للتوحيد في اللغة والاصطلاح ،وأدلتها من الكتاب والسنة، والنفي والإثبات في التوحيد، ومعني توحيد الربوبية والألوهية.
والمطلب الثاني يتناول : أنواع التوحيد، ومنهج السعدي في إثبات توحيد الربوبية والألوهية، والاستدلال بتوحيد الربوبية علي توحيد الألوهية.

المطلب الأول

وحدانية الله تعالى وأدلتها : والوحدانية هنا بشكل عام وهي : توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات مع الأدلة عليها من الكتاب والسنة وقبل أن نخوض في التوحيد لأبد أن نتعرف علي معني التوحيد في اللغة العربية وفي اصطلاح علماء " الشرع " .
التوحيد لغة : وحد يوحد توحيداً أي جعله واحداً ،أو اعتقده واحداً ،ومادة وحد في

(١) سنن الترمذي ج ٥ ص ٦٦٣ ،عن زيد بن أرقم باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ (٣٧٨٨)، جزء من حديث ،وقال الترمذي :حديث حسن غريب .

اللغة : تدور حول انفراد الشيء بذاته وصفاته وأفعاله وعدم وجود نظير أو ندله فيما هو واحد فيه (١).

التوحيد في الشرع : يقول ابن خلدون :-

هو علم تضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد علي المبتدعة والمنحرفين في الاعتقادات من مذهب السلف وأهل السنة (٢) .

أولاً : الأدلة علي توحيد الله عز وجل من القرآن الكريم فالسنة النبوية :-

يقول شارح الطحاوية: (نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله أن الله واحد لا شريك له) .

الشرح :-

اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك إلي الله ثم شرع في سرد الأدلة من القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا

إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ . . . ﴾ الأعراف: ٥٩ وقال عليه

السلام لقومه : ﴿ . . . اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ . . . ﴾ الأعراف: ٦٥ ، وقال

صالح عليه السلام: ﴿ . . . اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ . . . ﴾ وكذلك شعيب عليه

السلام: ﴿ . . . اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ . . . ﴾ والأعراف: ٨٥ ، وقال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ . . . ﴾ النحل: ٣٦

، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء : ٢٥ وقال ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله

إلا الله وأن محمداً رسول الله) (٣) ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب علي

المكلف هو الشهادة بأن لا إله إلا الله ، ولا القصد إلي النظر ، ولا الشك كما هي

(١) انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي ١/٣٥٦ ، تهذيب اللغة للأزهري ٥/١٩٢ .

(٢) المقدمة ج٣ ص ١٠٦٩ .

(٣) سنن الترمذي ج٥ ص ٣ ، كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ باب ما جاء أمرت أن أقاتل الناس ح (٢٦٠٦)

عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال : حديث حسن صحيح .

أقوال أرباب الكلام المذموم ،بل أئمة السلف متفقون كلهم على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان ،ومن قام بذلك قبل البلوغ لم يطلب منه التحديد عقيب بلوغه (١).
يقول صاحب تقريب التدمرية(٢) :-

(ومبنى الإسلام علي توحيد الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ الأنبياء: ١٠٨ ، ولا بد في التوحيد من الجمع بين النفي والإثبات لأن النفي وحده تعطيل، والإثبات وحده لا يمنع المشاركة، فلا توحيد إلا بنفي وإثبات (٣).

النفي والإثبات في التوحيد :-

فإن قلنا : "لا إله " فقد عطلنا صفة الألوهية، فلا نافية للجنس كما نعلم وإذا قلنا : "الله إله " فهذا لا يمنع المشاركة أي : أن الله إله من الآلهة وهذا باطل مثل الأول ولكن عندما نقول : لا إله إلا الله " فقد نقينا الألوهية عن كل إله سوى الله عز وجل ،فهو أسلوب حصر وقصر في آن واحد .

اصطلاحاً: الاعتقاد الجازم والإقرار التام بأن الله تعالى وحده رب كل شيء وخالقه ومليكه ورازقه وأنه وحده المحيي والمميت والنافع والضار والمدبر أمر عباده القائم بتربيتهم وإصلاحهم المعطي النافع ،ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ،لا يجري حادث إلا بمشيئته وقدرته وأن كل ما في السموات عبيده وتحت تصرفه وقهره وتدبيره ،وهذا النوع من التوحيد لم يذهب إلي نقيضه أحد من بني آدم إذ أقرت به جميع الخلائق مؤمنها وكافرها(٤) .

(١) شرح العقيدة الطحاوية في العقيدة السلفية لقاضي القضاة،العلامة صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي

العز الحنفي (٧٣١-٧٩٢هـ) بتصرف يسير -دار التراث تحقيق / أحمد محمد شاكر " بدون الطبعة " .

(٢) تدمر: بفتح التاء ثم الميم : مدينة قديمة مشهورة في بركة الشام ،بينها وبين حلب خمسة أيام، قيل سميت بتدمر بنت حسان أذينة بن السميدع بن ...سام بن نوح (معجم البلدان لياقوت الحموي ج٢ص١٧ وما بعدها) .

(٣) تقريب التدمرية الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ص ١١٠ - خرج أحاديثه السيد بن عباس بن علي الجليمي

- مكتبة السنة - ط١/١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م .

(٤) رسالة الحسنة والسنة ص١٢٧،١٢٦ .

التوحيد الألوهية " العبادة " :-

معناها لغة: الألوهية نسبة إلي إله ومعناها العبادة، جاء في معجم اللغة: إله وتألّه تعبد، والتألّه التمسك والتعبد والتألّيه العبادة، والألوهية بمعنى واحد، وقرئ قوله تعالى: ﴿... وَيَذَرِكْ وَالْهَتَكْ...﴾ الأعراف: ١٢٧، وقرأ ابن عباس " ويذرك وإلهتك " أي عبادتك^(١)، وقيل: هذا هو الأصوب، لأن فرعون كان يُعبد ولا يَعْبُد فهو علي هذا ذو إلهة، لا ذو آلهة^(٢).

يقول صاحب الكشاف " الزمخشري " :

الإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس، وهو اسم يقع علي كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب علي المعبود بحق وهو الله عز وجل، ومن خلال ما سبق يتبين أن معني الإله في اللغة المعبود، وأن الإلهية لغة هي العبادة^(٣).

يقول ابن كثير - رحمه الله :-

الله هو اسم جامد غير مشتق، وقيل إنه مشتق من إله يأله إلهة، وقد قرأ ابن عباس " ويذرك وإلهتك " أي عبادتك وقيل: مشتق من قوله وله إذا تحير لأنه تعالى يحير في الفكر في حقائق صفاته، وقيل: مشتق من ألّهت إلى فلان: أي سكنت إليه، فالعقول لا تسكن إلا إلى ذكره، والأرواح لا تفرح إلا بمعرفته^(٤) وفيها السكون والاطمئنان إليه ﴿... أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ...﴾ الرعد: ٢٨.

معني توحيد الألوهية عند السلف :-

هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى وحده لا شريك له المستحق لجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة مع إفراده عز وجل بها دون سواه، وإفراده تعالى ولياً وحكماً ورباً. يقول المقرئ (٥): -

والألوهية كون العباد يتخذونه سبحانه محبوباً مألواً ويفردونه بالحب، والخوف والرجاء والإخبات والتوبة والندرة والطاعة والطلب والتوكل ونحو هذه الأشياء^(٦) ويضيف أنه تعالى حقيقة بإفراده ولياً وحكماً ورباً فقال تعالى ﴿... قُلْ أَفَغَيْرَ الَّذِي وَكُنَّا...﴾

(١) إتخاف فضلاء البشر ص ٢٨٨، انظر تفسير الشعراوي ج ٧ ص ٣٠٥ انظر مختصر ابن كثير ح ١ ص ١٩.

(٢) لسان العرب ١٣/٤٦٨، معجم مقاييس اللغة ١/١٢٧، مفردات غريب القرآن ص ٢٥.

(٣) انظر تفسير الكشاف ج ١ ص ٣٦-٤٠.

(٤) مختصر تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٩.

(٥) المقرئ: أحمد بن علي بن عبد القادر العباسي الحسني العبيدي تفر الدين المقرئ قورخ الديار المصرية أصل من بعلبك ونسبته إلي حارة المقارزة ولد ونشأ ومات في القاهرة - درس فيها المناصب واتصل بالملك الظاهر بن قومه ودخل دمشق مع والده الناصر ٨١٠هـ، وعرض عليه قضاؤها فأبي وعاد إلي مصر من تأليقه: الخطط والآثار، السلوك في معرفة دول الملوك، تجريد التوحيد (الإعلام الزركلي) ج ١ ص ١٧٧-١٧٨.

(٦) تجريد التوحيد ص ١٨ انظر تقريب التدمرية ص ١١٢ بنحوه، انظر الإيمان محمد نعيم ياسين ص ١١.

الأنعام: ١٤ ، وقال: ﴿ . . . أَفَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْتِغِي حَكْمًا . . . ﴾ الأنعام: ١١٤ ، وقال : ﴿ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْتِغِي رَبًّا . . . ﴾ أي معبوداً الأنعام : ٦٤ (١) وتوحيد الألوهية هو أصل التوحيد الذي أنزل الله تعالى به كتبه وبعث به رسله ولم يبعث الله أحداً من رسله - عليهم الصلاة والسلام - بتوحيد الألوهية إلا وكان له أعداء كثير ينكرون عليه دعوته ويصدون عن دينه قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا . . . ﴾ الأنعام: ١١٢ .

وقد أخبر الله عن المشركين أنه لما دعاهم النبي ﷺ إلى توحيد العبادة أنكروا عليه دعوته وقالوا ﴿ . . . أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا . . . ﴾ الأعراف:

ذلك أنهم كانوا يعبدون مع الله غيره من الأنداد فأمرهم الرسول ﷺ بتخصيص الله بالعبادة ، وإفراده بها من دون ألهتهم قال تعالى علي لسان نبيه : ﴿ . . . فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ . . . ﴾ البقرة: ٢٢ .

(١) عبادة الله فيما شرعه في كتابه وعلي لسان رسوله ﷺ :-

إن عبادة الله تعالى مبناها علي الشرع والاتباع ، لا علي الهوى والابتداع ، فالموحد الحق هو الذي يعبد الله وحده لا شريك له بما شرعه الله تعالى في القرآن الكريم وعلي لسان الرسول ﷺ قال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الجاثية: ١٩ ، وقال : ﴿ . . . أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ . . . ﴾ الشورى: ٢١ .

معني العبادة :-

لغة: معناها خضع وذل واستكان يقال : طريق معبد إذا كان مذلاً لوطء الأقدام، ويقال للبعير معبد، أي : مذلاً بالركوب عليه ويقال فلان عبده الحب إذا أذله لمن يحب وسمي المملوك عبداً، لأن فيه معنى الذل والخضوع لسيدته، وتطلق كلمة العبد علي الإنسان سواء كان حراً أم رقيقاً إذا كان مربوباً لباريه، وذليلاً لله مولاه (٢) .
والعبادة تطلق على معنيين :-

(١) تجريد التوحيد ص ١٢ .

(٢) لسان العرب ٢٧٩/٣ ، معجم مقاييس اللغة ٢٠٦/١ مختصر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٢ .

أحدهما : التعبد : وهو فعل العابد فتكون بمعنى التذليل للمعبود حباً وتعظيماً، وهذان أعني الحب والتعظيم أساس العبادة فبالحب يكون طلب الوصول إلي مرضاة المعبود بفعل أمر به ،وبالتعظيم يكون الهرب من أسباب غضبه بترك ما نهى عنه .

الثاني : المتعبد به : فتكون إسمياً جامعاً لكل ما يتعبد به الله تعالى كالطهارة والصدقة والصلاة والصوم والحج ووبر الوالدين وصلة الأرحام وغير ذلك من أنواع العبادة(١) فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة ،كما عرفها السعدي في تفسيره(٢).

وها نحن نرى الإمام الطبري - رحمه الله - يوضح في تفسيره معنى العبودية فيقول :
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ . . ﴾ وإنما اخترنا البيان عن تأويله بأنه بمعنى نخضع ونذل ونستكين لأن العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة(٣) .
اصطلاحاً : عرف السلف العبادة اصطلاحاً بقولهم :-

هي اسم جامع لكل ما يحبه الله عز وجل من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة(٤) فنجد هذا التعريف قريباً من التعريف السابق الذي عرفه صاحب تقريب التدمرية، وعبادة الله تعالى جامعة لكمال المحبة مع كمال الخضوع والذلة والانقياد لأوامره، فالعبد هو الذي ذلله الحب والخضوع لمحبهه ومولاه عز وجل، أو هي الاتباع المطلق لله تعالى في كل ما يأمر وينهي ،كما جاء ذلك في السنة الصحيحة(٥) .

مسلك أهل السنة والسلف في إثبات وحدانية الله :-

لقد سلك السلف المسلك القرآني في إثبات وحدانية الله تعالى اقتداءً منهم بالصحابة

ﷺ لأنه لم يكن عند أحدهم ما يستدل به سوى القرآن الكريم ولم يكن أحد منهم

(١) تقريب التدمرية ص ١١٣ مختصر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٢، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٢٩ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٢٩ .

(٣) مختصر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٢ جامع البيان للطبري ج ١ ص ١٦١ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن ج ١، انظر الضلال لسيد قطب ج ٤ ص ١٨٧٢ دار الشروق ط ١٤٠١/١٠ .

(٥) تفسير الشعراوي ج ٨ ص ٥٠٤٧، والحديث أخرجه الترمذي في سننه ح(٣٠٩٥) وقال: هذا حديث غريب

، عن بن حاتم، انظر الضلال ج ٤ ص ١٨٧٢ .

قد عرف شيئاً من الطرق الكلامية والفلسفية وإذا كانوا قد قصروا أنفسهم علي كتاب الله عز وجل فلا يعني هذا أنهم (١) أهملوا قضية العقل أو استعبدوا ما يشير إليه من براهين عقلية وأمثال عقلية تدل علي وحدانية الله تعالى .

ذلك أن القرآن قد أرشد العباد ودلهم علي البراهين والأدلة العقلية (٢) وعلي هذا فيمكن أن نقول إن الأدلة العقلية التي سلكها السلف مأخوذة من القرآن الكريم ولهذا يمكن تقسيم أدلة السلف إلي نوعين من الأدلة .

١ . الأدلة الخبرية النصية "سمعية عقلية" .

٢ . أدلة عقلية .

أولاً: السمعية الخبرية: وهي الآيات التي تنص صراحة علي وحدانية الله، لكي لا يكون للناس علي الله حجة بعد الرسل، وترد علي المشركين الذين اتخذوا آلهة أخرى من الأصنام والأنداد، واعتقدوا أن الله ولداً أو بنتاً أو شريكاً في الملك .

أ- ومن الآيات المصراحة بالتوحيد قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . . .﴾ آل عمران: ١٨، بينت الآية الكريمة أن الله شهد لنفسه بالوحدانية كما شهدت له بها ملائكته وأولوا العلم وهم الرسل وأنبيأؤه وعلماء عباده وقد تضمنت الآية إثبات حقيقة التوحيد والرد علي المشركين وتتضمن مراتب الشهادة الأربعة.

- وشهادة الملائكة له بالوحدانية فيها رد علي المشركين الذين جعلوا الملائكة عباد الله وعظموها وعبدوها من دون الله، وشهادة أولي العلم تتضمن إقرارهم بها وإخبارهم للغير بمضمونها وإقامتهم الحجة علي الناس كما بينت الآية أن اتخاذ غير الله أرباباً وآلهة كما فعل اليهود والنصارى أمر مبني علي الجهل والهوى فأهل العلم من عباده يشهدون له بالوحدانية (٣).

(١) انظر الخطط والآثار للمقريزي ٣٢/٣ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٣٠٣/٦-٣٢٧/٩، انظر درء تعارض العقل والنقل ٢٨، انظر الصفات الإلهية بين السلف والخلف للوكيل ص ٨-٩ .

(٣) تفسير الطبري ٢٧١/٦، انظر روح المعاني للألوس ت: ١٢٧٠هـ — ج ١ ص ١٠٥، ١٠٤ دار الفكر ١٣٩٨هـ-١٩٨٣م.

أ- الآيات التي تتضمن أنه أمر عباده بالوحدانية وقضي بذلك قوله تعالى:
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ. . .﴾ الإسراء: ٢٣، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التوبة: ٣١ .

ب- الآيات التي تبين نهيه تعالى عن اتخاذ غيره معه آلهة وإخباره عن استحقيقه وحده للألوهية منها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ...﴾ النحل: ٥١، وقال: ﴿وَالْهَكْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ١٦٣ .

ج- الآيات التي فيها دعوة الرسل - عليهم السلام - أفوامهم إلي وجوب عبادة الله وحده وعدم اتخاذ آلهة وهذه الآيات كثيرة جداً قد أشرنا إليها في مقدمة هذا الفصل ونكتفي بذكر آية واحدة لأنها جمعت بين توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية وهي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هو توحيد الألوهية وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ توحيد الربوبية، وهاتان الآيات تضمنتا تجريد التوحيد لرب العالمين في العبادة وبيننا أنه لا يجوز أن يشرك معه آخر في الأفعال أو الألفاظ، أو الإيرادات (١).
ثانياً: الأدلة العقلية عند السلف :-

يري السلف أن وحدانية الله تعالى من الأمور المعلومة بالعقل وذلك أن الله الذي خلق الإنسان ومنحه عقلاً يفكر به، قد ركب فيه ما يدل علي وحدانيته وقد بين ذلك في القرآن ثم ذكر عقيب الآيات ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ وقد أخبر الله عن المشركين أنهم خرجوا عن موجب السمع والعقل فقال: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ البقرة: ١٧١، فإذا لم يكن في صريح العقل ما يدل علي الوحدانية لله فما فائدة العقل من قوله: ﴿... سِيرُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ وقد تضمن القرآن الكثير من الأدلة العقلية بأسلوب سهل ميسور تناوله بالعقل يخلو من التكلف وهي عزيمة النفع والغنى ومن هذه الآيات والأدلة العقلية التي نبه عليها :-

(١) تفسير الفاتحة لحمد بن عبد الوهاب ص ٥٠، تحقيق/فهد الرومي - مكتبة الحرمين - الرياض - ١٤٠٧هـ، شرح الطحاوية

٢٤٣/١، انظر روح المعاني ج ١ ص ٣٠ .

(١) آثار عقوبة أهل الشرك وأثار نصر أهل التوحيد :-

لقد أخبر القرآن عن أهل الشرك وما فعل بهم من النكال في الدنيا نتيجة اتخاذهم الآلهة من دون الله، وآثار المشركين في ديارهم الخربة الخاوية شاهدة علي ذلك كما أن الله تعالى أخبر عن الموحدين وما أكرمهم به من النصر والنجاة في الدنيا ومن الآيات في ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ . . .﴾ العنكبوت: ٣٨، وقوله: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا . . .﴾ النمل: ٥٢، وقال: ﴿وَأُنَجِّينَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ النمل: ٥٣، ويذكر الله إنجاءه لأهل التوحيد ثم يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء: ٨-٩.

(٢) صلاح الكون :-

أ- ويدل علي هذا آيات متعددة نخص منها آيتين قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا . . .﴾ الأنبياء: ٢٢، تقيد الآية أن الله واحد في ألوهيته وتدل علي انتقاء وجود آلهة أخرى إذ لو كان هناك آلهة مع الله لفسد الكون بما فيه، وبما أنه في غاية الصلاح فهذا يدل علي أن الإله الحق المستحق للعبادة هو الله وحده ، لا كما يزعم المتكلمون الذين جعلوا الآية في إثبات الربوبية لله تعالى ، لأن الفساد لا يمكن تصوره إلا بعد وجود الشيء لا قبل عدمه .

ويلاحظ أن الآية الكريمة لم تذكر النتيجة لأنها واضحة لا تحتاج إلي بيان، وبيان البين هو من الكلام الغث الذي لا يتناسب مع روعة وبلاغة القرآن .

ب- الآية الثانية: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ . . .﴾ المؤمنون : ٩١.

تبين الآية أنه ما كان لله من ولد ، ولا كان معه في القدم ، ولا حين خلق الأشياء، ولو كان كذلك معه آلهة لانفرد كل إله بخلقه ، ولتغالبا ، وغلب القوي منهم الضعيف ، لأن القوي لا يرضى معه ضعيف ، والضعيف لا يصلح أن يكون إلهاً فسبحان الله ما أبلغها من حجة، وأوجزها لمن تدبر ، وهذه الآية تضع ثلاث احتمالات :-

١- أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه وملكه .

٢- أن يعلوا بعضهم على بعض .

٣- أن يكونوا تحت حكم وسلطان إله واحد يتصرف فيه ولا يتصرفون .
وانتظام أمر العالم العلوي والسفلي، وارتباط بعضه ببعض وجريانه على نظام محكم لا يختلف ولا يفسد من أول دليل على أن مدبره واحد لا إله غيره .

(٣) دليل الخلق والرزق والملك:

استدل السلف بتوحيد الربوبية الذي يقربه المشركون على توحيد الألوهية وذلك لوجود تلازم بين التوحيدين ، فمن أقر بتوحيد الربوبية لزمه حتماً أن يفرد الله وحده بالألوهية والعبادة، ولا يشرك معه آلهة أخرى في عبادته .

يقول ابن تيمية :- إن توحيد الربوبية سبب في توحيد الألوهية ، ودليل عليه وقد احتج الله به في القرآن الكريم على المشركين الذين أقروا به في كثير من مواضعه^(١) إن الاستدلال بتوحيد الربوبية في إثبات الألوهية لله وحده دليل فطري عقلي فالإنسان مركز في قلبه وعقله أن الله هو الخالق الرازق النافع الضار ، كما أن الخلق صفة كمال ، لأن الخالق أفضل من المخلوق ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ النحل: ١٧ .

١- ومن آيات القرآن التي استدلت بها على توحيد الألوهية عن طريق توحيد الربوبية قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢١-٢٢ .

٢- وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعُدُّ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ فاطر: ٤٠ .

(٤) الأمثال المضروبة :-

ولا نريد أن نخوض فيها الآن لأن، لها مطلباً مستقلاً سوف نتحدث عنه إن شاء الله في الفصل الرابع عند الحديث عن التفسير بالرأي عند الشيخ السعدي - رحمه الله - فلا داعي للتكرار، ولكن نفتصر على ذكر أنواع الأمثلة التي يُستدل بها على الوحدانية لله تعالى وهي :-

(١) الحسنه والسيئة ص ١٢٤ تحقيق/محمد غازي-مكتبة المدني-جدة-١٣٩٢ ، انظر تفسير الآيات في تفسير

الطبري ج ٩ ص ٣٨ ، انظر أضواء البيان للشنقيطي ج ٥ ص ٨١٣-٨١٤ .

١- الأمثال المضروبة لمن عدل به شركاء من خلقه ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الروم : ٢٨ .

٢- الأمثال المضروبة لله تعالى وما يعبد من دونه ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ رِزْقِنَا حَسَنًا فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ النحل: ٧٥ .

٣- الأمثال المضروبة للمشرك والموحد ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ رِزْقِنَا حَسَنًا فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر : ٢٩ .

٤- الأمثال المضروبة لبيان عجز آلهة المشركين عن خلق أصغر المخلوقات ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلُهمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ الحج: ٧٣ .

- ومن هنا وبعد هذا البيان في تقرير توحيد الربوبية الذي لا يختلف عليه اثنان ، ولكن التوحيد الذي أشترك فيه كثير من الناس إلي يومنا هذا مع اختلاف العبادة قديماً وحديثاً وأسبابها هو توحيد الألوهية الذي ينزع السلطان والأهواء والكبرياء من الخلق ويفردها للخالق وحده .

- وكيف أن العلماء استدلوا عن طريق القرآن على توحيد الألوهية عن طريق توحيد الربوبية لأنه سبب له ، وملازم في نفس الوقت، فالذي يخلق ويرزق ويحي ويميت ويدبر هذا الكون ، ويسأل دون سواه ويفرج الكربات يكون جديراً وأهلاً للعبادة دون سواه من الآلهة المتنوعة ، وقد بين الحديث^(١) أن الإنسان الذي له عبد، وعبده هذا يعمل ويعطي أجرته لغيره، فإنه لا يرضى بذلك ، فكيف الله خالق كل شئ ومربيه يُعبد معه غيره ؟ فهذه عبرة لمن اعتبر .

يقول الباحث: ولم نورد الحديث السابق لطوله، لذلك اقتصرنا على ذكر معناه، وأشرنا إلى مصدره في كتب الحديث في الحاشية، والله الموفق.

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج٤ ص٢٠٢، ١٣٠ بسنده إلي الحارث الأشعري، دار الفكر-المكتب الإسلامي، ورواه الإمام أبويعلى الموصلي ج٣ ص١٤١ عن الحارث الأشعري ح(١٥٧١) .

المطلب الثاني

أنواع التوحيد

وتوحيد الله عز وجل من حيث متعلقة ثلاثة أنواع :-

توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات فهو سبحانه واحد في خلق الكون لا يشاركه فيه أحد، وواحد في ألوهيته لا يشاركه في عبادته أحد ، وواحد في أسمائه وصفاته لا ينازعه فيها أحد ، كما قال تعالى ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١ .

أولاً : توحيد الربوبية :-

يعرف الشيخ السعدي رحمه الله الربوبية أو الرب بقوله في سورة الفاتحة: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ : ٢ الرب هو المربي لجميع العالمين ، وهم من سوى الله . بخلقه إياهم وإعداد الآلاء لهم، و إنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة فمنه تعالى .

وتربيته (الله) تعالى لخلقه نوعان : عامة وخاصة .

فالعامة : هي خلقه للمخلوقين ، ورزقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم، في الدنيا .

والخاصة : تربيته لأوليائه، فيريبيهم بالإيمان ويوفقهم له ويكملهم ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه .

وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير ، والعصمة من كل شر ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيه الخاصة فدل قوله "رب العالمين" علي انفراده بالخلق والتدبير والنعم وكمال عناء وتمام فقر العالمين إليه بكل وجه واعتبار^(١).

فهذا بيان لمعنى الربوبية عند السعدي، فقد قسمها إلي عام وخاص وأن المعنى العام يشترك فيه كل البشر في الخلق والرزق والحياة والموت الخ وهذا المعنى هو

(١) انظر تفسير ابن تيمية ج ٢ ص ٣٠٧، انظر التفسير القيم لابن القيم ص ٣٤ جمع: محمد الندوي - تحقيق/محمد حامد الفقي - دار الكتب العلمية، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٢٧- ٢٨ .

الذي عناه الله في قوله تعالى علي لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿... وَارزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ البقر: ١٢٦، فقد طلب إبراهيم عليه السلام من الله أن يحصر الرزق بالمؤمنين فقط دون غيرهم فصح له هذا المفهوم وقال له: ومن كفر أيضاً فعلي رزقه، لأنني أنا من أوجده علي هذه الدنيا وعلي رزقه (١) كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هود: ٦، فكل من دب علي الأرض فهو دابة.

منهج السعدي في إثبات توحيد الربوبية: -

لقد سلك الشيخ السعدي منهجاً في إثبات توحيد الربوبية فأحياناً يعلق علي هذا النوع بعد الإنتهاء من السورة كسورة الفاتحة ومرة من خلال الآيات التي تتحدث عن توحيد الألوهية.

إثبات توحيد الربوبية من خلال السورة وبعد الفراغ منها: -

وذلك في سورة الفاتحة في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة: ٢، وبعد الفراغ من السورة قال: فهذه السورة علي إيجازها قد احتوت علي ما لم تحتو عليه سورة من سور القرآن، فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية يؤخذ من قوله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢).

إثبات توحيد الربوبية من خلال الآيات في السورة: -

(١) وذلك من خلال تفسيره لآيات من سورة البقرة المتمثلة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً...﴾ البقرة: ٢٢، ٢١.

(١) انظر روح المعاني ج ١ ص ٣٨٢، انظر المحرر الوجيز ج ١ ص ٣٥٧، ٣٥٦.

(٢) انظر التفسير الكبير لابن تيمية ج ٢ ص ٣٠٩ دار كتب العلمية - تحقيق وتعليق/د. عبد الرحمن عميرة - ط ١/١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، تيسير الكريم الرحمن: ج ١ ص ٢٩.

فيقول: ثم استدل على وجوب عبادته وحده بأنه ربكم الذي رباكم بأصناف النعيم فخلقكم بعد العدم، وخلق الذين من قبلكم، وأنعم عليكم بالنعمة الظاهرة والباطنة فجعل ونظراً لعدم اختلاف الناس في توحيد الربوبية وإقراهم جميعاً بأنه الخالق المدبر لهذا الكون لا يشاركه فيه أحد في التصرف فيه فإننا نلاحظ أن القرآن لا يأتي بتوحيد الربوبية إلا لهدف إثبات وتقرير توحيد آخر وهو المطلوب توحيد الألوهية. فالذي يقر بتوحيد الربوبية كان لزاماً عليه أن يقر بتوحيد الألوهية فالتوحيد أن متلازمان وأحدهما سبب للآخر فتوحيد الربوبية سبب لتوحيد الألوهية، لذلك فإن القرآن يستدل على توحيد الألوهية، بتوحيد الربوبية، لذلك لا فائدة من الإطالة في هذا الموضوع أعني توحيد الربوبية لأنه لا خلاف عليه إنما الأهم منه توحيد الألوهية، الذي يشرك فيه كثير من الناس بقصد أم بغير قصد علي اختلاف سبب الشرك وكيفته قديماً وحديثاً وأول الشرك عبادة الأصنام بعد إبراهيم عليه السلام كان بتزين الشيطان التقرب إلى رجال صالحين بعد موتهم وإحياء ذكراهم حتى أوقعهم في عبادتهم كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَدْرُنَّ وِدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يُعْوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ نوح: ٢٣-٢٤.

ثانياً: توحيد الألوهية:-

لقد سلك الشيخ السعدي -رحمه الله- منهجاً في إثبات توحيد الألوهية، وذلك بعد أن يتعرض له أثناء السورة وبعد ختامها وإما بالتعليق علي الآيات بعد شرحها شرحاً عاماً وعند ذلك يقرر هذا التوحيد أو يستخدم توحيد الربوبية وهذا أكثر شيوعاً في القرآن - في إثبات توحيد الألوهية وأحياناً يذكر الدليل الإجمالي ثم يشرع بالأدلة التفصيلية ومرة يذكر القاعدة الأساسية لتوحيد الألوهية ثم يقيم الأدلة عليها من خلال الآيات القرآنية ونراه يستخدم الأمثال في القرآن لتقدير هذا التوحيد كما نراه يستخدم قصص الأنبياء في تقرير توحيد الألوهية بالأدلة السمعية والعقلية ويرد على المشركين ويبطل دعواهم في سبيل تقرير الألوهية لله تعالى وقد فصل القول في ذلك كما يلي:-

(١) تقرير الألوهية أثناء السورة وبعدها:

وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ الفاتحة: ٥، فيقول: أي نخصك وحدك بالعبادة، لأن تقديم المعمول يفيد الحصر وهو إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه فكأنه يقول: نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم العبودية من باب تقديم العام علي الخاص واهتماما بحقه قبل حق عبده . والعبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة (١) ثم بين أركان العبادة التي لا يقبل إلا بها وهما: أن تكون علي طريق الرسول ﷺ ومقصوداً بها وجه الله تعالى، فيهذين الأمرين تكون العبادة.

٢) تقرير الألوهية بعد الشرح العام للآيات أو القصة: -

- وذلك بعد تفسيره لقصة إبراهيم عليه السلام مع الملك الذي حاجه في ربه في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ . . . فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ٢٥٨، فقال (فجميع الأدلة السمعية والعقلية والفطرية قد قامت شاهدة بتوحيده معترفة بانفراده بالخلق والتدبير، وأن من هذا شأنه لا يستحق العبادة إلا هو، وجميع الرسل منفقون علي هذا الأصل العظيم ولم ينكره إلا معاند مكابر، العنيد فهذا من أدلة التوحيد)(٢).

- وكذلك في تفسيره لقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ الأنبياء: ٥٦.

يقول: فجمع لهم بين الدليل العقلي والدليل السمعي.

- أما الدليل العقلي: فإنه قد علم كل أحد حتى هؤلاء الذين جادلهم إبراهيم أن الله وحده الخالق لجميع المخلوقات من بني آدم والملائكة والجن والبهائم والسموات والأرض المدبر لهن بجميع أنواع التدبير فيكون كل مخلوق مفطوراً مدبراً متصرفاً فيه ودخل في ذلك جميع ما عبد من دون الله، أفيليق عند من له أدنى مسكة من عقل وتمييز

(١) تيسير الكريم الرحمن، ج١ ص ٢٨-٢٩ انظر التفسير القيم ص ٩١.

(٢) نفس المصدر ج١ ص ٢٠٦، مختصر ابن كثير ج١ ص ٢٣٤.

أن يعبد مخلوقاً متصرفاً فيه لا يملك نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ويدع عبادة الخالق الرازق المدبر؟.

- أما الدليل السمعي: فهو المنقول عن الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإن ما جاؤا به معصوم، لا يغلط ولا يخبر بغير الحق ومن أنواع هذا القسم شهادة أحد الرسل علي ذلك فلماذا قال إبراهيم: ﴿... وَأَنَا عَلَىٰ ذِكْمٍ...﴾ أي أن الله وحده المعبود وأن عبادة ما سواه باطل (من الشاهدين) وأي شهادة بعد شهادة الله أعلي من شهادة الرسل؟ خصوصاً أولي العزم منهم خصوصاً خليل الرحمن . ولما بين أن أصنامهم ليس لها من التدبير شيء أراد أن يريهم بالفعل عجزها وعدم انتصارها(١).

٣) الاستدلال بتوحيد الربوبية علي توحيد الألوهية: -

وهذا أفضل أنواع الأدلة لأن من أقر بتوحيد الربوبية وجب عليه أن يقر بتوحيد الألوهية، وهذا النوع أكثر الأنواع شيوعاً في القرآن الكريم، ومنه:

(١): قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ... لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ البقرة: ١٦٤

يقول: عن الآيات التي قبلها فهذا دليل إجمالي علي وحدانيته تعالى، ثم ذكر الأدلة التفصيلية فقال: إن في هذا المخلوقات العظيمة أدلة علي وحدانية الباري، وألوهيته، ففي خلق السموات في ارتفاعها واتساعها وإحكامها وإتقانها وفي خلق الأرض مهاداً للخلق يمكنهم القرار عليها والانتفاع بما عليها، والاعتبار ما يدل ذلك علي انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير وفي اختلاف الليل والنهار وهو تعاقبهما واختلافهما في الحر والبرد والطول والقصر والتوسط دلالة علي قدرة مصرفها، وفي الفلك التي تجري في البحر مما ألهم الله صانعها، وخلق لهم الآلات الداخلية والخارجية وسحر البحر الذي يحمل البضائع والأموال، التي بها نفع للناس، وما أنزل الله من السماء من الماء فأخرج به الثمرات، وتصريف الرياح وهي حارة وباردة، شمالاً وجنوباً، والسحاب الذي يؤلف بينه وتلقحه وتدره، وتكون رحمة أو نقمة..... أليس من القبيح

(١) تيسير الكريم الرحمن ج٣ ص ٢٨٥، انظر المبصر لنور القرآن لئانله صيري ج٦ ص ٤٦، ٤٥ - الرسالة المقدسة -

بالعباد أن يتمتعوا برزقه ويعيشوا ببره ويعيدوا غيره ويستعينوا بها على معاصيه^(١).

فاستدل - رحمه الله - بما أقر به المشركون وهو: خلق السموات والأرض وتعاقب الليل والنهار والبحر وأحواله والفلك التي تجري فيه، والماء النازل من السماء وتأثيره في الأرض وإحيائها والرياح والسحاب وهو توحيد الربوبية علي المقصود الأول وهو توحيد الألوهية فهذه الآيات دليل لمن كان له عقل يفكر فيه وقلب سليم خالي من الشرك .

(٢): ﴿... فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ أي: الذي خلقنا ورزقنا ودبرنا وربانا هو خالق السموات والأرض المنفرد بخلق هذه المخلوقات العظيمة لا تلك الأوثان والأصنام، التي لا تخلق ولا ترزق، ولا تملك نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فاستدلوا بتوحيد الربوبية علي توحيد الإلهية ولهذا قالوا: ﴿... لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا...﴾ أي: من سائر المخلوقات ﴿... لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ أي: إن دعونا معه آلهة بعدما علمنا أنه الرب الإله الذي لا تجوز ولا تتبغي العبادة إلا له شططاً أي ميلاً عظيماً عن الحق وطريقاً بعيدة عن الصواب، فجمعوا بين الإقرار بتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية^(٢).

(٣): عند قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ، فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ غافر: ١٣-١٤ .

يقول: يذكر تعالى بنعمه على عباده ويريهم آياته النفسية والآفاقية والقرآنية وهذا من أكبر نعمه على عباده لأنه لم يبق الحق مشتبهاً ولا الصواب ملتبساً وكلما كانت المسائل أكبر كانت الأدلة عليها أكبر فانظر إلى التوحيد لما كان من أكبر المسائل أتى له بالأدلة العقلية والنقلية ، وضرب الله لها الأمثال وأكثر لها من الاستدلال ﴿... وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا...﴾ أي: مطراً تعيشون أنتم وبهائمكم منه وهذا يدل دلالة قاطعة على

(١) احرر الوجيز ج٢ ص٣٧، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١٢٤-١٢٧ بتصرف.

(٢) أنظر تيسير الكريم الرحمن: ج٣ ص١٤٥ وأنظر فتح القدير ج٣ ص٢٧٣ أضواء البيان ج٥ ص٨١٣-٨١٤ .

أنه المستحق للعبادة الذي يتعين إخلاص الدين له ،ولما كانت الآيات تثمر التذكر، والتذكر يثمر الإخلاص ،رتب الأمر علي ذلك بالفاء السببية فقال: ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ . . . ﴾ وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة .

والإخلاص معناه: القصد لله تعالى وحده في جميع العبادات الواجبة والمستحبة من حقوق الله، وحقوق الله عباده أي: أخلصوا لله تعالى في كل ما تدينون به وتتقربون إليه (١).
الأسماء والصفات:-

إن لله عز وجل أسماء حسنى وصفات علا تليق بذاته سبحانه ولا تشبه أسماء وصفات المخلوقات لأنه سبحانه قديم في أسمائه وصفاته أما خلقه فمحدثون أسماءهم وصفاتهم ناقصة ولا يجوز لأحد من البشر أن يلحد في أسماء الله تعالى وصفاته فيميل عن الصواب لذلك قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٠، وقال ﷺ: (إن لله تسعاً وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة) (٢).

موقف السعدي من الأسماء والصفات:-

لقد وقف الشيخ السعدي من الأسماء والصفات الواجبة لله تعالى موقف أهل السنة والجماعة وهو: إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتنا لنفسه وأثبتها رسول الله ﷺ من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه، وذلك عند تفسيره لسورة الفاتحة (٣).
-**فعن صفة الكلام قال:** عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ . . . أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . ﴾ البقرة: ٣٣، في هذه الآيات من العبر والآيات، إثبات الكلام لله تعالى، وأنه لم يزل متكلماً يقول ما يشاء الله ويتكلم بما شاء (١).

(١) انظر الطبري ج ٩ ص ٣٨، انظر مختصر ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٧، ٢٣٨، تيسير الكريم الرحمن ج ٤ ص ٣٥٢ - ٣٥٣ بتصرف.

(٢) سنن الترمذي ج ٥ ص ٥٣٠، ح (٣٥٠٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث غريب.

(٣) مختصر ابن كثير ج ١ ص ٢٥، فتح القدير ج ١ ص ١٨، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣٠.

- وعن صفة الوجه: في قوله تعالى: ﴿... فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ...﴾^(١)
البقرة: ١١٥، بقوله: فيه إثبات الوجه لله تعالى علي الوجه اللائق به تعالى، وأن الله
وجهاً لا يشبه الوجوه وهو تعالى واسع الفضل والصفات عظيمها^(٢).

إن مذهب سلف الأمة في الصفات مبني علي أصليين هما:-

١. أنه تعالى متصف بصفات الكمال لا نقص فيها علي وجه الاختصاص بماله
من الصفات وليس له مثل في صفات الكمال.

٢. أنه تعالى منزه عن صفات النقص والعيب مطلقاً كالنوم والعجز والجهل أي: هو

منزه عن صفات المخلوقين المختصة به إذ إن كل ما اتصف به المخلوق فهو صفة

نقص^(٣). والكلام ثابت لله عز وجل بدلالة السمع والعقل والفطرة: فالقرآن الكريم دل

علي ثبوت معنى الكمال بعبارات متنوعة دالة علي معاني متضمنة لهذا المعنى فيها

إثبات الحمد لله وتفصيل محامده وأنه المثل الأعلى وإثبات معني أسمائه وقد ثبت لفظ

الكمال في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ

الصَّمَدُ﴾ الإخلاص: ٢، ١، (الصمد هو المستحق للكمال، وهو السيد الكامل في

سؤدده والشريف الذي كمل في شرفه والعظيم الذي كمل في عظمته....) الخ.

وقد عاب نبي الله إبراهيم عليه السلام علي أبيه عبادة إله فاقد للسمع والبصر أي

غير متصف بصفات الكمال ﴿... يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي

عَنكَ شَيْئاً﴾ مريم: ٤٢، فدل علي أن الذي يتصف بالسمع والبصر أكمل من فاقدهما

والقرآن الكريم في وصفه للأصنام التي عبدها المشركون من دون الله يسلب عنها

صفة الكمال وهذا يدل علي أن نفي صفات الكمال نقص وإثباتها كمال في ذاته.

والكمال في نظر أئمة السلف لا يكون إلا أمراً وجودياً: أما الأمور السلبية أو

العدمية فلا تكون كمالاً إلا إذا تضمنت إثباتاً لأن مجرد العدم ليس شيء فلا يكون

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٥٢، انظر المحرر الوجيز ج ١ ص ١٧٦.

(٢) المحرر الوجيز ج ١ ص ٣٣٥ عن بعض الأئمة، المصدر السابق ص ٨٨.

(٣) انظر تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣٠، مناهج الإسلاميين في إثبات وجود الله ووحديته "رسالة دكتوراه"

د. صالح الرقب ج ٢ ص ٩٣٠، انظر الفتاوى السعدية ص ١٠.

مدحاً أو كمالاً أي أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتاً وعمامة " وما وصف الله تعالى به نفسه من النفي متضمن لإثبات " مدح فقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ . . . ﴾ البقرة: ٢٥٥، فنفي السنة والنوم يتضمن إثبات كمال الحياة والقيام، وقوله لا يؤوده حفظهما يستلزم كمال قدرته، بخلاف المخلوق فإنه يقدر بنوع من الكلفة والمشقة، وقوله تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ . . . ﴾ سبأ: ٣، فنفي الغروب مستلزم لكمال علمه بكل ذرة في السموات والأرض (١).

الإيمان بأسماء الله الحسنى وإثبات حقائقها وما تدل عليه من المعاني التي تفهم منها:-

إن أسماء الله الحسنى كلها وهي تدل علي أوصاف الجلال والكمال التي يمدح بها وليست أسماؤه أعلاماً جامدة بل هي أعلام وأوصاف معاً والواجب الإيمان بها كلها علي الوجه اللائق بجلاله وعظمته وكماله.

إن نفي أسماء الله تعالى وما تدل عليه من الصفات إلحاد في أسمائه كما أن أسماء الله تعالى متناولة للذات الإلهية المتصفة بصفاتهما ولا تكون ذاته إلا بصفاتهما ولا تكون نفسه إلا بما هو داخل في مسمى اسمه (٢).

يقول ابن القيم : التحقيق أن صفات الرب جل جلاله داخلة في مسمى اسمه، فليس اسم الله والرب والإله أسماء لذات مجردة لا صفه لها البتة فإن هذه الذات وجودها مستحيل وإنما يفرضها الذهن فرض الممتنعات، واسم الله سبحانه والرب والإله اسم لذات لها جميع صفات الكمال وتجريد الذات عن الصفات فرض وخيال ذهني لا حقيقة له، وهو أمر اعتباري لا فائدة منه، ولا يترتب عليه إيمان ولا معرفة ولا علم (٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣١، مناهج الإسلاميين ج ٢ ص ٩٣٦ .

(٢) الرسالة التدمرية ص ٤٠ .

(٣) انظر التفسير الكبير لابن تيمية ج ٢ ص ١٢١، ١٢٠، مدارج السالكين ٣/٣٦٢.

- وكما يدل كل اسم من أسماء الله تعالى على الصفة بمفردها بالتضمن فإنه يدل على ذاته تعالى وعلى الصفة التي اشتقت منها بالمطابقة، ويدل على صفة أخرى بالالتزام، فاسم السميع يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة وعلى الذات وحدها وعلى السمع وحده بالتضمن، ويدل على اسم الحي وصفته الحياة بالالتزام، وكذا سائر أسمائه تعالى وصفاته.

- ويجب الإيمان بأن أسماء الله تعالى لا تشبه أسماء العباد، لأن أفعال الله تعالى مشتقة من أسمائه وأسماء العباد مشتقة من أفعالهم قال **ﷺ** : قال الله تعالى: (أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي) (١) فبين الله تعالى أن أفعاله مشتقة من أسمائه .

- وذهب السلف إلى أن أسماء الله تعالى غير أسماء المخلوقين، ومن زعم أن اسماً من أسمائه تعالى يشبهها فقد كفر، لأنه إذا قلنا "الله" فهو الله فإنما ندعو الله نفسه ولا تقاس أسماؤه تعالى بأسماء الخلق فأسماء الخلق مخلوقه مستعارة وليست أسماؤهم نفس صفاتهم وأسماء الله صفاته، قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى...﴾ (الإسراء: ١١٠) (٢).

إقرار الصفات كما جاءت في الكتاب والسنة من غير تأويل ولا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل:-

ذهب السلف إلى إثبات صفات الله تعالى على الوجه اللائق بكماله وجلاله وعظمته، وكانوا يُمرُّون آيات الصفات وأحاديثها في الكتاب والسنة ويؤمنون بظواهر النصوص ويفهمون معانيها وما تضمنته من صفات كما كانوا يفهمون معني الصفة ويثبتونه لله عز وجل على الوجه اللائق به دون أن يبحثوا عن الصفة

(١) المستدرک لأبي عبد الله الحاكم ج٤ ص١٧٤ كتاب البر والصلة ح(٧٢٦٨) عن عبد الرحمن بن عوف وقال: صحيح ولم يخرجاه .

(٢) الأسماء والصفات لابن تيمية ج١ ص٦٠ تحقيق/مصطفى عطا- دار الكتب العلمية، منهاج الإسلاميين ج٢ ص٩٤٠ .

وكيفيتها وكيفية قيامها بذات الباري عز وجل ولم يعدلوا بالمعنى عن وجهة وحقيقته إلى معنى آخر ولا يعدلون باللفظ عن وجهته إلى غيرها بزيادة أو نقصان بل يثبتون المعنى الظاهر المفهوم منه ويكفون العلم بكيفية الصفة وكنهها إلى الله تعالى، لأن القول في الصفات فرع القول في الذات فإذا كانت كيفية الذات غير معلومة، فكذلك كيفية الصفة إذا العلم بكيفية الصفة تستلزم العلم بكيفية الموصوف .

وذهب السلف إلى عدم تأويل الصفات تأويلاً مخالفاً لمقتضى اللفظ والمعنى المتبادل منه، بل تضافر عنهم القول: أمرها كما جاءت، ومعنى هذا القول إيرادها علي ظاهرها مع اعتقاد معناها المتبادر والمفهوم منها دون تحريف لفظها أو معناها أو تأويله، أو تكييفه.

- وقد ذهب جمع من العلماء الثقات إلى أن اعتقاد السلف في الصفات الواردة في الكتاب والسنة هو إثباتها علي الحقيقة، وعدم الاشتغال بها تأويلاً أو تعطياً أو تمثيلاً أو تكييفاً أو تشبيهاً، ومن هؤلاء العلماء الذين نقلوا مذهب السلف: ابن قتيبة^(١) في كتاب الاختلاف في اللفظ والرد علي الجهمية والمشبّهة^(٢) وابن تيمية في معظم مؤلفاته، وابن القيم في كثير من مؤلفاته، وعلاء الدين بن العطار^(٣) في كتاب الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد^(٤) وابن حجر في فتح الباري^(٥) والشوكاني في رسالة التحف في مذهب السلف^(٦).

استعراض الشيخ السعدي لآيات الأسماء والصفات وإثباتها: -

نجد السعدي - رحمه الله - يتعرض لآيات الأسماء والصفات ويعلق عليها بالإثبات كمذهب السلف دون تعرض لنوع من التفصيل، وأحياناً نجده يدل عليها

(١) ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم الدينوي، أبو محمد من أئمة الأدب ومن المصنفين الكثيرين ولد ببغداد وسكن الكوفة ثم ولي قضاء الديور مدة فسب إليها وتوفي ببغداد من كنية: تأويل مختلف الحديث، عيون الأخبار والشعر والشعراء - الإمامة والسياسة، غريب الحديث - وكثير منها (الأعلام ج ٤ ص ١٣٧).

(٢) ج ٢ ص ٩٥٢.

(٣) علاء الدين بن العطار علي بن إبراهيم بن داود بن سليمان بن سليمان الدمشقي الشافعي ويلقب بمختصر النووي (علاء الدين أبو الحسن) فقيه متكلم محدث ولد يوم عيد الفطر وسمع الحديث وأخذ عن محي الدين النووي وتوفي بدمشق مستهل ذي الحجة ٢٧٤هـ من تصانيفه: شرح عمدة الأحكام، أصول أهل السنة في الاعتقاد فضل الجهاد. (معجم المؤلفين ج ٤ ص ٥).

(٤) ص ٢٧، ٢٦ تعليق: علي عبد الحميد - دار الكتب الأثرية - عمان.

(٥) ٣٥٠/١٣ بتصرف .

(٦) ص ٦، ٥، توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة - مطبعة المدني لخدمة.

بالأدلة العقلية والنقلية ولكن هذا قليل ويرد علي المخالفين بالأدلة فإلي بيان ذلك من خلال تفسيره.

إثبات الأسماء والصفات بالتفصيل:

١. وذلك في المثالين السابقين اللذين أشرنا لهما(١).

٢. في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . .﴾ الأنعام: ١٠١ يقول : والله خالق كل شيء وليس شيء من المخلوقات مشابهاً لله بوجه من الوجوه ولما ذكر عموم خلقه للأشياء ذكر إحاطة علمه بها، فقال : وهو بكل شيء عليم" وفي ذكر العلم بعد الخلق إشارة إلي الدليل العقلي على ثبوت علمه وهو هذه المخلوقات وما اشتملت عليه من النظام التام ،والخلق الباهر فإن في ذلك دلالة على سعة علم الخالق وكمال حكمته(٢).

١ - وفي قوله تعالى: ﴿ . . . وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ الأنعام: ١٠٢، يقول :أي جميع الأشياء تحت وكالة الله وتدبيره خلقاً وتدبيراً وتصريفاً ومن المعلوم أن الأمر المتصرف فيه يكون استقامته وتمامه وكمال انتظامه بحسب حال الوكيل عليه.

ووكالته تعالى علي الأشياء ليست من جنس وكالة الخلق ،فإن وكالتهم وكالة نيابة والوكيل فيها تابع لموكله، وأما الباري تبارك وتعالى ووكالته من نفسه لنفسه متضمنة لكمال العلم وحسن التدبير والإحسان فيه والعدل فلا يمكن أحد أن يستدرك على الله ولا يرى في خلقه خلاً ولا فطوراً ولا في تدبيره نقصاً وعيباً(٣).

١. وعن صفة الاستواء في قوله تعالى: ﴿ . . . إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ . . .﴾ الأعراف: ٥٤، يقول: استوى استواءً يليق بجلاله وعظمته وسلطانه، فاستوى علي العرش، واحتوى علي الممالك(٤).

(١) تقدم ص ١٥٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٦٠ انظر القرطبي ج ٤ ص ٣٦ - دار الكتب العلمية .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٦١ انظر مفاتيح الغيب للرازي ج ١٣ ص ١٢٣ .

(٤) انظر القرطبي مج ٤ ص ١٤١، ١٤٠، المصدر السابق ص ١٣٥.

٥. صفه الكلام: في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ. . .﴾
التوبة: ٩٤، يقول: وفي هذه الآيات إثبات الكلام لله تعالى، وإثبات الأفعال الاختيارية لله
الواقعة بمشيئته تعالى وقدرته وفيه إثبات الرضا لله علي المحسنين، والغضب والسخط
علي الفاسقين^(١).

(١) انظر تفسير أبي السعود ت ٩٨٢هـ - ج ١ ص ٦٠٨ - دار الفكر، تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٣١٠ .

التعرض لآيات الأسماء والصفات بالدليل المفصل:-

وذلك في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ...﴾ البقرة: ٢١٠.

يقول: وفي هذه الآية وما شابهها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة المثبتين للصفات الاختيارية كالاستواء والنزول والمجيء، ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى عن نفسه وأخبر بها عنه رسوله ﷺ فيثبتونها لمعانيها علي وجه يليق بجلال الله وعظته من غير تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل خلافاً للمعطلة علي اختلاف أنواعهم، من الجهمية والمعتزلة والأشعرية ونحوهم ممن ينفي هذه الصفات، ويتأول لأجلها الآيات بتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان، بل حقيقتها القدر في بيان الله وبيان رسوله والزمع بأن كلامهم هو الذي تحصل به الهداية في هذا الباب، فهو لاء ليس معهم دليل نقلي ولا دليل عقلي^(١) ثم يسرد الدليلين، ولا داعي للتعرض لهما الآن للحاجة إليهما في رده - رحمه الله - علي المخالفين لأهل السنة من المعتزلة والأشاعرة والخوارج والشيعة.

ويقول الباحث: إن الفعل المطلق في الآية: ﴿... وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ جاء لإزالة الوهم الذي قد يطرأ علي بعض المتأولين فقد يكون الكلام عن طريق الوحي أو من وراء حجاب أو كفاحاً وهو المقصود في هذه الآية فقوله: "تكلماً" أي مواجهة وإلا لم يكن لهذا الفعل من زيادة في المعني لولا وجوده وقد ورد أن الله يكلم عبد الله بن جابر كفاحاً دون حجاب وهذا وارد في كتاب الصحاح^(٢) فيكون تكليم الله لبعض أنبيائه أولى.

(١) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص ١٦٥-١٦٦، انظر تفسير الشعراوي ج ٢ ص ٨٩٠.

(٢) المستدرک ج ٣ ص ٢٢٤ باب - ح (٤٩١٤) عن جابر بن عبد الله ﷺ، انظر تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٤٤٥، وانظر مختصر ابن كثير ج ١ ص ٤٦٥، ٤٦٦ - دار الصابوني، سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٣٠ كتاب: تفسير القرآن سورة (٣) باب: ومنه سورة آل عمران ح (٣٠١٠) - ط ١٣٩٥/٢ هـ - مصطفى الباي الحلبي قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ولا نعرفه إلا من حديث موسى ابن إبراهيم، كما رواه علي بن المدني وغير واحد من كبار أهل الحديث، ورواه ابن ماجه في المقدمة باب (١٣) وكتاب الجهاد باب (١٦).

(عن جابر رضي الله عنه قال: لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لي: يا جابر ما لي أراك منكراً؟ قلت: يا رسول الله استشهد أبي يوم أحد، وترك عيالاً وديناً، قال: ألا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ قال: قلت: بلي يا رسول الله قال: ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، أحيا أباك فكلمه كفاحاً، فقال: يا عبدي تمن علي أعطك، قال: يا رب تحيني فأقتل ثانية قال الرب عز وجل: إنه قد سبق مني (أنهم إليها لا يرجعون) قال: وأنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا...﴾ آل عمران: ١٧٠.

- وهكذا نرى أن مذهب أهل السنة والجماعة مجمعون علي إثبات الأسماء والصفات المتعلقة بذاته تعالى في إطار " ليس كمثل شيء " فكل صفة مدح اتصف بها المخلوق فاتصاف الخالق بها أولى، ولا تشبه صفة المخلوق، وكل اسم سمي به المخلوق لا يشبه اسم الخالق لأن اسم الخالق من صفاته.

- وكذلك كل صفة نقص ينتزه عنها المخلوق فالخالق أولى ألا يوصف بها، وإن كان المخلوق ليس بكامل، وفيه من صفات النقص بخلاف الخالق عز وجل، حتى بعض الأئمة الأشعرية، وهو أبو الحسن الأشعري اعترف بأن أهل السنة والجماعة اتفقوا على وصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير اعتراض

فيه ولا تكليف وأن الإيمان به واجب وترك الكيفية له لازم (١).

المبحث الثاني

منهج السعدي في القضايا الغيبية

إن الإيمان بالغيب من أركان الإيمان التي لا يسمي الإنسان مؤمناً إلا إذا آمن به وهو: كل ما غاب عن حواس الإنسان، مثل: الملائكة والجن والجنة والنار والأخرة إلي غير ذلك.

وهناك غيب يتعلق بالإنسان وحياته، وهي الأمور التي تحدث الله عنها في آخر سورة لقمان ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾: ٤٥، ونبدأ بإذن الله بأول الغيبات وهي الملائكة.

(١) تفسير القرطبي مج ٤ ص ١٤٠، تفسير الطبري، مفاتيح الغيب ج ١٣ ص ١٢٦، تفسير أبي السعود ج ١ ص ٦٠٨،

مناهج الإسلاميين ج ٢ ص ٩٤٦.

المطلب الأول الملائكة

جمع ملك بفتح اللام قيل مخفف من مالك، وقيل: مشتق من الألوكة، وهي الرسالة، وهذا قول الجمهور، وأصله لَأَكْ، وقيل أصله المَلَك بفتح الميم وسكون اللام وهو الأخذ بقوة^(١).

والإيمان بالملائكة من أركان الإيمان والمقصود به: الاعتقاد الجازم بوجودهم وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون^(٢) وقد ورد ذكرهم في القرآن بقوله تعالى: ﴿... كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ...﴾ البقرة: ٢٨٥.

وفي حديث جبريل المشهور الذي أخرجه الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث سأل جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقضاء والقدر"^(٣).

ومن أنكر وجودهم فهو كافر يا جماع المسلمين بل بنص القرآن الكريم: ﴿... وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ النساء: ١٣٦.

حقيقة الملائكة وصفاتهم: -

لا نعرف حقيقتهم إلا عن طريق السنة المطهرة لأننا لا نحس بهم ولا نراهم وحسبنا ما أخبرتنا به النصوص الشرعية من الكتاب والسنة.
- أما حقيقتهم: فهم مخلوقون من نور وأنهم يروننا ولا نراهم، فقد كان الملك ينزل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي ولا يراه الصحابة رضوان الله عليهم.

(١) انظر لسان العرب ج ١٠ ص ٣٩٤ - دار صادر - بيروت ص ٣٢، الإيمان - محمد نعيم ياسين.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٢ العقيدة الإسلامية وأسسها.

(٣) صحيح مسلم ج ١ ص ٣٧، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ح (٨) عن عمر بن الخطاب، وهو جزء من حديث طويل.

- أنهم يتشكلون بالأشكال المختلفة وذلك إما علي صورة رجل أعرابي كما في حديث جبريل السابق.

- أو علي صورة رجل من الصحابة مثل: دحية الكلبي(١)، وقد جاء لتصريح بذلك في عدة قصص في القرآن الكريم منها:-

- قصة إبراهيم عليه السلام وضييفه ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾
الذاريات: ٢٤.

- قصة لوط عليه السلام مع ضيفه أيضاً علي صورة شباب حسان فقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا. . .﴾ هود: ٧٧.

- أن لهم قدرات خارقة عجيبة كما جاء في القرآن الكريم: فهم يحملون عرش الرحمن ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ﴾ الحاقة: ١٧، وقال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ...﴾ غافر: ٧.

- أنهم يستغفرون للذين آمنوا لقوله: ﴿. . . وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا. . .﴾ غافر: ٧، وقال: ﴿. . . وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا. . .﴾ الشورى: ٥.

- الدعاء للمؤمنين أيضاً فقال: ﴿. . . فَأَغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ. . .﴾ غافر: ٧-٩.

- أنهم لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتناكحون، وإنما يسبحون الليل والنهار لا يفترون فقال: ﴿. . . وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ الأنبياء: ١٩-٢٠، وقال: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ. . .﴾ النساء: ١٧٢.

(١) دحية الكلبي: بن خليفة بن فروة بن فضالة بن امرئ - كان من أجهل الناس وجهاً روي عن النبي، قال ابن سعد أسلم قديماً ولم يشهد بدرأً وشهد المشاهد وبقي إلي خلفه معاوية وكان رسول نبي الله إلي قيصر، قال ابن البرقي: جاء عنه حديثاً وقال بعضهم سكن دمشق وكان منزله قرب المزة (تهذيب التهذيب ج ٣) ص ١٧٩-دار الفكر، رقم: (٣٩٤).

- المحافظة علي الإنسان في حياته لقوله: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ. . .﴾ الرعد: ١١، وقال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ الإنفطار: ١٠.

- قبض الأرواح لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ السجدة ١١، وقال: ﴿. . . حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ الأنعام: ٦١(١).

موقف السعدي من الملائكة:-

- عدم الإيمان بهم كفر صريح:-

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ. . .﴾ النساء: ٩٧، يقول: وفي الآية دليل علي الإيمان بالملائكة ومدحهم لأن الله ساق الخطاب لهم علي وجه التقدير والاستحسان منهم(٢).
ويقول في قوله تعالى: ﴿. . . وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ. . .﴾ النساء: ١٣٦، (واعلم أن الكفر

بشيء من هذه الأمور المذكورة كالكفر بجميعها لتلازمها وامتناع وجود الإيمان ببعضها دون بعض)(٣).

- شرف الملائكة بعبوديتهم لله عز وجل:-

وذلك في قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ. . .﴾ النساء: ١٧٢، يقول - رحمه الله - أي: فعيسى والملائكة المقربون

(١) العقيدة الطحاوية ص ٢٣٧ باختصار، انظر كبري اليقينيات الكونية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص ٢٢٢-٢٢٦ بتصرف، مطبعة مسودي القدس وادي الجوز ط ٦-١٣٩٩هـ، العقيدة الإسلامية وأسسها للميداني ص ٢٦٧-٢٧١ بتصرف، الإيمان ص ٣٢ وما بعدها بتصرف،

(٢) انظر تفسير أبي السعود ج ١ ص ٩٨، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣٩٢.

(٣) انظر تفسير أبي السعود ج ١ ص ٥٩٥، تيسير الكريم الرحمن ص ٤٢٦، ٤٢٥.

قد رغبوا في عبادة ربهم، وأحبوها وسعوا فيها فأوجب لهم الشرف العظيم والفوز المبين فلم يستكفوا أن يكونوا عبيداً لربوبيته ولا لإلهيته بل يرون افتقارهم لذلك فوق كل افتقار (١).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ سبأ: ٤٠-٤١، يقول: ﴿... ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ...﴾ علي وجه التوبيخ لمن عبدهم ﴿... أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ فتبرأوا من عبادتهم وقالوا: ﴿... سُبْحَانَكَ...﴾ أي: تنزيهاً لك وتقديساً، أن يكون لك شريك، أنت ولينا من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم ﴿... بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ هم الذين يأمرونهم بعبادتنا، أو عبادة غيرنا (٢).

-فضل حملة العرش وأدبهم مع ربهم ورحمتهم بالمؤمنين بالدعاء:-

وذلك في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا. ﴾ غافر: ٧-٩، يقول: وفي ضمن ذلك الإخبار عن شرف حملة العرش ومن حوله وقربهم من ربهم، وهؤلاء الملائكة قد وكلهم الله بحمل عرشه العظيم، فلا شك أنهم أكبر الملائكة وأعظمهم وأقواهم، واختيار الله لهم لحمل عرشه، وتقديمهم في الذكر يدل علي أنهم أفضل أجناس الملائكة عليهم السلام قال تعالى: ﴿... وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ﴾ الحاقة: ١٧ (٣).

(١) انظر تفسير أبي السعود ج ١ ص ٦١٤، تيسير الكريم الرحمن ص ٤٤٥.

(٢) انظر الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي ٩١١ هـ - ج ٦ ص ٧٠٩ - دار الفكر - ١٩٩٣ - ١٤١٤ هـ، تيسير الكريم الرحمن ج ٤ ص ١٩٥ - ١٩٦،

(٣) انظر الدر المنثور ج ٧ ص ٢٧٦، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣٤٧.

المطلب الثاني: الجن

الجن مخلوقات سفلية من النار تتشكل بجميع الأشكال لقوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾ الرحمن: ١٥، وقال: ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾ الحجر: ٢٧، وقال ﷺ: خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم^(١).

والإيمان بهم واجب لأنهم ثبتوا من الدين بالضرورة فمنكرهم كافر لأنه كذب القرآن الكريم فهم كالملائكة تماماً من حيث الإيمان بهم وعدم الإحساس بهم، فهم يروننا ولا نراهم لقوله تعالى: ﴿ . . . إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف: ٢٧.

وقد ثبت في السنة أيضاً أحاديث تثبت حقيقة الجن فمنها: أن النبي ﷺ انطلق في طائفة من أصحابه عامدين إلي سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وخبر السماء وأرسلت عليهم الشهب.

- فرجعت الشياطين إلي قومهم، فقالوا؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، فقالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاخبروا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلي النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلي سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك حين رجعوا إلي قومهم وقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلي الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً) فأنزل الله علي نبيه ﷺ ﴿ . . . قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ . . . ﴾ وإنما أوحى إليه قول (الجن).

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٦٧، والحديث: رواه مسلم ج ١٨ ص ١٢٣، كتاب الزهد، باب: في أحاديث

متفرقة (٩) عن عائشة رضي الله عنها.

ما ورد في بيان حقيقتهم وصفاتهم: -

١. إن الجن مخلوقون قبل الإنس، لقوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ الحجر: ٢٧، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦، فتقديم الجن يدل على سبقهم في الخلق .
٢. إنهم يتناسلون ولهم ذرية لقوله تعالى: ﴿... أَفَتَسَخِدُونَ لِرَبِّهِمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِمْ وَلَهُمْ عَدُوٌّ...﴾ الكهف: ٥٠.

٣. أنهم مكلفون بالعبادة مثل الإنس لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ .
٤. أنهم قسمان: مؤمن وكافر لقوله تعالى: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ الجن: ١٤-١٥ .
٥. أن الله سبحانه وتعالى تحداهم بالقرآن مثل العرب، فقال: ﴿قُلْ لَسِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء: ٨٨، كما تحداهم باختراق السموات.

قال: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ الرحمن: ٣٣ .
٦. أنهم يحاسبون علي أعمالهم، وهذا بديهي ما دام أن منهم المسلم والكافر، يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ .

٧. أنهم قادرون علي الأعمال الشاقة التي لا يطيقها غيرهم، فقد سخرهم الله لسليمان عليه السلام، فقال: ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَّاصٍ، وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ ص: ٣٧، فقال: ﴿... وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ...﴾ سبأ: ١٣ .

٨. أنهم لا يعلمون الغيب كما يظن كثير من الناس، لقوله تعالى في قصة موت سليمان

عليه السلام: ﴿... فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ سبأ: ١٤ (١).

وترتب علي أن من صدقهم في أمور الغيب، وذلك بالاستعانة بالكهنة والعرافين، فقد كفر بما أنزل علي محمد ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: (من أتى عرافاً فصدقه فقد كفر بما أنزل علي محمد) (٢).

هل للجن تأثير علي أجسام الإنس؟

من خلال النصوص القرآنية يتبين أن للجن تأثير علي الإنس في أجسامهم، لقوله تعالى حكاية عن آكلي الربا: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ...﴾ البقرة: ٢٧٥.

يقول السعدي: (أي من الجنون والصرع) (٣)، وكذلك لهم سلطان علي من يجري وراءهم ابتغاء إضرار الناس، وإلحاق الأذى بهم، ومن يستعين بهم في السحر، ومن هو بعيد عن ذكر الله، وتلاوة القرآن، والبعد عن الأوردة المأثورة، حيث قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ المؤمنون: ٩٧-٩٨.

يقول - رحمه الله: أعوذ بك من الشر الذي يصيب بسبب مباشرتهم، وهمزهم ومسهم، ومن الشر بحضورهم، وهذه استعاذة من مادة الشر كله، وأصله، ويدخل فيه الاستعاذة من جميع نزغات الشياطين، ومن مسه ووسوسته فإذا أعاذ الله عبده من هذا الشر سلم من كل شر (٤). وهناك حديث صريح بتأثير الجن علي الإنس بالمس والصرع، فقد جاء أن امرأة جاءت إلي رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله إني أُصرع فادع الله لي فقال لها: (إن

(١) انظر تفسير الخازن وبهامشه تفسير البغوي ج ٤ ص ١٥٨، العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٢٨٣ وما بعدها بتصرف.

(٢) المستدرک علي الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم ج ١ ص ٤٩ ح (١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: صحيح علي شرطهما جميعاً.

(٣) انظر تفسير الخازن وبها مشهه تفسير البغوي ج ١ ص ٢٩٧-٢٩٧-دار الفكر، وانظر تفسير البغوي ص ٢٩٧ في الهامش، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٢١٧،

(٤) انظر بحر العلوم ج ٢ ص ٤٢١، تيسير الكريم ج ٣ ص ٣٧٤ باختصار.

سئلت دعوت الله لك ، وإن سئلت صبرت ولك الجنة ، فقالت: بل أصبر، ولكن عدو الله يجعلني أتكشف فادع الله لي ألا أتكشف فدعا الله لها^(١).

فهذه امرأة مؤمنة فيكون صرعها من نوع الابتلاء والاختبار، وليس من نوع العذاب والانتقام، لقوله عليه السلام: " وإن سئلت صبرت ولك الجنة" ، الدليل على أنه من الجن ، وليس مرضاً عضوياً أنها قالت: إنه يدعني أتكشف فدل علي أنه شيطان .

- قال الليث: كتب إلي هشام أنه سمعه ووعاه عن عائشة رضي الله عنها ، قالت: (سُحر النبي ﷺ ، وكان يُخيل إليه أنه يفعل الشيء ، وما يفعله ، حتى كان ذات يوم دعا ودعا، ثم قال: أشعر أن الله أفتاني فيما فيه شفائي ؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما للآخر: ما وجع الرجل ؟ فقال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم قال: فيما ذا؟ قال: في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر^(٢)، قال: فأين هو ؟ قال: في بئر ذروان ، فخرج إليها النبي ﷺ ثم رجع فقال لعائشة حين رجع: نخلها كأنه رؤوس الشياطين فقلت : أستخرجته ؟ فقال : لا، أما أنا فقد شفاني الله وخشيت أن يثير ذلك على الناس شراً، ثم دفنت البئر" وقد ثبت أن لبيد بن الأعصم سحر رسول الله ﷺ ، ووضع السحر في بئر مهجورة ، فأخرجه جبريل عليه السلام وأبطل تأثيره^(٣)).

يقول الباحث: إن أكبر دليل علي ذلك ما نعيشه في مجتمعنا المعاصر من كثرة حدوث هذه الظاهرة الخطيرة، وانتشارها بين الناس، فلذلك لا بد من الرجوع إلى الله

(١) البخاري ج ٥ ص ٢١٤٠ باب: من يصرع من الريح ج (٥٣٢٨) عن ابن عباس رضي الله عنه، صحيح مسلم

ج ٤ ص ١٩٩٤ باب: ح (٢٥٧٦) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) طلع نخيل ذكر رطب.

(٣) الحديث: صحيح مسلم ج ٤ ص ١٧١٩ باب السحر، ح (٢١٨٩) عن عائشة رضي الله عنها، فتح الباري

ج ٦ ص ٣٣٤، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده (١١) ح (٣٢٦٨)، عن عائشة رضي الله عنها - المكتبة السلفية، ورواه أيضاً في كتاب الجزية، باب: هل يعفي الذمي إذا سحر؟ (١٤) ج ٦ ص ٢٧٦.

عز وجل واللجوء إليه، والاعتصام به وبدنيه ، فقد علمنا ﷺ أن نستعيز بالله من
الجن في كل أمور حياتنا عند الطعام والشراب واللباس والنوم والخلاء والجماع
.....الخ.

موقف السعدي من الجن:-

إن موقف الشيخ السعدي -رحمه الله- هو موقف أهل السنة والجماعة من حيث وجودهم والإيمان بهم، وأنهم كالإنس مأمورون منهيون، وأن الدعوة تشملهم، ونجد ذلك بعد تفسيره لسورة الجن عند بيان الفوائد المستخلصة من السورة بقوله:
وفي هذه السورة فوائد عديدة منها:-

وجود الجن وأنهم مأمورون منهيون ومجازون بأعمالهم، ومنها: أن الرسول ﷺ مبعوث إلى الجن كما هو مبعوث إلى الإنس، فإن الله صرف نفراً من الجن ليستمعوا القرآن، ويبلغوا قومهم .

ومنها: نكاء الجن ومعرفتهم بالحق، وحسن أدبهم مع ربهم في خطابهم

ومنها: شدة حرص الجن على استماعهم للرسول ﷺ، وتراكمهم عليه

ومنها: أن علوم الغيب قد انفرد الله بعلمها، فلا يعلمها أحد من الخلق إلا من ارتضاه الله، واختصه بعلم شيء منها^(١).

وقد بين ذلك الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية بقوله:-

وكانوا قد موهوا علي الإنس وأخبروهم أنهم يعلمون الغيب، ويطلعون على المكنونات فأراد الله أن يري العباد كذبهم في هذه الدعوى فمكثوا يعملون علي عملهم، وقضى الله بالموت علي سليمان عليه السلام اتكأ علي منسأته فكلما مروا به ظنوه حياً، وهابوه وظلوا علي هذه الحال سنة كاملة، كما قيل حتى سلطت دابة الأرض علي عصاه فلم تزل ترعاها حتى سقطت، وسقط سليمان وتفرقت الشياطين وتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، وهو العمل الشاق عليهم ولاستراحوا من العمل^(٢) فهذا أكبر دليل علي بطلان دعواهم في شيء هم أحوج شيء إليه، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ...﴾ سبأ: ٢٠

(١) تيسير الكريم الرحمن: ج٥ ص٣١٥ بتصرف، تفسير الخازن ج٤ ص١٦٣، انظر الدر المنثور ج٨ ص٣٠٧-دار الفكر.

(٢) تيسير الكريم الرحمن: ج٤ ص١٨٢ بتصرف، الدر المنثور ج٦ ص٦٨٢-٦٨٣ .

يقول: ثم ذكر قوم سبأ من الذين صدق عليهم إبليس ظنه، حيث قال لربه: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ ص: ٨٣، ٨٢ وهذا ظن من إبليس لا يقين

، لأنه لا يعلم الغيب ولم يأتيه خبر من الله أنه سيغويهم أجمعين إلا من استثنى (١).

وليس للشيطان تأثير علي بني آدم بالقهر والقوة وإنما بالإغواء: -

وهذا باعترافه يوم القيامة ﴿ . . . وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي . . . ﴾ إبراهيم: ٢٢، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ . . . ﴾ الصافات: ٣٠، والحق تعالى يقول: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ النحل: ١٠٠، ٩٩، وقال ﷺ: (إن الشيطان قد ينس أن يعبد في أرضكم ولكن رضي بما تحقرون من أعمالكم) (٢).

المطلب الثالث

عذاب القبر ونعيمه

ويبدأ بالموت الذي تنتهي به الحياة الدنيا، وبين البعث الذي تبدأ به الآخرة وهو ما يسمى بحياة البرزخ التي ذكرها القرآن بقوله: ﴿ . . . كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ المؤمنون: ١٠٠، ففي هذه الآية تصريح بأن بين الموت وبين البعث برزخاً، والبرزخ هو الحاجز بين شيئين، فحياة القبر تجز بين الدنيا والآخرة (٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن ج٤ ص ١٨٥، انظر أيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري ج٤ ص ٣١٦ - ط ١٤١٤ هـ - خاصة بالمؤلف.

(٢) المستدرک ج١ ص ١٧١، كتاب العلم، ح (٣١٨) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٦٤٢ - ٦٤٣، انظر المقتطف من عيون التفاسير للعلامة مصطفى المنصوري ج٣ ص ٤٨٦، حققه وخرج أحاديثه/محمد علي الصابوني - دار السلام.

- وقد ثبتت حياة البرزخ في الكتاب والسنة، بقوله تعالى: ﴿ . . . وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ . . . ﴾ الأنعام: ٩٣، وقال: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ . . . ﴾ الأنفال: ٥٠، ولا تعارض بين الآيتين، وبين ما هو متعارف عليه من أن العذاب بعد الدفن، لأن كليهما يعتبر من عذاب القبر وإنما أضيف العذاب والنعيم إلى القبر لوقوع معظمه فيه علي سبيل التغليب.

- وهناك آية صريحة في عذاب القبر في قوله تعالى حكاية عن آل فرعون: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ غافر: ٤٥، فدل على أن العرض علي النار غدواً وعشيا مغاير للعذاب يوم تقوم الساعة، فيكون المقصود بين الموت والنشور^(١).

- ومن السنة: ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله مرَّ علي قبرين، فقال: (إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلي أما أحدهما فكان يسعی بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرء من بوله، ثم أخذ عوداً رطباً فكسره اثنتين، ثم غرز كل واحد منهما علي قبر ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)^(٢).

أما إنكار عذاب القبر ونعيمه:-

فهو منزلق إلى الكفر لما ثبت بالدليل القاطع كما رأينا من الكتاب والسنة وأما إقراره من حيث الأصل مع الاختلاف أو الإثبات في كون العذاب يقع علي الروح فقط، أو الجسد والروح، فهذه مسألة ليست فيها أدلة قاطعة، إلا أن جمهور المسلمين وأهل السنة والجماعة يرون أن العذاب يقع علي الجسد والروح معاً^(٣).

(١) العقيدة الطحاوية ص ٣٣٠، البحر المحيط لأبي حيان ج ٧ ص ٤٤٨ تحقيق/مجموعة من العلماء - دار الكتب العلمية - ط ١٤٢٢/١هـ، كبري اليقينيات الكونية ص ٢٥٣-٢٥٤ بتصرف مكمل.

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ٢٤٠، كتاب الطهارة، باب الدليل علي نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ج (٢٩٢)

ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) كبري اليقينيات ص ٢٥٤-٢٥٥ بتصرف.

إجماع الأمة وأئمتها على حدوث عذاب القبر ونعيمه: -

يقول ابن القيم: -

مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وإن ذلك يحصل لروحه وبدنه وأن الروح بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحياناً، ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لرب العباد ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى^(١).

أما كيفية العذاب والنعيم: فهذه من الأمور الغيبية عنا لم يرد فيها نصن ويجب الإيمان بها كما هي، والله الخالق هو القادر على كل شيء، وإن قبر الإنسان في حفرة أو في بحر، أو مزق تمزيقاً أو حرق حرقاً، فإنه يحدث له نفس ما يحدث للإنسان المقبور من العذاب والنعيم، فيجب فهم ما جاء عن الرسول ﷺ من غير غلو ولا تقصير، ولا يحمل كلامه مالا يحتمله ولا تقصير به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان^(٢).

موقف السعدي من عذاب القبر ونعيمه: -

لا شك أن السعدي تبنى رأي أهل السنة والجماعة في مسألة عذاب القبر ونعيمه "البرزخ" من خلال تفسيره، ويقيم الأدلة على ذلك من خلال فهمه للآيات القرآنية، إما بالتصريح أو بالتلميح أو الاجتهاد ونجد ذلك في عدة أمثلة من تفسيره فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ . . .﴾^(١) آل عمران: ١٨٥.

يقول: (وفي هذه الآية إشارة لطيفة إلى نعيم البرزخ وعذابه، وأن العاملين يجزون فيه بعض الجزاء مما عملوه ويقدم لهم أنموذج مما أسلفوه، يفهم هذا من قوله: ﴿ . . . وَإِنَّمَا تُؤَفُّونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . . . ﴾^(٢) أي: توفية الأعمال التامة إنما يكون يوم القيامة وأما ما

(١) انظر تفسير الخازن ج٦ ص٨١ - المكتبة التجارية الكبرى، الإيمان، ياسين ص ٩١.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣٣ - ٣٣٤ باختصار، انظر الإيمان ص ٩١.

دون ذلك فيكون في البرزخ بل قد يكون في الدنيا كقوله: ﴿وَلَنذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾^(١).

فهكذا نرى أن السعدي قد أثبت نعيم البرزخ وعذابه عن طريق التلميح، ودلالة الألفاظ؛ لأن التوفية تكون بعد نقص في الشيء، والله أعلم.

٢. تلاقي أرواح أهل الخير وزيارة بعضهم بعضاً وتبشير بعضهم بعضاً:
وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ١٦٩-١٧١.

يقول: وفي هذه الآيات إثبات نعيم البرزخ وأن الشهداء في أعلى مكان عند ربهم وفيه تلاقي أرواح أهل الخير وزيارة بعضهم بعضاً، وتبشير بعضهم بعضاً^(٢).

٣. اعتبار العذاب عند الاحتضار من عذاب القبر:
وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ الأنعام: ٩٣.

يقول: (وفي هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه فإن هذا الخطاب والعذاب الموجه إليهم إنما هو عند الاحتضار وقبيل الموت وبعده، وقيل دليل على أن الروح جسم يدخل ويخرج، ويخاطب ويساكن الجسد، ويفارقه فهذه حالهم في البرزخ^(٣)).

٤. إثبات فتنة القبر المتمثلة بسؤال الملكين:
وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ إبراهيم: ٢٧.

(١) انظر فتح القدير ج ١ ص ٤٠٨، انظر تفسير الشعراوي ج ٣ ص ١٩٢٥، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣٠٠.
(٢) انظر فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ٣٩٩ - دار الفكر ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، تيسير الكريم الرحمن: ج ١ ص ٢٩٣، تفسير الشعراوي ج ٣ ص ١٨٧٠.
(٣) مختصر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٠٠ بنحوه فتح القدير ج ٢ ص ١٤٥، تيسير الكريم الرحمن: ج ٢ ص ٥٢.

يقول: وفي هذه الآية دلالة علي فتنة القبر وعذابه ونعيمه، كما تواترت بذلك النصوص عن النبي ﷺ في الفتننة وصفتها ونعيم القبر وعذابه (١).

٥. الاستشهاد بالآيات القرآنية لا ثبات عذاب البرزخ ونييمه بالاجتهاد:
وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه: ١٢٤.

يقول:

الأولي: وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر وأنه يضيق عليه قبره ويحصر فيه ويعذب، وهذه إحدى الآيات الدالة علي عذاب القبر.

الثانية: ﴿... وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ...﴾ الأنعام: ٩٣.

الثالثة: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْيِ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ السجدة: ٢١.

الرابعة: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ غافر: ٥٠.

والذي جعل السلف يفسرونها بذلك - والله أعلم - أخر الآية، وأن الله ذكر في آخرها يوم القيامة، وبعض المفسرين يرى أنها عامة في دار الدنيا (٢).

المبحث الرابع

البعث والجزاء

أولاً : البعث:

ويقصد به المرحلة الثالثة للإنسان بعد الحياة الدنيا وحياة البرزخ وهو ما يسمى باليوم الآخر، وقد ثبت وقوع البعث والجزاء في الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾ النساء: ٨٩، وقال: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ الأنبياء: ١، (٣) ويحدث هذا بعد النفخة الثانية، فتعود الحياة إلى الأموات، والأرواح إلى أجسادها

(١) تيسير الكريم الرحمن : ج٣ ص١٨، انظر فتح القدير ج٣ ص١٠٧، انظر مختصر ابن كثير ج٢ ص٢٩٧، وما بعدها.

(٢) انظر مختصر ابن كثير ج٢ ص٤٩٧، انظر فتح القدير ج٣ ص٣٩٢، تيسير الكريم الرحمن : ج٣ ص٢٥٨.

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٣٣٩ وما بعدها، كبرى اليقينات الكونية ص٢٧٨.

ويخرجون من قبورهم كما كانوا أحياء في الدنيا، فيقول الكفار والمنافقون حينئذ: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ يس: ٥٢.

ومن السنة: قوله ﷺ: (يصعق الناس حين يصعقون فأكون أول من قام ، فإذا موسى أخذ بالعرش فما أدري أكان فيمن صعق) (١).

ثانياً: البعث حقيقة لا شك فيها: -

وذلك أن الناس متفقون على أن الله هو الخالق ، ولا يشك في ذلك أحد فمن البديهي أن الذي يخلق قادر علي أن يفني خلقه، ثم يبعثه من جديد بل إن إعادة الخلق في أذهان الناس أهون من ابتدائه ، وهذا ما لفتنا القرآن إليه، بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ . . . ﴾ الروم: ٢٧، مع أنه يتساوى الأمران عند الله، ولكن لتقريب الفهم إلي الناس.

ثالثاً: أثبات البعث بالدليل العقلي:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ، أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْنَى ، ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ، أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ القيامة: ٣٦ - ٤٠ ، وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَبْتَتَ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ الحج: ٥ - ٧ (٢).

رابعاً: رد السعدي علي منكري البعث:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ . . . كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ . . . ﴾ الأعراف: ٢٩.

يقول: كما بدأكم أول مرة تعودون للبعث فالقادر علي بدء خلقكم قادر علي إعادته

(١) البخاري ج ٥ ص ٢٣٨٩ باب نفخ الصور ح (٦١٥٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، الإيمان ياسين ص ١٠٧ - ٦ - ١٠٨ بتصرف قليل.

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٤٣ - ٣٤٤ بنحوه، العقيدة الإسلامية وأسسها للميداني ص ٦٥١ بتصرف.

بل الإعادة أهون من البدء^(١)، وفي قوله تعالى: ﴿... كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف: ٥٧.

يقول: كذلك أحيينا الأرض بعد موتها بالنبات، كذلك نخرج الموتى من قبورهم بعدما كانوا رفاتاً متمزقين، وهذا استدلال واضح فإنه لا فرق بين الأمرين فمنكر البعث استبعاداً له مع أنه يري ما هو نظيره من باب العناد وإنكار المحسوسات^(٢)، وفي قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُوبِي وَإِي رَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ يونس: ٥٣.

يقول: أحق هو أي: أصحح حشر العباد وبعثهم بعد موتهم ليوم المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر؟ فكما ابتداء خلقكم ولم تكونوا شيئاً كذلك يعيدكم مرة أخرى ليجازيكم بأعمالكم^(٣)، وفي قوله: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ هود: ٤.

يقول: ليجازيكم بأعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر وفي قوله: ﴿... وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ كالدليل علي إحياء الله الموتى فإنه علي كل شيء قدير، ومن جملة الأشياء إحياء الموتى وقد أخبر بذلك وهو أصدق القائلين فيجب وقوع ذلك عقلاً ونقلًا^(٤). فهكذا نري السعدي لا يألوا جهداً في إثبات البعث والجزاء من خلال الآيات القرآنية والاستدلال علي ذلك بالعقل والنقل وضرب الأمثلة الحية.

حرية العقيدة: -

وهذا عدل من الله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى كما قال: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ طه: ١٥ وقال: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ

(١) مختصر ابن كثير ج ٢ ص ١٣، انظر فتح القدير ج ٢ ص ١٩٩، تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ١٢٠.

(٢) مختصر ابن كثير ج ٢ ص ٢٧، فتح القدير ج ٢ ص ٢١٥، تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ١٣٨، تفسير الشعراوي ج ٧ ص ٤١٨٥٢١٥.

(٣) مختصر ابن كثير ج ٢ ص ١٩٧، فتح القدير ج ٢ ص ٤٥٢، تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٣٦٢-٣٦٣.

(٤) مختصر ابن كثير ج ٢ ص ٢١١، فتح القدير ج ٢ ص ٤٨١، تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٢٩٣.

عَمَلًا... ﴿تَبَارَكَ: ٢، وقال: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ... ﴾
النساء: ١٤٧.

يقول السعدي: في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا يُتَجَزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسَعَىٰ ﴾ والحكمة في إثبات الساعة: "لتجزى كل نفس بما تسعى" (١).

المطلب الخامس

الجنة والنار

أولاً: إن الجنة والنار جنود من جنود الله عز وجل فالجنة يرحم بها من يشاء من عباده والنار يعذب بها من يشاء من عباده، وهما مخلوقتان معدتان لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٤، فدل ذلك علي وجود النار وانتظارها أهلها يوم القيامة (٢).

- وقد ثبت في السنة عن النبي ﷺ أنه قال: (لما خلق الله الجنة قال لها أنطقي فقالت: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ المؤمنون: ١) (٣).

ثانياً: إن نعيم الجنة وعذاب النار أمران حسيان ماديان وليس مجرد وهم يطوف بالنفس والروح، وإلا لم يكن للميعاد معنى (لتجزى كل نفس بما تسعى) يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ النساء: ٥٧.

- ويقول في وصف أهل الجنة: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ النساء: ٥٨.

(١) مختصر ابن كثير ج ٢ ص ٤٧٢، فتح القدير ج ٣ ص ٣٥٩، تيسير الكريم الرحمن ج ٣ ص ٢٢٧ ج ١ ص ٤٥.

(٢) مختصر ابن كثير ج ١ ص ٤٢، تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٤٥، ٤٤، تفسير الشعراوي ج ١ ص ٢٠٢.

(٣) صحيح ابن حبان البستي ج ١٦ ص ٤٠٦، لم يذكر الباب ح (٧٣٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

- فدللت هذه الآيات على حدوث نعيم الجنة وعذاب النار في الروح والجسد معاً، وليس أمراً وهمياً لا حقيقة له^(١)

- وكذلك فإن نعيم الجنة وعذاب النار أيديان للكفار لا نهاية لهما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ الكهف: ١٠٧-١٠٨.
- أما أهل النار فيقول عنهم: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كَثُرُونَ﴾ الزخرف: ٧٧^(٢).

أما العصاة فلا يخلدون في النار كما جاءت الأحاديث بذلك ولقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ الزلزلة: ٧-٨، فدل أن من عليه سيئات يعذب عليها وثم يدخل الجنة ، لأنه إذا دخل الجنة قبل أن يعذب فلا يخرج منها، فدل ذلك على أنه يعذب أولاً على سيئاته ، ثم يخرج من النار ، ويدخل الجنة برحمة الله.^(٣)

موقف السعدي من قضية الجنة والنار :-

من المعلوم أن موقفه رحمه الله موقف أهل السنة والجماعة كما بين ذلك في تفسيره لقوله تعالى: (أعدت للكافرين) البقرة: ٢٤ ، يقول: "فيها دليل لأهل السنة والجماعة أن الجنة والنار موجودتان مخلوقتان ، ومنها أيضاً أن الموحدين وإن ارتكبوا بعض الكبائر لا يخلدون في النار ، لأنه تعالى قال: (أعدت للكافرين) فلو كان عصاة الموحدين يخلدون فيها لم تكن معدة للكافرين وحدهم ، وفيها أن العذاب مستحق بأسبابه ، وهو الكفر وأنواع المعاصي على اختلافها".^(٤)
نقول: وهكذا نرى السعدي يخرج بعدة نتائج في آية واحدة ، مما يدل على سعة اطلاعه وفهمه لكتاب الله تعالى ، فأثبت أن الجنة والنار موجودتان ، وأن العصاة لا يخلدون

(١) كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٩١ بتصرف، انظر التفسير الميزج ص ١١٩، ١١٨.

(٢) انظر تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٤٤٢٩٣ ، كبرى اليقينيات الكويتية ص

(٣) العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٦٦٠ انظر في رحاب التفسير للشيخ كشك ج ٩ ص ٨٠٥٩.

(٤) انظر مختصر ابن كثير ج ١ ص ٤٣ ، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٤٤-٤٥.

في النار ، وأن الحساب إنما يأتي بسبب المعاصي أي : من قبيل ظاهرة الاختيار في الدنيا، وفي قوله تعالى : ﴿ . . . فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ البقرة: ٨١.

يقول: "وهي حجة عليهم كما ترى (الخوارج) فإنها ظاهرة في الشرك ، وهكذا كل مبطل يحتج بأية أو حديث صحيح على الباطل ، فلا بد أن يكون حجة عليه" (١). في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ النساء: ١٤ .

يقول: "إن الله رتب دخول الجنة على طاعته، ودخول النار على معصيته ومعصية رسوله ، فمن أطاعه طاعة تامة دخل الجنة ، ومن عصاه ورسوله معصية تامة دخل النار وخلد فيها - ومن اجتمع فيه معصية وطاعة كان فيه من موجب الثواب والعقاب يحسب ما فيه من الطاعة والمعصية ، فقد دلت النصوص المتواترة على أن الموحد غير مخلدين في النار ، لأن التوحيد مانع لهم من الخلود فيها" (٢).

وعن الخلود في الجنة والنار:- يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ... ﴾ وقال : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ﴾ هود : ١٠٦-١٠٨ .

يقول: "أي خالدين فيها أبداً إلا المدة التي شاء الله ألا يكون فيها كما قال الجمهور من المفسرين ، فالاستثناء راجع إلى ما قبل دخولها" (٣).

(١) انظر مختصر ابن كثير ص ٧٢، انظر الشعراوي ج ١ ص ٤٢٦، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٤٤-٤٥ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٣٥، انظر التفسير المنير ج ٤ ص ٢٨٧ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٤٣٥ وانظر تفسير الشعراوي ج ١١ ص ٦٦٨ وما بعدها، تفسير المنار ج ١٢ ص ١٦٠ دار الفكر.

المطلب السادس

القضاء والقدر

قبل أن نخوض في هذه المسألة فلا بد من التعرف على معنى كل منهما.

فالقضاء: علم الله تعالى في الأزل بالأشياء كلها على ما ستكون عليه في المستقبل.
والقدر: إيجاد تلك الأشياء بالفعل طبقاً لعلمه الأزلي المتعلق بها^(١).

والإيمان بهما ركن من أركان الإيمان الستة التي بينها رسول الله ﷺ ومعنى وجوب الإيمان بهما - كما ذهب أهل السنة والجماعة - وهو أن المكلف يجب عليه أن يؤمن بأن الله عليم بجميع أفعال العباد أزلاً وكيفية وقوعها في المستقبل ، وأنه أوجدها بقدر مخصوص^(٢).

ويمكن أن نعرف المصطلحين معاً بأنهما:-

إرادة الله إيجاد الأشياء على وجه مخصوص ثم إيجادها فعلاً على وفق المراد^(٣).

وقد ورد ذكر القدر في القرآن الكريم في كثير من الآيات منها:-

١ - ﴿... وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا﴾ الأحزاب: ٣٨ وقال: ﴿... قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ

شَيْءٍ قَدْرًا﴾ الطلاق: ٣، وقال: ﴿... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾

الفرقان: ٢، ومن السنة قوله ﷺ في حديث جبريل عندما سأله عن الإيمان فقال:

(وتؤمن بالقدر خيره وشره)^(٤)

(١) كبرى اليقينات الكونية ص ١٣٠ انظر تقريب التدمرية ص ٩٥ وانظر الإيمان ص ١٢٥.

(٢) كبرى اليقينات الكونية ص ١٣٠.

(٣) العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٧٣٠.

(٤) تقدم تخريجه "وهو جزء من حديث طويل" ص ١٦٧.

مراتب القضاء والقدر:-

يقول السعدي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ الأنعام: ٣٨. وفي هذه الآية دليل على أن الكتاب الأول (اللوح المحفوظ) قد حوى جميع الكائنات ، وهذا أحد مراتب القضاء والقدر، فإنها أربع مراتب:

- علم الله الشامل لجميع الأشياء.

- وكتابه المحيط بجميع الموجودات.

- ومشيتته وقدرته العامة النافذة في كل شيء.

- وخلقته لجميع المخلوقات حتى أفعال العباد.(١)

رد السعدي على القدرية:-

وهم الذين لا يدخلون فعل العبد في قدرة الله عز وجل، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة: ٢٠.

يقول: "ومن قدرته أنه إذا شاء أمراً فعله من غير ممانع ولا معارض . وفي هذه الآية وما أشبهها رد على القدرية القائلين بأن أفعالهم غير داخلة في قدرة الله تعالى ، لأن أفعالهم من جملة الأشياء الداخلة في قوله تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿...وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ البقرة: ١٠٢. يقول: "والإذن نوعان : قدرى وشرعى ، فالقدرى كما في هذه الآية ، والشرعى في قوله تعالى: ﴿...فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ البقرة: ٩٧ ، وفي هذه الآية وما أشبهها أن الأسباب مهما بلغت في التأثير فإنها تابعة للقضاء والقدر ليست مستقلة في التأثير ، ولم يخالف في هذا الأصل من فرق الأمة غير القدرية في أفعال

(١) تيسير الكريم الرحمن ج٢ ص٢٣ انظر تقريب التدمرية ص ٩٥، انظر الإيمان ياسين ص ١٢٨.

(٢) انظر تفسير القاسمي المسمى "محاسن التأويل" ج٤ ص٧٥٩-دار الفكر، تيسير الكريم الرحمن ح١ ص٤١.

العباد فزعموا أنها مستقلة غير تابعة للمشيئة فأخرجوها عن قدرة الله ، فخالفوا كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة والتابعين (١).

نقول: نستشف من هذه الأمثلة التزام السعدي بمذهب أهل السنة والجماعة في كل شيء ومنه القضاء والقدر والدلالة عليه من الكتاب والسنة والإجماع ، وأيضاً نرى شدة زوده عن دين الله ، وأسمائه وصفاته ، وأنه ليس شيء خارج عن قدرته وإرادته.

ولا يرضى لعباده الكفر: -

يقول تعالى: ﴿... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا...﴾ الأنعام: ١٠٧ .

يقول السعدي: "ولو شاء الله أي إيمانهم فالمفعول به محذوف ، ما أشركوا فبيّن أنهم لا يشركون على خلاف مشيئة الله ولو علم منهم اختيار الإيمان لهداهم إليه ، ولكن علم منهم اختيار الشرك فأشركوا بمشيئته (٢).

رد السعدي لشبهة المحتجين بالقدر: -

إن كثيراً من الناس عدا الكفار والمشركين قد يحتجون بالقدر على الشرع ويتخذون ذلك ذريعة في عدم تنفيذ أوامر الله ، ونرى الشيخ السعدي يرد على هؤلاء بالحجة والبرهان النقلية والعقلية.

يقول السعدي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا...﴾ الأنعام: ١٤٨ .

يقول: فلو كانت حجة صحيحة لدفعت عنهم العذاب ، ولما أحل الله بهم العذاب ، لأنه لا يحل بأسه إلا بمن استحقه ، فعلم أنها حجة فاسدة وشبهة كاسدة ، من عدة أوجه: -

١. لو أنها صحيحة لم تحل بهم العقوبة.

(١) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٨٢، انظر تفسير المراغي ج٣ ص٦٢ وما بعدها - دار الفكر.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج٢ ص٦٤ ، انظر تقريب التدمرية ص١٠١ بنحوه.

٢. أن الحجة لا بد أن تكون صحيحة مستندة إلى علم وبرهان ، أما إذا كانت معتمدة على الظن والخرص كانت باطلة، ولذلك قال تعالى: ﴿ . . . قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَسُخِّرِ جُوهَ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ الأنعام: ١٤٨ .
٣. أن الله الحجة البالغة التي لم تبق لأحد عذراً ، اتفقت عليها الأنبياء والمرسلون والكتب الإلهية ، والآثار النبوية ، والعقول السليمة ، والفطر المستقيمة .
٤. أن الله تعالى أعطى كل مخلوق إرادة وقدرة واختياراً يتمكن من خلالها أن يقوم بما كلف به . فالاحتجاج بالقضاء والقدر - بعد هذا - ظلم محض، وعناد صرف .
٥. أن الله تعالى لم يجبر أحداً على الكفر ، بل جعل أفعالهم تبعاً لاختيارهم فإن شاؤوا فعلوا وإن شاؤوا كفوا. فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والحركة القسرية ، وإن كانتا داخلتين في مشيئته تعالى، ومندرجة تحت إرادته^(١) .
٦. إن المحتجين بالقضاء والقدر على المعاصي متناقضون في ذلك لأنه لو أساء إليهم مسيء بأخذ مال أو ضرب واحتج بالقضاء والقدر لما قبلوا منه هذا العذر .
- فيا عجباً كيف يحتجون بالقضاء والقدر على المعاصي ، ولا يحتجون بها على فعل غيرهم؟ أم احتجاجهم بالقضاء والقدر ليس مقصوداً ، وإنما المقصود دفع الحق ، ويرون أن الحق بمنزلة الصائل^(٢) .
- وبذلك نرى السعدي - رحمه الله - ينافح عن عقيدة السلف بكل ما أوتي من قوة وعلم وفهم بالأدلة العقلية والمنطقية الواقعية في حياة الناس^(٣) .

المبحث الثالث

رده على المخالفين لأهل السنة والجماعة" وفيه ثلاثة مطالب:

- (١) مختصر ابن كثير ج ١ ص ٦٣٠ بنحوه، فتح القدير ج ٢ ص ١٥٠، تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٩٥-٩٧ بتصرف، تفسير الشعراوي ج ٦ ص ٣٨٥٣، ج ٩ ص ٧٣٩٧٩ .
- (٢) الصائل: من الفعل : صول ويطلق علي السارق أو الساطي في عرف الشرع. (انظر لسان العرب ج ١١ ص ٣٨٧) .
- (٣) انظر مختصر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٦٣٠ بنحوه، انظر فتح القدير ج ٢ ص ١٥٠ من غير تفصيل، تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٩٥-٩٧ بتصرف ، تفسير الشعراوي ج ٦ ص ٣٨٥٣ ج ٧ ص ٣٩٧٩ .

عرفنا من قبل أن السعدي - رحمه الله - قد سلك مسلك أهل السنة والجماعة في عقيدتهم ، ولذلك من اللازم أن يتصدى لمن خالف هذه العقيدة الصحيحة بكل ما أوتي من قوة ، ومن هذه الطوائف التي تصدى لها السعدي : الأشاعرة والمعتزلة والخوارج، ونبدأ بالمطلب الأول الذي يرد فيه على الأشاعرة.

المطلب الأول الرد على الأشاعرة

وهم فرقة أثبتت لله الأسماء، وبعض الصفات، ونفوا أكثرها، وردوا ما استطاعوا من النصوص وحرفوا ما لم يمكنهم رده وسموا ذلك التحريف تأويلاً^(١). فأثبتوا لله سبع صفات: الحياة والعلم والإرادة والقدرة والكلام والسمع والبصر ، على خلاف بينهم وبين السلف في كيفية إثبات بعض هذه الصفات ، وشبهتهم فيما ذهبوا إليه أن إثبات ما نفوه يستلزم التشبيه، أي التمثيل ، أما ما أثبتوه من الصفات فقالوا: إن العقل قد دل عليها^(٢).

مذهب السعدي في الرد على الأشاعرة:-

وذلك بيان بطلان دعواهم ، والقصد من هذا التأويل هو : القدح في بيان الله تعالى وبيان رسوله ﷺ والزمع أن كلامهم هو الذي تحصل به الهداية دون غيرهم، ثم يتبع في بيان بطلان دعواهم بالأدلة النقلية والعقلية وهذه أمثلة منها :-
(١) في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ... ﴾
البقرة: ٢١٠ .

يقول: وهذه الآية وما أشبهها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة المثبتين للصفات الاختيارية ، كالاستواء والنزول والمجيء ونحو ذلك من الصفات التي أخبر الله بها عن نفسه ، وأخبر بها رسوله ﷺ من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف وخلافاً للمعطلة على اختلاف أنواعهم ومنهم الأشاعرة ، ممن ينفي هذه الصفات ويتأول لأجلها الآيات بتأويلات كاذبة.

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤ بنحوه، تقريب التدمرية ص ٢٥ بتصرف.

(٢) تقريب التدمرية ص ١٥٢ وما بعدها بالتفصيل.

الدليل النقلى: فقد اعترفوا أن نصوص الكتاب والسنة ظاهرها ، بل صريحها دال على مذهب أهل السنة والجماعة، وأنها تحتاج للدلالة على مذاهبهم الباطل بأن تخرج عن ظاهرها ويزاد فيها وينقص ، وهذا لا يرضاه من كان في قلبه مثال ذرة من إيمان. وأما الدليل العقلي :-

١- ليس في العقل ما يدل على ذلك ، إذ الفاعل أكمل من العاجز ، وأن فعله المتعلق بذاته وبخلقه هو كمال ، فإن زعموا أن إثباتها يقتضي التشبيه ، قيل له: إن الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذات ، فكما أن الله ذاتاً لا تشبه الذوات، فكذلك له صفات لا تشبه صفات المخلوقين ،فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه بوجه من الوجوه.

٢- ويقال أيضاً لمن أثبت بعض الصفات ونفى بعضاً : إما أن تثبت الجميع وإما أن تنفيه ، وتكون منكراً لرب العالمين. أما إثبات بعض الصفات ، ونفي البعض الآخر فهو تناقض ، ففرق بين ما أثبتته ونفيته ، ولن تجد إلى الفرق سبيلاً ، فإن قلت : ما أثبتته لا يقتضي تشبيهاً قال لك أهل السنة : وما نفيته لا يقتضي تشبيهاً^(١) وإن قلت : لا أعقل من الذي نفيته إلا التشبيه ، قال لك النفاة : ونحن لا نعقل من الذي أثبتته إلا التشبيه. والحاصل أن من نفى شيئاً مما دل الكتاب والسنة على إثباته ، فهو متناقض ليس له دليل عقلي ولا شرعي بل قد خالفهما معاً^(٢).

(٢) مذهب السعدي في الرد على الأشاعرة:-

وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ . . .﴾

الأنعام: ١٠٣ .

يقول: لا تدركه الأبصار لعظمته وجلاله وكماله ، أي لا تحيط الأبصار به ، وإن كانت تفرح برويته في الآخرة، ونفي الإدراك لا ينفي الرؤية ، بل يثبتها بالمفهوم فإنه لو أراد نفي الرؤية لقال : (لا تراه الأبصار) ، نعلم أنه ليس في الآية حجة

(١) انظر أضواء البيان للشنقيطي ج ٢ ص ٢٨٤ وما بعدها بالتفصيل، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٦٥، ١٦٧،

بتصرف.

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠١، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٦٥-١٦٧ بتصرف.

لمذهب المعطلة الذين ينفون رؤية ربهم في الآخرة ، بل فيها ما يدل على نقيض قولهم^(١).

نقول: والذي جعلنا نعتبر الأشاعرة من المعطلة وإن كانوا من ضمنهم - هو إثباتهم لسبع صفات فقط ، والتي أشرنا إليها سابقاً، والرؤية ليست منها عندهم. ومثال آخر على الرؤية الصريحة ، لأن المثال السابق يدل على نفي الإدراك، وهو حق ، وفي هذا المثال يؤكدون فيه عدم الرؤية في قوله تعالى: ﴿... قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي...﴾ الأعراف: ١٤٣.

ويقول السعدي: (لن تراني) أي في الدنيا ، لأن الخلق لا يقدر على رؤية الله في الدنيا لأن تركيبهم الجسماني لا يحتمل الرؤية ، وليس في هذا دليل على عدم الرؤية ، فإنه قد دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أن أهل الجنة يرون ربهم ، وأنه ينشئهم نشأة كاملة يقدر على رؤية الله تعالى. ولهذا رتب الله الرؤية في هذه الآية على ثبوت الجبل ، فلما اندك الجبل ولم يقدر على رؤيته تعالى ، كان موسى أولى بعدم الرؤية لضعفه^(٢).

ولكن الشعراوي - رحمه الله: قال "لن" تفيد التأييد الإضافي ، أي نفي الرؤية الأبدي في الدنيا ، لا في الآخرة ، ولأن الله علق الرؤية على شيء ممكن حدوثه ، وهو استقرار الجبل فتكون الرؤية ممكنة^(٣).

ونقول: بأن النصوص القرآنية التي أشار إليها السعدي في تفسيره كثيرة منها: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ القيامة: ٢٢-٢٣، وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٩ وما بعدها، فتح القدير ج ٢ ص ١٤٨، تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٦١-٦٢ بتصرف، كبرى اليقينات الكونية ص ١٤٠ وما بعدها، انظر تفسير الشعراوي ج ٦ ص ٣٨٤١ وما بعدها.

(٢) انظر فتح القدير ج ٢ ص ٢٤٣، تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ١٧٢-١٧٣ بتصرف تفسير الشعراوي ج ٧ ص ٤٣٤٣ وما بعدها.

(٣) انظر مختصر ابن كثير ج ١ ص ٦٠٤-٦٠٥ بالنفصيل، تفسير الشعراوي ج ٧ ص ٤٣٤٣.

رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ المطففين: ١٥ ، فإذا كان الله قد عذب هؤلاء بإعراضه عنهم وعدم رؤيتهم له سبحانه ، فهذا دليل على أنه يتكرم على عباده المؤمنين بالنظر إلى وجهه الكريم كل على حسب عمله. وقد ورد عن الإمام الشافعي - رحمه الله - أنه سئل عن هذه الآية فقال: "والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا" (١).

ومن الأحاديث : الحديث المرفوع الذي يقول: (واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) (٢) فدل ذلك على أن الرؤية ممكنة بعد الموت في الآخرة ، لأن حتى تفيد الغاية.

المطلب الثاني

الرد على المعتزلة

المعتزلة: وهم فرقة من المعتلة يثبتون لله تعالى الأسماء دون الصفات ، ويجعلون الأسماء أعلاماً محضة ، ثم منهم من يقول بأنها مترادفة فالعليم والقدير والسميع والبصير شيء واحد ، ومنهم من يقول بتباينها ، ولكنه عليم بلا علم ، قدير بلا قدرة وسميع بلا سمع ، بصير بلا بصر ونحو ذلك وشبهتهم أنهم اعتقدوا أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه ، لأنه لا يوجد شيء متصف بالصفات إلا جسم والأجسام متماثلة ، فإثبات الصفات يستلزم التشبيه (٣).

رد السعدي على المعتزلة:-

١ - مسألة الرؤية: وقد وضحناها بما يغني عن الإعادة في مطلب الرد على الأشاعرة السابق. (٤)

٢ - مسألة الكلام: فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿... أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ الأعراف: ١٤٨.

(١) طبقات السبكي الكبرى ج ١ ص ٨١، كبرى اليقينيات ص ١٤٢.

(٢) السنن الكبرى للنسائي "أحمد بن شعيب ت ٣٠٣هـ" ج ٤ ص ٤١٩ - ح (٧٧٦٤) جزء من حديث دار الكتب العلمية ط ١/١٤١١هـ - ١٩٩٨م - تحقيق د. عبد القادر البنداري - سيد كسروي حسن / عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤١ مختصراً، تقريب التدمرية ص ٢٩ - ١٥٦ وما بعدها بالتفصيل.

(٤) تقدم بيانه ص ١٩١، انظر الكشاف للزمخشري ج ٢ ص ١١٢ وما بعدها.

يقول : "وعدم الكلام نقص عظيم" - لأن من المتقرر في العقول والفطر أن من اتخذ إلهاً لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر من أبطل الباطل ، وأسفه السفه ، وفيها دليل على من أنكر كلام الله فقد أنكر خصائص الألوهية لله تعالى ، لأن الله ذكر أن عدم الكلام دليل على عدم صلاحية الذي لا يتكلم للألوهية(١).

يقول الباحث: نلاحظ أن السعدي أحياناً لا يذكر اسم الفرقة أو الطائفة الضالة عن الحق ، ولكنه يتناول كلاماً عاماً يشمل جميع من يأخذون بهذه المعتقدات والذي جعلنا نوقن أن هذه الآية رد على المعتزلة وإن لم يصرح بذكرها - هو نفس الكلام فهم ينفون الصفات جميعها بخلاف الأشاعرة.

٣- موقفه من مسألة صفات الله:-

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ...﴾ الأعراف: ١٨٠.

يقول: هذا بيان لعظيم جلاله وسعة أوصافه، وبأن له الأسماء الحسنى ، أي له كل اسم حسن.

وضابطه : أن كل اسم دال على صفة كمال ، وبذلك تكون حسنى ، فلو دلت على غير صفة بأن تكون علماً محضاً ولم تكن حسنى وكذلك لو دلت على صفة نقص أو منقسمة إلى مدح وقدح لم تكن حسنى. فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق منها ، مستغرق لجميع معناها وذلك : نحو (العليم) الدال على إحاطة علمه بجميع الأشياء ، و(الرحيم) الذي وسعت رحمته كل شيء، و(القدير) الذي قدرته مطلقة لا يعجزها شيء ونحو ذلك.

وقوله : ﴿... وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ...﴾ وحقيقة الإلحاد الميل بها عن معناها وذلك : إما بأن يسمى بها من لا يستحقها كآلهة المشركين وإما بنفي معناها وتحريفها ، وأن يجعل لها معنى ما أراده الله ولا رسوله ، وإما أن يشبه بها غيرها فالواجب أن يحذر الإلحاد فيها ، والملحدون كذلك(٢).

(١) انظر فتح القدير ج٢ص٢٤٧ بنحوه، تيسير الكريم الرحمن ج٢ص١٧٦ بتصرف.

(٢) فتح القدير ج٢ص٢٦٨ بنحوه، تيسير الكريم الرحمن ج٢ص١٩٧ بتصرف انظر تفسير الشعراوي ج٧ص٤٤٨٠ بنحوه.

نقول: من خلال تفسير السعدي لهذه الآية نجد أنه أشار إلى مذهب المعتزلة في معنى الآية وهو الإلحاد في أسمائه تعالى وصفاته ، لأن صرف الصفة عن الموصوف إلحاد في أسماء الله ، إذ لا يتصور وجود اسم مجرد عن صفاته إلا في الخيال والأذهان. ولهذا عاب إبراهيم عليه السلام على قومه بأن عبدوا آلهة لا تتطق ولا تتكلم فقال: ﴿ . . . لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ الأنبياء: ٦٥. فقال عليه السلام: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ الأنبياء : ٦٦-٦٧ . فجعل من يتخذ إلهاً مجرداً عن صفة النطق إنساناً مسلوب العقل ، فلا يقر ذلك عاقل. وكما قال لأبيه أزر : ﴿ . . . يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ مريم : ٤٢. فجعل صفتي السمع والبصر من مقومات وصفات الإله المعبود بحق .

مناقشة السعدي للمعتزلة في مسألة خلق القرآن:-

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ . . . ﴾ التوبة : ٦ .

يقول: وفي هذا حجة صريحة لمذهب أهل السنة والجماعة القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، لأنه تعالى هو المتكلم به وأضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها، وبطلان مذهب المعتزلة ومن أخذ بقولهم أن القرآن مخلوق فهو كلام الله الأزلي الأبدي(١).

الجنة والنار:-

وذلك في قوله تعالى: ﴿ . . . أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ . . . ﴾ البقرة: ٢٤ .

يقول : (وفي قوله : (أعدت للكافرين) ونحوها من الآيات دليل لمذهب أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار مخلوقتان ، خلافاً للمعتزلة ، وفيها أن الموحدين وإن ارتكبوا بعض الكبائر - لا يخلدون في النار لأنه قال: (أعدت للكافرين) فلو كان

(١) انظر محاسن التأويل للقاسمي ج٥ص١٣٨، تيسير الكريم الرحمن ج٢ص٢٥٣، ج٤ص٣٣٥.

عصاة الموحدين يخلدون فيها لم تكن معدة للكافرين وحدهم خلافاً للمعتزلة . نجد السعدي في هذه الآية يرد على المعتزلة بالحجة^(١) والبرهان العقلي والنقلي آخذاً من ظاهر النص بصيغة الماضي ، وكما جاء في الحديث أنها أوقد عليها ثلاثة آلاف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة^(٢) .

الرد على المعتزلة بشكل عام:-

وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ . . . لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

الشورى : ١١ .

يقول: (أي ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، لأن أسماء كلها حسنى وصفاته صفات كمال وعظمة ، وأفعاله تعالى ليس له مشارك فيها ، فليس كمثله شيء لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه .. وفي هذه الآية ونحوها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة على إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات . وفيها رد على المشبهة في قوله ﴿ . . . لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . . . ﴾ وعلى المعطلة في قوله: ﴿ . . . وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

- فهذه الآيات بدأت بنفي مماثلة الله تعالى لمخلوقاته في أسمائه وصفاته ، ثم أثبتت له الأسماء والصفات في نفس الوقت على الوجه اللائق به سبحانه فالمعتزلة أيضاً زعموا أن في إثبات الصفات تشبيهه ، وهذا باطل لأنه : لا يتصور إنسان عالماً بدون علم، ولا سميعاً بدون سمع، ولا بصيراً بدون بصر، فإذا لم يمكن هذا في المخلوق الضعيف، فكيف يجوز ذلك على الخالق الذي يجب أن يتصف بكل صفات الكمال؟

(١) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٤٤-٤٥ بتصرف انظر تفسير الشعراوى ج١ ص٢٠٢-٢٠٣، انظر اتجاهات التفسير ص١٠٧ .

(٢) مجمع الزوائد للهيثمى ج١٠ ص٣٨٧ كتاب صفة النار، بدون باب عن عمر بن الخطاب

رضي الله عنه، رواه الطبراني في الأوسط، وهو مجمع علي ضعفه، فيه سلام الطويل .

فمثلاً : في قوله تعالى: ﴿... وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ أي مشافهة بدون واسطة حتى اشتهر عن العالمين "موسى كليم الرحمن" (١).
وتكليماً مصدر مؤكد، وفائدة التأكيد دفع توهم كون التكليم مجازاً... وأجمع النحويون على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً وإنما علي سبيل الحقيقة (٢)

المطلب الثالث

الرد على الخوارج

الخوارج : هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مسألة التحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وكان النائب عن علي أبو موسى الأشعري وعن معاوية عمرو بن العاص (٣) ، وقد وردت أحاديث في ذم الخوارج ، وقد كفروا علياً رضي الله عنه وقد ظهروا في الفتنة الأولى (مقتل عثمان رضي الله عنه وقد غلوا في الإثبات حتى وقعوا في التشبيه (٤).

رد السعدي على عقيدة الخوارج في:-

١- خلود عصاة الموحدين في النار: وذلك في قوله تعالى: ﴿... أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ...﴾ البقرة: ٢٤ ، وقد بينا ذلك في المطلب السابق عند الحديث عن المعتزلة. (٥)

أ - كفر صاحب المعصية: وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿... فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ، وقد احتج بها الخوارج على كفر صاحب المعصية ، وهي حجة عليهم كما ترى ، فإنها ظاهرة في الشرك ، وهكذا كل مبطل يحتج بآية ، أو حديث

(١) انظر مختصر ابن كثير ح ١ ص ٤٦٦، ٤٦٥ بالتفصيل، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٤٤٠.

(٢) فتح القدير ح ١ ص ٥٣٨ بتصرف، انظر تفسير الشعراوي ج ٥ ص ٢٨٤٥.

(٣) انظر العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي المالكي "ت: ٥٤٣ هـ" ص ١٧٥ وما بعدها بالتفصيل.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٣ - ٤٥٤ بتصرف، تقريب التدمرية ص ١٤٨ .

(٥) تقدم شرحه ص ١٩٥ .

صحيح على قوله الباطل فلا بد أن يكون فيما احتج به حجة عليه^(١).

ب - في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ . . . فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ . . . ﴾ البقرة: ١٧٨ (وفي قوله "أخيه" دليل على أن القائل لا يكفر ، لأن المراد بالأخوة هنا أخوة الإيمان ، فلم يخرج بالقتل منها ، ومن باب أولى ، أن سائر المعاصي التي هي دون الكفر ، لا يكفر بها فاعلها ، وإنما ينقص بذلك إيمانه^(٢)).

نقول: ففي المثال الأول كان الحديث عن الصغائر كما هو مفهوم من الآية أما المثال الثاني فهو في حق مرتكب الكبيرة وهي القتل ، فكلاهما : صاحب المعصية وصاحب الكبيرة لا يكفر، وكما وردت الأحاديث التي تبين أنه لا يبقى في النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

ج- في قوله تعالى في قضية الربا : ﴿ . . . وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ البقرة: ٢٧٥.

يقول: (وليس فيها حجة للخوارج كغيرها من آيات الوعيد فالواجب أن تصدق جميع نصوص الكتاب والسنة فيؤمن العبد بما تواترت به النصوص ، من خروج من في قلبه أدنى مثقال ذرة خردل من الإيمان من النار ، ومن استحقاق هذه الموبات لدخول النار إن لم يتب منها)^(٣).

د - في قوله تعالى في مسألة المواريث : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ النساء : ١٤ .

يقول : (فلا يكون فيها شبهة للخوارج القائلين بكفر أهل المعاصي فإن الله تعالى رتب دخول الجنة على طاعته والنار على معصيته فمن أطاعه طاعة تامة دخل

(١) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٧٢ انظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ص٧٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١٤٠ انظر العقيدة الإسلامية وأسسها ص٦٦٠ بنحوه انظر اتجاهات التفسير ص١٠٨، انظر تفسير الشعراوي ج٢ ص٧٥١.

(٣) انظر مقتطفات من اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ص١٥٥-١٥٦، انظر فتح القدير ح١ ص٢٩٦، تيسير الكريم الرحمن ح١ ص٢١٨.

الجنة ومن عصاه معصية تامة دخل النار ، ومن اجتمع فيه طاعة ومعصية كان فيه من موجب الثواب والعقاب على قدرها وقد دلت النصوص المتواترة على عدم خلود الموحدين في النار، لأن التوحيد هو المانع من خلودهم فيها.(^١)

رد الشيخ السعدي على الخوارج في مسألة القاتل العمد :-

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فِجْرًاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء : ٩٣ .

يقول: (وقد اختلف الأئمة رحمهم الله تعالى في تأويلها مع اتفاقهم على بطلان قول الخوارج والمعتزلة الذين يخلدونهم في النار ولو كانوا موحدين. والصواب في تأويلها ما قاله الإمام المحقق "شمس الدين ابن القيم" رحمه الله في المدارج : فإنه قال بعد ما ذكر تأويلات الأئمة في ذلك وانتقدها فقال: "وقد قام الدليل مع ذكر الموانع فبعضها بالإجماع - وبعضها بالنص، فالتوبة مانع بالإجماع، والتوحيد مانع بالنصوص المتواترة التي لا دافع لها، والحسنات العظيمة الماحية مانعة والمصائب الكبار المكفرة مانعة، وإقامة الحدود في الدنيا مانع بالنص، ولا سبيل إلى تعطيل النصوص هذه فلا بد من إعمال النصوص من الجانبين(^٢) .

(٣) تكفير الخوارج لعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وأصحاب الجمل والحكمين رضي الله عنهم :-

لاشك أن أعظم كبيرة صدرت من الخوارج فضلاً عن باقي معتقداتهم هي كبيرة تكفير أحد من صحابة رسول الله ﷺ الذين مدحهم الله تعالى وزكاهم ورضي عنهم

(١) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٣٢٨، انظر التفسير المنير ج٤ ص٢٨٧ .

(٢) انظر فتح القدير ج١ ص٤٩٩ بالتفصيل، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٣٨٧ بتصرف، انظر مقتطفات من اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ص١٥٥ .

(٣) تقريب التدمرية ص١٤٩ .

ورضوا عنه فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
 بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ. . .﴾ التوبة : ١٠٠ ، وقال عنهم : ﴿. . . وَعَدَّ اللَّهُ
 الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح : ٢٩ ، وقال ﴿...إِنَّمَا
 يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب : ٣٤. وقال
 ﷺ لعلي رضي الله عنه: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا
 نبي بعدي) (١)

وقال : (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد
 أحدهم ولا نصيفه) (٢)

موقف الشيخ السعدي من الصحابة الكرام :-

(فهذان، الصنفان الفاضلان الزكيان هم الصحابة الكرام، والأئمة
 الأعلام، والذين حازوا من السوابق ، والفضائل والمناقب ما سبقوا به من بعدهم،
 وأدركوا به من قبلهم فصاروا أعيان المؤمنين وسادات المسلمين وقادات المتقين،
 وحسب من بعدهم من الفضل أن يسير خلفهم ويأتم بهدايم) (٣).
 نقول : ومن الآيات والأحاديث السابقة نجد أن تكفير الخوارج لأحد من صحابة
 النبي ﷺ باطل بنص القرآن والحديث الشريف الذي صرح بفضل علي رضي الله عنه وأنه
 بمنزلة هارون عليه السلام من موسى عليه السلام، وإنما صدر هذا التكفير عن هوى

(١) البخاري ج ٣ ص ١٣٥٩ باب مناقب علي بن أبي طالب ﷺ - ح (٣٥٠٣) عن إبراهيم بن سعد بن أبي

وقاص ج ٤ ص ١٦٠٢ باب غزوة تبوك، ح (٤١٥٤) عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص ﷺ .

(٢) البخاري ج ٣ ص ١٣٤٣ باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً " ح (٣٤٧٠) عن أبي سعيد الخدري

ﷺ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ح ٥ ص ٢٠٤ ، انظر مقتطفات من اتجاهات التفسير ص ١٥٧-١٥٨ .

في أنفسهم عندما قالوا لا حكم إلا لله، فهذه كلمة حق أريد بها باطل ، ولو أنهم أرادوا ما قالوا لا تبعوه **ﷺ**.

ومن خلال هذا المبحث نرى مدى حرص السعدي - رحمه الله - في اقتفاء أثر السلف الصالح في عقيدتهم والذود عن الإسلام وعقيدته بما أوتي من قوة وعلم، سواء في أصول التوحيد، أو الغيبيات، أو الرد على الفرق الضالة ، وهذا من فضل الله عز وجل الذي هياً لهذا الدين من يزود عن حياضه ، ويدافع عن أصوله وفروعه، وهذا تحقيق قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر: ٩، وقوله : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت : ٤٢ .

خاتمة:

وقد تناولنا في هذا الفصل بمباحثه الثلاثة:-

- ١- أنواع التوحيد (الربوبية - الألوهية - الأسماء - الصفات).
 - ٢- القضايا الغيبية وفيها ستة مطالب : (الملائكة - الجنة - عذاب القبر ونعيمه - البعث والجزاء - الجنة والنار - القضاء والقدر)
 - ٣- الرد على المخالفين وهم : (الأشاعرة - المعتزلة - الخوارج).
- وقد رد السعدي على فرق أخرى غير المذكورة في المبحث الثالث مثل : القدرية والمرجئة ، والجبرية ، والرافضة والشيعية ، والصوفية المنحرفة.(١) ، فجراه الله خير الجزاء على ما قدم للإسلام والمسلمين وجعله في ميزان أعماله يوم القيامة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن دار الصفا ج٢ص٧٤، ج٥ص٣٠٠-٣٣٠-٣٧١، ج١ص٤٦١-دار الذخائر.

الفصل الرابع

منهج السعدي في التفسير بالرأي وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : " أصول التفسير بالرأي " وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول : المطلق و المقيد

المطلب الثاني : العام والخاص

المطلب الثالث : المجمل والمفصل

المطلب الرابع : علم المناسبات

المبحث الثاني : " التفسير اللغوي " وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : الأساليب البلاغة والأسرار البيانية

المطلب الثاني : النحو والإعراب

المطلب الثالث : عنايته بالأمثال في القرآن

المبحث الثالث : " التفسير العلمي " وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : علم الطب

المطلب الثاني : علم البحار

المطلب الثالث : علم الفلك

الفصل الرابع

"منهج السعدي في التفسير بالرأي" وفيه ثلاثة مباحث :-

لقد اختلف العلماء بين مؤيد ومعارض للتفسير بالرأي وكل فريق له أدلته التي اعتمد عليها في البرهان علي رأيه الذي ذهب إليه. وكل واحد منهم يريد خدمة كتاب الله - عز وجل - سواء المؤيدين ما دام لا يتعارض مع روح الإسلام والرافضين الذي يريدون تنزيه كتاب الله تعالى عن الآراء البشرية .
ونبدأ بإذن الله بعرض أدلة الفريقين، ومعرفة وجه الخلاف الذي بينهما .

معني التفسير بالرأي :-

ويراد به الاجتهاد وعليه فالتفسير بالرأي ، عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسرين لكلام العرب ومناحيهم في القول ومعرفة الألفاظ العربية ووجوه دلالاتها ، والشعر الجاهلي وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ ، وغير ذلك من الأدوات التي لا بد منها (١) .

المانعون وأدلتهم :-

وهم الذين لم يقدموا على تفسير شيء من القرآن بأرائهم ولم يجيزوا لأحد ذلك وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة والفقهاء والنحو والأخبار والآثار وليس له إلا أن ينتهي إلى ما روى عن النبي ﷺ في ذلك (٢) .

أدلة المانعين :-

(١) من القرآن : قوله ﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل : ٤٤ ، فقد أضاف البيان إلي النبي ﷺ واختص به وحده.

(١) وانظر مناهل العرفان ج١ ص٥٢٢ ، التفسير والمفسرون ج٢ ص٢٦٥ .

(٢) انظر مختصر ابن كثير ج١ ص١٣ - دار الصابون ، التفسير والمفسرون ج٢ ص٢٦٥ ، الإتيقان ج٢ ص٣٩٧ .

(٢) من السنة : ما رواه ابن عباس - عن النبي ﷺ قوله : (اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم ، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) (١) .

(٣) ما روي عن النبي ﷺ قال : (من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ) (٢) .

(٤) ما روي عن السلف من الصحابة والتابعين من الآثار التي تدل على أنهم كانوا يعظمون تفسير القرآن بالرأي فمن ذلك :

- ما روي عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه سئل عن تفسير آية من القرآن فقال :
" أي سماء تظلني وأي أرض تقلني وأين أذهب وكيف أصنع إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم " (٣) .

ثانياً : (أدلة المؤيدين) :-

وهم الذين جوزوا تفسير القرآن بالرأي ، واستدلوا على ما ذهبوا إليه بما يأتي :
(١) من القرآن : قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ محمد : ٢٤ ، وقوله : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ص : ٢٩ ، فدللت هذه الآيات على وجوب التدبر والتأمل في آيات القرآن ، ولا يكون ذلك إلا بالفهم والمعرفة والاستنباط .

(٢) لو كان التفسير بالرأي غير جائز لتعطلت كثير من الأحكام ، وهذا باطل بين البطلان لأن باب الاجتهاد مفتوح إلى يوم القيامة ، والمجتهد في الشرع له أجر إن أخطأ ، وله أجر إن أصاب لأن النبي ﷺ لم يبين جميع الأحكام .

(١) الإتيان ج ٢ ص ٣٩٠ ، التفسير والمفسرون ج ٢ ص ٢٦٧ ، انظر مناهل العرفان ج ١ ص ٥٢٣ ، في سنن الترمذي

ج ٥ ص ١٩ ، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ج (٢٩٥٠) عن ابن عباس ﷺ وقال حديث حسن

(٢) سنن الترمذي ج ٥ ص ١٩٩ ، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب : ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ج (٢٩٥١) : حديث حسن .

(٣) انظر مختصر بن كثير ج ١ ص ١٣ ، انظر بحر العلوم ج ١ ص ٥٠ ، مناهل العرفان ج ١ ص ٥٢٥ ، التفسير والمفسرون ج ٢ ص ٢٦٩ .

(٣) أن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في آرائهم في التفسير ، وهم لم يسمعوا كل ما قالوه من النبي صلى الله عليه وسلم بل عرفوا ما لم يبينه بالاجتهاد والعقل ، ولو كان التفسير محظوراً لكان الصحابة قد وقعوا في الحرام ونحن نعيدهم من ذلك .

(٤) قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس (اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل) (١) ولو كان الرأي محظوراً لما كان لقوله صلى الله عليه وسلم فائدة تخصيص ، فدل علي أن هذا التأويل الذي دعا له به إنما هو الاجتهاد بالرأي .

حقيقة الخلاف :-

من خلال سرد أدلة الفريقين وتحليلها تبين أن الخلاف في التفسير بالرأي صوري (لفظي) لا حقيقي ، وأن التفسير بالرأي قسمان :

القسم الأول : ما كان موافقاً للكتاب والسنة وكلام العرب ، والكتاب والسنة ، ومراعياً شروط التفسير ، فهذا جائز لا شك فيه ويحمل عليه كلام المجيزين للتفسير بالرأي .

القسم الثاني : غير جائز لعدم موافقته العربية ولا موافق الأدلة الشرعية ، ولا مستوف لشروط التفسير وهذا هو مورد النهي ومحط الذم .

يقول بن تيمية : فهذه الآثار الصحيحة عن أئمة السلف محمولة علي تخرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به ، أما من قال به لغة وشرعاً فلا حرج عليه ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه وهو الواجب على كل أحد فكما يجب السكوت عند عدم العلم فيجب القول عند العلم به لما جاء في الحديث الشريف (من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار) (٢) .

المبحث الأول

" أصول التفسير بالرأي " وفيه أربعة مطالب

(١) والحديث سبق تخريجه ص ٧٤ ، التفسير والمفسرون ج ٢ ص ٢٧٢ .

(٢) مختصر بتفسير بن كثير ج ١ ص ١٣ ، التفسير والمفسرون ج ٢ ص ، والحديث : سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٩ ، كتاب العلم : باب (٣) ما جاء في كتمان العلم ، ح (٢٦٤٩) وقال : حديث حسن / تحقيق وتعليق / إبراهيم عوض - دار التراث العربي .

وأصول التفسير بالرأي - والتي قسمناها إلي أربعة مطالب - تشمل :
المطلق والمقيد والعام والخاص والمجمل والمفصل وعلم المناسبات ونبدأ بالمطلب
الأول:

المطلب الأول : المطلق والمقيد

المطلق : هو ما دل على الحقيقة بلا قيد وذلك كإطلاق الرقبة في كفارة
الظهار ﴿...فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَّاسًا...﴾ المجادلة: ٣ ، فتشمل الرقبة المؤمنة
والكافرة ولهذا عرفه بعض الأصوليين : بأنه عبارة عن النكرة في سياق الإثبات (١)
وقال العلماء : متي وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه وإلا فلا ، فيبقى المطلق
علي إطلاقه ، والمقيد علي تقيده ، وذلك مثل تقييد الشهود بالعدالة في الرجعة
والفراق والوصية في قوله : ﴿...وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ...﴾ الطلاق: ٢ ،
وقوله : ﴿...حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ...﴾ المائدة: ١٠٦ ، وقد أطلق
الشهادة في البيع وغيرها في قوله : ﴿...وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ...﴾ البقرة: ٢٨٢ ،
وقوله : ﴿...فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ...﴾ النساء: ٦ ، والعدل
أساس الجميع .

وكذلك ما اشترط في كفارة القتل من الرقبة المؤمنة ، وإطلاقها في كفارة الظهار
واليمين ، والمطلق كالمقيد في وصف الرقبة (٢) .

أقسام المطلق والمقيد :-

- (١) أن يتحد السبب والحكم كالصيام في كفارة اليمين.
- (٢) أن يتحد السبب ويختلف الحكم كغسل الأيدي إلى المرافق في الوضوء.
- (٣) أن يختلف السبب ويتحد الحكم كاشتراط الإيمان في الرقبة المعتقة وكفارة الصوم.
- (٤) أن يختلف السبب ويختلف الحكم كتقييد اليد في الوضوء، وإطلاقها في السرقة.

(١) مباحث في علوم القرآن ص ٢٤٥-٢٤٦ مناع القطان.

(٢) مختصر ابن كثير ج ١ ص ٥٤٣- دار الصابوني، الإتيقان ج ٢ ص ٦٦، مباحث في علوم القرآن ص ٢٤٥.

والضابط : أن الله إذا حكم في شيء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقاً نظير له، فإن لم يكن له أصل يرد إليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به كتقيد الإيمان في كفارة القتل، فإنه حمل على تقيد الإيمان في كفارة الظهار، وإن أطلقت لأن العرب تستحب الإطلاق اكتفاءً بالقييد وطلباً للإيجاز والاختصار مثل: ﴿...﴾. إذ يُتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ق: ١٧ ، أي : عن اليمين قعيد ، ولكن حذف لدلالة الثاني عليه .

وإن كان له أصل يرد إليه، لم يكن رده إلي أحدهما بأولى من الآخر، وذلك كتقيد التتابع في صيام كفارة القتل والظهار، وإطلاقه في كفارة اليمين والمتمتع، فالمطلق لا يحمل علي المقيد هنا ، لأن القيد مختلف، فَحَمَلُ المطلق علي أحدهما ترجيح بلا مرجح (١) ولقد أوضح السعدي في منهجه المطلق والمقيد وأخذ به في تفسيره.

منهج السعدي في المطلق و المقيد :-

لقد تعرض الشيخ السعدي - رحمه الله - إلى آيات الإطلاق والتقييد في القرآن الكريم إما بالإيجاز، أو الإطناب أحياناً وهذه بعض الأمثلة :

(١) وذلك في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ...﴾ البقرة: ١٧٣ ، يقول : والدم أي : "المسفوح كما قيد في الآية الأخرى" (٢) .

يقول الباحث: والآية التي لمح إليها الشيخ السعدي هي قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ...﴾: الأنعام : ١٤٥، فالآية الأولى أطلق الدم فيشمل المسفوح وغيره أما الآية الثانية فقيدت الدم بالمسفوح.

(٢) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ...﴾ البقرة: ٢١٨.

(١) الإبتقان ج ٢ ص ٦٦ ، مباحث في علوم القرآن ص ٢٤٦-٢٤٨ باختصار.

(٢) فتح القدير ج ١ ص ١٦٩ ، انظر بحر العلوم ج ١ ص ١٧٧ ، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٣٣ .

يقول : الجمهور علي أن تحريم القتال في الأشهر الحرم منسوخ بالأمر بقتال المشركين حيثما وجدوا .

وقال بعض المفسرين : إنه لم ينسخ لأن المطلق محمول علي المقيد ، وهذه الآية مقيدة لعدم الأمر بالقتال مطلقاً ، ولأن من جملة مزية الأشهر الحرم بل أكبر مزاياها تحريم القتال فيها ، وهذا إنما هو في قتال الابتداء ، وأما قتال الدفع فإنه يجوز في الأشهر الحرم كما يجوز في البلد الحرام (١).

نقول : إن حكم هذه الآية يصلح لجميع الأوقات حسب الأحوال الموجودة فإن كان الكفار سواءً من اليهود والنصارى وغيرهم تحت حكم المسلمين ويدفعون لهم الجزية، فإن لهم حق الأمان والجوار ولا يجوز ابتداءهم بالقتال ، إلا إذا اعتدوا علي المسلمين فعندئذ يجب قتالهم في الأشهر الحرم وغيرها .

- وإذا كان الكفار في دولة مستقلة عن المسلمين ، فإن لهم الخيار في دينهم ما داموا لم يتعرضوا للمسلمين بالأذى، ولم يقفوا في طريق من يريد الإسلام ولكن إذا كانوا مغتصبين لبلاد المسلمين ، فيجب قتالهم في الحرم وغيرها حتى يخرجوا من بلاد المسلمين وهذا ما ينطبق علينا معشر المسلمين في فلسطين مع أعداء الله اليهود، الذين اغتصبوا المسجد الأقصى ويقتلوننا ليلاً ونهاراً ودليل ذلك : الآية السابقة التي نحن بصددنا ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ...﴾ البقرة : ٢١٧ ، فالقتال مستمر والإخراج من الديار منذ عدة عقود من الزمان .

(٣) في قوله تعالى : ﴿...يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ البقرة : ١٤٢

يقول : ولما كان قوله : ﴿...يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ مطلقاً ، والمطلق يحمل علي المقيد فإن الهداية والضلال لهما أسباب أوجبتها حكمة الله وعدله ، وقد

(١)فتح القدير ج١ص٢١٩، انظر بحر العلوم ج١ص٢٠٢، تيسير الكريم الرحمن ج١ص١٧٢.

أخبر في غير موضع بأسباب الهداية التي إذا أخذ العبد بها حصل له الهدى، كما قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ...﴾ المائدة: ١٥ (١) .
نقول : فالهداية مطلقة، قيدتها الآية الثانية باتباع رضوان الله، لأنه لا تتحقق الهداية بغير منهج الله.

(٤) في قوله تعالى : ﴿... وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ محمد: ٣٣

يقول : "وهذه الآية والتي في البقرة وهي قوله تعالى ﴿... وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمْتُمْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...﴾ ٢١٧ مقيدتان لكل نص مطلق، فيه إحباط العمل بالكفر، فإنه مقيد بالموت عليه" (٢) أي أن عذاب النار سواء كان ناتجاً عن الارتداد أو الكفر الأصلي، لا يجب على صاحبه إلا إذا مات عليه ولم يتب .

(٥) في قوله تعالى : ﴿... إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ...﴾ هود: ١١٥

يقول : أي فهذه الصلوات الخمس وما ألحق بها من التطوعات من أكبر الحسنات وهي تقرب إلي الله، وتوجب الثواب فإنها تذهب السيئات وتمحوها والمراد بذلك الصغائر، كما قيدتها الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ مثل قوله : (الصلوات الخمس، والجمعة إلي الجمعة، ورمضان إلي رمضان، مكفرات لما بينهن، ما اجتبت الكبائر) (٣) بل كما قيدتها الآية التي في سورة النساء وهي قوله عز وجل: ﴿إِنْ تَجَنَّبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ النساء: ٣١ (٤)، فهذه الآية قيدتها آية النساء كما قيدتها السنة .

(١) تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٠٥ .

(٢) انظر فتح القدير ج ١ ص ٢١٨، تيسير الكريم الرحمن ج ٥ ص ٣٥، تفسير الشعراوي ج ٢ ص ٩٣١ بالتفصيل .

(٣) البخاري ج ٢ ص ١١، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، ح (٥٢٨)، عن أبي هريرة بنحوه ÷ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٤٣٨ . دار الصفا، انظر زاد المسير لأبي الفرج الجوزي ت: ٥٩٧ هـ - دار الفكر

ط ١٤٠٧/١ هـ .

٦) في قوله تعالى : ﴿ . . . وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴾ الجن : ٢٣ .

يقول : وهذا المراد به المعصية الكفرية ، كما قيدتها النصوص الأخرى المحكمة وأما مجرد المعصية فإنه لا يوجب الخلود في النار ، كما دلت علي ذلك آيات القرآن والأحاديث عن النبي ﷺ وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها (١)

(١) تيسير الكريم الرحمن ج ٥ ص ٣١٤ ، انظر التفسير المنير ج ٢٩ ص ١٨٧ .

المطلب الثاني

العام والخاص:-

للأحكام الشرعية مقاصد تجعل الحكم أحياناً عاماً يشمل جميع الأفراد وقد يكون المقصود غاية خاصة فالتعبير يتناول العموم، ثم يأتي ما يخصه وتلوين الخطاب وبيان المقاصد مظهر من مظاهر قوة اللغة، فإذا وقع ذلك في كلام الله المعجز، كان أثره علي النفوس أشد مع الإعجاز اللغوي .

أولاً : العام :-

هو اللفظ المستغرق لما يصلح له من غير حصر (١) وللعام صيغ يعرف بها تدل عليه منها:-

- كل مبتدأ نحو قوله تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ " الرحمن: ٢٦ .
- والمعرف بأل الجنسية نحو قوله تعالى : ﴿وَالْعَصْرُ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾
العصر ١-٢
- ومنها النكرة في سياق النفي نحو قوله : ﴿... فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ...﴾ .
- البقرة: ١٩٧، والشرط نحو ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ...﴾ .
التوبة: ٦ .
- الذي والتي وفروعها كقوله ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا...﴾ الأحقاف: ١٧ ،
وقوله : ﴿وَاللَّائِي يَئْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ...﴾ الطلاق : ٤ .
- أسماء الشرط كقوله : ﴿... فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ
بِهِمَا...﴾ البقرة: ١٥٨ .
- أسماء الجنس المضاف إلى معرفة كقوله : ﴿... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ
أَمْرِهِ...﴾ النور : ٦٣(٢).

(١) الإتيان ج ٢ ص ٣٢ ، مباحث في علوم القرآن ص ٢٢١ .

(٢) الإتيان ج ٢ ص ٣٣ ، بتصرف ، انظر تيسير الكريم الرحمن ح ١ ص ١٤ ، مباحث في علوم القرآن ص ٢٢٣ -
٢٢٤ بتصرف .

أقسام العام :-

(١) الباقي على عمومته : وهذا عزيز لأنه لا يتصور شيء عام دون أن يكون فيه تخصيص ومنهم من قال (١) أنه كثير مثل: ﴿... وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الكهف : ٤٩ ، وقوله ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ...﴾ النساء : ٢٣ ، وقوله تعالى ﴿... وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النساء : ١٧٦ .

(٢) العام المراد به المخصوص : كقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ...﴾ آل عمران : ١٧٣ فالمراد بالناس الأولى واحد بعينه (٢) وكذلك الناس الثانية واحد بعينه (٣) لا العموم في كل منهما، إذن سبب النزول يحدد المقصود.

(٣) العام المخصوص : كقوله تعالى : ﴿... وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا...﴾ آل عمران : ٩٧ ، فالحكم هنا وإن أريد به جميع الناس لا ينطبق عليهم ، إلا أنه في دائرة من استطاع إليه سبيلاً، أنه بدل بعض من كل ، فالحكم وإن أريد به العموم ، إلا أنه أريد به طائفة مخصوصة (٤) .

ثانياً : الخاص :-

ويقابل العام فهو الذي لا يستغرق الصالح له من غير حصر، والمخصص إما متصل ، وهو الذي لم يفصل فيه بين العام والمخصص فاصل، وإما منفصل وهو بخلافه، والمخصص المتصل خمسة أنواع :-

(١) الاستثناء : كقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور : ٤-٥ ، فالنوبة مانعة من عدم قبول الشهادة، لا من الجلد.

(١) الإمام بدرالدين الزركشي، صاحب "البرهان في علوم القرآن".

(٢) نعيم ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أبوسفيان بن حرب، رضي الله عنه.

(٤) الإتقان ج٢ ص٣٣ مباحث ص٢٢٤-٢٢٥ بتصرف .

(٢) الصفة : كقوله تعالى: ﴿... وَرَبَّائِكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ...﴾ النساء: ٢٣ ، فقوله: ﴿... اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ...﴾ " صفة لنسائكم .

(٣) الشرط : كقوله تعالى: ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ...﴾ البقرة: ١٨٠ (١)، فالوصية واجبة عند وجود المال.

(٤- الغاية : كقوله: ﴿... وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ...﴾ البقرة: ١٩٦.

(٥- بدل البعض من الكل كقوله تعالى: ﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا...﴾ آل عمران: ٩٧ ، فقوله " من استطاع " بدل من " الناس " فيكون وجوب الحج خاصاً بالمستطيع .

والمخصص : ما كان من آية في موضع آخر تخص العام من آية أو حديث أو إجماع أو قياس

(١) فمن القرآن : ﴿... وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ...﴾ البقرة : ٢٢٨ ، فهو في كل مطلقة حاملاً أو غير حامل مدخولاً بها وغير مدخول بها ، خص بقوله : ﴿... وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ...﴾ الطلاق : ٤ ، وقوله ﴿... إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا...﴾ الأحزاب : ٤٩ .

(٢) ما خصَّ بالحديث : كقوله : ﴿... وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا...﴾ خص من

البيوع البيوع الفاسدة كما في البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما **قال** نهي رسول الله ﷺ (عن عسب الفحل) (٢)، وهو ما يؤخذ من الأجرة على إكراء الفحل.

(١) الإتيان ج ٢ ص ٣٥ مباحث ص ٢٢٦ بتصرف القواعد الحسان ص ٦٦ .

(٢) صحيح البخاري ج ٢ ص ٧٩٧ باب : عسب الفحل ح (٢١٦٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) من الإجماع : آية المواريث ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ...﴾ النساء : ١١ ، خص منها الرقيق بالإجماع، لأن الرق مانع من الإرث .
 (٤) من القياس : آية الزنا ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ...﴾ .
 النور : ٢ ، خص منها العبد بالقياس علي المحصنات، وذلك من قوله تعالى: ﴿...فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ...﴾ النساء: ٢٥ (١).

تخصيص السنة بالقرآن :-

وقد خصَّصَ القرآن السنة، ويمثلون لذلك بالحديث " ما قطع من البهيمة، وهي حية فهو ميت " (٢) فهذا الحديث خصَّصَ بقوله تعالى: ﴿... وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ النحل : ٨٠ (٣) .

العام والخاص عند الشيخ السعدي :-

لابد لكل مفسر للقرآن الكريم من الإمام كبير بعلم القرآن، مثل أسباب النزول والناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفصل، والعام والخاص؛ لأن ما عم في آية قد خصص في آية أخرى وهكذا، والآن سنوضح طريقة السعدي في تناول العام والخاص، ورأيه فيهما :-

(١) وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَنَّ...﴾ البقرة : ٢٢١ .
 يقول : ولا تنكحوا النساء المشركات مادمن على شركهن وهذه عامة في جميع النساء المشركات و خصصتها آية المائدة في إباحة نساء أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿...وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ...﴾ المائدة: ٥ ، ﴿...وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا...﴾ وهذا عام لا تخصيص فيه (٤) .

(١) الإتيقان ج٢ ص٣٦-٣٥ باختصار مباحث ص٢٢٦-٢٢٧ باختصار .

(٢) المستدرک ج٤ ص١٣٨ ، ٢٦٧، ح(٧١٥١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) الإتيقان ج٢ ص٣٦، انظر مباحث ص٢٢٨ .

(٤) انظر مختصر ابن كثير ج١ ص١٩٤ ، فتح القدير ج١ ص٢٢٤ ، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١٧٧ .

٢) في قوله تعالى: ﴿... وَلَا آمِنَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَتَّغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ
وَرِضْوَانًا...﴾ المائدة: ٢.

يقول: وهذه الآية الكريمة مخصوصة بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا
الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا...﴾ التوبة: ٢٨،
والتخصيص في هذه الآية بالنهي عن التعرض لمن قصد البيت ابتغاء فضل الله أو
رضوانه ويدل على أن من قصده ليلحد فيه بالمعاصي فإن من تمام احترام الحرم
صد من هذه حاله عن الإفساد ببيت الله " (١)

الرد على السعدي في هذه المسألة :-

إن دعوى الاختصاص في هذه الآية غير صحيح لأسباب منها:-

(١) إن أكثر المفسرين لم يتطرقوا إلى القول بالاختصاص في هذه الآية وإنما قالوا
بالنسخ لأن ذلك كان أول الإسلام بالنهي عن التعرض للمشركين أثناء ذهابهم للبيت
الحرام، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿... إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا...﴾ وقوله: ﴿... فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ...﴾
التوبة: ٥.

(٢) إن الأمر بعدم قرب المشركين للمسجد الحرام كان في السنة التاسعة للهجرة عند
ما بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق علي الحج، وقد بعث علياً ﷺ وأمره أن
ينادي بالنيابة عنه " لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان (٢) وأتم الله
ذلك وحكم به شرعاً وقدرأً، ولا شك أن المتأخر ناسخ للمتقدم.

(٣) إن هناك فرقاً بين النسخ والتخصيص، فالنسخ يعم كل أفراد المنسوخ في الحكم

(١) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٤٥٢.

(٢) انظر ابن كثير ج٢ ص١٣٥، والحديث: صحيح البخاري ج٣ ص٤٨٣ - كتاب الحج، باب (٦٧) لا يطوف بالبيت
عريان، ح(١٦٢٢) - المكتبة السلفية، فتح القدير ج٢ ص٣٥٠.

بعكس التخصيص، فإنه لا يمنع من اشتراك بعض أفراد العام في الحكم. (١) فالنهي أول الإسلام كان شاملاً لكل مؤمن وكافر ألا يمنع من دخول المسجد الحرام لغرض تجاري ونحوه أما بعد ذلك فنزل القرآن بالنهي عن قرب المشركين كلهم للمسجد الحرام سواء كانوا ملحدين، أو غير قاصدين للإلحاد في الحرم فهذا هو النسخ بعينه. (٤) في قوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ . . . ﴾ التوبة: ١٢٣ . يقول : وهذا العموم في قوله: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ مخصوص بما إذا كانت المصلحة في قتال غير الذين يلوننا، وأنواع المصالح كثيرة جداً (٢) .

مناقشة هذا الرأي :-

إذا نظرنا إلى القرآن لا نجد فيه مخصص لعموم قتال المشركين، ولا سيما إذا كان المسلمون في عزة وقوة، ويجوز الصلح إذا دفع الأعداء الجزية للمسلمين عن يد وهم صاغرون، كما فعل الصحابة ومن بعدهم رضوان الله عليهم فنقول إن الآية غير مخصصة من جهة القرآن.

أما من حيث السنة النبوية والسيرة النبوية فإن بعض العلماء قد أجاز مهادنة الكفار، ولا سيما إذا كان المسلمون في حالة ضعف وقلة، كما فعل النبي ﷺ مع قريش حيث هادنها في الحديبية وهذا الحديث مشهور في السنة والسيرة وما زال الخلفاء والصحابة علي ذلك (٣) علي ضوء هذه الآراء نقول وبالله التوفيق: إن جواز مهادنة المشركين في حالة ضعف المسلمين لا يسمى تخصيصاً، لأنه لم يرد في القرآن مخصص وإنما الذي ورد أن القرآن خصص السنة كما بينا سابقاً (٤).

(١) انظر فتح القدير ج٢ ص٣٥٠، مناهل العرفان للزرقاني ج٢ ص٨٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج٢ ص٣٣١-٣٣٢، انظر التفسير المنير ج١١ ص٨٢، وخالفه القرطبي ج٨ ص١٨٩، دار الكتب.

(٣) انظر تفسير القرطبي ج٨ ص٢٧، فتح القدير للشوكاني ج٢ ص٣٢٢.

(٤) تقدم بيانه ص٢١١.

الخلاصة في هذا الرأي :-

إن أفضل رأي في هذا المقام : أن ظروف السلم والحرب تابعة للإمام أو خليفة المسلمين يري ما يراه مناسباً حسب ظروف ومصلة المسلمين فإذا كانت المصلحة في قتالهم وجب ذلك، وإن كانت المصلحة في الصلح معهم صالحهم حتى يأتي الوقت المناسب ويقوى المسلمون للجهاد في سبيل الله، ولكن لا نسميه تخصيصاً؛ لعدم وجود النص المخصص .

خاتمة : هكذا رأينا منهج السعدي في العام والخاص والمطلق والمقيد فإنه لم يتعرض للعام والخاص كثيراً لأن مقصده من التفسير المعنى، وليس الألفاظ وكذلك وجدنا أنه وافق الصواب في كثير من الأحيان، وجانبه في مواقف قليلة، والحمد لله وضحنا وصوبنا خطأ أو السهو، فله الحمد .

المطلب الثالث

المجمل والمفصل :-

تعريف المجمل: ما لم تتضح دلالاته وللإجمال أسباب منها:-

(١) الاشتراك نحو ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ التكوير: ١٧، فإنه موضوع لأقبل وأدبر،

كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ، وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ المدثر: ٣٣، ٣٤.

(٢) الحذف : نحو ﴿... وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ...﴾ النساء: ١٢٧، فالحذف هنا

هو إما الرغبة في نكاحهن لجمالهن، أو الرغبة عن نكاحهن لعدم جمالهن(١).

- قد يقع التبيين متصلاً نحو ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بعد قوله ﴿الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَيْطِ

الْأَسْوَدِ﴾ البقرة: ١٨٧، ومنفصلاً في آية أخرى نحو ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ

بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾ البقرة: ٢٣٠، بعد قوله ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ البقرة: ٢٢٩،

وقوله ﴿... وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ...﴾ الحج: ٣٠، فسرره قوله

(١) فتح القدير ج١ ص ٥٢٠.

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ . . ﴾ المائدة: ٣ ، وقوله : ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ . . ﴾ البقرة: ٣٧، فسرهُ قوله ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا . . ﴾ الأعراف: ٢٣ ، وقوله ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ الفاتحة: ٧، بينه قوله ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ . . ﴾ النساء: ٦٩ .

تبيين السنة لمجمل القرآن : -

- مثل : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ . . ﴾ البقرة: ١١٠ ، ﴿ . . ﴾ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ . . ﴾ آل عمران : ٩٧ ، فقد بينت السنة أفعال الصلاة والحج، ومقادير أنصبة الزكاة (١)

المجمل والمفصل عند السعدي :-

(١) يتطرق إلى المجمل والمفصل دون ذكر المصطلح :
وذلك في قوله تعالى ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ . . ﴾ البقرة : ٣٧ .
يقول : أي تلقف وتلقن وألهمه الله ﴿ من ربه كلمات ﴾ هي قوله ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾ الأعراف ، فاعترف بذنبه وسأل الله مغفرته (٢) فهنا بين المجمل في الآية من آية أخرى ولكن دون ذكر أن هذا مجمل و هذا مفصل .
(٢) الإجمال والتفصيل من الأدلة علي وحدانية الله تعالى :-
وذلك في قوله تعالى ﴿ وَالْهَكْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ . . ﴾ البقرة: ١٦٣-١٦٤ .

يقول : بعد ما شرح الآية الأولى : " فهذا دليل إجمالي علي وحدانية الله تعالى ثم ذكر الأدلة التفصيلية فقال : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . ﴾ (٣) .

(١) الإتيان ج ٢ ص ٣٩-٤١ باختصار، انظر مناهل العرفان جص (إشارة).

(٢) مختصر ابن كثير ج ١ ص ٥٥ تفسير الشعراوي ج ١ ص ٢٧٤، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٥٣ انظر فتح القدير ج ١ ص ٧١ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٢٤ .

نقول : والمثال الأول لم يجزم به إلا السعدي، أي أن الآية مجملة وفصلتها آية أخرى، ومنهم من قال : قيل إن هذه الآية مفسرة بقوله تعالى: ﴿... رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا...﴾ أي أن المسألة اجتهادية مختلف فيها بين السلف، لكن أكثر من رواية تدل على أنها المقصودة وبعبارة مختلفة في الأحاديث .

(٤) في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ...﴾ النساء: ١.

يقول : وتأمل كيف افتتح هذه السورة بالأمر بالتقوى وصلة الأرحام، والأزواج عموماً، ثم بعد ذلك فصل هذه الأمور أتم تفصيل من أول السورة إلي آخرها فكأنها مبنية علي هذه الأمور المذكورة، مفصلة لما أجمل منها، موضحة لما أبهم (١)

يقول الباحث: إن هذا المثال الذي ساقه السعدي - رحمه الله - يعد من قبيل المجمل والمفصل (٢) فأجمل أول السورة، ثم شرع في تفاصيلها.

(٥) في قوله : ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ النساء: ٦ .

يقول السعدي: كان العرب من قسوتهم لا يورثون الضعفاء كالنساء والصبيان ويجعلون الميراث للرجال الأقوياء لأنهم رجال الحرب والقتال والنهب والسلب، فأراد الله أن يوزع الإرث بالتساوي بين الرجال والنساء والضعفاء، وقدم بين يدي ذلك أمراً مجملاً تنوطن عليه النفوس، فيأتي التفصيل بعد الإجمال في قوله ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ...﴾ (٣)

(١) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٣١٠ .

(٢) انظر بحر العلوم ج١ ص٣٢٨ في الحاشية.

(٣) انظر بحر العلوم ج١ ص٣٣٥، ٣٣٤، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٣١٤ .

مناقشة هذا الرأي :-

قد تعرضنا لهذا الرأي قيل ذلك في نفس المسألة في الميراث، في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ. . . ﴾ البقرة: ١٨٠ ، وبيننا أن هذه الآية التي نحن بصدد الحديث عنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ. . . ﴾ وبحديث (إن الله أعطي كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث) (١) والجمهور علي ذلك ولا داعي للقول بالتفصيل بعد الإجمال.

(٦) في قوله تعالى: ﴿ . . . وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ النساء ٩٥-٩٦ .

يقول : ثم صرح الله بتفضيل المجاهدين علي القاعدین بالدرجة، أي : الرفع، و هذا تفضيل علي وجه الإجمال، ثم صرح بذلك علي وجه التفصيل ووعدهم بالمغفرة الصادرة من ربهم والرحمة التي تشتمل علي حصول كل خير، واندفاع كل شر والدرجات التي فصلها النبي ﷺ بالحديث الثابت عنه في الصحيحين (أن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض أعداها لله للمجاهدين في سبيله) (٢).

نقول : إن ما قاله الشيخ السعدي - رحمه الله - موافقاً للحق، لأن الدرجات هنا مجملة فصلتها السنة المطهرة، وقد عرفنا أن السنة تبين المجمل من القرآن في كثير من الآيات، مثل: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج وغيرها فتفصيل هذه العبادات لم يأت إلا في السنة المطهرة، وكذلك الحال في الدرجات التي أعداها الله للمجاهدين في سبيله، حيث إنها مائة درجة وما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض .

(١) تقدم تحريجه .

(٢) ابن كثير ج١ ص٤٢٦ الحديث : صحيح البخاري ج٣ ص١٠٢٨ باب : درجات المجاهدين في سبيل الله ج(٢٦٣٧) عن أبي هريرة وانظر ج٦ ص٢٧٠٠ باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم ج(٦٩٨٧)، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٣٩٠، فتح القدير ج١ ص٥٠٥.

المطلب الرابع

أولاً: علم المناسبات :-

علم المناسبات علم هام جداً يبرز مدي الترابط والتناسق والانسجام بين آيات الكتاب الكريم، وبين سوره.

ثانياً: تعريف علم المناسبات : هو علم يجعل أجزاء الكلام بضعها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حالة حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء (١).

ثالثاً: آراء العلماء في المناسبات :-

علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن وهو سر البلاغة لأدائه تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه من الحال.

قال القاضي أبو بكر بن العربي(٢): في كتابه (سراج المريدين) (ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني عمل على عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه، فلما لم نجد له حملة، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا، وبين الله ورددناه إليه.) (٣).

وقال البقاعي(٤): "وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقتين أحدهما نظم كل جملة علي حياها بحسب التركيب، والثاني : نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، والأول أقرب تتاولاً وأسهل ذوقاً، فإن كل من سمع

(١) مباحث في التفسير الموضوعي ، د. مصطفى مسلم ص ٥٨ ، دار القلم ط ١/١٠٤١ هـ - ١٩٨٩ م .

(٢) محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي الأشبيلي المالكي المعروف بابن العربي " أبو بكر عالم مشارك في الحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والأدب والنحو والتاريخ ولد بأشبيلية وولي القضاء بها توفي بالعدوة من فاس، من تصانيفه شرح الجامع الصحيح للترمذي والمصورات في الأصول وغيره. (معجم المؤلفين ج ١ ص ٢٤٢) انظر الأعلام ج ٦ من ٢٣ .

(٣) المصدر نفسه.

(٤) البقاعي: ابراهيم بن عمر بن حسين الرباط ت: ٨٨٥ هـ، الشافعي نزيل القاهرة ثم دمشق: عالم أديب مفسر محدث مؤرخ، ولد بقوة خربة روحا من عمل البقاع ، ونشأ بها ، ثم تحول إلي دمشق في بيت المقدس والقاهرة، ومات بدمشق من مؤلفاته ، نظم الدرر، والأصل الأصيل في تحريم النقل من الثوراة والإنجيل (معجم المؤلفين ج ١ ص ٧١).

القرآن من ذكي وغبي تهتز لمعانيه وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط ورهبة مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز^(١).

المعارضون للتكلف في علم المناسبات :-

- الإمام الشوكاني وموقفه من علم المناسبات :-

: في تفسيره إذ يقول: (اعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهى عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة علي هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكليفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف كما فعله البقاعي في تفسير ومن تقدمه حسب ما ذكر في خطبته ولنكتف بهذا التنبيه علي هذه المفسدة التي تعثر في ساحاتها كثير من المحققين وإنما ذكرنا هذا البحث في هذا الموطن لأن الكلام هنا قد انتقل مع بني إسرائيل بعد أن كان قبله مع أبي البشر آدم عليه السلام)^(٢)، فهذا يدل على إنكاره التكلف في هذا العلم.

التوفيق بين الرأيين :-

لسنا مع المانعين بالكلية إذا لا يخلو كتاب الله من الترابط بين آياته وسوره، وبين الآية نفسها، وكذلك لا نوافق من كان أكبر همه هو إظهار المناسبة عن طريق التكليف والتعننت ولو لم توجد .

ولكن نقول : إذا وجدت المناسبة فيها ونعمت وإن لم توجد فلا داعي للتكلف والتعسف في إبرازها كما فعل بعض المفسرين فالقرآن كله معجز .

نحن نسلم أن القرآن نزل على فترات متباعدة خلال ثلاث وعشرين سنة، وأن ترتيب

الآيات جاء من رسول الله ﷺ وليس لأحد فيه اجتهاد، ونؤمن كذلك بأن هذا الترتيب لم يكن جزافاً ولا اعتباطاً، فننزه كلام الله تعالى عن ذلك .

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي ج١ ص١١ .

(٢) فتح القدير ج١ ص٧٢-٧٣، بتصرف، مباحث في التفسير الموضوعي ص٦٢ .

كما نقول إن القول بوجود المناسبات أمر يحتمه الاعتقاد بتنزيه كلام الله تعالى عن الفوضى والتناقض ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ محمد: ٢٤ (١) ، إن كون القرآن الكريم نزل منجماً خلال ثلاثة وعشرين عاماً، وكونه مترابط الأيات والسور بشكل منظم دون خلل، هو السبب في كونه معجزاً مع بعد الجمع بين هاتين الميزتين في كلام آخر .

أوجه المناسبات :-

(١) العطف : في قوله تعالى ﴿ . . . يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا . . . ﴾ الحديد : ٤ ، والمناسبة بينها التضاد فالولوج ضد الخروج، والعروج ضد النزول .

(٢) التنظير : كقوله تعالى ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ . . . ﴾ الأنفال: ٥ ، فإنه تعالى أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم علي كره من أصحابه كما مضى في خروجه من بيته لطلب العير للقتال، وهم له كارهون والقصد أن كراهم لما فعله في الغنائم ، ككراهم للخروج

(٣) المضادة : كقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ . . . ﴾ البقرة : ٦ ، فإن أول السورة كان الحديث عن القرآن وإن من شأنه الهداية للقوم المؤمنين فلما أكمل وصف المؤمنين عقب بحديث الكافرين ، فبينهما جامع وهو ما يسمى بالتضاد من هذا الوجه .

(٤) الاستطراد : وذلك في قوله تعالى ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ . . . ﴾ النساء: ١٧٢ ، فإن أول الكلام ذكر للرد على النصرى الزاعمين نبوة المسيح، ثم استطراد للرد على العرب الزاعمين بنبوة الملائكة .

(٥) حسن التخلص : في قوله تعالى ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُعْتَسُونَ ﴾ الشعراء: ٨٧ ، فتخلص منه إلي وصف المعاد بقوله : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ الشعراء: ٨٨ .

(١) مباحث في التفسير الموضوعي ص ٦٦ .

(٦) الانتقال : من حديث لآخر تنشيطاً للسامع كقوله تعالى في سورة "ص" بعد ذكر الأنبياء: ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنِّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَآبٍ ﴾ ص: ٤٩ ، أراد أن يذكر نوعاً آخر وهو الجنة وأهلها، ثم لما فرغ قال : ﴿ هَذَا وَإِنِّ لِلطَّائِفِينَ لَشَرِّ مَآبٍ ﴾ ص: ٥٥، فذكر النار وأهلها (١) .

(٧) حسن المطلب: وهو تقديم الوسيلة قبل عرض الغرض، كقوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ الفاتحة: ٥، أي بعد أن اعترف بالعبادة والاستعانة به عرض مطلبه وهو اهدنا الصراط المستقيم (٢) .

ألوان المناسبات :

قد تكون المناسبة بين الآية وخاتمتها وبين الآية في السورة الواحدة، أو بين سورتين متجاورتين، أو متباعدتين، أو نهاية السورة وبداية تاليتها وهكذا .
أولاً : فاتحة السورة مع خاتمتها :-

(١) من ينظر إلى فاتحة سورة القصص يري الحديث عن موسى عليه السلام ونصرته وقوله: ﴿ . . . فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ القصص : ١٧ ، وخروجه من وطنه، وختمت بأمر النبي ﷺ بأن لا يكون كذلك ﴿ . . . فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِّلْكَافِرِينَ ﴾ القصص: ٨٦، ووعده بالرجوع إلى مكة لقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ . . . ﴾ القصص: ٨٥، كما قال لأم موسى ﴿ . . . إِنَّا رَادُّوهُ . . . ﴾ القصص: ٧(٣)

(٢) واختتمت سورة المؤمنون بقوله ﴿ . . . إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ، وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ١١٨، حيث ذكرت عاقبة الكفر وعدم فلاح الكافرين(٤) بقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، فالبدء كان بالفلاح، والختام كذلك .

(١) الإتيان ج ٢ ص ٢٣٦-٢٣٨ باختصار .

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٣٨ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٤٢ .

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٤٢ ، مباحث في التفسير الموضوعي ص ٧٤ .

ثانياً : مناسبة فاتحة السورة لخاتمه ما قبلها :-

(١) مناسبة قوله ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ الفيل: ٥، والمقصود جيش أبرهة الذي جاء ليهدم البيت الحرام أي أن الله فعل بهم ذلك من أجل إيلاف قريش ﴿لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ﴾ قريش: ٦، ومنه قوله تعالى : ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا. . .﴾ القصص: ٨، لأن اللام للعاقبة هنا.

(٢) لما ختم سورة النساء بالعدل في توزيع الميراث أمر بالتوحيد والعدل بين العباد أكد ذلك في أول المائة بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ. . .﴾ المائدة: (١).

ثالثاً : المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة :-

(١) في سورة النساء ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ النساء ٥١- ٥٧ ، هذه الآيات نزلت في كعب بن الأشرف عندما قال لكفار قريش بعد غزوة بدر أنتم أهدى من محمد سبيلاً ، وسجد لأصنامهم فنزلت هذه الآية ، وجاء بعد هذه الآيات قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ. . .﴾ النساء : ٥٨ .

وهذه الآية نزلت في عثمان بن أبي طلحة العبدي صاحب سدانة الكعبة، لما أخذ منه ﷺ مفتاح الكعبة يوم الفتح وردده إليه، وبين الآيتين ست سنوات ولكن بينهما مناسبة واضحة جداً وهي، كما ذكر المفسرون: أن أحبار اليهود كانوا على اطلاع بما في كتبهم من وصف محمد ﷺ وأخذت عليهم الموائيق للإيمان به ونصرته، وذلك في قوله: ﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ. . .﴾ آل عمران : ٨١، ثم خان هؤلاء الأحبار

(١) الإتيان ج ٢ ص ٢٤١.

هذه الأمانة، ونقضوا الميثاق، ولم يؤدوا هذه المسؤولية، فالسياق سياق تحمل مسؤولية وأمانة، وأدائها على الوجه المطلوب المبرر للذمة (١) .

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَالْهَكْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ١٦٣، فهذه قاعدة في إثبات الألوهية والعبادة لله عز وجل ، فإن قال قائل : وما الدليل على هذه القاعدة نقول له : الآية التي تليها ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . . .﴾ البقرة: ١٦٤ (٢) . ولكن السعدي - رحمه الله - لم يشر إلي أن هناك مناسبة بينها ، وإنما قال : إن الآية الأولى جملة فسرتها الآية الثانية ، والحق أن الآية الثانية ما هي إلا دليل من جملة الأدلة الكثيرة على وحدانية الله تعالى ، ولكن القول بالمناسبات هو الأفضل في هذا الموضع .

منهج السعدي في علم المناسبات :-

لم يصرح السعدي - رحمه الله - بذكر علم المناسبات في تفسيره ، وإنما تناوله قليلاً أثناء تفسيره بدون ذكر اسمه " ولكنه ذكر قاعدة من القواعد الحسان في تفسير القرآن تتحدث عن المناسبة بين موضوع الآية وفاصلتها من أسماء الله الحسني بعنوان : " الأسماء الحسني في ختام الآيات " (٣) وساق أمثلة كثيرة على ذلك ، وهذا إن دل فإنما يدل على تأييده لعلم المناسبات ، ولكنه ليس كثيراً في تفسيره ، حيث يفهم من المعنى فأحياناً يذكر المناسبة بين أول السورة وموضوعاتها المتعددة ولكنه يجعلها من قبيل الإجمال (أول السورة) ، والتفصيل (موضوعات السورة) ، حيث كان الأحرى به والأجدر أن يعبر عن ذلك بلفظ المناسبة .

ألوان المناسبات في تفسير السعدي :-

أولاً : المناسبة بين الآية وخاتمتها :

(١) انظر مفاتيح الغيب ج ١٠ ص ١٣٧ ، مباحث في التفسير الموضوعي ص ٧٠-٧١ باختصار .

(٢) انظر مفاتيح الغيب ج ٤ ص ١٧٨ ، انظر تفسير النسفي ج ١ ص ٨٦ ، دار الكتاب العربي ، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٢٤ .

(٣) انظر القواعد الحسان لتفسير القرآن ص ٤٢-٤٩ بالتفصيل .

(١) في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ آل عمران : ١٦١ .

يقول : " وتأمل حسن الاحتراز في هذه الآية الكريمة، لما ذكر عقوبة الغال ، وأنه يأتي يوم القيامة بما غله ،ولما أراد أن يذكر توفيته وجزاءه ،وكان اقتصاره على الغال ،يوهم - بالمفهوم - أن غيره من أنواع العاملين قد لا يوفون،أتي بلفظ عام جامع له ولغيره " (١) .

(٢) جعل الإمام السعدي - رحمه الله - في تفسيره قاعدة خاصة في المناسبات بين الآية وخاتمتها وخص الخاتمة بالأسماء الحسني حيث يقول : " يختم الله الآيات بأسماء الله الحسني، ليدل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم . وهذه القاعدة لطيفة نافعة عليك ينتبعا في جميع الآيات المختومة بها ، تجدها في غاية المناسبة، وتد لك على أن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسمائه وصفاته، ومرتب بها وهذا باب عظيم في معرفة صفات الله ومعرفة أحكام شرائعه ،وهو من أجل المعارف وأشرف العلوم (٢) ثم استعرض كثيراً من الأمثلة على ذلك في كتابه (القواعد الحسان لتفسير القرآن) (٣) .

ثانياً : المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة :-

(١) يقول : "لما ذكر تبارك وتعالى الأمر بالاستعانة بالصبر على جميع الأحوال في قوله ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ . . ﴾ البقرة:١٥٣، ذكر نموذجاً مما يستعان بالصبر عليه وهو الجهاد في سبيله وهو أفضل الطاعات البدنية وأشقها على النفوس" (٤)

(١) انظر تفسير النسفي ج١ ص١٩٢، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٢٨٨ بتصرف.

(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن ص٤٣،٤٢ .

(٣) انظر الأمثلة ص٤٣-٤٩ بالتفصيل من نفس الكتاب (القاعدة التاسعة عشرة) وهي : البقرة : ٢٩- ١٠٧-١١٥ ، (المائدة : ٣٤-٤٠-١٢٦) (الأعراف : ١٨٠-١٦٤ ، الحج : ٥٩-٦٥ ، الشعراء : ٩) ، (الأحزاب : ٧٣) .

(٤) انظر مفاتيح الغيب ج٤ ص١٤٥، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١١٨ بتصرف.

(٢) وفي قوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ . . .﴾ البقرة: ١٦٥ ، يقول : "ما أحسن اتصال هذه الآية بالتّي قبلها فإنه تعالى لما بين وحدانيته وأدلتها القاطعة وذلك في قوله: ﴿وَالِهَكُمْ إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . .﴾ البقرة: ١٦٣-١٦٤ ، وبراهينها الساطعة الموصلة إلى علم اليقين، والمزيلة لكل شك .

(٣) عند قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة: ٢٧٧ . يقول : (ثم أدخل هذه الآية بين آيات الربا لبيان أن أكبر الأسباب لاجتناب ما حرم الله من المكاسب الربوية تكميل الإيمان وحقوقه خصوصاً إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فإن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر وإن الزكاة إحسان إلى الخلق ، ينافي تعاطي الربا الذي هو ظلم لهم وإساءة عليهم) (١) .
ويقول الإمام الشعراوي - رحمه الله - :

فكأن الله بعد أن تكلم عن الكفار والإثم يرجعنا لحلاوة الإيمان فيقول : إن الذين آمنوا - الآية " (٢) وسواء ما قال السعدي أو الشعراوي - رحمهما الله - فإنه من باب الاجتهاد ، وكله وارد ومحتمل، ويبدل على ترابط القرآن الكريم وأنه كالبناء المحكم والله أعلم .

(٤) في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ آل عمران ١٣٠-١٣١ . يقول : (ولعل الحكمة - والله أعلم - في إدخال هذه الآية أثناء قصة "أحد" أنه قد تقدم أن الله تعالى وعد عبادة المؤمنين إذا صبروا وانتقوا نصرهم على أعدائهم وخذل الأعداء عنهم كما في قوله تعالى : ﴿ . . . وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا . . .﴾ آل عمران: ١٢٠ ، فكأن التقوى اشتاقت إلى معرفة خصال التقوى

(١) مفاتيح الغيب ج٧ ص٩٦ ، تيسير الكريم الرحمن ص٢١٨ ، انظر تفسير الشعراوي ج٢ ص١١٩٨ .

(٢) تفسير الشعراوي ج٢ ص١١٩٨ .

التي يحصل بها النصر والفلاح والسعادة فذكر الله في هذه الآيات أهم خصال النفوس التي إذا قام العبد بها فقيامه بغيرها من باب أولى وأحرى ، فقله : "يا أيها الذين آمنوا" افعلوا كذا أو اتركوا كذا يدل على أن الإيمان هو السبب الداعي والموجب لامتنال ذلك الأمر واجتتاب ذلك النهي فنهاهم عن أكل الربا الذي اعتاده أهل الجاهلية ومن لا يبالي بالأوامر الشرعية فالإزامه بما فوق ذلك ظلم متضاعف فيتعين على المؤمن المتقي تركه وعدم قربانه لأن تركه من موجبات التقوى والفلاح متوقف على النفوس (١) .

ويقول الإمام الشعراوي نقلاً عن الشهيد سيد قطب -رحمهما الله تعالى - في ظلاله: رحم الله صاحب الظلال الوارفة الشيخ سيد قطب فقد استطاع أن يستخلص من هذه النقلة مبادئ إيمانية عقدية لو أن المسلمين في جميع بقاع الأرض جعلوها نصب أعينهم لما كان لأي دولة من دول الكفر غلبة علينا .

ونريد أن نفهم هذه اللقطات، ولماذا استهلت بمسألة الربا ؟ لأن الذي كان سبباً في الهزيمة أو عدم النصر في معركة أحد أنهم طمعوا في الغنيمة، والغنيمة مال زائد، والربا فيه مال زائد (٢) .

يقول : إن أول مخالفة كانت سبباً كبيراً في الهزيمة ولكن دعنا نقول " في عدم إتمام النصر فلما رأوا الغنائم ، اندفعوا إليها إذن فدافعهم هو طلب المال من وجه غير مشروع، وبهذا صارت مبارحة المكان أمراً غير مشروع فتطلع النفس إلي شيء في غير ما أمر به رسول الله ﷺ يعتبر أمراً غير مشروع والتطلع هنا كان للمال وهكذا الربا (٣) .

ونقول: إن ما فسره الشهيد سيد قطب - رحمه الله - من مناسبة بين هذه الآية وآيات غزوة أحد هو الأقرب إلي الصواب -والله أعلم -لما بينها من عامل مشترك وهو طلب المال من وجه غير مشروع، وإن كان الرأيان متقاربين كثيراً .

ثالثاً : المناسبة بين أول السورة وموضوعاتها : -

(١) انظر مفاتيح الغيب ج٩ ص٢، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٢٦٩-٢٧٠ بتصرف.

(٢) تفسير الشعراوي ج٣ ص١٧٤٣-١٧٤٥ بتصرف.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ج٣ ص١٧٤٣-١٧٤٥، انظر التفسير المنير ج٤ ص٨٣.

(١) وذلك أول سورة النساء في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ . . . ﴾ النساء: ١ .

يقول : (وتأمل كيف افتتح هذه السورة بالأمر بالتقوى ،وصلة الأرحام والأزواج عموماً ثم بعد ذلك فصل هذه الأمور أتم تفصيل من أول السورة إلي آخرها) (١) ونقصد هنا المناسبة بين حقوق الله على عباده وتوزيع المواريث والتوصية بالنساء والأقارب واليتامى والمساكين.... الخ ولكن أراد في تفسير الآية الإجمال ثم التفصيل وقد رددنا عليه في هذه المسألة من قبل.

(٢) في أول سورة يوسف عليه السلام يقول ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ . . . ﴾ يوسف: ٢-٣ .

يقول : ولما مدح ما اشتمل عليه هذا القرآن من القصص ،وأنه أحسن القصص على الإطلاق، فلا يوجد مثل هذا القصص في شئ في الكتب ،مثل هذا القرآن،ذكر قصة يوسف وأبيه وإخوته،القصة العجيبة الحسنة (٢) .
أي أن مقدمة السورة هي القاعدة أو النظرية ثم جاء بالبرهان القاطع على صدق هذه القاعدة بقصة كاملة متكاملة الجوانب ذكرت جملة واحدة .

رابعاً : المناسبة بين أول السورة وآخرها :-

وذلك في مطلع سورة النحل مع آخرها حيث يقول - رحمه الله - : " هذه السورة تسمى سورة النعم،فإن الله ذكر في أولها أصول النعم وقواعدها، وفي آخرها متماتها ومكملاتها " (٣) .

خامساً : المناسبة بين اسم السورة ومقصدها :-

ويتضح ذلك في سورة النجم ،حيث يقول موضحاً المناسبة بين اسم السورة ومقصدها " : وأقسم بالنجوم على صحة ما جاء به ﷺ من الوحي الإلهي،لأن في

(١) تيسير الكريم الرحمن ج١ص٣١٠ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج٢ص٤٤٣ . دار الصفا،انظر تفسير الشعراوي ج١١ص٦٨٤٣ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ج٣ص٤٨ ،انظر روح المعاني ج٥ص٨٩-دار الفكر.

ذلك مناسبة عجيبة فإن الله تعالى جعل النجوم زينة للسماء فكذلك الوحي وآثاره،
زينة الأرض " (١).

سادساً : المناسبة بين موضوع السورة العام والخاتمة :

وذلك في سورة هود - عليه السلام - حيث إن موضوع السورة العام هو
قصص الأنبياء وإثبات أن القرآن من عند الله لإحاطته بأخبار السابقين، وفي نهاية
السورة ذكر الحكمة من إيراد هذه القصص فقال : " لما ذكر في هذه السورة من
أخبار الأنبياء ما ذكر، ذكر الحكمة من ذكر ذلك فقال : ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ
الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ . . . ﴾ هود: ١٢٠ (٢) .

سابعاً : المناسبة بين كلمات السورة والمعنى المراد منها :-

حيث ذكر السعدي - رحمه الله - جملة من الفوائد في سورة يوسف عليه السلام
كفائدة رؤياه عليه السلام وذكر وجه المناسبة فيها فقال : " إن هذه الأنوار هي زينة
السماء وجمالها وبها منافعها، فكذلك الأنبياء والعلماء زينة للأرض وجمال ، وبهم
يُهدى في الظلمات كما يُهدى بهذه الأنوار، ولأن الأصل أبوه وأمه ، وإخوته هم
الفرع فمن المناسب أن يكون الأصل أعظم نوراً وجُرمًا لما هو فرع عنه، فلذلك
كانت الشمس أمه والقمر أباه والكواكب إخوته.

ومن المناسبة: أن الشمس لفظ مؤنث ، فلذلك كانت أمه والقمر والكواكب مذكرات، فكانت
لأبيه وإخوته ، ومن المناسبة أن الساجد مُعَظَّمٌ مُحْتَرَمٌ للمسجود له، والمسجود له مُعَظَّمٌ
مُحْتَرَمٌ فلذلك دل على أن يوسف عليه السلام معظم محترم عند أبويه وإخوته، وأول رؤيا
الملك للبقرات والسنبلات بالسنيين المخصبة والسنيين المجذبة، ووجه المناسبة أن الملك به
ترتبط أحوال الرعية ومصالحها وبصلاحه تصلح ، وبفساده تفسد ، وكذلك السنون بها
صلاح أحوال الرعية واستقامة أمر المعاش أو عدمه وأما البقرة فإنها تحرت الأرض
عليها ويسقي عليها الماء وإذا أخصبت السنة سمنت، وإذا أجدبت صارت عجافاً ، وكذلك

(١) المصدر نفسه ج ٢ ص ١١٥ .

(٢) انظر روح المعاني ج ٤ ص ١٦٧، تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٤٤٠ .

السنبال في الخصب تكثر وتخضر وفي الجذب تقل وتيبس في أفضل غلال الأرض^(١).

- ولذلك في سورة الرعد في قوله تعالى ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا. . . ﴾ الرعد: ١٧ ، حيث قال : (شبه تعالى الهدى الذي أنزل على رسوله لحياة القلوب والأرواح بالماء الذي أنزله لحياء الأبدان ، وشبه ما في الهدى من النفع العام الكثير الذي يضطر إليه العباد بما في المطر من النفع العام الضروري ، وشبه القلوب الحاملة للهدى ونقاوتها بالأودية التي تسيل فيها السيول .
- فواد كبير يسع ماء كثيراً كقلب كبير يسع علماً كثيراً وواد صغير يأخذ ماء قليلاً كقلب صغير يسع علماً قليلاً وهكذا ، وشبه ما يكون في القلوب من الشهوات والشبهات عند وصول الحق إليها بالزبد الذي يعلو الماء ويعلو ما يوحد عليه النار من الحلية التي يراد تخليصها وسبكها وإنها لا تزال فوق الماء طافية مكدرة له، حتى تذهب وتضمحل، ويبقى ما ينفع الناس من الماء الصادفي والحلية الخالصة ، وكذلك الشبهات والشهوات لا يزال القلب يكرها ويجاهدها بالبراهين الصافية حتى تذهب وتضمحل، ويبقى القلب خالصاً صافياً، ليس فيه إلا ما ينفع الناس من العلم بالحق وإيثاره والرغبة فيه^(٢).

خلاصة:-

وهكذا فقد عرضنا منهج السعدي - رحمه الله- في بيان ألوان المناسبات في تفسيره، فمنها ما يصرح بلفظ المناسبة فيه، ومنها ما يصرح فيه بلفظ الإجمال والتفصيل ومنها ما لم يذكر لفظ المناسبة البتة ، وإنما تفهم المناسبة من خلال كلامه، ووجدناه غير متكلف في هذا العلم، فأجاد وأفاد - جزاه الله خيراً .

المبحث الثاني

"التفسير الغوي": -

(١) انظر روح المعاني ج٤ ص٢٥٥، ١٨١ بنحوه، تيسير الكريم الرحمن ج٢ ص٤٨٨-٤٩٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج٢ ص٥١٣-٥١٥ بتصرف يسير، انظر التفسير المنير ج١٣ ص١٤٦، ١٤٥.

من الأدوات التي يجب توفرها في مفسر القرآن الإمام بعلم اللغة العربية،
والبلاغة والبيان، وهذا من التفسير المحمود الذي لا يخالف روح الشريعة
الإسلامية، ولأن القرآن نزل بلغة العرب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف: ٢.

والشيخ السعدي - رحمه الله - تناول في تفسيره الأساليب البلاغية والبيانية، ولكنه
لم يكثر منها كسائر المفسرين لأن هدفه هو المعنى وبيان الهداية في القرآن الكريم،
بالإضافة إلي الإعراب والنحو، وأهمية الأمثال، وهذا المبحث اشتمل على أربعة
مطالب نبدأها إن شاء الله بالأساليب البلاغية :-

المطلب الأول : "الأساليب البلاغية والأسرار البيانية" :-

والبلاغة : مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة ألفاظه (١) وتشمل البلاغة علم
المعاني والبيان والبديع .

وعلم المعاني : يعتمد على أصول وقواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى
الحال بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له .

غايته : تحقيق هدف ديني يرمي إلي معرفة إعجاز كتاب الله ومحاولة الإطلاع على
أسرار البلاغة والفصاحة في غير القرآن من كلام العرب (٢) .

منهج السعدي في تناوله للأساليب البلاغية والأسرار البيانية :

لقد اشتمل تفسير السعدي - رحمه الله - على كثير من أساليب البلاغة كالتقديم
والتأخير والاستفهام لغرض بلاغي والقصر وأساليبه وبلاغة الحرف والكلمات
والتوكيد .

أولاً : التقديم والتأخير يفيد القصر والقصر :-

(١) البيان في اعجاز القرآن لحمد السباعي الديق ص١٨- مكتبة محمد علي صبيح- ١٣٨٠هـ، الجامعة الإسلامية

٨٥-١٩٨٦م، الموجز في علوم البلاغة أ: كمال الديق ص٣- لجنة المطبوعات.

(٢) المصدر نفسه ص ٤ .

من البلاغة في اللغة تقديم الخبر على المبتدأ وتقديم المفعول على الفاعل أو على الفعل لغرض بلاغي، وليس جزافاً أن يشير الشيخ السعدي إلى هذا في تفسيره: (١) عند قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥، يقول: أي نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة؛ لأن تقديم المفعول يفيد الحصر (١) حيث قدم هنا المفعول على الفاعل للاختصاص والقصر، وهو من باب قصر الصفة على الموصوف، وتقديم السبب "العبادة" على المسبب "الاستعانة".

(٢) في قوله تعالى ﴿... وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ البقرة: ١٣٨

يقول: (والإخلاص أن يقصد العبد وجه الله وحده، في تلك الأعمال فتقديم المفعول يؤذن بالحصر) (٢)، فتقديم المفعول وهو الجار والمجرور "له" يفيد الحصر والقصر، أي حصر وقصر العبادة على الله تعالى وحده لا شريك له).

- كما أنه أتى باسم الفاعل "عابدون" ليبدل على الثبات والاستقرار ليبدل على أن ذلك صفة لازمة فيهم لا تتغير (٣).

(٣) في قوله تعالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ القصص: ٨٣.

يقول: (وعلم من هذا الحصر في الآية الكريمة أن الذين يريدون العلو في الأرض أو الفساد ليس لهم في الدار الآخرة نصيب، ولا لهم منها حظ) (٤).

ثانياً: الوجوه والنظائر:-

الوجوه: هي اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان، كلفظ الأمة، والنظائر كالألفاظ المتواطئة، وقيل النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني، وأخرج سعد من طريق عكرمة عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج

(١) جامع البيان الطبري ج ١ ص ٥٤ دار المعهد، مفاتيح الغيب للرازي ج ١ ص ٢٥٤ دار الكتب العلمية طهران/ط ٢، الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٦١، دار المعرفة، انظر فتح القدير ج ١ ص ٢٢، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٢٨، تفسير الشعراوي ج ١ ص ٧٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٠٢.

(٣) انظر روح المعاني ج ١ ص ٣٩٨، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٠٢،

(٤) تيسير الكريم الرحمن ج ٤ ص ٤٤ وانظر ج ٣ ص ٣٧١.

فقال : اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه ولكن خاصمهم بالسنة (١) .

- وقد تعرض السعدي لذلك ولكن تعرضه كان قليلاً جداً وهذا يدل على عدم توسعه في ذلك، لهدف الاختصار وأظنه أتى بمثال واحد فقط.

نموذج من تفسيره على الوجوه والنظائر :-

عند تفسيره لقوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ . . .﴾ البقرة: ٢٩ .

ذكر الشيخ السعدي لمعني كلمة الإستواء ثلاثة معاني وهي كالتالي :-

استوى: في القرآن ترد على ثلاثة معاني : فتارة لا تعدى بالحرف، فيكون معناها التمام، كما في قوله عن موسى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ . . .﴾ القصص: ١٤، وتارة تكون بمعنى "علا" و"ارتفع" وذلك إذا عدت بـ"على" كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ طه: ، ﴿لَتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ . . .﴾ الزخرف: ١٣، وتارة تكون بمعنى "قصد" كما إذا عدت بـ"إلى" كما في هذه الآية أي لما خلق تعالى الأرض قصد إلي خلق السموات فسواهن سبع سموات فخلقها وأحكمها وأتقنها وهو بكل شيء عليم (٢) وهكذا وجدنا أن كلمة "استوي" لها معان عدة حسب تعديها بحرف الجر وهو ما يسمى بالوجوه.

ثالثاً : الحذف :-

الحذف من الأساليب البلاغية في اللغة يقتضيه السياق أحياناً لغرض بلاغي

أو لفهمه من السياق أو لكونه أول الكلام بعد القول أو للتحويل ... وهكذا .

(١) حذف المعمول لإرادة العموم :-

أ- عند قوله تعالى ﴿ . . . هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ " البقرة: ٢

يقول : "هدى" وحذف المعمول فلم يقل هدى للمصلحة الفلانية، ولا للشيء الفلاني

لإرادة العموم، وأنه هدى لجميع مصالح الدارين الدنيا والآخرة (٣) .

(١) الإتيان ج ١ ص ٢٩٩، ٣٠٠ .

(٢) انظر روح المعاني ج ١ ص ٢١٥، انظر فتح القدير ج ١ ص ٦٠، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٤٩ .

(٣) انظر روح المعاني ج ١ ص ١١٠، المصدر نفسه ج ١ ص ٣١ .

ب- عند قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ . . . البقرة: ٢٥٤ .

يقول : يحث الله المؤمنين على النفقات في جميع طرق الخير؛ لأن حذف المعمول يفيد التعميم ويذكرهم نعمته عليهم بأنه هو الذي رزقهم، ونوع عليهم النعم (١) .

ج- عند قوله تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ . . . النساء: ٣٤ .

يقول : وكذلك خصهم بالنفقات على الزوجات بل وكثير من النفقات يختص بها الرجال، ويتميزون عن النساء ولعل هذا سر قوله: " بما أنفقوا" وحذف المعمول ليبدل على عموم النفقة (٢) ، فحذف المعمول في هذه الآيات ليشمل جميع الخير دون تقيد، وهذا من فضل الله على عباده، حيث أطلق الخير، ولم يقيد بشيء .

(٢) حذف جواب الشرط لتعظيم الأمر :

لم يصرح السعدي - رحمه الله - في تفسيره بهذه القاعدة، ولكن جعلها قاعدة من قواعد التفسير في كتابه " القواعد الحسان لتفسير القرآن " وهي القاعدة السادسة عشرة (٣) .

رابعاً : بلاغة الحرف :-

إن للحرف مع غيره من الألفاظ معنى ويؤدي غرضاً بلاغياً حسب موقعه في الجملة، والقرآن جاء ليخدم القضية الإيمانية فسخر بعض الحروف مع بعض الألفاظ لتؤدي معنى كبيراً لا يتحقق إلا مع هذه الحروف، وقد ذكر السعدي بعض الأمثلة خلال الآيات ليبين هذا المفهوم منها .

نماذج من تفسير السعدي على بلاغة الحروف :-

(١) عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ . . . وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ البقرة: ٣

يقول : ولأن النفقة هي قرينة إلي الله أتى بـ"من" الدالة على التنصيص لينبههم أنه لم يرد منهم إلا جزءاً يسيراً من أموالهم من غير من منهم ولا ثقل (٤) .

(٢) عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ . . . البقرة: ٥

يقول: (أتى بـ"على" في هذا الموضع الدالة على الاستعلاء، وفي الضلالة يأتي

(١) انظر روح المعاني ج١ ص١١٩، ١١٨، المصدر السابق ج١ ص٢٠١ .

(٢) انظر فتح القدير ج١ ص٦٠، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٣٤٤ .

(٣) القواعد الحسان لتفسير القرآن ص٣٨ والآيات التي أشار إليها هي : البقرة: ١٦٣ ، السجدة: ١٢ ، سبأ: ٥١ ،

الأنعام: ٣٠، ٢٧، التكاثر: ٥ ، وانظر تيسير الكريم الرحمن ج٣ ص٣٨٥ ج٢ ص٦٣ .

(٤) انظر مفاتيح الغيب ج١ ص٣١ ، انظر أضواء البيان ج١ ص٣٨ ، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٣٣ .

بـ"في" كما في قوله: ﴿... وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ سبأ: ٢٤، لأن صاحب الهدى مستعل بالهدي مرتفع به، وصاحب الضلال منغمس فيه محتقر. (١).

مما تقدم تبين لنا أن كل حرف في اللغة له معنى خاص به، وأن هذه الحروف جاءت لتخدم المعنى القرآني، لا أن المعنى يخدم الألفاظ، "فعلی" تفيد الاستعلاء، و"في" تفيد الظرفية.

(٣) عند تفسير لقوله تعالى ﴿... وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ...﴾ البقرة: ١٩٧. يقول: أتى بـ"من" للتخصيص على العموم، فكل خير وقربة وعبادة داخل في ذلك الخير (٢) في المثاليين السابقين كانت "من" للتبعيض وفي المثال الأخير جاءت للتخصيص، وهذا من بلاغة القرآن، حتى إن الحرف الواحد له عدة معان، وكذلك الألفاظ.

خامساً : بلاغة الكلمات :-

(١) عند قوله تعالى ﴿يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ...﴾ القصص: ٣١ يقول: وهذا أبلغ ما يكون في التأمين وعدم الخوف، فإن قوله: "أقبل" يقتضي الأمر بإقباله ويجب عليه الامتثال، ولكنه قد يكون إقباله وهو لم يزل في الأمر المخوف، فقال "ولا تخف" أمر له بشيئين إقباله وأن لا يكون في قلبه خوف، ولكن يبقى احتمال وهو أنه قد يقبل وهو غير خائف، ولكن لا تحصل له الوقاية والأمن من المكروه، فلذلك قال "إنك من الأمنين" فحينئذ اندفع المحذور من جميع الوجوه (٣).

(٢) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿... إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ مريم: ٤٤ يقول: وفي ذكر إضافة العصيان إلي اسم الرحمن إشارة إلي أن المعاصي تمنع العبد من رحمه الله، وتغلق عليه أبوابها، كما أن الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته (٤).

سادساً : خروج الاستفهام عن غرضه :-

-
- (١) انظر مفاتيح الغيب ج ١ ص ٣٣، تيسير الكريم الرحمن، ج ١ ص ٣٤.
- (٢) تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٥٨، نظر ج ٣ ص ٢٣٤.
- (٣) انظر انحرر الوجيز ج ١٢ ص ١٦٥ بنحوه، انظر روح المعاني ج ٢ ص ٧٥ - دار التراث، تيسير الكريم الرحمن ج ٤ ص ١٧-١٨، انظر ج ٣ ص ٢٣٤.
- (٤) تيسير الكريم الرحمن ج ٣ ص ٢٠٥.

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ البقرة: ٢٨.

يقول: هذا استفهام بمعنى التعجب والتوبيخ والإنكار، أي كيف يحصل منكم الكفر بالله الذي خلقكم من العدم، وأنعم عليكم بأصناف النعيم، ثم يميتكم عند استكمال آجالكم، ويجازيكم في القبور، ثم يحييكم بعد البعث والنشور ثم إليه ترجعون (١).
- فالاستفهام عادة غرضه طلب المعرفة والعلم، ولكنه أحياناً يخرج عن غرضه الأصلي (الاستفهام) إلي غرض بلاغي، إما للتعجب أو الإنكار أو التوبيخ أو تقرير الحقائق والمعتقدات.

(٢) في قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ... ﴾ آل عمران: ١٠١، يقول: لما أقام فيما تقدم الحجج على أهل الكتاب، فمع أنهم قبل ذلك يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، وبخ المعاندين منهم بكفرهم بآيات الله وصددهم الخلق عن سبيل الله لأن عوامهم تبع لعلمائهم (٢).

سابعاً : التوكيد :-

والقصد منه الحمل على ما لم يقع، ليصر واقعاً، ولهذا لا يجوز تأكيد الماضي ولا الحاضر، وإنما يؤكد المستقبل (٣) وهو إما لفظي أو معنوي فاللفظي تقرير معني الأول بلفظه أو مرادفه والمعنوي يعلم من السياق والقرينة (٤).

نماذج من التوكيد في تفسير السعدي :-

(١) في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ... ﴾ البقرة: ١٥٠
يقول: وكان صرف المسلمين إلي الكعبة مما حصلت فيه فتنة كبيرة أشاعها أهل الكتاب والمنافقون والمشركون، وأكثروا فيها من الكلام والشبه، فلهذا بسطها الله

(١) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٤٩، انظر روح المعاني ج١ ص٢١٣.

(٢) انظر بحر العلوم ج١ ص٢٨٧، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٢٥٩ انظر ج٥ ص٢٧٥.

(٣) أساليب البيان في الكتاب والسنة أ. خالد السعيد ص٤٧.

(٤) المصدر نفسه ص٤٨.

تعالى وبينها أكمل بيان، وأكدها بأنواع من التأكيدات، التي تضمنتها هذه الآيات منها:-

الأمر بها ثلاث مرات، مع كفاية المرة الواحدة ومنها : أن المعهود أن الأمر إما أن يكون للرسول فتدخل فيه الأمة أو للأمة عموماً، وهذه الآية أمر فيها الرسول بالخصوص في " فولّ وجهك" والأمة عموماً في قوله " فولوا وجوهكم" (١)

(٢) في قوله تعالى ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ الحجر: ٣٠ يقول : فسجد الملائكة كلهم أجمعون " تأكيد ليدل على أنه لم يتخلف منهم أحد، وذلك تعظيماً لأمر الله، وإكراماً لآدم، حيث علم ما لم يعلموا (٢) .

- نلاحظ في المثال الأول أنه أكد التوجه إلى الكعبة توكيداً لفظياً للجملة ثلاث مرات؛ ليدل على أهميتها، وأنها القبة الباقية إلى قيام الساعة.

- أما المثال الثاني فالتوكيد فيه معنوي وأكده بـ"كل" و"أجمع" فـ"كلهم" تفيد أنه لم يتخلف منهم أحد و"أجمعون" أي نهم سجدوا في وقت واحد وليس واحد بعد واحد

- وفي القرآن كثير من التوكيد اللفظي والمعنوي فمن اللفظي في الجملة قوله تعالى ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ العصر: ٥-٦ ، وقوله ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ الأعراف: ٩٢ .

- ومن المعنوي قوله تعالى ﴿وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يوسف: ٩٣ ، وقال ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ يونس: ٩٩ .

- وهكذا رأينا الشيخ السعدي وتبحره بعلوم البلاغة من تقديم وتأخير وقصر وحذف بأنواعه، وتوكيد بأنواعه أيضاً، مما أضاف إلى تفسيره روعةً وجلالاً، ولا شك أن هذه العلوم من أدوات المفسر التي يجب أن يتصف بها .

المطلب الثاني " النحو والإعراب " :-

قاعدة النحو قاعدة أساسية لأن المعنى يتوقف عليها ولا غنى للمفسر عنها ولأهميتها جعلت ضابطاً من ضوابط قبول القراءة الصحيحة .

(١) انظر مفاتيح الغيب ج٤ ص١٣٧ وما بعدها، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١١٣-١١٤ .

(٢) انظر بحر العلوم ج٢ ص٢١٩، تيسير الكريم الرحمن ج٣ ص٣٥ .

يقول السيوطي : ومن فوائد هذا النوع معرفة المعنى، لأن الإعراب يميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين (١) ، وهو العلم الذي يتوقف عليه توجيه القراءات، وبالتالي يختلف المعني تبعاً لاختلاف الحركات، وهذا من إعجاز القرآن ليكون شاملاً لكل شيء، بالإضافة أيضاً إلي تعدد الأحكام الشرعية طبقاً لتعدد وجوه الإعراب، ومن خلال دراستنا لتفسير السعدي وجدناه يكثر من الحديث عن القضايا النحوية وهي كالآتي :-

أولاً : عود الضمائر :-

عادة يكون الضمير عائداً على أقرب مذكور، ولكن قد يوجد عدة أسماء مذكورة، ثم يأتي الضمير فيحتمل عوده على أحدهما. ومن الأمثلة على ذلك :-

(١) عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ . . . وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ . . . ﴾ الأنعام: ٨٤

يقول : (ومن ذريته) يحتمل أن الضمير عائد إلي نوح، لأنه أقرب مذكور لأن الله ذكره مع من ذكر لوطاً وهو من ذرية نوح، لا من ذرية إبراهيم، لأن لوطاً ابن أخيه، ويحتمل أن الضمير يعود إلي إبراهيم، لأن السياق في مدحه والثناء عليه، ولوط - وإن لم يكن من ذريته - فإنه ممن آمن على يده (٢) ويقول الباحث: إن الضمير - والله أعلم - يعود على إبراهيم لأن السياق يتحدث عنه أولاً

(٢) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ . . . فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ . . . ﴾ التوبة: ٣٦

يقول (يحتمل أن الضمير يعود إلي الإثني عشر شهراً، وأن الله بين أنه جعلها مقادير للعباد، وأن تعمّر بطاعته، وشكر الله تعالى على نعمته بها وتقيضها لصالح العباد فلتحذروا من ظلم أنفسكم فيها، ويحتمل أن الضمير يعود إلي الأربعة الحرم وأن هذا نهى لهم عن الظلم فيها، خصوصاً مع النهي عن الظلم في كل وقت لزيادة تحريمها، ولكون الظلم فيها أشد منه في غيرها (٣).

(١) الإتيقان ج ١ ص ٣٨٢، انظر إملاء ما من به الرحمن للعكبري ت: ٦١٦ هـ، ج ١ ص ٣ - دار الكتب العلمية ط ١٣٩٩/١ هـ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٤٧، انظر إملاء ما من به الرحمن ج ١ ص ٢٥١ .

(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٧٣، انظر الإملاء ج ٢ ص ١٥، ١٤، انظر إعراب القرآن وبيانه لحي الدين الدرويش ج ٤ ص ٩٧ - اليمامة، دار ابن كثير - ط ١٤١٥ هـ ..

ثانياً : الحال :-

هي بيان حال الفعل حين حدوثه والحال قد تكون كلمة ،أو جملة اسمية أو فعلية ،وقد تكون حرفاً إذا أتى الحرف مع جملة اسمية أو فعلية ،قد تحدث عن معظم هذه الحالات وهذه نماذج منها:-

الحال لفظ مفرد:-

(١) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿... وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً...﴾ التوبة: ٣٦

بقوله: (ويحتمل أن "كافة" حال من "الواو" فيكون معني هذا : وقاتلوا جميعكم المشركين فيكون فيها وجوب النفي على جميع المؤمنين، وقد نسخت بهذا الاحتمال، يقول ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً...﴾ التوبة: ١٢٢(١) أي أن الحال تغير الحكم أحياناً حسب موقعها في الجملة، وأنت الحال كلمة .

(٤) في قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ المرسلات: ١.

يقول : و"عرفاً" حال من المرسلات، أي أرسلت بالعرف والحكمة (٢) فالحال هنا كلمة واحدة .

الحال جملة اسمية:-

(٢) في قوله تعالى ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...﴾ الأعراف: ٢٤.

يقول: وجملة "بعضكم لبعض عدو" في موضع نصب على الحال من الضمير الذي هو الواو، في "اهبطوا" (٣) وهنا الحال جاءت جملة اسمية .

الحال جملة فعلية:-

(٣) في قوله تعالى ﴿... وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ هود: ٤٠.

يقول : والحال " ما آمن معه إلا قليل " (٤) فالواو والحال والجملة الفعلية في محل نصب على الحال .

ثالثاً : وظيفة الحرف في الجملة القرآنية :-

(١) تيسير الكريم الرحمن ج٢ ص٢٧٣، انظر اعراب القرآن الكريم وبيانه ج٤ ص٩٧، وانظر إملاء ج١ ص١٥ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج٥ ص٣٤٥، انظر إملاء ما من به الرحمن ج١ ص٢٧٧ .

(٣) المصدر السابق ج٢ ص١١٨، انظر روح المعاني ج١ ص٢٣٦ .

(٤) المصدر نفسه الرحمن ج٢ ص٤١٠ .

للحرف وظيفه يؤديها إذا كان في جملة أو لوحده فليس له معني فقد تكون اللام للجر وتكون للتعليل أو السببية وتكون للأمر، وتكون للعاقبة وتكون للتوكيد والسعدي قد تطرق لبعض هذه الصور في تفسيره منها :

(١) في قوله تعالى: ﴿... وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ...﴾ الأنعام: ١٠٥.

يقول : و ليقولوا درست " علة لفعل قد حذف ، تعويلاً على دلالة السياق عليه، أي وليقولوا : درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور، واللام للعاقبة والصيرورة، والواو اعتراضية أي : لتصير عاقبة أمرهم إلي أن يقولوا درست، وهو كقوله تعالى : ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ قُرْعَةً عَيْنٍ﴾ القصص : ٨، وهم لم يلتقطوه للعداوة، وإنما التقطوه ليصير لهم قرعة عين ، ولكن صارت عاقبة أمرهم إلى العداوة (١) .

(٢) في قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ الشمس : ٥.

(١) انظر إملاء ج ١ ص ٢٥٦، انظر تفسير البيضاوي ج ١ ص ٣٢٥، تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٦٤.

يقول : يحتمل أن "ما" موصولة فيكون القسم بالسما والبنائها وهو الله تعالى، ويحتمل أنها مصدرية فيكون القسم بالسما والبنائها الذي هو غاية ما يقدر من الأحكام والإتقان والإحسان (١).

- أي أن "ما" قد تكون بمعنى الذي، فيكون المعنى والسما والذي بناها، وقد تكون مصدرية فيكون المعنى والسما والبنائها، وقد تكون "ما" نافية لا تؤثر على الجملة، وقد تكون ناسخة تعمل عمل "ليس" (٢)، ترفع المبتدأ، وتتصب الخبر.

(٣) واو القسم : في قوله تعالى ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ الليل: ١، ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ الليل: ٤.

يقول : هذا قسم من الله تعالى، بالزمان الذي تقع فيه أفعال العباد على تفاوت أعمالهم، وقوله ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ هذا هو المقسم عليه (٣)، أو جواب القسم .
رابعاً: نماذج متفرقة من علم النحو والإعراب :-

(١) عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿... وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ النساء: ١١٥.

يقول (وسبيل المؤمنين مفرد مضاف، يشمل سائر المؤمنين بالعقائد والأعمال، فإذا اتفتوا على إيجاب شيء، أو استحبابه أو تحريمه أو كراهيته أو إباحته، فهذا سبيلهم، فمن خالفهم في شيء من ذلك بعد انعقاد إجماعهم عليه، فقد اتبع غير سبيلهم) (٤).

(٢) في قوله تعالى : ﴿... أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ المائدة: ٦٠.

يقول : (وهذا النوع من باب استعمال أفعال التفضيل في غير بابها) (٥) ويقصد بذلك أن أفعال التفضيل يأتي على وزن "أفعل" غير أن خير، وشر خرجتا عن القاعدة، والقياس أن يقال : أخير وأشر (٦) ولكن جاءتا مضافتين بدل أفعال التفضيل

(١) انظر تفسير البيضاوي ج ١ ص ٣٢٥، تيسير الكريم الرحمن ج ٥ ص ٤٠٦-٤٠٨، انظر إملاء ج ١ ص ٢٥٦.

(٢) لقوله تعالى: "ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي" إبراهيم: ٢٢، وقوله "ما هن أمهاتكم" المجادلة: ٢.

(٣) المصدر نفسه ج ٥ ص ٤٠٨-٣٩٨، انظر تفسير المنير ج ٣٠ ص ٢٥٧، ٢٥٦.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٤٠٩، انظر تفسير المنير ج ٣٠ ص ٢٦٨.

(٥) انظر تفسير البيضاوي ج ١ ص ٢٨٢، تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٤٩٩.

(٦) تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٤٩٩، انظر تفسير البيضاوي ج ١ ص ٢٨٢.

٣) في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتَعْفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا...﴾ . . . النور: ٣٣ .
يقول: (أي لا يقدرّون نكاحاً إما لفقرهم أو فقر أوليائهم وأسيادهم أو امتناعهم من تزوجهم ،وليس لهم قدرة على إجبارهم على ذلك، وهذا التقدير أحسن من تقدير من قدرّ: " لا يجدون مهر نكاح" وجعلوا المضاف إليه نائباً مناب المضاف ،فإن في ذلك محذورين :أحدهما :الحذف في الكلام،والأصل عدم الحذف،والثاني :كون المعنى قاصراً على من له حالتان ،حالة غني بماله، وحالة عدم، فيخرج العبيد والإماء ، ومن إنكاحه على وليّه كما ذكرنا(١) أي أن اختلاف التقدير في المعنى يؤدي إلى اختلاف الإعراب وموقعه.

المطلب الثالث

عنايته الشيخ السعدي بضرب الأمثال :-

الأمثال : جمع مَثَلٍ والمَثَلُ والمَثِيلُ، كالشَّبَّه والشَّبِيه لفظاً ومعني ، ويطلق المثل على الحال والقصة العجيبة الشأن ،وبهذا المعنى فسر لفظ المثل في كثير من الآيات كقوله : ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ...﴾ محمد: ١٥ ، أي قصتها وصفتها التي يتعجب منها .

وأشار الزمخشري : إلى هذه المعاني الثلاثة في كشافه فقال : " والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير ،ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلاً ولا رأوه، أهلاً للتسيير ولا جديراً بالتداول والقبول إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه ثم قال : وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة (٢) - وبما أن أمثال القرآن لا تنطبق على هذا التعريف : وهو أنها أقوال استعملت على وجه تشبيه فضربها بموردها لذا كان الضابط الأخير أليق بتعريف المثل في القرآن : فهو إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، سواء كانت تشبيهاً أو قولاً مرسلًا (٣) .

(١) تيسير الكريم الرحمن ج٢ ص٣٩٩ .

(٢) مباحث في علوم القرآن مناع القطان ص٢٨٢-٢٨٦ باختصار وتصرف .

(٣) معترك الأقران للسيوطي ج١ ص٤٦٤ وما بعدها -دار الفكر العربي تحقيق/علي الجاوي، المصدر نفسه ص ٢٨٤ .

يُعرف ابن القيم أمثال القرآن فيقول:-

تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر، ويسوق الأمثلة: فنجد أكثرها على طريق التشبيه الصريح، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ...﴾ يونس: ٢٤، ومنها ما يجيء على طريقة التشبيه الضمني كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْتَبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ...﴾ الحجرات: ١٢، ومنها ما لم يشتمل على تشبيه ولا استعارة كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ...﴾ الحج: ٧٣ (١).

"أنواع الأمثال في القرآن" :-

الأمثال في القرآن ثلاثة أنواع ١- الأمثال المصرحة، ٢- الأمثال الكامنة،

٣- الأمثال المرسلة، وقد ذكر صاحب الإتيان النوعين الأولين فقط .

أولاً : الأمثال المصرحة: وهي ما صرح بها بلفظ المثل، أو ما يدل على التشبيه كقوله تعالى في حق المنافقين ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ البقرة: ١٧ .

ثانياً : الأمثال الكامنة : وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها : خير الأمور الوسط ،وفي قوله تعالى في سورة البقرة ﴿... لا فَاَرْضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ...﴾ البقرة: ٦٨ ، وقوله في الإنفاق ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ الفرقان: ٦٧ ، وقوله تعالى في الصلاة ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ الإسراء: ١١٠ (٢)

(١) مباحث في علوم القرآن ص ٢٨٤ .

(٢) الإتيان ج ٢ ص ٢٨٤-٢٨٦ باختصار، مباحث في علوم القرآن مناع القطان ص ٢٨٤-٢٨٥ باختصار

شديد.

وقوله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ . . .﴾
الإسراء: ٢٩.

ثالثاً: الأمثال المرسلة : وهي جمل أرسلت إرسالاً من غير تصريح بلفظ التشبيه
فهي آيات جارية مجري الأمثال ، ومن أمثله ذلك ما يأتي :-

- ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ . . .﴾ يوسف: ٥١ ، ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾
النجم: ٥٨ ، ﴿ . . . قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ يوسف: ٤١ .

ما حكم استعمال هذا النوع من الأمثال :-

رأى بعض أهل العلم استعمال هذا النوع خروجاً عن أدب القرآن .

قال الرازي: في تفسير قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ جرت عادة الناس بأن
يتمثلوا بهذه الآية عند الترك وذلك غير جائز ، لأنه تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به،
بل يتدبر فيه، ثم يعمل بموجبه (١) .

ورأى آخرون : أنه لا حرج أن يتمثل به في مقام الجد، كأن يأسف أسفاً شديداً
لنزول كارثة قد تقطعت أسبابها فيقول: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أو يحاوره
صاحب مذهب فاسد فيقول: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ والإثم الكبير في أن يقصد
الرجل إلى التظاهر بالبراعة فيتمثل بالقرآن حتى في مقام الهزل والمزاح (٢) ، وهذا
هو الأقرب للصواب ، لأن الصحابة تمثلوا بمعنى قوله تعالى ﴿ . . . اللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ
آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ محمد: ١١ ، وذلك يوم أحد (٣) .

نماذج من ضرب الأمثال عند السعدي من كتاب " القواعد الحسان " :-

ذكر السعدي جملة من الأمثلة على ذلك في كتاب " القواعد الحسان " فقال:

(١) مفاتيح الغيب ج ٣٢ ص ١٤٨ .

(٢) مباحث في علوم القرآن ، الإتيقان ج ٢ ص ٢٨٧ ، أساليب البيان ص ٨٧-٩٠ .

(٣) تهذيب سيرة ابن هشام ص ١٨٦ لعبد السلام هارون - دون طبعة ، انظر الرحيق المختوم للمباركفوري
ص ٢٥٣ - دار المنار - ط ١٥/١٤١٥ هـ .

١) ضرب الله مثلاً لكلمة التوحيد بالشجرة الطيبة التي أكلها دائم كل حين بإذن ربها؛ لأن شجرة التوحيد ثابتة بقلب صاحبها؛ لأنها غرس معرفة وتصديق وتفكر وتدبر لآيات الله، وتؤتي أكلها تقوى وإيماناً وإرادة لموجبها .

يقول الباحث: إن السعدي يشير في كلامه لقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا . . . ﴾ إبراهيم: ٢٤-٢٥ ، ففسر الكلمة الطيبة " كلمة التوحيد " بالشجرة الطيبة الثابتة الجذور .

٢) ومثل المشرك الذي اتخذ مع الله إلهاً يتعزز به ويزعم أنه سينال منه النفع ودفع الضرر بأن اتخذه هذا في ضعفه ووهنه كالعنكبوت اتخذت بيتاً، وهو أوهن البيوت وأوهاها، فما ازدادت في اتخاده إلا ضعفاً إلى ضعفها ، كذلك المشرك ما ازداد باتخاده ولياً من دون الله إلا ضعفاً؛ لأن قلبه انقطع عن الله، ومن انقطع قلبه عن الله حل به الضعف من كل وجه، وتعلقه بالمخلوق زاده وهناً إلى وهنه .

كقول الباحث: ويقصد بهذا المثل قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤١ .

٣) ومثل المشرك أيضاً بالذي خر من السماء فتخطفه الطير ومزقته كل ممزق، وهذا في قوله تعالى: ﴿ . . . وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ الحج: ٣١ .

٤) ومثل لآلهة المشركين و أوليائهم هؤلاء الذين زعموا أنهم ينفعون فيدعونهم بأنهم كالذباب بل أضعف من الذباب، إذ لو اجتمعوا كلهم على خلق أضعف المخلوقات لما استطاعوا، وإن يسلبهم شيئاً لا يقدر على استرجاعه، فهل فوق هذا الضعف من ضعف .

يقول الباحث: يشير السعدي إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسئَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ الحج: ٧٣ .

(٥) ومثل الله عمل الكافر بالسراب الذي يحسبه الظمآن ماء فحين يأتيه وقد اشتد به الظمأ و أنهكه الإعياء يجده سراياً .

يقول الباحث: وذلك في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيعةٍ يَحْسبُهُ الظَّمآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ النور: ٣٩ .

(٦) ومثله برماد الشيء المحترق فجاءته الرياح فذرتة فلم يبق منه باقية وهذا مناسب لحال الكفار، وبطلان أعمالهم، فإن كفره ومعاصيه بمنزلة النار المحرقة لكل ما يأتي من عمل، فيدعه تراباً يظنه بجهله وغبائه وتقليده الأعمى، أعمالاً صالحة فإذا جاءها يرجو ثوابها قدم الله إليها فجعلها هباءً منثوراً .

يقول الباحث: وذلك في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ﴾ إبراهيم: ١٨ ، وهذه الأمثال إذا طبقت على ممثلاتها أوضحتها وبينت مراتبها من الخير والشر، والكمال والنقصان (١) .

نماذج من تفسير السعدي في ضرب الأمثال :-

أولاً: مثل المنفق في سبيل الله والمرائي :-

(أ) عند تفسيره لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . . .﴾ البقرة: ٢٦٤-٢٦٦ .

يقول : ضرب الله في هذه الآيات ثلاثة أمثلة : للمنفق ابتغاء وجهه ، ولم يتبع نفقته مناً ولا أذى ولمن أتبعها مناً وأذى ، وللمرائي .

(١) انظر البرهان للزركشي ج١ ص٤٩٢ ، القواعد الحسان ص٥٤-٥٨ بتصرف واختصار .

فأما الأول: لأن نفقته كانت صادرة عن الإيمان والإخلاص التام فهي مقبولة مضاعفة ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ... ﴾ فإن لم يصبها ذلك الوابل الغزير حصل ظل كاف لطيب منبتها، وحسن أرضها فهذا العمل الفاضل بأعلى المنازل .

(ب) : من أنفق لله ثم أتبعها مناً وأذى أو عمل عملاً فأتى بمطل لهذا العمل، فهذا مثله مثال صاحب الجنة لكن سلط عليها " إعصار " وهو الريح الشديدة " فيه نار فاحترقت " وله ذرية ضعفاء وهو ضعيف، أصابه الكبير، فهذه الحالة من أفضع الأحوال، ولهذا صدر هذا المثل بقوله ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ... ﴾ بالاستفهام المتقرر عند المخاطبين فظاعته، فصار صاحب هذا المثل الذي عمل الله ثم أبطل عمله بمناف له يشبه حال صاحب الجنة التي جرى عليها ما جرى حين اشتدت ضرورته إليها .

المثل الثاني : الذي يرئى الناس وليس معه إيمان بالله ولا احتساب لثوابه حيث شبه قلبه بالصفوان ،وهي الحجر الأملس ،عليه تراب يظنه المرئي أنه ينبت كالأرض الطيبة، ولكنه أملس يذهب ما عليه من تراب عند سقوط الوابل عليه، وهذا المثل مطابق لقلب المرئي الذي ليس معه إيمان، بل هو قاس لا يلين ولا يخشع فأعماله لا أصل لها تؤسس عليه، ولا هدف تنتهي إليه فهو باطل ،لعدم شرطه والذي قبله بطل بعد وجود الشرط لوجود المانع، والأول مقبول مضاعف لوجود الإيمان والإخلاص والثبات وانتقاء الموانع الفاسدة، وهذه الأمثال الثلاثة تنطبق على جميع العاملين فليزن العبد نفسه وغيره بهذه الموازنة العادلة والأمثال المطابقة ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ العنكبوت: ٤٣ (١) .

ثانياً: مثل الحياة الدنيا

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ... ﴾ يونس: ٢٤ .

(١) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٢١١-٢١٣ بتصرف ،نظر القواعد الحسان ،ص٥٦-٥٧ بتصرف ،انظر الكشاف ج١ ص٣٩٥،٣٩٤، انظر مفاتيح الغيب ج٧ ص٥٥،٥٤ .

يقول وهذا المثل من أحسن الأمثلة، وهو مطابق لحالة الدنيا فإن لذاتها وشهواتها وجاهها، ونحو ذلك يزهو لصاحبه إن زها وقتاً قصيراً، فإذا استكمل وتم اضمحل وزال عن صاحبه، أو زوال صاحبه عنه، فأصبح صغر اليدين منها ممتلئ القلب من همها وحزنها وحسرتها، فذلك ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ... ﴾ أي نبت فيها من كل صنف "مما يأكل الناس" كالحبوب والثمار "و" مما تأكل الأنعام كأنواع العشب ﴿... حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ... ﴾ أي تزخرفت في منظرها فصارت بهجة للناظرين "وظن أهلها أنهم قادرون عليها" أي أن ذلك سيستمر ويدوم لوقوف إرادتهم عنده فبينما هم كذلك "أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس" أي كأنها لم تكن، فهذه حالة الدنيا سواء بسواء نبيها ونوضحها بتقريب المعاني إلى الأذهان وضرب الأمثال ﴿... لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ... ﴾ أي يعملون أفكارهم فيما ينفعهم وأما الغافل المعرض فهذا لا تتفعه الآيات، ولا يزيل عنه الشك البيان " (١) .

ثالثاً : مثل الحق والباطل:

قوله تعالى ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ الرعد: ١٧، وقد بينا هذا المثال في مطلب المناسبات في المبحث الأول (٢).

رابعاً : مثل المعرض عن آيات الله :-

في قوله تعالى ﴿... فَمِثْلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الأعراف: ١٧٦

(١) انظر محاسن التأويل ج ٩ ص ٢٤، ٢٣، تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٣٤٩ - ٢٥٠ بتصرف يسير.

(٢) انظر معترك الأقران ج ١ ص ٤٦٧، تقدم بيانه ص ٣٦٤.

يقول : "فمثلته في شدة حرصه على الدنيا وانقطاع قلبه إليها ﴿ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ . . ﴾ أي : لا يزال لاهثاً في كل حال، وهذا لا يزال حريصاً حرصاً قاطعاً قلبه لا يسد فاقته شيء من الدنيا ، ﴿ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا . . ﴾ بعد أن ساقها الله إليهم فلم ينقادوا لها بل كذبوا بها وردوها لهوانهم على الله واتباعهم لأهوائهم بغير هوى من الله ﴿ . . . فَأَقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ في ضرب الأمثال وفي العبر والآيات فإذا تفكروا علموا وإذا علموا عملوا (١).

- وهكذا ومن خلال الأمثلة التي ساقها الشيخ السعدي في كتاب " القواعد الحسان " وفي تفسيره، تبين أنه اهتم اهتماماً كبيراً في تلك الأمثال وهدفها في هداية البشر، وتقريبها المعنى بصورة حسية حتى جعلها قاعدة هامة من قواعد تفسير القرآن، التي يجب مراعاتها في التفسير، وقد ذكر أمثلة كثيرة في ذلك لا يتسع المقام لبيانها كلها، ولذلك اقتصرنا على أهمها من خلال كتابه وتفسيره.

فوائد الأمثال :-

لقد اعتبر الشيخ السعدي - رحمه الله - مقاصد الأمثال في القرآن قاعدة هامة في تفسير القرآن وذلك في كتابه " القواعد الحسان لتفسير القرآن " فقال : " إعلم أن القرآن احتوى على أعلى، وأكمل وأنفع المواضيع التي يحتاج الخلق إليها في جميع الأنواع فقد احتوى على أحسن طرق التعليم، وإيصال المعاني إلى القلوب بأيسر شيء وأوضحه.

فمن أنواع تعليمه العالي : ضرب الأمثال، وهذا النوع يذكره الباري سبحانه في الأمور المهمة، كالتوحيد، وحال الموحد والشرك وحال أهله، والأعمال العامة الجليلة ويقصد بذلك كله توضيح المعاني النافعة، وتمثيلها بالأمور المحسوسة ليصير القارئ كأنه يشاهد معانيها رأي عين ، وهذا من عناية الباري بعباده ولطفه بهم (٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن ج٢ ص١٩٤-١٩٥ بتصرف، انظر الكشاف ج٢ ص١٣١.

(٢) القواعد الحسان ص٥٤، أنظر أساليب البيان ص٨٨-٨٩ بتصرف .

ثم ساق الأمثلة على ذلك من القرآن ،دون ذكر الآيات وإنما يشير إلى المعنى الإجمالي لها، ويذكر وجه الشبه بين الصورتين لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت : ٤٣ ، وفي الحديث (إن القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال ،فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال) (١).

- فائدة الأمثال: أخذ العبر كما قال تعالى: ﴿... وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إبراهيم: ٢٥.

- إنما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيراً ووعظاً،فما اشتمل منها على تفاوت ثواب أو على إحباط عمل أو على مدح أو ذم،أو نحوه،فإنه يدل على الأحكام .
- ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة : التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير ،وتقريب المراد للعقل،وتصويره بصورة المحسوس .
- وفي ضرب المثل تبكيت للخصم الشديد الخصومة ،وقمع لضرورة الجامع الأبى، فإنه يؤثر في القلوب مالا يؤثر وصف الشيء في نفسه (٢).

- ويضرب المثل للترغيب في شيء تحبه النفس كما ضرب الله تعالى مثلاً لحال المنفق في سبيله ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ...﴾ البقرة: ٢٦١

- ويضرب المثل للتفكير من شيء تكرهه النفوس، كحال المغتاب ﴿... أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ الحجرات: ١٢.

- ويضرب المثل للمدح كما قال تعالى في مدح الصحابة - رضوان الله عنهم أجمعين - ﴿... ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ...﴾ الفتح : ٢٩

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ٢ ص ٤٢٧- دار الكتب العلمية ط ١/١٠٤١٠هـ، انظر معترك الأقران

ج ١ ص ٤٦٥، انظر الكشف ج ١ ص ١٩٥، وانظر مفاتيح الغيب ج ٢ ص ٧٣، ٧٢.

(٢) الإتقان ج ٢ ص ٢٨٢ .

- ويضرب المثل لبيان صفة للممثل به يستقبلها الناس كما قال تعالى ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ. . .﴾ الأعراف: ١٧٥.
- والأمثال أوقع في النفس، وأبلغ في الوعظ وأقوى في الزجر وأقوم في الإقناع، وقد أكثر الله تعالى من ضرب الأمثال في القرآن للتذكرة والعبرة (١)

المبحث الثالث

التفسير العلمي :-

هناك تعريف جامع مانع للتفسير العلمي - والله أعلم - هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية، ومكتشفات العلم الحديث على وجه يظهر به إعجاز للقرآن ليدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان (٢) وقبل أن نخوض في التفسير العلمي لابد من بيان رأي العلماء، من حيث قبوله ورده .

رأي العلماء في التفسير العلمي :-

اختلف العلماء في التفسير العلمي إلى مؤيد ومعارض

أولاً : أدلة المؤيدين :-

يرد الإمام فخر الدين الرازي على سؤال معترض من الناس لم أكثر في تفسيره من العلوم؟ ويجيب على ذلك إنك لو تأملت في كتاب الله عز وجل حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته وتقريره من وجوه.

(١) أن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض وتعاقب الليل والنهار، وسائر الآيات الكونية .

(٢) أنه تعالى قال ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ق: ٦، ولا معنى لعلم الهيئة إلا التأمل في أنه كيف بناها وكيف خلق كل واحدة منها.

(١) انظر البرهان للزركشي ج ١ ص ٤٨٧، ٤٨٦، تحقيق محمد ابراهيم- دار إحياء الكتب العربية- ط ١/١٣٧٦هـ،

مباحث في علوم القرآن ص ٢٨٨-٢٨٩ بتصرف، أساليب البيان ص ٨٩-٩٠ بتصرف.

(٢) مقتطفات من اتجاهات التفسير في القرن الرابع، د. فهد بن عبد الرحمن الرومي ص ٥٤٩، انظر الاعجاز العلمي

د. عبد السلام اللوح، ص ١١٣.

٣) أنه تعالى قال ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ...﴾ غافر: ٥٧ .
 ٤) أنه مدح المتفكرين في خلق السموات والأرض فقال: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا...﴾ آل عمران: ١٩١ ، ولو كان ذلك
 ممنوعاً منه لما أمر (١)، ولكن رأي المؤيدين بشكل عام و أدلتهم هي :
 أ- ﴿سُنِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...﴾
 فصلت: ٥٣ .

ب- قوله تعالى ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ
 قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يونس: ١٠١ .

ت- قوله تعالى ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾
 الذاريات: ٢١، ٢٠ (٢) .

ثانياً : رأي المعارضين :-

واستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة منها:-

- إن السلف الصالح والتابعين، ومن يليهم لم يتكلموا فيه .
- إنه تكلف وتمحل وتحميل الألفاظ فوق ما تحتل .
- إن ما يسمى بالحقائق العلمية غير ثابتة وينقض الجديد منه القديم وإنزالها على
 القرآن يقتضي التناقض (٣) .

ثالثاً : رأي الباحثين : جواز التفسير العلمي بشروط :-

١) تفسر آيات القرآن العلمية بحقائق العلم اليقينية الثابتة، التي لا تحتل النقض أبداً؛
 لأن آيات القرآن حق وصدق ويقين، فلا يجوز تفسيرها بنظريات تقبل النقض
 والتغيير .

(١) انظر مفاتيح الغيب ج٩ ص١٣٣ وما بعدها ، انظر الكشاف ج١ ص٤٨٨ ، اتجاهات التفسير ص٥٥٦ .

(٢) التفسير ومناهج المفسرين د. جمال الهوي ، د. عصام زهد ص٢٠٧-٢٠٨ .

(٣) التفسير ومناهج المفسرين ص ٢١٠ .

(٢) أن تكون هناك علاقة توافق وترابط بين ظاهر لفظ الآية ومعناه العربي وبين الحقيقة العلمية المكتشفة ، والدليل على ذلك : أنه لا يجوز تفسير آيات القرآن بما لا تحتمله من المعاني والعلوم، لأن الله - عز وجل - نهى عن ذلك بقوله : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾ الإسراء: ٣٦ (١).

ويقول صاحب كتاب اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر :-

فلا بأس فيما أرى من إيراد حقائق علمية ثابتة لا تقبل الشك عند تناول النص القرآني مع إدراك معني النص وفهمه فهماً سليماً خالياً من الشوائب والمؤثرات الخارجية أو الميل به والانحراف لموافقته تلك الحقيقة العلمية، وهذا أيضاً كله مشروط بـ:

- ألا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول للقرآن وهو الهداية والإعجاز .
 - أن تذكر تلك العلوم لتعميق الشعور الديني لدى المسلم، والدفاع عن العقيدة .
 - أن يكون النص هو الأصل يتسع لهذا المكتشف العلمي ولغيره.
 - لفت نظر المسلمين إلى جلال القرآن والانتفاع بقوى الكون التي سخرها الله .
 - ألا تكون التفسيرات العلمية هي المقصود من النص دون سواها، وأن تكون على وجه الاستئناس والاستشهاد على قداسة النص القرآني (٢) .
 - ألا نربط النص القرآني بالنظرية العلمية ، وإنما نربطه بالحقائق العلمية الثابتة.
- يقول الباحث: هذا الرأي الذي تطمئن إليه النفس وينشرح له الصدر لأنه يشترط أن تكون النظريات تبعاً للقرآن، لا العكس ،و الآن إلى موقف السعدي من التفسير العلمي :-

موقف السعدي من التفسير العلمي :-

لم يشر السعدي - رحمه الله - إلى رأيه في التفسير العلمي، وإنما تحدث بصفة عامة عن بعض القواعد في الطب من خلال تفسيره لبعض الآيات، وكذلك مقتطفات من علم الفلك في مواضع متناثرة في تفسيره ، فهو غير مكثّر من هذا

(١) التفسير والمفسرون، ح٢ ص٥٣٠، التفسير ومناهج المفسرين ص ٢١١.

(٢) مقتطفات من اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ص ٦٠٢ .

النوع من التفسير، هذا شأنه في كثير من الأمور لأن مقصده - كما قلنا - هو بيان وجه الهداية أولاً في القرآن الكريم، فقد اشتمل هذا المبحث على ثلاثة أنواع من العلوم هي : علم الطب ، وعلم الفلك، وعلم البحار، وسنبداً بأولها :-

المطلب الأول: علم الطب

لقد تحدث السعدي عن علم الطب وقواعده عند تفسيره لآية الصلاة في سورة النساء وذلك في قوله تعالى: ﴿... وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا﴾ النساء: ٤٣ .

يقول تحت عنوان " فائدة " :-

اعلم أن قواعد الطب تدور على ثلاثة قواعد : حفظ الصحة عن المؤذيات، والاستفراغ منها، والحمية عنها، وقد نبه الله تعالى عليها في كتابه العزيز أما حفظ الصحة والحمية عن المؤذي، فقد أمر بالأكل والشرب وعدم الإسراف في ذلك، وأباح للمسافر والمريض الفطر حفظاً لصحتهما باستعمال ما يصلح البدن على وجه العدل وحماية للمريض عما يضره، وأما استفراغ المؤذي، فقد أباح تعالى للمحرم المتأذي برأسه، أن يحلقه لإزالة الأبخرة المحتقنة فيه. ففيه تنبيه على استفراغ ما هو أولى منها من البول والغائط والقيء والمني والدم وغير ذلك، نبه على ذلك ابن القيم رحمه الله تعالى (١).

فقد أشار السعدي في المثال الأول إلى قوله تعالى: ﴿... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا...﴾ الأعراف: ٣١، وفي المثال الثاني إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ...﴾ البقرة: ١٩٦ ، وقد جعل السعدي هذه القاعدة من ضمن القواعد التي يجب مراعاة المفسر لها عند تفسيره لكتاب الله.

(١) انظر مفاتيح الغيب ج ٩ ص ١٣٦ انظر الطب النبوي لابن قيم الجوزي ص ١٠، ٣-تحقيق/سيد ابراهيم -دار الحديث، ط ١٤١١/١هـ، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣٥٣، انظر القواعد الحسان ص ٩٣.

المطلب الثاني : " علم البحار "

يوجد مثالان في تفسير السعدي عند الحديث عن أنواع البحار المالحة والعذبة وعن سير السفن فيها ،فالمثال الأول :-

(١) في قوله تعالى ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ... ﴾ فاطر: ١٢ .

يقول : هذا إخبار عن قدرته ،وتوالي حكمته ورحمته أنه جعل البحرين لمصالح العالم الأرضي كلهم، وأنه لم يسو بينهما ،لأن المصلحة تقتضي أن تكون الأنهار عذبة فراتاً سائغاً شرابها لينتفع بها الشاربون ،والغارسون والزارعون، وأن يكون البحر ملحاً أجاجاً لئلا يفسد الهواء المحيط بالأرض بروائح ما يموت في البحر من الحيوانات، ولأنه ساكن لا يجري فملوحته تمنعه من التغيير، ولتكون حيواناته أحسن وأذ، ولهذا قال : (ومن كل) من البحر الملح والعذب (تأكلون لحماً طرياً) وهو السمك المتيسر صيده في البحر (١) .

(٢) في قوله تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ، إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ... ﴾ الشورى: ٣٢-٣٣ .

يقول : " أي ومن أدلة رحمته وعنايته بعباده " الجوار في البحر" من السفن والمراكب البخارية والشراعية التي هي من عظمها " كالأعلام " وهي الجبال الكبار التي سخر لها البحر العجاج، وحفظها من النظام الأمواج وجعلها تحملكم ثم نبه على هذه الأسباب بقوله: " إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ " التي جعلها سبباً لسيرها " فَيَظْلَلْنَ " أي الجواري " أي السفن على اختلاف أنواعها " رواكد" على ظهر البحر لا تتقدم ولا تتأخر، ولا يتعارض هذا والمراكب التجارية، فإن من شرط مشيها وجود الريح. (٢)

- في المثال الأول تحدث السعدي عن السبب في كون هذا البحر مالحاً وهذا عذباً، فهذا تفسير علمي يوافق العصر ، وهذا من رحمة الله تعالى بعباده حيث هيا لهم أسباب الحياة الملائمة في كل الظروف .

- وفي المثال الثاني تطرق إلى السفن الحديثة والمنتوعة حسب تطور العلم الحديث، وأن تطور العلم لا يخرج عن أسباب الله تعالى حتى في السفن البخارية فإنها تحتاج

(١) انظر مفاتيح الغيب ج٢٦ ص١١، تيسير الكريم الرحمن ج٤ ص٢٠٨-٢٠٩ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج٤ ص٤٢٦-٤٢٧ بتصرف يسير، انظر روح القرآن، تفسير سورة الشورى / بقلم عفيف طبارة - ص٣٥، ٣٤- دار العلم للملايين.

إلى الريح لسيرها مما جعل القرآن هو الأصل، وأنه لا يتطرق إليه الشك أو التغير، رغم تطور العلم الحديث، بهذا نجد السعدي قد وفق بين القرآن وبين العلم.

المطلب الثالث : " علم الفلك "

لقد تطرق الشيخ السعدي إلى علم الفلك بشيء قليل كذلك في عدة مواضع في القرآن ولا سيما في الجزء الأخير منه لأنه يتحدث بكثرة عن الظواهر الكونية وأهوال القيامة وكثرة القسم بتلك الظواهر فمنها :

(١) قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ، الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ التكوير: ١٦، ١٥.

يقول : أقسم تعالى بالخنس وهي : من الكواكب التي تخنس أي : تتأخر عن سير الكواكب المعتادة إلى جهة الشرق ،وهي النجوم السبعة السيارة "الشمس" و" القمر" و"الزهراء" و"المشتري" و"المريخ" و"زحل" و"عطارد" فهذه السبعة لها سيران سير إلى جهة المغرب مع سائر الكواكب والفلك وسير معاكس لهذا من جهة المشرق تختص به هذه السبعة دون غيرها.

فأقسم الله بها في حالة خنوسها، أي تأخرها وفي حال جريانها ،وفي حال كنوسها أي استتارها بالنهار، ويحتمل أن المراد بها جميع الكواكب السيارة وغيرها (١) .

(٢) قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ، النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ الطارق: ١-٣

يقول :ثم فسر الطارق بقوله " النجم الثاقب" أي :المضيء الذي يثقب نوره فيخرق السموات ،فينفذ حتى يرى في الأرض والصحيح ،أنه اسم جنس يشمل سائر النجوم الثواقب ، وقد قيل إنه " زحل " الذي يخرق السموات السبع وينفذها، فيرى منها، وسمي طارقاً لأنه يطرق ليلاً. (٢)

(٣) قوله تعالى ﴿وَالِإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ الغاشية: ٢٠.

يقول : (واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة مستديرة ،قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها ،كما دل العقل والنقل والحس والمشاهدة على ذلك، كما هو معروف عند كثير من الناس خصوصاً في هذه الأزمنة التي وقف فيها الناس على أكثر أرجائها بما أعطاهم الله من الأسباب المقربة للبعيد، فإن التسطيح ،إنما ينافي كروية الجسم الصغير جداً ،الذي لو سطح لم يبق له استداره تذكر ،وأما جسم الأرض الذي

(١) تيسير الكريم الرحمن ج٥ ص٣٦٩ .

(٢) انظر مفاتيح الغيب ج٢٣ ص٧١، انظر روح القرآن ج٣٠ ص٤٩، تيسير الكريم الرحمن ج٥ ص٣٨٩.

هو كبير جداً، وواسع فيكون كروياً مسطحاً، ولا يتنافى الأمران، كما يعرف ذلك أرباب الخبرة (١).

يقول الباحث: فكأننا نرى السعدي في هذا المثال يرد على شبهة أو اعتراض قد ترد أو ورد على هذه الآية، وما هو معروف من كروية الأرض، والتسطيح والكروية لا يجتمعان، فنجده يرد وينافح عن القرآن بما أوتي من علم ومعرفة، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

وكذلك رأيناه في تفسيره للآيات التي تتحدث عن الأفلاك والنجوم السيّارة وغيرها، وأظنه قد نقله عن بعض المفسرين الذين يهتمون كثيراً بهذه العلوم الطبيعية، ولكن لا يهيمه من ذلك إلا إبراز عظمة القرآن، وأنه هدى للناس جميعاً، وأن هذا لا يعارض ذلك.

(١) انظر مفاتيح الغيب ج ٣٢ ص ١٢٧، ١٢٦، انظر روح القرآن ج ٣٠ ص ٨٧، تيسير الكريم الرحمن ج ٥ ص ٣٩٦-٣٩٧ بتصرف يسيراً.

الفصل الخامس

"منهجه في عرض المسائل الفقهية والقضايا الاجتماعية"

أولاً: منهجه في عرض المسائل الفقهية وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : فقه العبادات

المطلب الأول : الصلاة

المطلب الثاني : الزكاة

المطلب الثالث : الصوم

المطلب الرابع : الحج

المبحث الثاني : فقه المعاملات

المطلب الأول : البيوع

المطلب الثاني : الرهن

المطلب الثالث : الدين

المطلب الرابع : الربا

المبحث الثالث : فقه الأحوال الشخصية

المطلب الأول : الزواج

المطلب الثاني : الطلاق

المطلب الثالث : الميراث

ثانياً: المبحث الرابع: "منهجه في عرض القضايا الاجتماعية "

وفيه مطلبان اثنان :

المطلب الأول : الأسرة وتكوينها

المطلب الثاني: اهتمامه بالقضايا المعاصرة وعلاجها

الفصل الخامس

منهجه في عرض المسائل الفقهية والقضايا الاجتماعية :-

قد قلنا من قبل - عند التحدث عن مذهبه الفقهي - أنه حنبلي المذهب، ولكنه لا يتقيد به عندما يرى الصواب في غيره كما أنه لا يتعصب لمذهبه وهذا إن دل فإنما يدل على سعة علمه، وكثرة اطلاعه، مما أكسبه الاجتهاد في كثير من القضايا الفقهية. والاختلاف في الفروع الفقهية رحمة من الله لعباده ليبسر عليهم أمور حياتهم، فلا يعرضهم للحرَج والمشقة، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...﴾ الحج: ٧٨.

وقال في شأن أهمية التفقه في الدين ﴿... فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة: ١٢٢، وقال ﷺ " (وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب) (١)، لذلك كان لزاماً على كل مسلم ومسلمة أن يتفقهوا في الدين، ليعبدوا ربهم على بصيرة ولا يعذر أحد بالجهل لقوله تعالى: ﴿... فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل: ٤٣.

منهجه في استعراض المسائل الفقهية

المبحث الأول : فقه العبادات

ويشمل على أربعة مطالب هي : الصلاة ، الزكاة ، الصوم ، الحج ، نبدأها بأهم فريضة وأولها عند الله تعالى وهي الصلاة .

المطلب الأول : الصلاة :-

الصلاة في اللغة هي : الدعاء قال تعالى ﴿... وَصَلِّ عَلَيْهِمْ...﴾ التوبة: ١٠٣، وقال الشاعر :

لها حارسٌ لا يبْرُحُ الدهرَ بيْتَهَا وإنْ ذَبَحَتْ صَلَّى عَلَيْهَا وَزَمَزَمَا (٢)

(١) سنن ابن ماجة ج ١ ص ٢١٣ باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، كتاب المقدمة ح (٢٢٣) عن أبي الدرداء - دار الجليل - بيروت - ط ١٤١٨ هـ - وصححه الألباني.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٠، انظر انحرر الوجيز لابن عطية ج ١ ص ١٤٦ تحقيق/أحمد الملاح القاهرة - ١٣٩٤ هـ .

وفي الاصطلاح : عبادة تتضمن أقوالاً وأفعالاً مخصوصة، مفتتحة بتكبير الله تعالى، مختتمة بالتسليم (١) .

- ولأهمية الصلاة في حياة المسلم ،جعلها الله حلقه اتصال بينه وبين عبده ،يناجيه، ويدعوه، ويتوسل إليه ويستمد العون منه سبحانه لذا فإن الله سبحانه وتعالى يقول في حديثه القدسي الجليل (قسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين ،ولعبدني ما سأل ،فإذا قال العبد ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ " قال الله : حمَدني عبدي وإذا قال ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ قال الله : أثنى عليَّ عبدي ،فإذا قال : ﴿ مَا لِكِ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ قال : مَجَدَّنِي عبدي ، وقال مرة : فَوَضَّ إِلَيَّ عبدي ،فإذا قال ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدني ما سأل ،فإذا قال : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ قال : هذا لعبدني ولعبدني ما سأل " (٢) ، كان المقصود بالصلاة في الحديث المذكور، هو الفاتحة، والصلاة لا تكون إلا بالفاتحة وعبر بالصلاة لأنها ركن من أركانها .

الصلاة عند الشيخ السعدي :-

لا شك أن الصلاة عمود الدين وأنها عنوان أعمال العباد يوم القيامة، وأول ما يُسأل عنها الإنسان ،فإن صحت صح ما بعدها ،وإن فسدت فسدت ما بعدها، لذلك أولها الشيخ السعدي اهتماماً كبيراً وركز على أركانها وهيئاتها، وأثرها على أفعال العباد. فمن هذه المميزات.

(١) انظر احرر الوجيز ج١ ص١٤٦، فقه السنة/ الشيخ سيد سابق ج١ ص٧٨ - دار الفكر، ط٤ /

١٤٠٣هـ-١٩٨٣.

(٢) صحيح مسلم ج١ ص٢٩٦-٢٩٧ باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وأنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه

تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها ج٥ ص٣٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أولاً : الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر : -

أ- وذلك في قوله تعالى ﴿ . . . وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٥ .

يقول : فيكون قوله ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ من باب عطف الخاص على العام ، لفضل الصلاة وشرفها وآثارها الجميلة وهي ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ فالفحشاء كل ما استعظم واستفحش من المعاصي التي تشتتها النفوس ، والمنكر : كل معصية تتكرها العقول والفطرة وكون الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر أن العبد المقيم لها ، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها يستتير قلبه ، ويتطهر فؤاده ، ويزداد إيمانه وتقوي رغبته في الخير ، وتقل أو تنعدم رغبته في الشر بالضرورة ، ومداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه ، تنهي عن الفحشاء والمنكر فهذا من أعظم مقاصد الصلاة وثمراتها .

وثم في الصلاة مقصود أعظم من هذا أكبر وهو : ما اشتملت عليه من ذكر الله بالقلب واللسان والبدن فإن الله تعالى إنما خلق العباد لعبادته ، وأفضل عبادة تقع منهم الصلاة (١) .

يقول : وبالمقابل فإن من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ولم يظهر أثرها على جوارحه وأعماله فإنه يبتعد عن الله ، كما جاء في الحديث : (لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بُعداً) (٢) .

ثانياً : صلاة الجماعة فرض عين على كل مسلم :-

وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّائِعِينَ ﴾ البقرة: ٤٣

(١) انظر أحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ١٤٨٦ ، تيسير الكريم الرحمن : ج ٣ ص ٦٣ .

(٢) مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٥٨ باب : فيمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء عن ابن عباس رضي الله عنه ، وقد روي عن ابن

مسعود رضي الله عنه بلفظ آخر : من لم تأمره صلاته بالمعروف ، رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال العلماء .

يقول: ثم قال: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي ظاهراً و باطنياً ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّائِعِينَ﴾ أن صلوا مع المصلين فإنكم إذا فعلتم ذلك مع الإيمان برسول الله وآيات الله فقد جمعتم بين الأعمال الظاهرة، والباطنة، وبين الإخلاص للمعبود .
وقوله ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّائِعِينَ﴾ أي صلوا مع المصلين ، ففيه الأمر بالجماعة للصلاة ووجوبها ، وفيه أن الركوع ركن من أركان الصلاة؛ لأنه عبّر عن الصلاة بالركوع، والتعبير عن العبادة بجزئها يدل على فرضيته فيها (١) ، كما عبر عن الفاتحة بالصلاة.

مناقشة هذا الرأي والرد عليه :-

إن رأي السعدي بفرضية الجماعة رأي مرجوح؛ لأن هذا يقضي أن أكثر صلاة الناس باطلة؛ ولأنه جاء في الحديث الصحيح : (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ^(٢) بسبع وعشرين درجة) (٣) وفي رواية أخرى خمس وعشرين درجة (٤) فلو كانت صلاة الجماعة فرضاً لما كان للتفضيل بينها فائدة تذكر ، لأن الباطل لا يفاضل مع غيره ، فدل على أن صلاة الفرد مقبولة بشروطها لكن صلاته في جماعة أفضل بسبع وعشرين درجة لما فيها من ثواب الخطوات إلى المسجد وإعمار بيت الله وشهود الصلاة مع الناس، والحديث المذكور صحيح ، فلا يلتفت إلى غيره من الأحاديث التي تدل ظاهراً على فرضية الجماعة .

ثالثاً : الصلاة عون على طاعة الله :-

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة ١٥٣:

(١) أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٢ ، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٥٧-٥٨ بتصرف يسير انظر ج ٣ ص ٤٠٣ .

(٢) الفذ: الفرد وجمعه أفذاذ (انظر لسان العرب ج ٣ ص ٥٠٢).

(٣) صحيح البخاري ج ١ ص ٢٣١ كتاب الجماعة والإمامة باب وجوب صلاة الجماعة ج (٦١٩) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، مختصر ابن كثير ج ١ ص ٤٣١ .

(٤) المصدر نفسه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

يقول : (وأمر تعالى بالاستعانة بالصلاة لأن الصلاة عماد الدين ونور المؤمنين، وهي صلة بين العبد وربّه فإذا كانت كاملة بأركانها وسننها وخشوعها الذي هو لبها استشعر دخوله على ربّه ، ووقفه متأدّباً مع ربّه مناجياً داعياً لا جرم أن هذه الصلاة أكبر عون على جميع الأمور، لأنها تنهي عن الفحشاء والمنكر ولأن هذا الحضور في الصلاة يوجب للعبد داعياً يدعو لامتنال أوامره واجتتاب نواهيه، وهذه هي الصلاة المطلوبة أن نستعين بها على كل شيء) (١)

نقول : وقد جاء في الحديث أن الصلاة عون على الأمور جميعها ولا سيما على المصائب والأهوال التي تصيب الإنسان في نفسه وماله وأسرته، فقد ورد أن النبي ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وقال : (أرحنا بها يا بلال) (٢) وقال : (وجعلت قرت عيني في الصلاة) (٣) وقرة العين تكون في راحة البال، واطمئنان النفس، وبعدها عن كل متاعب الدنيا ومصائبها، فكأن الإنسان في صلاته يجب أن يقطع كل صلة بينه وبين الدنيا ويقبل على ربّه يسأله العون والثبات على دينه. وقد ورد في القرآن ما يدل على ذلك في عدة مواضع منها :-

(١) ورود آية الصلاة بين آيات الطلاق في سورة البقرة: ٢٣٨ .

(٢) ذكر الصلاة بين آيات الرّبا في سورة البقرة كذلك: ٢٧٧ .

وذلك ليفزع المسلم إلى ربّه بالصلاة عند حدوث المعضلات والمشاكل مثل : الطلاق وكذلك اجتناب الكبائر، مثل : الرّبا، لأن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر .

- ولأهمية هذه الشعيرة عند الله تعالى أنه لم يسقطها حتى عن المقاتلين في الميدان وإنما أمرهم بصلاة الخوف لأنها داخل المعركة والحكمة في ذلك كما يقول السعدي : "ومنها : أن الخوف، يوجب قلق القلب وخوفه، وهو مظنة لضعفه وإذا ضعف القلب، ضعف البدن عن مقاومة العدو، والذكر لله والإكثار منه من أعظم مقومات القلب ومنها : أن الذكر لله تعالى مع الصبر والثبات سبب الفلاح والظفر بالأعداء .

(١) انظر أحكام القرآن للجصاص ج١ ص٩٣، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١١٧-١١٨ .

(٢) مسند أبي عوانه يعقوب بن اسحق الإسفراييني ت٣١٦هـ ج٤ ص٣٢١ باب السنة في توجيه الطليعة والمخاطرة به والسنة في ترك التعرض للعدوان إن قدر علي ذلك ح(٦٨٤٢) ط١ / دار المعرفة ١٩٩٨ م .

(٣) المستدرک ج٢ ص١٧٤ كتاب النكاح ح(٢٦٧٦) وهو جزء من حديث .

كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الأنفال: ٤٥ ، فأمر بالإكثار منه في هذه الحال (١) .

الاستدلال بالآيات على الصلاة :-

وذلك في قوله تعالى : ﴿... فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ . . .﴾ المائدة: ٤٨

يقول: ويستدل بهذه الآية على المبادرة لأداء الصلاة في أول وقتها ، وعلى أنه ينبغي ألا يقتصر العبد على مجرد ما يجزئ في الصلاة وغيرها من العبادات من الأمور الواجبة، بل ينبغي أن يأتي بالمستحبات التي يقدر عليها لتتم وتكمل ويحصل بها السبق (٢).

تقول : إن الكثير منا يسهو في صلاته ويفكر في أمور الدنيا ، ويفقد الخشوع أو يقصر في الأركان؛ لذا كانت النافلة مستحبة لتكمل النقص وهي سبب حب الله للعبد كما جاء في الحديث: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) (٣) ، فإذا اقتصر الإنسان على الفرائض دون النوافل ، فمن أين يكمل الناقص منها يوم القيامة؟ نسأل الله الثبات والعون .

الصلوات الخمس في آية واحدة :-

وذلك في قوله تعالى : ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ الإسراء : ٧٨-٧٩

يقول : يأمر تعالى نبيه محمد ﷺ بإقامة الصلاة تامة ظاهراً و باطناً في أوقاتها ﴿لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي ميلانها إلى الأفق الغربي بعد الزوال، فيدخل في ذلك صلاة

(١) انظر تفسير القرطبي ج ٣ ص ١٩٤٣ - كتاب الشعب، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣٩٨-٣٩٩ .

(٢) انظر أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٩٢ ، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٤٩١ .

(٣) صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٣٨٤ باب التواضع ح (٦١٣٧) عن أبي هريرة، ورواه البيهقي ج ٣ ص ٣٤٦ ح

(٦١٨٨) .

الظهر والعصر ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ أي: ظلّمه فدخّل في ذلك صلاة المغرب والعشاء ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ أي: صلاة الفجر، وسميت قرآناً لمشروعية إطالة القرآن فيها أطول من غيرها، وفضل القراءة فيها، حيث يشهدها الله، وملائكة الليل والنهار، ففي هذه الآية ذكر المواقيت الخمسة للصلوات المكتوبة، وأن الصلوات الواقعة فيها فرائض، لتخصيصها بالأمر..... ثم يذكر الفوائد من الآية فيقول وفيه: فضيلة صلاة الفجر و فضيلة القراءة فيها وأن القراءة فيها ركن؛ لأن العبادة إذا سميت ببعض أجزائها دل على فرضية ذلك (١)

مناقشة رأي السعدي :-

إن قوله : وإن القراءة فيها ركن قول غامض أو مبهم، لأنه إذا أراد بالقراءة هنا " الفاتحة " ، فهي واجبة وركن في جميع الصلوات، وليس في الفجر فقط ، وإن أراد بالقراءة ما بعد الفاتحة فليست هي بالفرض، ولكن للندب والاستحباب .
ولكن المراد - والله علم - هو قراءة الفاتحة كما قال الشوكاني في تفسيره (٢)، والظاهر أنه أراد الفاتحة ولكنه لم يقيد القراءة بها لذلك كان الغموض والله أعلم.

ضياع الصلاة ضياع لباقي الأعمال :-

وذلك في قوله تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ مريم : ٥٩

يقول : (وإذا ضيعوا الصلاة وهي عماد الدين التي هي أكبر الأعمال وأفضل الخصال، كانوا لما سواها ، أضيع ، وله أرفض والسبب الداعي لذلك ، أنهم اتبعوا شهوات أنفسهم وإرادتها فصارت همهم منصرفة إليها، مقدمة لها على حقوق الله) (٣) .

(١) انظر فتح القدير ج٣ ص٢٥١ انظر ج٤ ص٨٠، تيسير الكريم الرحمن ج٣ ص١٢٦-١٢٧ بتصرف يسير.

(٢) فتح القدير ج٣ ص٢٥١ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ج٣ ص٢١٠ .

الخلاصة : مما سبق يتضح لنا أن الشيخ السعدي - رحمه الله - ركز على موضوع الصلاة من حيث أنها صلة بين العبد وربّه وأن من حافظ عليها، فهو لما سواها أحفظ، والعكس صحيح. ليس أي صلاة، ولكن يعني بالصلاة التي يحافظ فيها على الأركان والسنن والخشوع، واستحضار القلب مع دخول الوقت .

المطلب الثاني : الزكاة :-

الزكاة لغة : من الفعل زكي ويأتي بمعنى الطهارة كما قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا . . . ﴾ التوبة: ١٠٣ ، فقال : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ النجم: ٣٢، بمعنى المدح (١) .

وفي الاصطلاح : اسم لما يخرج به الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء وهي أحد أركان الإسلام الخمسة وقرنت بالصلاة في اثنتين وثمانين آية، وكانت الزكاة صدقة مطلقة في أول الإسلام لم تحدد قيمة المال ، ولا نصاب الزكاة في المال، وفي السنة الثانية للهجرة فرض مقدارها من كل نوع من أنواع المال (٢)

- عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قال: (إنك تأتي أقواماً من أهل كتاب فأدعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنني رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله عز وجل افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فأبأك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) (٣)

(١) انظر لسان العرب ج ٤ ص ٣٥٨، انظر مجمل اللغة ج ٢ ص ٤٣٧ .

(٢) انظر مغني المحتاج للنووي، شرح / محمد الخطيب ج ١ ص ٣٦٨ - دار إحياء التراث العربي، فقه السنة ج ١ ص ٢٧٦ - ٢٧٦ بتصرف .

(٣) صحيح مسلم ج ١ ص ٥٠ باب : الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ح (١٩) عن ابن عباس .

- وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه : " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة" وقال

" والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه " (١) .

ولأهمية الزكاة في الإسلام جاءت مقرونة مع الصلاة في أكثر من ثمانين آية في القرآن وذلك لأن الصلاة حق الله، والزكاة حق عباده.

موقف السعدي من آيات الزكاة:-

لقد عرض السعدي آيات الزكاة في القرآن وأهميتها، وأنها حق للفقراء، وما يترتب عليها من آثار في المجتمع. إيجاباً وسلباً، والفوائد الناتجة عنها .

الزكاة طهر للغني ونفع للفقير:-

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿... وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ البقرة: ٣

يقول : يدخل فيه النفقات الواجبة كالزكاة والنفقات المستحبة بجميع طرق الخير، ولم يذكر المنفق عليهم لتعم الجميع وأتى " بمن " الدالة على التبويض، ليدل على أنه لم يرد منهم جميع أموالهم، وليكن جزءاً يسيراً غير ضار ولا مثقل لهم، بل ينتفعون بإنفاقه، وينتفع به إخوانهم .

وهذا المال إنما هو مال الله ونحن أمناء عليه، فكما أنعم به عليكم، فاشكروه بإخراج جزء يسير منه، لتواسوا به إخوانكم المعدومين، وكثيراً ما يجمع بين الصلاة والزكاة؛ لأن الصلاة إخلاص للمعبود، والزكاة إحسان إلى عبده، فعنوان السعادة هي : الإخلاص للمعبود ونفع العباد، كما أن عنوان الشقاء هو : انتفاء هذين الأمرين فلا إخلاص ولا إحسان (٢)

الزكاة حصن من الوقوع في الربا:-

(٢) وذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة: ٢٧٧.

(١) العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي المالكي ص ٦٤، خرج أحاديثه وعلق عليه/محمود الاستانبولي حقيقه، وعلق حواشيه/محب الدين الخطيب-مكتبة السنة-ط ٥/١٤٠٥هـ، انظر مختصر ابن كثير ج ٢ ص ١٦٧ .

(٢) انظر الجصاص ج ١ ص ٢٥، ٢٤، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣٣، انظر ج ٣ ص ٣٨٧ .

يقول : إن هذه الآية جاءت لبيان أن أكبر الأسباب لاجتناب ما حرم الله من المكاسب الربوية ،تكميل الإيمان وحقوقه وخصوصاً لإقامة الصلاة ،وإيتاء الزكاة لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وإن الزكاة إحسان إلى الخلق ينافي تعاطي الربا الذي هو ظلم وإساءة إليهم (١) .

الزكاة عصمة للدم والمال:-

وذلك في قوله تعالى: ﴿... فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ...﴾^(٢) التوبة: ٥.

يقول: وفي هذه الآية دليل على أن من امتنع من أداء الصلاة أو الزكاة فإنه يقاتل حتى يؤديها، كما استدل بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه (٢)، وقد جاء في الحديث (فإن أدوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله تعالى) (٣) وقد سمي الله تعالى من امتنع عن أداء الزكاة أو جردها مشركاً، كما في قوله: ﴿... وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ، الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ . . .﴾ فصلت : ٦،٧، كما هو قول أكثر المفسرين (٤)، وقيل المقصود بالزكاة ،زكاة النفس وهذا بعيد لأن الله تعالى قال: ﴿لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾، والإيتاء لا يكون إلا بشيء مادي محسوس، أما زكاة النفس وتطهيرها فهو شيء معنوي، والله أعلم .

مصارف الزكاة :-

تجب الزكاة لثمانية أصناف من الناس في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة: ٦٠

يقول : (هي الزكوات الواجبة بدليل أن الصدقة المستحبة لكل أحد لا يخص بها أحداً دون أحد وهي دون من عداهم لأنه حصرها فيهم وهم ثمانية أصناف ... وذكر هذه

(١) تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٢١٨، مختصر ابن كثير ج ١ ص ٢٤٩، انظر تفسير القرطبي ج ٢ ص ١١٧٠ .

(٢) انظر القرطبي ج ٤ ص ٢٩١٣، مختصر ابن كثير ج ٢ ص ١٢٦، تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٢٥٢ دار الصفا.

(٣) صحيح البخاري ج ١ ص ١٧-١٥٣ باب :فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ح(٢٥) عن

ابن عمر رضي الله عنه.

(٤) انظر القرطبي ج ٧ ص ٥٧٨٥، مختصر ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٦، فتح القدير ج ٤ ص ٥٠٦.

الأصناف ثم قال : وقال كثير من الفقهاء : إن تفرد القادر على الكسب لطلب العلم أعطي من الزكاة لأن العلم داخل في الجهاد في سبيل الله، وقالوا أيضاً يجوز أن يُعطي منها الفقير لحج فرضه، وفيه نظر ... واعلم أن هذه الأصناف الثمانية ترجع إلى أمرين : أحدهما : من يعطي لحاجته كالفقير والمسكين، والثاني: من يعطي للحاجة إليه وانتفاع الإسلام به).

فأوجب الله هذه الحصة في أموال الأغنياء لسد الحاجات الخاصة والعامة للإسلام والمسلمين فلو أعطى الأغنياء زكاة أموالهم على الوجه الشرعي، لم يبق فقير من المسلمين ولحصل من الأموال ما يسد به الثغور ويجاهد به الكفار، وتحصل به المصالح الدينية (١). وكان السعدي -رحمه الله- يضع الحلول لمشاكل العصر.

نقول : هذا ما يعاني منه المسلمون اليوم من فقر وديون لأعداء الله رغم كثرة أموالهم لأنهم منعوا حق الله في أموالهم فمنعوا البركة، فكم من المسلمين يعانون ويلات الحرب والفقر ومنهم من يموت من قلة الطعام، والأموال مكنوزة في بنوك الشرق والغرب يُستفاد منها ويحارب بها المسلمين، ومن يستحقها لا يجدها، فمن المسؤول عن ذلك ؟ إنهم المسلمون أنفسهم ﴿... وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٠.

وجوب الزكاة في معظم الأموال :-

يجيب السعدي على هذا السؤال في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ...﴾ التوبة: ١٠٣ .

يقول : الزكاة المفروضة تطهرهم من الذنوب والأخلاق والرذيلة وتنمي أموالهم وتحسن أخلاقهم، ولأن دعاءك طمأنينة لهم، فكان ﷺ يبعث عماله لجني الصدقة ويدعو لصاحبها، ففي هذه الآية دلالة على وجوب الزكاة في جميع الأموال، وهذا إذا كانت للتجارة ظاهرة تنمي ويكتسب بها، فمن العدل مواساة الفقراء منها بما

(١) انظر مختصر ابن كثير ج ٢ ص ١٥١، ١٥٠، فتح القدير ج ٢ ص ٣٧٣، ٣٧٢، تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٢٨٧-٢٨٩ بتصريف، انظر ج ٤ ص ٨٩، تفسير الشعراوي ج ٨ ص ٥١٠، ٥١١ بنحوه .

أوجبه الله لهم، وما عدا أموال التجارة فإن كان المال يُنمى كالحبوب والثمار، والماشية للنماء والدر والنسل، فإنها تجب فيها الزكاة، وإلا لم تجب فيها إذا كانت للفقنية، وأن الزكاة لا يكفرها شيء حتى تُؤدى ويستحب الدعاء من الإمام لصاحب الزكاة بالبركة. (١) وقد ورد أن النبي ﷺ دعا لابن أبي أوفى عند ما جاء بصدقته، فقال **(اللهم صل على آل أبي أوفى)** (٢)، وفي هذا المثل ذكر السعدي ما يجب فيه الزكاة ولم يذكر نسبة الزكاة فيها .

زكاة الزروع والثمار :-

في قوله تعالى: ﴿... وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ...﴾ الأنعم: ١٤١

يقول: أي أعطوا حق الزروع وهو الزكاة ذات الأنصبة المقدرة في الشرع، أمرهم أن يعطوها يوم حصادها، وذلك لأن حصاد الزرع بمنزلة حولان الحول لأنه الوقت الذي تتشوق إليه نفوس الفقراء ويسهل إخراجها ويتميز المخرج من غيره وقوله: ﴿وَلَا تَسْرِفُوا﴾ أي لا تتجاوزوا الحد في الأكل منه ليضر بالزكاة، وكذلك لا تخرجوا فوق الواجب بكثير حتى لا تضروا أنفسكم، أو غرماءكم، وفي هذه الآية دليل على وجوب الزكاة في الثمار، وأنه لا حول لها، بل حولها يوم حصادها في الزروع، وأنه لا تتكرر فيها الزكاة لو مكثت أحوالاً إذا لم تكن للتجارة " لأن الله لم يأمر بالإخراج منه إلا وقت حصاده، ولو حصل لأصحابها آفة قبل ذلك بغير تفريط من صاحبها، فإنه لا يضمنها، وأنه يجوز الأكل منه قبل الزكاة ولا يحسب منها إلا ما تبقى منها بعد الأكل .

فقد كان النبي ﷺ يبعث خارساً (٣) يخرص للناس ثمارهم ويأمرهم أن يدعوا لأهلها الثلث أو الربع بحسب ما يعتريها من الأكل، وغيره من أهلها وغيرهم (٤) .

(١) انظر القرطبي ج ٤ ص ٣٠٨٩، ٣٠٨٥، تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٣١٦ بتصرف.

(٢) مسلم ج ٢ ص ٦٨ باب: وتم مانع الزكاة ح (٩٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) خَرَصَ: خرصت النخلة: إذا حزرت ثمرها، والخراص: هو الكذاب، انظر مجمل اللغة ج ٢ ص ٢٨٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٨٩ بتصرف، : صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٤ باب العشر فيما يسقي ماء السماء

بالماء الجاري ح (١٤١٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

الدَّيْنِ أُولَى مِنْ إِخْرَاجِ الزَّكَاةِ :-

وذلك في قوله تعالى: ﴿... وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ الروم: ٣٩.

يقول: (ودل قوله: ﴿... وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ﴾ أن الصدقة مع اضطرار من يتعلق بالمنفق، أو مع دين عليه لم يقضه، وتقدم عليه الصدقة لأن ذلك ليس بزكاة يؤجر عليها العبد ويرد تصدقه شرعاً، كما قال تعالى في المدح ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ الليل: ١٩، فليس مجرد إيتاء المال خيراً، حتى يكون بهذه الصفة، وهو: أن يكون على وجه يتزكى به صاحبه^(١).

- والدليل أيضاً على ذلك، أن الدين مقدم على توزيع الميراث وعلى الوصية في التنفيذ والسداد لقوله تعالى: ﴿... مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ...﴾ النساء: ١٢، فالوصية مقدمة في المطالبة بها، أما الدين والوصية فمقدم في السداد، لأنه حق العباد ولا يدخل أحد الجنة حتى يسد دينه إن استطاع ذلك .

موقف السعدي في عرض القضايا الفقهية:-

في قوله تعالى: ﴿... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التوبة: ٣٥، ٣٤

يقول: أي يمسكونها ولا ينفقونها في طريق الخير الموصلة إلى الله، وهذا هو الكنز المحرم، أن يمسكوها، عن النفقة الواجبة، كأن يمنع الزكاة، أو النفقات الواجبة للزوجات، أو الأقارب، أو النفقة في سبيل الله إذا وجبت، ثم فسر العذاب الأليم بقوله: يوم يحمى عليها أي أموالهم، فيحمي كل دينار أو درهم على حدته يوم القيامة كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة^(٢) .

(١) تيسير الكريم الرحمن ج ٤ ص ٩١ انظر ج ٥ ص ٤١٠ . دار الصفا، انظر التفسير المنير ج ٢١ ص ٩٦ .

(٢) مختصر ابن كثير ج ٢ ص ١٤٠، ١٣٩، فتح القدير ج ٢ ص ٣٥٨، ٣٥٧، تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٢٧١ - ٢٧٢ بتصرف، تفسير الشعراوي ج ٨ ص ٥٠٦٨ بنحوه،

تقول : يشير السعدي في شرح العذاب الأليم إلى قوله ﷺ: (ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم فيجعل صفائح، فيكوي بها جنباه وجبهته حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يري سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار) (١) .

- وكذلك الإبل والبقر والغنم والخيل المتخذة للأشر والبطر ولم يذكر السعدي مقدار الزكاة الواجب إخراجها عند الحديث عن آيات الزكاة وإنما قال : إذا بلغت الأنصبة الشرعية.

- ولكن الإمام الشعراوي -رحمه الله -بين الحكمة في المقدار المخرج للزكاة حسب أحوال الحصول على المال من الكد أو الهبة وغيرها فقال : لأن الحق أراد أن يقدر حركة المتحرك ،فجعل حركته تخفف عنه،ولا تثقل عليه، ولذلك نجد زكاة " الركاز" وهي الزكاة المفروضة على ما يوجد في باطن الأرض من ثروات كالمعادن النفيسة كالبتروول وغيرها لقد جعل الحق نصاب الزكاة عشرين في المائة، أي الخمس بينما الذي يحرث الأرض ويبذر فيها الحب ويتركها حتى تنزل المطر فتنمو فتصاب الزكاة هو العشر على ما أنتجته زراعته .

وأما الذي يزرع على ماء الري فعليه نصف العشر والذي يتاجر كل يوم ويتعب فيذهب للمنتج يشتري منه ثم يوفر السلعة على البائع فيشتريها هذا تقول له عليك اثنان ونصف في المائة (٢,٥%) فقط ،إذن فالزكاة متناسبة مع الحركة والجهد كأن الحق يحمي الحركة الإنسانية من حمق التقنين البشري (٢) .

نقول : فالحق هو الذي وضع هذه المقادير حتى لا يدع لأي حاكم أو محكوم مجالاً للتدخل في هذه الأنصبة لأن البشر بطبعهم قاصرين ومهما وضعوا المقادير فلن يرضوا الجميع ،وربما ظلموا في ذلك بعض الناس ،ووفروا على أناس آخرين فهو الذي خلق الخلق وهو أعلم بما يصلحهم في دينهم ودنياهم ،كما قال ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الملك: ١٤، ويشير الشعراوي إلى قول رسول الله ﷺ:

(١) صحيح مسلم ج٢ ص٢٨٢ مسلم باب : وثم مانع الزكاة ح(٩٨٧) عن أبي هريرة ؓ .

(٢) فتح القدير ج٢ ص١٧٠ ،ابن كثير ج١ ص٦٢٥ اشارة، تفسير الشعراوي ج٢ ص٩٤٥ .

(فيما سقت السماء والعيون أو كان عثرياً^(١)) العشر وما سقي بالضح نصف العشر^(٢) هذا بالنسبة للزروع والثمار .

أما زكاة الذهب والفضة : فلم يرد فيها نص، ولكن الإجماع أن يبلغ الذهب عشرين مثقالاً،^(٣) والفضة مائتي درهم واتفقوا على أنه لا يعتبر الحول له، وتجب زكاته حين وجوده مثل الزروع^(٤) .

المطلب الثالث : الصوم :-

الصوم لغة : هو الإمساك عن الشيء مطلقاً قال تعالى ﴿... إني نذرتُ للرحمنِ صوماً...﴾ مريم: ٢٦ أي :إمساكاً عن الكلام، قال الشاعر :

خيل صائمة وخيل غير صائمة تحت العجاج وخيل تعلق اللجما^(٥)

فالخيل الأولى ممسكة عن القتال، والثانية تقاتل، فهي غير ممتنعة عنه.

في الاصطلاح :الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية^(٦).

فضل الصيام :-

عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال :قال الله عز وجل : (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام ،فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل، فإن شاتمته أحد أو قاتله فليقل إني صائم مرتين، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح

(١) عثرياً : هو الذي يشرب بعرقه دون سقي أو آلة، وهو من الفعل عثر (انظر لسان العرب ج٤ ص٥٤١).

(٢) البخاري ج٢ ص٥٤ باب العشر فيما يسقي من ماء السماء وبالماء الجاري ح(١٤١٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) عشرون مثقالاً من الذهب هو: ما بلغ واحداً وثمانين جراماً، أي: ما يعادل ٨٠٠ دينار في الوقت الحالي (د. عصام زهد؛ المشرف).

(٤) انظر مغني المحتاج ح١ ص٣٨٩، فقه السنة ج١ ص٣١٦.

(٥) انظر مجمل اللغة ج١ ص٥٤٦، فتح القدير ج١ ص١.

(٦) انظر مغني المحتاج ج١ ص٤٢٠، فقه السنة ج١ ص٣٦٤، تفسير الشعراوي ج٢ ص٧٦٤.

المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه(١)

- والصيام يدخل في أكثر العبادات مثل : الحج والأيمان والنذور والقتل والظهار وغير ذلك ويستعان به على معرفة معادن الرجال مثل ما فعل طالوت مع جنوده عند منعهم الشرب من النهر فمن أطاعه سار معه ، ومن عصاه رجع حتى بقي معه الصفة(٢) فهو يعود الإنسان على الصبر، وتهذيب النفس، وتربيتها على الفضائل، وسوف نستعرض آيات الصيام عند الشيخ السعدي وموقفه منها :-

عرض السعدي لآيات الصيام :-

لقد ذكر السعدي - رحمه الله - فوائد الصيام قبل الشروع في تفسيره لآياته .

فوائد الصيام :-

- إن الصيام منةٌ من الله على عباده بفرضه عليهم ، كما فرضه على الأمم السابقة .
- ومن الشرائع و الأوامر التي هي مصلحة للخلق في كل زمان .
- فيه تنشيط للأمة؛ لأنه ينبغي أن تتنافس غيرها في تكميل الأعمال والمسارة إلى صالح الخصال - أنه ليس من الأمور الثقيلة، التي اقتصم بها، قال تعالى:
﴿... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...﴾ البقرة: ١٨٥ :-

وذلك في قوله تعالى : ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ...﴾ البقرة : ١٨٧ يقول : كان في أول فرض الصيام يحرم الأكل والشرب والجماع في الليل بعد النوم فشق ذلك على المسلمين ، فخفف الله عنهم ذلك ، وأباح لهم ذلك في الليل كله من وطئ ولمس ، وغير ذلك وأن يكون هذا التمتع يراد به التقرب إلى الله وإعفاف الفروج وحصول الذرية .
وقوله : ﴿... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ...﴾ هذا غاية للأكل والشرب والجماع وفيه : أنه إذا أكل ونحوه شاكاً في طلوع الفجر فلا بأس عليه وفيه : دليل على استجاب السحور ، وأنه يستحب تأخيرها ، وفيه : دليل

(١) البخاري ج ٢ ص ٦٧٣ باب : هل يقول إني صائم إذا شتم ح (٩٨٠٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) انظر الآيات (٢٤٧-٢٥٢) من سورة البقرة .

على جواز أن يدرك الصائم الفجر وهو جنب قبل أن يغتسل وصيامه صحيح؛ لأن من لزوم إباحة الجماع إلى طلوع الفجر، أن يدركه وهو جنب، ولازم الحق حق.

-ولما كان إباحة الوطء في ليالي الصيام، ليست عامة فإن المعتكف لا يحل له ذلك^(١).

الحكمة من الصيام :-

- التقوى فهو من أكبر أسبابها لأن الصائم يترك الأكل والشرب والجماع ونحوه، الذي تميل إليه نفسه متقرباً بذلك إلى الله راجياً بتركها ثوابه، فهذا من التقوى.

- يدرّب نفسه على مراقبة الله تعالى فيترك ما تهوى نفسه مع قدرته عليه لعلمه باطلاع الله عليه .

- يضيق مجرى الشيطان ، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام يضعف نفوذه، وتقل منه المعاصي .

- إن الصائم في الغالب تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى .

- إن الغني إذا ذاق ألم الجوع أوجب له ذلك مواساة الفقراء المعدمين، وهذا من خصال التقوى^(٢) .

ذكر الآراء في المسألة وترجيح أحدها :-

وذلك في قوله تعالى : ﴿ . . . وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ . . . ﴾ .

البقرة: ١٨٤ .

يقول : أي يطيقون الصيام أن يخرجوا عن كل يوم يفطرون إطعام مسكين، وهذا في ابتداء فرض الصيام لما كانوا غير معتادين له فكان فرضه حتماً مشقة عليهم، درّبهم الرب الحكيم بأسهل طريق، وخيّر المطيق للصيام بين أن يصوم - وهو أفضل - أو يطعم، ولهذا قال : ﴿ . . . وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ . . . ﴾ ثم بعد ذلك جعل الصيام على المطيق، وغير المطيق يفطر ويقضيه في أيام أخر ، وقيل : أي يتكلفونه بمشقة غير محتملة، كالشيخ الكبير. فدية عن كل يوم طعام مسكين، وهذا هو الصحيح^(٣) .

(١) انظر مفاتيح الغيب ج ٥ ص ١١٠ بنحوه، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٤٦-١٤٧ بتصرف.

(٢) مختصر ابن كثير ج ١ ص ١٥٩، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٤٣-١٤٤ بتصرف، انظر تفسير الشعراوي ج ٢ ص ٧٦٥.

(٣) فتح القدير ج ١ ص ١٨١، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٤٤، تفسير الشعراوي ج ٢ ص ٧٧٠.

فحاصل الأمر : أن النسخ ثابت في الصحيح المقيم بإيجاب الصوم عليه، أما الشيخ الهرم الفاني الذي لا يستطيع الصيام فله أن يفطر، ولا قضاء عليه؛ لأنه ليست له حال يقضي فيها، ولكن هل يجب عليه إذا أفطر أن يطعم عن كل يوم مسكيناً، فالصحيح، والذي عليه أكثر العلماء أنه يجب عليه فدية عن كل يوم، وهو اختيار الإمام البخاري.(١) .

ثانياً : صيام الكفارات :-

ويشمل الصيام في الكفارات : القتل الخطأ، والظهار، و الأيمان
(١)القتل الخطأ :-

في قوله تعالى : ﴿... فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ...﴾ النساء: ٩٢

يقول : (فمن لم يجد رقبة ولا ثمنها، بأن كان معسراً بذلك ليس عنده ما يفضل عن مؤنته وحوائجه الأصلية شيء يفي بالرقبة، فصيام شهرين متتابعين، أي : لا يفطر بينهما من غير عذر فإن أفطر لعذر فإن العذر لا يقطع التتابع كالمريض والحائض وغيرها ، وإن كان لغير عذر انقطع التتابع ووجب عليه استئناف الصوم توبة من الله : أي هذه الكفارات التي أوجبها الله على القائل توبة من الله على عبادة ، ورحمة بهم، وتكفيراً لما عساه أن يحصل منهم ، من تقصير وعدم احتراز، كما هو الواقع كثيراً للقتل الخطأ فإن لم يجد هذه الرقبة صام شهرين متتابعين، فأخراج نفسه من رق الشهوات واللذات الحسية القاطعة للعبد عن سعادته الأبدية إلى التعبد لله تعالى بتركها ، تقرباً إلى الله ومدّها بهذه المدة الكثيرة الشاقة في عددها، ووجوب التتابع فيها ، ولم يشرع الإطعام في هذه المواضع لعدم المناسبة بخلاف الظهار)(٢) .

نقول : نلاحظ أن السعدي بعد أن ذكر الحكم في الكفارة، بيّن وجه المناسبة بيّن المعصية وبين الحكم المترتب عليها، أي أن الجزاء من جنس العمل وذلك؛ لأن

(١) انظر مفاتيح الغيب ج ٥ ص ٨٠، ٧٩، مختصر تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٦٠ .

(٢) مختصر ابن كثير ج ١ ص ٤٢٢، فتح القدير ج ١ ص ٤٩٨، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣٨٦، ٣٨٥ بتصرف .

القاتل سلب إنساناً حياته، فناسب أن يهب حياة لغيره، وذلك لا يكون إلا أن يكون عبداً، فيعتقه وهي تحرير رقبة مؤمنة.

ولعل القاتل ارتكب هذه المعصية لوجود شحناء بينه وبين المقتول فناسب أن يفرض عليه صيام شهرين متتابعين، لأن من طبيعة الصيام سد مجري الشيطان، الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم - والله أعلم - .

٢) الصيام في الحج :-

وذلك في قوله تعالى : ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ...﴾ البقرة: ١٩٦

يقول : فمن لم يجد أي الهدي أو ثمنه، فصيام ثلاثة أيام في الحج، أول جوازها حين الإحرام بالعمرة وآخرها ثلاثة أيام بعد النحر أيام رمي الجمرات والمبيت بمنى، ولكن الأفضل منها، أن يصوم السابع والثامن والتاسع .

"وسبعة إذا رجعتكم " أي: فرغتم من أعمال الحج ، فيجوز فعلها في مكة وفي الطريق وعند وصوله إلى أهله (١)

ولكن الراجح - والله أعلم - عند الرجوع إلى الأوطان كما جاء في حديث سالم بن عبد الله أن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (تمتع رسول الله ﷺ ثم قال : فمن لم يجد هدياً فيصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله" (2))

(١) مختصر ابن كثير ج١ ص١٧٦، فتح القدير ج١ ص١٩٧، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١٥٦، تفسير الشعراوي ج٢ ص٧٤٢.

(٢) البخاري ج٢ ص٦٠٧ باب: فيمن ساق البدن معه، عن ابن عمر ح(١٦٠٦).

المطلب الرابع : الحج

في اللغة : حج:الحج : القصد وكل قصد حج ،ثم اختص بهذا الاسم القصد إلى بيت الله الحرام للنسك، والحجيج : الحاج، وحاجبت فلاناً: غلبته بالحجة ،والحجة : جادة الطريق ،والحجة :السنة (١)

في الاصطلاح : هو قصد مكة لأداء عبادة الطواف والسعي والوقوف بعرفة ،وسائر المناسك ،استجابة لأمر الله،وابتغاء مرضاته ، وهو أحد أركان الإسلام الخمسة، وفرض من الفرائض التي علمت من الدين بالضرورة .
ما جاء في أنه أفضل الأعمال :-

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل قال : (إيمان بالله ورسوله " قيل : ثم ماذا؟ قال : "ثم جهاد في سبيل الله " قيل : ثم ماذا ؟ قال : " حج مبرور) ، وقد فرض في السنة السادسة من الهجرة على الأرجح لأنه نزل فيها ﴿ وَأَتُوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ البقرة: ١٩٦ (٢) .

وإذا استعرضنا آيات الحج يتضح لنا منهجه في تفسير هذه الآيات .
استعراض الشيخ السعودي لآيات الحج والعمرة :-

لقد استعرض السعودي آيات الحج وبين ما فيها من أحكام والتزامات تجاه الحاج وشمول القرآن وأحكامه لكل زمان ومكان من جهة اللفظ والمعنى فمثلاً في قوله تعالى : ﴿ . . . وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران : ٩٧ .

يقول : فلما احتوى على هذه الأمور التي هذه مجملاتها ،وتكثر تفصيلاتها أوجب الله حجه على المكلفين المستطيعين إليه سبيلاً ،وهو الذي يقدر على الوصول إليه بأي مركب يناسبه ،وزاد يتزوده؛ ولهذا أتى بهذا اللفظ الذي يمكن تطبيقه على جميع المركوبات الحادثة والتي ستحدث .

وهذا من آيات القرآن ،حيث كانت أحكامه صالحة لكل زمان وكل حال، ولا يمكن الصلاح التام بدونها ،فمن أذعن لذلك وقام به ،فهو من المهتدين المؤمنين ،ومن كفر فلم يلتزم حج بيته ،فهو خارج عن الدين ،ومن كفر فإن الله غني عن العالمين (٣) .

(١) مجمل اللغة ج ١ ص ٢٢١ ، انظر لسان العرب ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٢) انظر مغني المحتاج ج ١ ص ٤٦٠ ، ٤٥٩ ، والحديث في البخاري ج ٣ ص ٣٨١ ، كتاب الحج ، باب : فضل الحج المبرور ، ح (١٥١٩) - دار الفكر ، فقه السنة ج ١ ص ٥٢٧ بتصرف .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٢٥٩ ، وخالقه الشعراوي في تفسيره ج ٣ ص ١٦٤٣ ، ١٦٤٢ (في كفر من لم يحج) .

توضيح مشكل :-

نقول : وما قاله السعدي " فهو خارج عن الدين " فيه إبهام لأنه لم يبين المقصود بالكفر هنا ، هل هو الكفر الذي يخرج صاحبه من الملة أو الكفر بالنعمة وهو جحودها وعدم تأدية شكرها، كما قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا . . . ﴾ إبراهيم: ٢٨ .
- ولكن الأولى أن يقول : من أنكر فريضة الحج فهو خارج عن الدين؛ لأنه أنكر شيئاً ثبت من الدين بالضرورة .

- ولكن من تركه تكاسلاً أو تسويفاً ، أو أثر عليه غيره مع القدرة فهو عاص لله رب العالمين مستحق لعذاب الله تعالى ، ولكن لا يخرج من الدين .

الاستدلال على وجوب الحج والعمرة :-

وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ . . . ﴾ البقرة: ١٩٦

يقول : يستدل بقوله : وأتموا الحج والعمرة لله على أمور :

الأول: وجوب الحج والعمرة وفرضيتها

الثاني : وجوب إتمامهما بأركانهما وواجباتهما التي قد دل عليها فعل النبي ﷺ ، وقوله :

(خذوا عني مناسككم) (١)

الثالث : أن فيه حجة لمن قال بوجوب العمرة

الرابع : أن الحج والعمرة يجب إتمامهما بالشروع فيهما ، ولو كانا نفلًا .

الخامس : الأمر بإتقانها وإحسانها وهذا قدر زائد على فعل ما يلزم لهما .

السادس : وفيه الأمر بإخلاصهما لله تعالى .

السابع: أنه لا يخرج المحرم بهما بشيء من الأشياء حتى يكملها ، إلا بما استثناه الله ، وهو الحصر ، فلماذا قال : "فإن أحصرتم " أي : منعتم من الوصول إلى البيت لتتميمها ، بمرض أو ضلالة أو عدو أو نحو ذلك من أنواع الحصر ، الذي هو المنع .

﴿ . . . فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ . . . ﴾ أي: فاذبحوا ما استيسر من الهدى وهو سُبُع بدنة أو

سُبُع بقرة ، أو شاة يذبحها المحصر ، ويطلق ويحل من إحرامه بسبب الحصر ، كما فعل

النبي ﷺ وأصحابه ، لما صدهم المشركون عام الحديبية (٢) . فإن لم يجد الهدى فليصم

بدله ، عشرة أيام: ثلاثة في الحج ، وسبعة إذا رجع إلى دياره ، كما في المتمتع ثم يحل .

(١) تقدم تخريجه أول البحث ص ٢٨ .

(٢) صحيح البخاري ج ٣ ص ٦٠٠ كتاب العمرة باب (٣): كم اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم ح (١٧٧٨)، (١٧٧٩) -

المكتبة السلفية، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٠٠ .

محظورات الإحرام الحسية :-

قال تعالى : ﴿... وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ...﴾ وهذا من محظورات الإحرام ، إزالة الشعر بخلق أو غيره ، لأن المعنى واحد من الرأس أو من البدن ؛ لأن المقصود من ذلك حصول الشعث ، والمنع من الترفه بإزالته وهو موجود في بقية الشعر وقاس كثير من العلماء على إزالة الشعر تقليم الأظفار بجامع الترفه .

زمن الحج :

قال تعالى : ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ...﴾ البقرة: ١٩٧

يقول : والمراد بالأشهر المعلومات عند الجمهور ، شوال ، وذو القعدة وعشر من ذي الحجة ، فهي التي يقع فيها الإحرام قوله : ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ أحرم به لأن الشروع فيه يجعله فرضاً ، واستدل بهذه الآية الامام الشافعي على أنه لا يجوز الإحرام بالحج قبل أشهره قلت : (السعدي) : لو قيل فيها دلالة لقول الجمهور بصحة الإحرام بالحج قبل أشهر لكان قريباً ، وكما تدل الآية على أن الغرض يقع في الأشهر المذكورة ، وقد لا يقع ، وإلا لم يقيد (١) .

الرد على جواز الإحرام بالحج قبل أشهره :-

إن السعدي قد أيد ، أو كاد يؤيد قول الجمهور بجواز الإحرام قبل أشهر الحج ولكن الراجح - والله أعلم - أنه لا يجوز ؛ وذلك لأن :-
- نص الآية يدل على ذلك في قوله : ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ وما دام أنه معلومات ، لا يجوز تعديها لما قبلها أو بعدها ، وأفاد ذلك " أَل التعريف " في الحج ، أي : الحج المعروف أشهر معلومات .

- تقدير النحاة الذي ذهبوا إليه في قولهم في المحذوف : الحج حج أشهر معلومات ، وقت الحج أشهر معلومات ، الحج في أشهر معلومات ، يدل على ما ذهبنا إليه ، وهو رأي الإمام الشافعي - رحمه الله - ودل على أنه لا يصح قبلها كميات الصلاة (٢) .

(١) انظر أحكام القرآن للكنيا الهراسي ج١ ص١١١ ، ١١٠ - المكتبة العلمية ، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١٥٧ بتصرف .

(٢) انظر الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي ٢٠٤هـ ، ج٢ ص١٦٨ ، ١٦٩ ، دار الفكر - ط ١٤٠٣هـ .

- القول بأنه لا يصح الإحرام بالحج إلا في أشهره مروى عن ابن عباس، وجابر، ومجاهد - رحمهم الله - والدليل عليه قوله: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ .

- قال ابن عباس : لا ينبغي لأحد أن يحرم بالحج إلا في شهور الحج للآية، وعنه: من السنة أن لا يُحرم بالحج إلا في أشهر الحج ولا سيما قول ابن عباس تفسيراً للقرآن، وهو ترجمانه،^(١) والله أعلم .

محظورات الإحرام المعنوية :-

يجب أن تعظموا الإحرام، وتصونوه عن كل ما يفسده وينقصه، من الرفث وهو: الجماع ومقدماته الفعلية والقولية، والفسوق : جميع المعاصي، والجدال، وهو الممارة والمنازعة والمخاصة لكونها تثير الشر وتوقع العداوة والمقصود من الحج الذل والانكسار لله، وبذلك يكون مبروراً، والمبرور ليس له جزاء إلا الجنة، وهذه المحظورات وإن كانت ممنوعة في غير الحج فهي في الحج أكثر امتناعاً^(٢) .

ويستمر المنع حتى يبلغ الهدى محله يوم النحر، والأفضل أن يكون الحلق بعد النحر كما تدل عليه الآية وتدل على أن المتمتع إذا ساق الهدى لم يتحلل من عمرته قبل يوم النحر فإذا طاف وسعى للعمرة أحرم بالحج ولم يحل بسبب سوق الهدى فإذا حصل الضرر بأن كان به أذى من مرض أو قروح أو قمل فإنه يحل له حلق رأسه مع الفدية من صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، أو نسك ما يجزئ في أضحية، فهو مخير. والنسك أفضل، فالصدقة فالصيام، ومثل هذا كل ما كان في معنى ذلك من تقليص الأظفار، أو تغطية الرأس، أو لبس المخيط، أو الطيب، فإنه يجوز عند الضرورة مع وجوب الفدية المذكورة؛ لأن القصد من الجميع إزالة ما به ترف .

الحكمة من وجوب الهدى في التمتع والقران :-

وهو ما يجزئ في أضحية، وهذا دم نسك مقابلة لحصول النسكين له في سفرة واحدة ولإنعام الله عليه بحصول الانتفاع بالتمتع بعد فراغ العمرة وقبل الشروع في الحج ومثلها القران لحصول النسكين له . ويدل مفهوم الآية على أن المفرد للحج ليس

(١) انظر مختصر ابن كثير ج ١ ص ١٧٧، انظر فتح القدير ج ١ ص ٢٠٠ .

(٢) أحكام القرآن للهراسي ج ١ ص ١١٣، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٥٧-١٥٨ بتصرف .

عليه هدي ، ودلت الآية على جواز بل فضيلة المتعة، وعلى جواز فعلها في أشهر الحج (١) .

الرد على الحكم بوجوب العمرة :-

إن العلماء اختلفوا في حكم العمرة ، هل هي فرض أم سنة ؟ فمنهم من قال بفرضيتها واستدلوا بحديث : "دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة " (٢)

- ومنهم من قال بأنها سنة كما في حديث جابر رضي الله عنه (أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة أو واجبة هي؟ قال: لا وأن تعتمروا خير لكم) (٣)

- وأجاب العلماء عن الآية والأحاديث المصرحة بفرضيتها بحمل ذلك على أنه قد وقع الدخول فيها وهي بعد الشروع واجبة بلا خلاف .

- وهكذا ينبغي حمل ما ورد في الأحاديث من الجمع بين الحج والعمرة على أنها أفضل الأعمال ومكفرات للذنوب ، وأنهما يهدمان ما كان قبلهما ونحو ذلك (٤) والظاهر أن السعدي تقيد بمذهبه في هذه المسألة، ولم يذكر اختلاف الأئمة .

حكم الكسب في الحج :-

الإسلام يحث على العمل والكسب الحلال، وهو من أنواع العبادات التي يتقرب بها الحاج وغيره إلى الله إذا كانت بنية التقوى على طاعة الله تعالى، وعفة النفس عن المسألة، ولهذا قال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ. . .﴾ البقرة: ١٩٨ .

يقول السعدي : أخبر تعالى أن ابتغاء فضل الله، والتكسب في مواسم الحج وغيره، ليس فيه حرج إذا لم يشغل الإنسان عن المقصود، وهو الحج، وكان الكسب من الله وليس من حذق العبد ومهارته فيجب ذكر الله وعدم نسيانه (٥) .

(١) انظر الجصاص ج١ ص٢٨٤، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١٥٤-١٥٦ بتصرف.

(٢) مسلم ج٢ ص٨٨٨، ٩١١ باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم ح(١٢٤١، ١٢١٨) عن جابر رضي الله عنه وهو جزء من حديث طويل، انظر الجصاص ج١ ص٢٦٧- دار الفكر.

(٣) تفسير الطبري ج٢ ص٢١٢ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه وقال : حديث غريب .

(٤) مختصر ابن كثير ج١ ص١٧٣ بنحوه، انظر فتح القدير ج١ ص١٩٥ .

(٥) انظر الجصاص ج١ ص٣١٠، ٣٠٩، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١٥٨ بتصرف.

مَناسِكَ الْحَجِّ : قَالَ تَعَالَى : ﴿ . . . فَإِذَا أَفْضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ . . . ﴾ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أُمُورٍ : الْأَوَّلُ : الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ وَأَنَّهُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْحَجِّ ، وَالْإِفَاضَةُ مِنْ عَرَفَاتٍ لَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الْوُقُوفِ .
الثاني : ذَكَرَ اللَّهُ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَهُوَ مَزْدَلِفَةٌ ، وَالْقِيَامُ بِهِ لَيْلَةَ النَّحْرِ حَتَّى يَسْفِرَ الصُّبْحُ جَدًّا .

الثالث : أَنَّ عَرَفَاتٍ وَمَزْدَلِفَةَ كِلَاهُمَا مِنْ مَشَاعِرِ الْحَجِّ الْمَقْصُودِ فَعَلَهَا وَإِظْهَارَهَا .
الرابع : أَنَّ مَزْدَلِفَةَ مِنَ الْحَرَمِ ، كَمَا قِيدهُ بِالْحَرَامِ ، وَعَرَفَاتٍ فِي الْحَلِّ ، كَمَا هُوَ مَفْهُومُ التَّقْيِيدِ بِـ "مَزْدَلِفَةَ" وَكَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْفَاءُ وَالتَّرْتِيبُ .

﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
البقرة: ١٩٩، أي أفيضوا من مزدلفة من حيث أفاض إبراهيم عليه السلام وهي : رمي الجمار والذبح والطواف والسعي للحج، والمبيت بـ "منى" ليالي التشريق، ولما كانت هذه الأعمال آخر مناسك الحج أمر تعالى بذكره واستغفاره للقصور الذي يحصل من العبد أثناء حجه ولتوفيق الله له بفعل هذه الشعيرة العظيمة وكذلك كل عبادة بعد الفراغ منها يستحب ذكر الله والاستغفار لجبر الخلل والقصور الذي يلحق العبادة " (١)

- ولذلك أمر الله بزيادة الفطر بعد الصيام، لجبر القصور والذنوب التي تلحق الصائم أثناء صيامه من الغيبة والنميمة والكلام بغير ذكر الله أو التقصير وغير ذلك .

الاستدلال على فريضة السعي بين الصفا والمروة :-

وذلك في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا . . . ﴾ البقرة: ١٥٨

يقول : الصفا والمروة معروفان من أعلام دينه الظاهرة التي تعبد الله بها عباده وإذا كانا من شعائره فقد أمر الله بتعظيمهما لقوله : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ الحج: ٣٣، وذلك يدل على أن السعي بهما فرض لازم للحج

(١) انظر مفاتيح الغيب ج ٥ ص ١٨٢، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٥٩ بتصرف، انظر تفسير الشعراوي ج ٢ ص ٨٥٦، ٨٥٥ .

والعمرة كما عليه الجمهور ودلت عليه الأحاديث النبوية وفعل النبي ﷺ وقال: (خذوا عني مناسككم) (١)، وقوله: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾. . . هذا دفع وهم وخرج عن المسلمين عن الطواف بينهما لكونهما في الجاهلية تعبد عندهما الأصنام فنفي تعالى الجناح لدفع هذا الوهم، لا لأنه غير لازم. - ودل تقيد نفي الجناح أنه لا يتطوع بالسعي مفرداً مع انضمامه لحج أو عمرة بخلاف الطواف بالبيت فإنه يشرع مع العمرة والحج وهو عبادة مفردة. - فأما السعي والوقوف بعرفة ورمي الجمار فإنها تتبع النسك فلو فعلت غير تابعة للنسك فهي بدعة لأن البدعة، نوعان، نوع يتعبد لله بعبادة لم يشرعها أصلاً ونوع يتعبد به بعبادة مخصوصة مشروعة فتفعل على غير تلك الصفة (٢).

فوائد زيارة البيت الحرام :-

قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾. . . الحج: ٢٨.

يقول: السعدي و يذكر فوائد زيارة البيت الحرام مرغباً فيه فقال ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ أي: لينالوا ببيت الله منافع دينية، من العبادات الفاضلة والعبادات التي لا تكون إلا فيه ومنافع دنيوية من التكسب وحصول الأرباح الدنيوية أو ﴿يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾، وهذا من المنافع الدنيوية أي: ليذكروا اسم الله عند ذبح الهدايا شكراً لله على ما رزقهم منها ويسرها لهم إذا ذبحتموها فأطعموا الشديداً الفقير، ويزيلوا الوسخ والأذى الذي لحقهم حال الإحرام ثم الطواف بالبيت القديم (والمقصود بالطواف هنا - والله أعلم - طواف الإفاضة الذي هو من أركان الحج، وذلك يوم النحر) (٣). ولعله - والله أعلم - لفائدة أخرى وهو: أن الطواف مشروع في كل وقت وسواء كان تابعاً لنسك، أم مستقلاً بنفسه مثل تحية المسجد الطواف.

(١) تقدم تخريجه ص ٢٨.

(٢) انظر بحر العلوم ج ١ ص ١٧١، ولم يذكر تطوع السعي، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٢١ بتصرف.

(٣) انظر تفسير الطبرسي ج ٤ ص ١٠٠، ٩٩ - مكتبة دار المياه، تيسير الكريم الرحمن.

منافع الهدى :-

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ وتطلق على المناسك كلها كالصفا والمروة وغيرها، فتعظيم هذه المناسك كما أمر الله ولا سيما الهدى بانتقائه سميئاً معافى من الأمراض فهذه الأمور من تقوي القلوب وخشيتها من الله تعالى وتقربها إليه ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى . . .﴾ هذا في الهدى المسوق ينتفع به أصحابه بالركوب و الحلب، ونحو ذلك مما لا يضرها إلى وقت محدد وهو ذبحها يوم النحر في منى.

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ . . .﴾ الحج:٣١، والبُدن جمع بدنة من الإبل والبقر، فهي وسيلة للتقرب إلى الله تعالى فيها خير لصاحبها بالأكل منها والصدقة على غيره، والثواب من الله بذكر اسم الله عليها عند الذبح، فإذا سقطت على الأرض فيجوز الأكل منها وإطعام القانع والفقير .
والله سبحانه لا يناله شيء منها؛ لأنه الغني عن العالمين وإنما يريد التقوى له سبحانه والإخلاص له وحده، لا شريك له في ذلك (١)

المبحث الثاني

فقه المعاملات

وهو أهم المطالب بعد العبادات لأنه الجانب العملي التطبيقي الدال على صدق المسلم مع ربه، ومع الناس كما قال ﷺ : (الدين النصيحة) (٢) والمعاملات شاملة لكل تعامل بين الناس من الأموال كالبيع، والشراء ، والربا والدين ، والهبة، والإجارة وغير ذلك ، وقد نبه القرآن الكريم إلى أهمية المعاملة بين الناس بالحسنى فقال:

(١) انظر تفسير الطبرسي ج٤ ص١١٠، ١٠٩، تيسير الكريم الرحمن ج٣ ص٣١٧-٣٢٢ بتصرف واختصار.

(٢) البخاري ج١ ص١٣٧، كتاب الايمان باب (٤٢) قول النبي ﷺ الدين النصيحة، وهو ترجمة الباب.

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ . . ﴾ البقرة: ٨٣ ، فجمع بين العبادات والمعاملات في آية واحدة، وفي سؤال الرسول ﷺ عن امرأة كثيرة الصلاة والصيام ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال : (لا خير فيها هي في النار) (١). وفي هذا المبحث نتناول المطالب الآتية : ١- البيوع ٢- الرهان ٣- الربا ٤- الدين .

المطلب الأول : " البيوع و الإشهاد عليها "

أولاً : البيوع لغة : مطلق المبادلة والبيع والشراء يطلق كل واحد منها على الآخر، وفي الحديث: (لا يبيع على بيع أخيه) (٢) أي: يشتر على شراء أخيه، ونقول بعث الشيء بيعاً فإذا عرضته للبيع قلت : أبيعته وهو من الألفاظ المشتركة بين المعاني المتضادة (٣).

اصطلاحاً: مبادلة مال بمال على سبيل التراضي أو نقل ملك بعوض على الوجه المأذون فيه، فقوله ملك : قيد يخرج به مالا يملك ، وقوله : المأذون فيه قيد يخرج به البيع المنهي عنه (٤).

مشروعيته : مشروع بالكتاب والسنة والإجماع قال الله تعالى : ﴿ . . وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا . . ﴾ البقرة: ٢٧٥
وأما السنة : فيقول رسول الله ﷺ : (أفضل الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور) (٥) وقد أجمعت الأمة عليه من عهد رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا.

(١) المستدرک ج ٤ ص ١٨٤ ، ح (٧٣٠٥) عن أبي هريرة .

(٢) البخاري ج ٤ ص ٣٥٢ - كتاب البيوع ، باب (٥٨) ، ح (٢١٣٩) .

(٣) مجمل اللغة ج ١ ص ١٤٠ ، انظر أحكام القرآن لابن العربي ج ١ ص ٢٤١ ، تحقيق محمد علي البجاوي - دار الفكر .

(٤) انظر أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٤٦٩ دار الكتاب العربي ، انظر الجامع الأحكام القرآن للقرطبي ج ٢ ص ١١٦٥ .

(٥) المستدرک ج ٢ ص ١٢ ح (٢١٥٨) عن أبي بردة .

أركانها: -

وينعقد بالإيجاب والقبول ، ويرجع ذلك إلى العرف وما جرت به عادة الناس ، ولا يلزم في الإيجاب والقبول ألفاظ معينة لأن العبرة في العقود بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني ، والعبرة في ذلك بالرضي بالمبادلة و الدلالة على الأخذ والإعطاء أو أي قرينة تدل على الرضا كقولة البائع بعت أو أعطيت أو مَلَّكَتَ ، أو هو لك ، وقول المشتري قبلت أو رضيت أو خذ الثمن (١) والآن إلى استعراض السعدي لآيات البيوع والإشهاد عليه.

عرض السعدي لآيات البيع والاستشهاد عليه: -

وأشهر آية في ذلك آية الدين ، حيث يقول تعالى : ﴿ . . . وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ . . . ﴾ البقرة: ٢٨٢

يقول: بعد أن ذكر بعض الفوائد من آية الدين : " ومنها : الإرشاد إلى الإشهاد في البيع فإن كانت في المداينات فحكمها حكم الكتابة كما تقدم لأن الكتابة هي كتابة الشهادة وإن كان البيع بيعاً حاصراً فينبغي الإشهاد فيه ولا حرج فيه بترك الكتابة ، لكثرتة وحصول المشقة فيه ومنها : الإرشاد إلى إشهاد رجلين عدلين فإن لم يمكن أو تعذر أو تعسر ، فرجل وامرأتان ، وذلك شامل لجميع المعاملات: بيوع الإدارة، وبيوع الديون وتوابعها من الشروط والوثائق وغيرها .

- وإذا قيل : قد ثبت أنه **سقط** بالشاهد الواحد مع اليمين ، والآية الكريمة ليس فيها إلا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين ، قيل : إن الآية الكريمة فيها إرشاد الباري لحفظ الحقوق، ولهذا جاء بأكمل الطرق وأحوطها، وليس فيها ما ينافي ما ذكر النبي **سقط** من الحكم بالشاهد واليمين (بالإضافة إلى أن ما يفعله **سقط** إنما هو عن وحي يوحى ، وليس عن هوى؛ لأنه أعرف الخلق بشرع الله وأتقاهم له وأخشاه) .

- فباب حفظ الحقوق في أول الأمر يرشد العبد إلى الاحتراز والتحفظ التام ومنها : أن شهادة المرأتين قائمة مقام الرجل الواحد في الحقوق الدنيوية وأما في الأمور الدينية كالرواية والفتوى فإن المرأة فيه تقوم مقام الرجل ، ومنها: الإرشاد إلى الحكمة في كون

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ج٢ ص١٦٥، فقه السنة ج٣ ص١٢٧-١٢٨ بتصرف.

شهادة المرأتين بشهادة الرجل، وهي لضعف ذاكرة المرأة غالباً، (أو لأن المرأة تغلب عليها العاطفة على العقل). ومنها : أن الشاهد لو نسي شهادته فذكره الشاهد الآخر فإنه لا يضر النسيان إذا زال بالتذكير لقوله : ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ ومنها أن الشهادة لا بد أن تكون عن علم وتقين لا عن شك .

- ومنها : أن الشاهد ليس له أن يمتنع إذا دعي للشهادة سواء دعي للتحمل أو الأداء ومنها : أنه لا ضرر بالكاتب ولا بالشهيد بأن يدعي في حالة تضرهما أو حصل لهما ضرر في الكتابة والشهادة، وكذلك الكاتب والشهيد لا يحل له الإضرار بالمتعاملين، ومنها : أنه لا يجوز أخذ الأجرة على الكتابة والشهادة، حيث وجبت، لأنه حق أوجبه الله على الكاتب والشهيد ولأنه من مضارة المتعاملين .

ومنها : التنبيه على المصالح والفوائد المترتبة على هذه الارشادات أو أن فيها حفظ الحقوق والعدل ،وقطع التنازع والسلامة من النسيان والذهول،ولهذا قال : ﴿...ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا...﴾ وهذه مصالح ضرورية ومنها : أن تعلم الكتابة من الأمور الدينية ،لأنها وسيلة إلى حفظ الدِّين والدنيا، وسبب للإحسان بمساعدة الناس ولقوله تعالى ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ (ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته) (١) ، ومنها أن الإضرار بالشهود والكتاب فسوق بالإنسان ، ومنها : تحريم كتم الشهادة وأن كاتمها آثم قلبه الذي هو ملك الأعضاء وذلك لأن كتمها كشهادة الزور بالباطل،ومنها ضياع الحقوق،وفساد المعاملات،والإثم المتكرر في حقه وحق من عليه الحق(٢).

ويقول الباحث: يجوز أخذ الأجرة على الكتابة، لأن الكاتب لا يلزم بالكتابة إلزاماً، فهو مخير إما بأجر أو بدونه.

وقد نقلت الأمة خلفاً عن سلف عقود المداينات البشرية والمبايعات في أمصارهم من غير إشهاد مع علم فقهاءهم بذلك من غير نكير منهم عليهم ولو كان الإشهاد واجباً لما تركوا النكير على تاركه مع علمهم به (٣) .

(١) البخاري ج ٢ ص ٨٦٢ باب : لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ح (٢٣١٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٢٢١-٢٢٥ بتصرف، انظر التفسير المنير ج ٣ ص ١٢٢، وما بعدها .

(٣) أحكام القرآن لأبن العربي ، ج ١ ص ٢٥٨ ج ٣ ص ١٣٩-١٤٠، مختصر ابن كثير ج ١ ص ٢٥٠، فتح القدير ج ١ ص ٣٠١، بتصرف أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٤٨٤ . دار الفكر .

- منع المباح إذا فوت واجباً :-

- وذلك في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ الجمعة: ٩.

يقول: وفي هذه الآيات فوائد منها: النهي عن البيع والشراء بعد نداء الجمعة وتحريم ذلك، وما ذاك إلا أن يفوت واجباً ويشغل عنه فدل ذلك على أن أمر البيع، وإن كان في الأصل مباحاً، إذا نشأ عنه تفويت واجب، فإنه لا يجوز في تلك الحال (١).

المطلب الثاني : الرهان

في اللغة : الرهن : يقال رهننت الشيء ، ولا يقال : أرهنت ويدل على الثبوت والدوام، كما يطلق على الحبس فمن الأول قولهم : نعمة راهنة أي ثابتة ودائمة ومن الثاني قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ المدثر ٣٧، ويقال: أرهنت في السلعة إرهاناً إذا غاليت بها وهو من الغلاء خاصة وأرهنت: أسلفت (٢) وقوله ﷺ: (كل مولود مرهون بعقيقته) (٣).

إصطلاحاً : جعل عين لها قيمة مالية في نظر الشرع وثيقة بدين، بحيث يمكن أخذ ذلك الدين أو أخذ بعضه من تلك العين .
فإذا استدان شخص ديناً من آخر وجعل له نظير ذلك الدين عقاراً أو حيواناً محبوساً عنده حتى يقضيه دينه كان ذلك هو الرهن شرعاً ، ويسمي صاحب الدين " الرهن " والذي يأخذ العين ويجعلها تحت يده " مرتهن " .

(١) تيسير الكريم الرحمن ج٥ ص٢٣٥ - دار الصفا.

(٢) مجمل اللغة لابن فارس ت: ٣٩٥هـ، ج١ ص٤٠٣، دراسة وتحقيق/زهير سلطان - مؤسسة الرسالة - ط٢/١٤٠٦هـ.

(٣) الحديث من الترمذي ج٤ ص١٠١ باب من العقيقة ح(١٥٢٢) عن سمرة بن جندب ب ﷺ وقال حديث حسن صحيح .

مشروعيته :-

الرهن جائز وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع ،يقول تعالى : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ

عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ. . .﴾ البقرة: ٢٨٣

وفي السنة : فقد رهن النبي ﷺ درعه عند يهودي طلب منه سلف الشعير فقال: إنما يريد محمد أن يذهب بمالي ،فقال "كذب إني لأمين في الأرض ،وأمين في السماء ولو أئتمني لأديت أذهبوا إليه بدرعي" (١).

وأجمع العلماء على جوازه ومشروعيته واختلفوا في مشروعيته بالحضر والصحيح أنه يشرع في الحضر والسفر لفعله ﷺ ذلك في المدينة، وإنما قيّد في السفر لوقوعه في الغالب في السفر لعدم وجود الكاتب (٢) .

والآن نعرض موقف السعدي من آيات الرهان :-

موقف السعدي من مسألة الرهان :-

لقد أجاز السعدي - رحمه الله - كغيره من العلماء مسألة الرهان في الحضر

والسفر فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ

مَّقْبُوضَةٌ. . .﴾ البقرة: ٢٨٣

يقول : (ومن الفوائد في الآية) : مشروعية الوثيقة بالحقوق وهي الرهن والضمانات التي تكفل للعبد حصوله على حقه سواء كان برأ أو فاجراً أو أميناً أو خائناً فكم في الوثائق من حفظ حقوق وانقطاع منازعات، ومنها أن تمام الوثيقة في الرهن أن يكون مقبوضاً ولا يدل ذلك على أنه لا يصلح الرهن إلا بالقبض ،بل التقييد بكون الرهن مقبوضاً يدل على أنه تحصل به الثقة التامة وقد لا يكون مقبوضاً فيكون ناقصاً،ومنها :أنه يستدل بقوله " فرهان مقبوضة" أنه إذا اختلف الراهن والمرتهن في

(١) مجمع الزوائد ج٤ص١٢٦ باب : البيع إلى أجل عن أنس بن مالك ﷺ ورواه الطبراني في الكبير والبخاري وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف .

(٢) انظر أحكام القرآن لابن العربي ج١ص٢٦٠، أحكام القرآن للجصاص ج٢ص٥٢٣، فقه السنة ج٣ص١٨٨، ١٨٧ بتصرف يسير .

مقدار الدين الذي به الرهن أن القول قول المرتهن صاحب الحق لأن الله جعل الرهن وثيقة به فلولا أنه يقبل قوله في ذلك لم تحصل به الوثيقة لعدم الكتابة والشهود .

- ومنها: أنه يجوز التعامل بغير وثيقة ولا شهود لقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ. . .﴾ ولكن في هذه الحال يحتاج إلى التقوى والخوف من الله وإلا فهو مخاطر في حقه، فلهذا حث الله المؤمن على أداء الأمانة امتثالاً لأمر الله ووفاء بحق صاحبه الذي رضي بأمانته ووثق به و أما تقيد الرهن بالسفر مع أنه يجوز حضراً أو سفراً فللحاجة إليه لعدم الكاتب والشهيد .

وختم الآية بأنه "عليم" بكل ما يعمله العباد، للترغيب لهم في المعاملات الحسنة والترهيب من المعاملات السيئة (١)

- وبعد هذه الأمثلة رأينا سعة علم الشيخ السعدي - رحمه الله - في استخلاص الأحكام الفقهية من الآيات بغض النظر عن بعض الآراء المرجوحة ولكن في الغالب يدل هذا على سعة اطلاعه وعلمه الغزير وثروته الفقهية التي تأثر بها عن طريق إماميه ابن تيميه، وابن القيم - رحمهما الله تعالى .

بالإضافة أنه يورد الأشكال الذي يحتج به غيره العلماء على وجه الفرض أو الحقيقة، ويقوم بالرد عليه بالصواب في كثير من الأحيان.

المطلب الثالث : الدين

في اللغة : من دين :دانيت فلاناً ،إذا عاملته وأعطيته وأخذت منه بدين،ودنت الرجل: أقرضته، ورجل مدين ومديون ويقولون :دنت وأنت : استقرضت، وأنت: أقرضت(٢).

في الاصطلاح: هو المال الذي يعطيه المقرض للمقترض ليرد مثله إليه عند قدرته عليه وهو في أصل اللغة القطع وسمي المال الذي يأخذه المقترض بالقرض؛ لأن المقرض يقطعه قطعة قطعة من ماله.

مشروعيته :-

(١) انظر تفسير القرطبي ج٣ ص٢٦٣ وما بعدها، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٢٢٤-٢٢٥ بتصرف.

(٢) مجمل اللغة ج١ ص٣٤٢، انظر لسان العرب ج١٣ ص١٦٧.

وهو قربة يُتقرب بها إلى الله سبحانه لما فيه من الرفق بالناس والرحمة بهم، وتيسير أمورهم وتفريج كربهم (١) .

١ - من الكتاب:

- وقد حث الإسلام على القرض الحسن وإنظار المعسر فقال تعالى: ﴿... وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ...﴾ البقرة: ٢٨٠ .

٢ - من السنة:

- وقال ﷺ: (من نَفَسَ عن مسلم كربة من كرب الدنيا نَفَسَ اللهُ عنه كربة من كُرب يوم القيامة، ومن يَسَّرَ على مُعسر يَسَّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه) (٢).

الترهيب من التفريط فيه :-

ولأهمية الدين الذي هو حق من حقوق العباد جعل الله تعالى قضاءه مقدماً على توزيع الميراث والوصية، قال تعالى: ﴿... مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ...﴾ النساء: ١٢ - وكذلك الشهيد الذي عليه دين لا يدخل الجنة حتى يُقضى عنه دينه - كما ورد عن

النبي ﷺ (والذي نفسي بيده لو أن رجلاً قتل في سبيل الله ثم عاش، ثم قتل في سبيل الله، ثم عاش ثم قتل في سبيل الله ما دخل الجنة حتى يقضى دينه) (٣).

ووجه الترهيب فيه : أنه أتى بالشهيد مع أنه أكرم الخلق على الله، وأنه يغفر ذنبه كله، ومع ذلك يُحبس عن الجنة بسبب الدين، فيكون غيره من باب أولى أشد وأنكى، والآن إلى استعراض السعدي وموقفه من آيات الدين .

موقف السعدي من مسألة الدين :-

(١) انظر مغني المحتاج ج ٢ ص ١١٧، فقه السنة ج ٣ ص ١٨٢ .

(٢) مجمع الزوائد ج ٨ ص ١٩٣ باب : فضل قضاء الحوائج، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه رواه الطبراني ورجاله ثقات

(٣) مسلم ج ٣ ص ١٥٠١، ١٥٠٢، باب: من قتل في سبيل الله كفرت خطاياهما إلا الدين، ح (١٨٨٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بنحوه.

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ . . ﴾

البقرة: ٢٨٢

يقول : احتوت هذه الآيات على فوائد كثيرة منها : جواز المعاملات في الديون سواء كانت ديون سلم أو شراء مؤجلاً ثمنه ، فكله جائز ، لأن الله أخبر به عن المؤمنين ومنها : وجوب تسمية الأجل في جميع المداينات وحلول الإجازات ومنها إذا كان الأجل مجهولاً فإنه لا يحل ، لأنه غرر وخطر فيدخل في الميسر ومنها أمره تعالى بكتابة الديون وهذا الأمر قد يجب ، إذا وجب حفظ الحق كالذي للعبد عليه ولاية ، وكأموال اليتامى ، والأوقاف ، والوكلاء ، والأمناء ، وقد يقارب الوجوب كما إذا كان الحق متمحضاً للعبد فقد يقوي الاستحباب بحسب الأحوال المقترضية لذلك .

شروط الكاتب : ومنها أن الكاتب لا بد أن يكون عارفاً بالعدل معروفاً به لأنه إذا لم يكن عارفاً به ، لم يتمكن من تحقيقه ، وإذا لم يكن معروفاً به لم تكن كتابة معتبرة ، ولم يحصل بها المقصود وهو حفظ الحقوق .

- ومنها : أن يحسن الكاتب اختيار الألفاظ والإنشاء في الكتابة كل بحسبه ، ومنها : أن الكتابة من نعم الله تعالى على عباده التي لا تستقيم أمورهم الدينية و الدنيوية إلا بها وأن من علمه الله الكتابة فقد تفضل عليه بنعمه ، فعليه شكرها بالإحسان إلى الناس وذلك بكتابة حاجاتهم (١) .

- ومنها : أن يحسن الكاتب له التعبير عن حق غيره ، فإذا كان لا يحسنه وذلك لصغره - أو سفهه - أو خرسه ، أو عدم استطاعته أملى عنه وليه ، ومنها : ثبوت الولاية على القاصرين من الصغار والمجانين والسفهاء ونحوهم ، ومنها : أن من عليه الحق أن يتق الله ولا ينقص من الحق الذي عليه شيئاً ولا ينقصه في قدره ولا شرطه ، ولا وصفه ، أو قيد من قيوده ، كما يجب إذا كان الحق له ، فمن لم يفعل ذلك فهو من المطففين الباخسين ، ومنها : وجوب الاعتراف بالحقوق الخفية وأن ذلك من التقوى ، كما أن ترك الاعتراف بها من نواقض التقوى ونواقصها (٢) .

الدين مقدم على الوصية في السداد :-

وذلك في الفروض إنما ترد وتستحق بعد نزوع الديون التي على الميت لله أو للآدميين - وبعد الوصايا التي أوصى بها الميت والباقي عن ذلك هو التركة التي

(١) انظر تفسير القرطبي ج ٣ ص ٢٤٣ وما بعدها ، انظر اخط ج ٢ ص ٣٥٦ وما بعدها ، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٢٢١ ، ٢٢٠ بتصرف .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٢٢٠ - ٢٢١ بتصرف .

يستحقها الورثة، وقدم الوصية - مع أنها مؤخرة عن الدين للاهتمام بشأنها، ولكون إخراجها شاقاً على الورثة، وإلا فالديون مقدمة عليها، وتكون من رأس المال (١) .

المطلب الرابع : الربا

في اللغة: وهو من الفعل: "ربو" ربي الشيء يربو إذا زاد، وربا الانسان الرايبة يربو، إذا علا والربا في المال معروف، وتثنيته ربوان وربيان، وربا إذا أصابه الربو (٢) يقول سبحانه: ﴿... وَإِنْ تَبْتِمُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢٧٩

اصطلاحاً: هو الزيادة والمقصود به هنا: الزيادة على رأس المال، قلت أو كثرت حكمه : هو محرم في جميع الشرائع السماوية، حيث رد القرآن على اليهود بقوله : ﴿وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ...﴾ النساء: ١٦١

- واتفقت كلمة رجال الكنيسة على تحريم الربا تحريماً قاطعاً استناداً إلى هذه النصوص (٣)، قال الأب بوتى : إن المرابين يفقدون شرفهم في الحياة الدنيا، وليسوا أهلاً للتكفين بعد موتهم .

- وفي القرآن الكريم : تحدث عن الربا في عدة مواضع مرتبة ترتيباً زمنياً
أ- ففي العهد المكي : نزل ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَاً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ الروم: ٣٩ .
وفي العهد المدني : أ- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: ١٣٠، وفي الآية الثانية رد قاطع على من يقول : إن الربا لا يحرم إلا إذا كان أضعافاً مضاعفة، لأن الله لم يبيح إلا رؤوس الأموال دون الزيادة عليها.

(١) انظر أحكام القرآن لابن العربي ج١ ص٣٤٢ انظر أحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٩٥ انظر الجامع لأحكام

القرآن للقرطبي ج٢ ص١٦٤٣-١٦٤٤ كتاب الشعب، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٣٢٠ بتصرف.

(٢) مجمل اللغة ج١ ص٤١٦، انظر لسان العرب ج١٤ ص٣٠٤.

(٣) نصوص القرآن والتوراة والإنجيل.

ب- وآخر ما ختم به التشريع نزول تحريم الربا صراحة في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا
بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ البقرة: ۲۷۸-۲۷۹ .

ومن السنة:

- وهو أكبر الكبائر، فقد لعن الله كل من اشترك في عقد الربا فلعن الدائن الذي يأخذه والمستدين الذي يعطيه والكاتب الذي يكتبه والشاهدين عليه، فقال **ﷺ**: **(لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه)** (١) .

أقسامه :-

والربا قسمان : ١- ربا النسيئة ، ٢- ربا الفضل

(١) **ربا النسيئة** : هو الزيادة المشروطة التي يأخذها الدائن من المرين نظير الأجل وهذا النوع محرم في الكتاب والسنة والإجماع .

(٢) **ربا الفضل** : وهو بيع النقود بالنقود أو الطعام بالطعام مع الزيادة، وهو محرم بالسنة والإجماع لأنه ذريعة لربا النسيئة .

وقد نص الحديث على تحريم الربا في ستة أعيان : الذهب والفضة والقمح والشعير

والتمر والملح فقال **ﷺ**: **(الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والملح بالملح مثلاً بمثل يداً بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطي سواء)** (٢)

ويظهر من هذا أن علة التحريم بالنسبة للذهب والفضة لكونهما ثمناً وأن علة التحريم بالنسبة لبقية الأجناس كونها طعاماً. (٣)

استعراض السعدي لآيات الربا وموقفه منه :-

نزلت آيات الربا بالتدرج في الحكم، فنزلت أول آية في مكة وهي قوله تعالى :

﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَاً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ

وَجَهَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ الروم: ٣٩

(١) مسلم ج٣ ص١٢١٨ باب : لعن آكل الربا وموكله ح(١٥٩٧) عن عبد الله .

(٢) البخاري ج٢ ص٧٥٠، ص٧٦١ باب: ما يذكر في بيع الطعام والحكرة ح(٢٠٢٧) عن عمر بن الخطاب،

باب بيع الذهب بالذهب ح(٢٠٢٦) عن أبي بكره **ﷺ**، انظر مجموع الفتاوى ج٢٩ ص٢٥، ٢٤.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٢ ص١١٥٧، انظر الرسالة للشافعي ص١٧٤ تحقيق وشرح أحمد

شاكر ١٣٠٩هـ، فقه السنة ج٣ ص١٧٦-١٧٩ بتصرف.

يقول : وما أعطيتم الناس من أموالكم تبتغون به الزيادة عليها فهذا لا يزيد عند الله بالثواب وما أعطيتم من الصدقة تبتغون بها وجه الله، فهذه الصدقة هي التي تزيد عند الله ويرببها عنده أضعافاً مضاعفة .

الآية الثانية : قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً... ﴾ آل عمران: ١٣٠

يقول : نهاهم عن أكل الربا بالمضاعفة وهو ما اعتاد أهل الجاهلية فعله، إذا حل الأجل على المعسر ولم يسد دينه، فإما أن يقضي، وإما أن يؤجل بزيادة على الأصل فيضطر الفقير للزيادة فيصير الربا أضعافاً مضاعفة، فهذا الوصف لبيان شدة شناعته بكثرته وتبئيه لحكمه تحريمه وهي : الظلم الذي يقع على المدين وذلك أن الله أوجب إنظار المعسر، وبقاء الأصل في ذمته، وتركه حتى تتيسر حاله من موجبات التقوى^(١)، ولهذا قال: ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ . . ﴾

- وهذا المقصود به في الآية ربا النسئية أما قوله : أوجب إنظار المعسر فغير صحيح؛ لأنه غير ملزم بذلك، وإنما اللزوم هو عدم أخذ الزيادة من المال على الأصل والأمر للاستحباب وليس للوجوب^(٢).

المرابي محارب لله ورسوله:-

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا . . ﴾ البقرة: ٢٧٥

يقول : لما ذكر الله حال المنفقين في سبيله وما أعده لهم من الخيرات، ذكر الذين يأخذون أموال الناس ظلماً بالربا ووصفهم بأنهم في حالهم هذه كالمجنون والمصروع لأن حالهم وهم يأكلون الربا، بشراهة وكلما زاد المال في يديهم كلما ازداد شراسة وهلعاً فجزاهم الله من جنس أعمالهم، وذلك إنما استحقوه لقولهم إنما البيع مثل الربا، فقاوسوا البيع على الربا، حيث جعلوا الربا هو الأصل رو البيع تابع له.

(١) انظر تفسير القرطبي ج ٤ ص ١٣٠، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٢٤٨ بتصرف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ١١٨٢.

- ثم عرض عليهم التوبة من ذلك ، فمن رجع عن الربا فله ما مضى من الربا وعليه الاستقامة بعد ذلك ومن ظل مستمراً بعد النذير فله نار جهنم خالداً فيها ما لم يمنع من الخلود مانع الإيمان (١) وهذا الذي ذكره السعدي في تفسيره مطابق لقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ النساء: ١٠ ، فتشتعل قلوبهم ناراً في القبر وسيصلون ناراً جهنم يوم القيامة .
ثم ذكر تعالى أنه يحق الربا ويربي الصدقات أي : يزيدها ويؤيد ذلك القراءة الأخرى بالتشديد " ويربي " من التربية وهي الزيادة (٢) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ هذا أمر بترك بقايا الربا الموجود بينهم منذ القدم وإن لم ينتهوا عنه فإنهم محاربون لله ورسوله وهذا من عظم الربا وشناعته، حيث جعل المصّر عليه محارباً لله ورسوله ثم قال :
﴿. . . وَإِنْ تَبِئْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ .

أي : لا تظلمون الناس بأخذ الربا ولا تُظلمون ببخسكم رؤوس أموالكم فمن تاب من الربا فله ما سلف وأمره منظور فيه وإن كان حاضراً وجب عليه الاقتصار على رأس المال وفي هذه الآية بيان لحكمة تحريم الربا وأنه ظلم للمحتاجين بأخذ الزيادة وتضاعف الربا عليهم، ومستحب إنظارهم(٣)، وهذا من المتناقضات عند السعدي، حيث أوجب إنظار المعسر، ثم يقول هنا: ومستحب إنظارهم.

نقول : وهكذا فإن آيات الربا نزلت بتحريم الربا أضعافاً مضاعفة ثم أنهته وقضت عليه بأي شكل من الأشكال، ولو كان قليلاً، ووصف المرابي بالذي يمسه الشيطان بالجنون فيتخبط في أفعاله دون معرفة المصير السيئ، وذكر أن العاصم من ذلك كله هو إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، لأن الصلاة تنتهي عن الفحشاء والمنكر وفي الزكاة مساعدة للفقراء والمساكين، وفي الربا ظلم واغتصاب لحقوقهم وأموالهم

(١) تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٢١٧ بتصرف فتح القدير .

(٢) مختصر ابن كثير ج ١ ص ٢٤٨ انظر إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري ج ١ ص ٢٨٢ - عالم الكتب - ط ١٤١٧/١هـ - تحقيق/محمد عزوز ، وانظر البحر المحيط ج ٢ ص ٣٥٠ .

(٣) انظر فتح القدير ج ١ ص ٢٩٧ ابن كثير ج ١ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ بنحوه، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٢١٩ بتصرف .

بغير وجه شرعي، لذلك جاء بآية الصلاة ، وسط آيات الربا فيها لها من مناسبة أنت في محلها.

المبحث الثالث

فقه الأحوال الشخصية :-

ويقصد به : الأحوال التي تخص الإنسان في شخصه، والأحكام التي تترتب عليها حسب الظروف التي يمر بها، وتشمل الزواج، والطلاق، والميراث والخلع واللعان وغيرها ، ونبدأ هذا المطلب بالحديث عن الزواج:-

المطلب الأول

الزواج :-

الزواج نعمة من الله ، وهو سنة من سنن الله في الخلق يشترك فيه الإنسان والحيوان والنبات لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الذاريات: ٤٩ ، وقال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا. . .﴾ الحجرات: ١٣ ، ولم يشأ الله أن يجعل الإنسان كغيره يمارس شهواته بلا وعي ويترك اتصال الذكر والأنثى فوضي، بلا ضابط بل وضع نظاماً ملائماً لسيادته وهو الإيجاب والقبول من الطرفين والإشهاد على هذا العقد.

وقد جعله الله آية من آياته ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً. . .﴾ الروم: ٢١، وقد رغب ﷺ في الزواج، وحث الشباب عليه لأنه اقتداء بالأنبياء وعصمة من الشيطان فقال : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء(١).

الزواج وأحكامه عند الإمام السعدي :-

تعرض السعدي للزواج من جوانب متعددة منها:-

أصل البشرية: ويستعرض فيه أصل البشرية، وكيف عمرت الأرض والحفاظ على هذه العمارة بالزواج والتكاثر، وذلك باختيار الزوجة الصالحة

(١) البخاري ج٥ ص١٩٥ باب قول النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوج ح(٤٧٧٨) عن علقمة.

والشروط اللازم توفرها في الزوجة ثم المشاكل التي قد تطرأ على بيت الزوجية، وطرق فض هذه المشاكل عن طريق منهج القرآن الكريم .

عمارة الأرض " أصل البشرية " :-

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ . . ﴾ الحجرات:

يقول : يخبر تعالى أنه خلق الناس من أصل واحد وجنس واحد من آدم عليه السلام وحواء وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً وجعلهم قبائل صغاراً أو كباراً ، وذلك من أجل التعارف فيما بينهم والتعاون المستمر للحفاظ على هذه العمارة وصون الحقوق لأصحابها، ولا يستغني أحدهم عن الآخر، ولكن الكرم والأصل هي التقوى وفي هذه الآية دليل على أن معرفة الإنسان مطلوبة مشروعة (١) وكثير في القرآن من الآيات الدالة على ذلك منها : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً . . ﴾ النساء: وقال : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا . . ﴾ هود: . .

ومن أسباب عمارة الأرض واستمرارها : سنة الزواج الشرعي، حيث قال : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً . . ﴾ الروم: . .

الزواج آية من آيات الله على وحدانيته :-

يقول : من رحمة الله بعباده أن خلق لكم أزواجاً تتاسبكم وتتاسبونهن، وجعل بينكم مودة ورحمة بما رتب على الزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة فحصل بالزوجة الاستمتاع واللذة والمنفعة بوجود الأولاد وتربيتهم والسكون إليها فلا تجد بين اثنين في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة (٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن ج٢ ص٧٣، ٧٢ بتصرف، انظر في ظلال القرآن ج٦ ص٣٣٤٨ انظر تفسير المراغي ج٩ ص١٤٢ دار الفكر.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج٤ ص٨١، انظر ج٣ ص٧١ انظر ظلال القرآن ج٥ ص٢٧٦٣ انظر تفسير المراغي ج٨١ ص٣٧، ٣٨.

يقول : وفي الآية دليل على أن انتقاء السكن والمودة والرحمة بينهما يؤدي إلى انفصال الزوجين، واستحالة العشرة الزوجية .

شروط الزواج اللازم توفرها :-

يقول تعالى : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً...﴾ النساء:...

يقول: أي أنكحوا ما طاب لكم من النساء أي: ما وقع عليهن اختياركم من ذوات الدين والمال والجمال والحسب والنسب وغير ذلك من الصفات الداعية لنكاحهن فاخترتوا على نظركم ومن أحسن من اختار من ذلك صفة الدين كما قال النبي ﷺ (تنكح المرأة لأربع : لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يمينك) (١) وفي هذه الآية أنه ينبغي للإنسان أن يختار قبل النكاح، بل قد أباح له الشارع النظر إلى من يريد تزوجها ليكون على بصيرة من أمره (٢) وقال عليه الصلاة والسلام "إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" (٣) .

تعدد الزوجات :-

يقول: ثم ذكر العدد الذي أباحه من النساء فقال : مثنى وثلاث ورباع " أي : من أحب أن يأخذ اثنين أو ثلاثاً أو أربعاً فليفعل، ولا يزيد عليها لأن الآية للامتنان، فلا يجوز الزيادة على ما سمي الله عز وجل، وذلك لأن الرجل قد لا تتدفع شهوته بواحدة، فأببح له واحدة بعد بواحدة حتى الأربعة؛ لأن فيها الغنية إلا ما ندر .

- وهذا إذا أمن على نفسه الظلم والجور، وعدم القيام بواجبهن، فإن خاف شيئاً من ذلك فواحدة أو ملك اليمين؛ لأنه غير ملزم بالقسم بينهن ، وهذا العمل وهو :

(١) البخاري ج ٥ ص ١٩٥٨ باب : الأكفاء في الدين وقوله " وهو الذي خلق من الماء بشراً " ح (٤٨٠٢) عن

أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣١١ بتصرف ، انظر تحفة العروس لحمود الاستانبولي، ص ٣٦ - الناشر: دار عميرين الخطاب.

(٣) رواه الترمذي ج ٣ ص ٣٩٤ باب : (إذا جاءكم من ترضون دينه) ح (١٠٨٤) عن أبي هريرة ، وقال حديث محفوظ ، وروي عن آخر مرسلًا.

الاقتصار على واحدة، أو ملك اليمين أقرب لعدم الجور والظلم وفي هذا : أن العبد إذا تعرض للمباح، وخاف منه الجور والظلم فلا يتعرض له، بل يلزم السعة والعافية لأن العافية خير ما أعطي العبد (١)

تقول : أما رسول الله ﷺ وزواجه بتسعة نسوة فهو من خصائصه وحده وليس للأمة وهذا ما استدل به الشيعة على الزواج بأكثر من أربعة وهو مردود كما قلنا سابقاً، كما أنه حرم عليه الزواج بأي واحدة بعد نساءه التسعة دون غيره من الأمة، فقال : ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ . . .﴾ الأحزاب:، أما غيره فيستطيع أن يبدل زوجة بأخرى بالطلاق، أو الموت فربما تزوج بأكثر من تسعة، بشرط ألا يكون عنده أكثر من أربع (٢).

المهر ركن من أركان الزواج وهو حق للمرأة وحدها :-

من حسن رعاية الإسلام للمرأة أن جعل لها حقاً في التملك بعد أن كانت مهضومة الحقوق في الجاهلية، ولا يجوز أن يتصرف فيه، حتى وليها إلا عن طيب نفس، قال تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً . . .﴾ النساء:.

يقول : " ولما كان الناس يظلمون النساء ويهضمونهن حقوقهن خصوصاً الصداق الذي يشق دفعه مرة واحدة، أمرهم بإيتاء النساء مهورهن عن طيب نفس، فلا يجوز المطل به أو بخسه شيئاً، وفيه : أن المهر يدفع للمرأة إذا كانت مكلفة، وأنها تملكه بالعقد، والإضافة تقضي التملك، وفيه دليل على أن للمرأة التصرف بمالها ولو بالتبرع إذا كانت رشيدة، فإذا لم تكن كذلك فليس لعطيتها حكم، وأنه ليس لوليها من الصداق شيء، غير ما طالب به (٣) وقال : ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ . . .﴾ النساء:.

(١) تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣١١ بتصرف، انظر الأساس في التفسير لسعيد حوي ح ٢ ص ٩٩١- دار السلام ط ٢/١٤٠٩ هـ .

(٢) الأساس في التفسير ج ٢ ص ٩٩١، انظر تفسير الشعراوي ج ٤ ص ٢٠٠٠ .

(٣) فتح القدير ج ١ ص ٤٢٢، انظر الأساس ج ٢ ص ٩٩٠، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣١١-٣١٢ بتصرف انظر ج ١ ص ٣٣٧-٣٣٨

يقول : أي : من تزوجتموها فاتوهن مهورهن مقابل الاستمتاع ولهذا إذا دخل الزوج بزوجه وجب عليه إصداقها فريضة من الله، وليس تبرعاً، أو صداق مقدر وجب عليكم فلا تنقصوا منه شيئاً ولا حرج عليكم إذا زدتم عليه، أو استقطعت الزوجة شيئاً منه رضا وطيب نفس (١) .

المحرمات من النساء :-

ويشمل التحريم بسبب النسب، وبسبب الرضاع، كما قال : **﴿عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ﴾** (حرم من الرضاع ما يحرم من النسب) (٢) وبسبب الصهر والجمع قال تعالى **﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخْوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ . . .﴾** النساء: .

يقول : المحرمات من النسب : وهنَّ السبع الأول في الآية بإجماع العلماء كما هو نص الآية، وما عداهنَّ فيدخل في قوله: **﴿. . . وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ . . .﴾** النساء: .، وذلك كبنت العممة والعم والخال والخالة .

المحرمات من الرضاع :-

فقد ذكر الله منهن الأم والأخت وفي ذلك تحريم الأم مع أن اللبن ليس لها إنما هو لصاحب اللبن فدل على أن صاحب اللبن يكون أباً للمرضع ، فإذا ثبت الأبوة والأمومة ثبت ما هو فرع عنهما كأخوتها وأصولهما وفروعهما، فينتشر التحريم من جهة الرضعة ومن له اللبن، كما ينتشر في الأقارب وفي الطفل المرتضع إلى ذريته فقط، لكن بشرط أن يكون الرضاع خمس رضعات في الحولين، كما بينت

(١) مختصر ابن كثير ج ١ ص ٣٥٧، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣٣٦-٣٣٧ بتصرف وانظر ج ١ ص ٤٥٩، انظر الأساس ج ٢ ص ١٠٣٢ .

(٢) البخاري ج ٢ ص ٩٣٥ باب : الشهادة على الأنساب والرضاع المستفيض والموت القديم، ح (٢٥٠٢) عن ابن

السنة. فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : (كان فيما أنزل من القرآن " عشر رضعات يحرم من " ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي النبي ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن) وهو قول الجمهور^(١)، فهذا من المنسوخ تلاوة لا حكماً، مثل حكم الرجم.

المحرمات بالمصاهرة :-

وهن أربع : حلائل الأباء وإن علوا ، وحلائل الأبناء وإن نزلوا وارثين أو محجوبين، وأمهات الزوجة وإن علون، فهؤلاء الثلاث يحرم من بمجرد العقد، والرابعة : الربيبة وهي بنت زوجته وإن نزلت فهذه لا تحرم حتى يدخل بزوجه، كما قال هنا " وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن " وقد قال الجمهور : إن قوله اللاتي في حجوركم، قيد خرج بمخرج الغالب لا مفهوم له، فإن الربيبة تحرم ولو لم تكن في حجره، ولكن للتقيد بذلك فائدتان :

إحدهما : التنبيه على الحكمة في تحريم الربيبة وأنها كانت بمنزلة البنت ، فمن المستقبح إباحتها، والثانية فيه دلالة على جواز الخلوة بالربيبة وأنها بمنزلة من هي في حجره من بناته ونحوهن والله أعلم .

المحرمات بالجمع :-

فقد ذكر الله الجمع بين الأختين وحرمة وحرمة النبي ﷺ الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، فكل امرأتين بينهما رحم محرم لو قدر إحداهما ذكراً والأخرى أنثى حرمت عليه فإنه يحرم الجمع بينهما وذلك لما في ذلك من أسباب التقاطع بين الأرحام^(٢) .

قوامة الرجل :-

قال تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ. . .﴾ النساء:...

يقول : قوامون عليهن بالزامهن بحقوق الله تعالى ، وكفهن عن المفاصد والإنفاق عليهن والكسوة والمسكن، ثم ذكر السبب الموجب للقوامة على النساء فقال : ﴿. . .﴾ . . . بِمَا فَضَّلَ

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ١٠٧٥ كتاب الرضاع، باب التحريم بخمس رضعات ح (١٤٥٢) تحقيق محمد فؤاد

عبد الباقي - دار إحياء الكتب العلمية .

(٢) انظر فتح القدير ج ١ ص ٤٤٤-٤٤٧، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣٣٤-٣٣٥ بتصرف.

اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ . . . ﴿ فتفضل الرجال على النساء، من وجوه متعددة من كون الولايات مختصة بالرجال والنبوة والرسالة، واختصاصهم بأنواع من العبادات كالجهاد والأعياد والجمع وبما خصهم الله به من العقل والرزانة والصبر والجلد، الذي ليس للنساء مثله، وكذلك خصهم بالنفقات على الزوجات، ولعل هذا سر قوله ﴿ . . . بِمَا أَنْفَقُوا . . . ﴾ وحذف المفعول، ليدل على عموم النفقة (١) .

معالجة القرآن لنشوز المرأة :-

قال تعالى : ﴿ . . . وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا . . . ﴾ النساء:

يقول: أي ارتفاعهن عن طاعة أزواجهن وذلك بالعصيان بالقول أو الفعل فإنه يؤدبها بالأسهل فالأسهل ، فعظوهن ببيان حكم الله في طاعة الزوج والترهيب من عصيانه فإن انتهت فذلك المطلوب وإلا فليهجرها الزوج في المضجع والجماع لا في الفراش وإلا ضربها ضرباً غير مبرح فإن حصل المقصود بوحدة منها وأطعنكم فليس ليكم عليهن شيء، واتركوا العتاب على الماضي والتنقيب عنه، حتى لا يتجدد الشر" (٢)

نقول : ويؤيده قوله ﷺ (لو كنت امرأةً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها) (٣) ونجد أن هدف القرآن في الإصلاح بين الزوجين ليس العقاب أو الإهانة ولكن الاستقامة وباستعمال اللين أولاً وقبل كل شيء حيث بدأ بالوعظ كما قال : ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ . . . ﴾ النحل:، وكما أن النشوز يأتي من قبل المرأة فهو يأتي من قبل الرجل .

معالجة القرآن لنشوز الرجل :-

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ . . . ﴾ النساء: . . .

(١) انظر ابن كثير ج ١ ص ٣٨٥، انظر فتح القدير ج ١ ص ٤٦١، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣٣٥ بتصرف.

(٢) ابن كثير ج ١ ص ٣٨٥، فتح القدير ج ١ ص ٤٦١، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣٤٥، بتصرف.

(٣) المستدرک ج ٢ ص ٢٠٦، ح (٢٧٦٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال : حديث صحيح .

يقول: أي : إذا خافت المرأة من الزوج ترفعاً عنها وعدم رغبة فلا إثم عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً، يرضي الطرفين وذلك إما بالتنازل عن بعض حقوقها من النفقة، أو الكسوة أو النوم لضررتها وهذا خير من الفرقة والانفصال، لأن النفس مجبولة على أخذ مالها، وعدم بذل ما عليها وهذا من قبيل الشح وهو شدة الحرص على الدنيا والصلح جائز في جميع أحواله، ما عدا أن يحل حراماً أو يحرم حلالاً (١) .

معالجة القرآن للشقاق بين الزوجين :-

لابد لكل حياة زوجية من وجود الشقاق والنزاعات حتى يشعر الزوج والزوجة بحلاوة المودة والرحمة، وهذا من طبيعة الرجل والمرأة حتى رسول الله ﷺ كان في بيته مثل هذه المنازعات بين أزواجه، قال تعال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا...﴾ النساء: ٣٥

يقول السعدي: إن خفتم الشقاق بين الزوجين بحيث يكون كل واحد منها في شق فابعثوا حكماً من أهل الزوج وأهل الزوجة يعرفان ما بينهما من خلاف يشترط أن يكونا عدلين بالغين؛ لأن الحكم يجب أن يتصف بالحكمة والتقوى، ويلزمان كل طرف بما عليه من الحقوق، أو التنازل من أحد الأطراف خوفاً عليهما من التفرقة .

أما إذا وصلت الحال إلى عدم الجمع واستحالته بينهما فرق بينهما ردعاً للمفاسد وجلباً للمنافع، لأن دوام العشرة بينهما تزيد الخلاف والشر بينهما ولو لم يرض الزوج لأن الله سماهما حكيمين لهما حرية التصرف في حدود الشرع فسواء الرجل والمرأة أو الحكمان أرادا الإصلاح والتوفيق، فإن الله يكلل بالنجاح سعيهما، فهو العليم بعباده ونفوسهم الخبير بخفايا الصدور (٢) وقال: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ...﴾ النساء: ١٣٠ ..

موقف السعدي من زواج المتعة :-

(١) انظر ابن كثير ج١ ص٤٤٤، بتصرف، انظر فتح القدير ج١ ص٥٢١، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٤١٨ -

٤١٩، الأساس ج٢ ص١١٩٥ .

(٢) انظر مختصر ابن كثير ج١ ص٣٨٦-٣٨٧، انظر فتح القدير ج١ ص٤٦٣، تيسير الكريم الرحمن

ج١ ص٣٤٥-٣٤٦ .

في قوله تعالى: ﴿... فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً...﴾ . . .
النساء: ٢٤

يقول : وقال كثير منهم : إنها نزلت في متعة النساء التي كانت حلالاً في أول الإسلام ، ثم حرمها النبي ﷺ ، وأنه يؤمر بتوقيتها وأحراها ثم إذا انقضى الأمد الذي بينهما فتراضياً بعد الفريضة، فلا حرج عليهما، والله أعلم (١) وكما قال النبي ﷺ يوم فتح مكة: (يا أيها الناس : إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، والله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة) (٢)

- وقد استدل بها الشيعة في جواز تحليل زواج المتعة، لأنه قال "أجورهن" وقد رد عليهم الجمهور بأن الأجر يطلق على المهر أيضاً لقوله تعالى: ﴿... إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ...﴾ المائدة: . . . ، ولا تسمى المنكوحة بالمتعة زوجة في قوله : ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ...﴾ المعارج ، وكذلك لا حق لها في الميراث والعدة .

المطلب الثاني

ثانياً : الطلاق :-

في اللغة : مأخوذ من الإطلاق ، وهو الإرسال والترك تقول : أطلقت الأسير إذا حَلَّتْ قَيْدَهُ وَأَرْسَلْتَهُ ، وامرأة طالق: طَلَّقَهَا زَوْجَهَا ، وطارقة وأطلقت الناقة من عقالها، وناقاة طَلَّقَ: بلا عقال (٣) وقال ﷺ لقريش يوم فتح مكة: (انهبوا فأنتم الطلقاء) (٤)

في الشرع : حل رابطة الزواج وإنهاء العلاقة الزوجية .

كراهته :-

(١) تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٣٣٧ ، انظر الأساس ج٢ ص١٠٣٥ ، ١٠٣٤ .
(٢) مسلم ج٢ ص١٠٢٥ ، باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيع ثم نسخ ثم أبيع ثم نسخ إلى يوم القيامة ح (١٤٠٦) عن سيرة الجهنبي .
(٣) مجمل اللغة ج١ ص٥٨٦ ، انظر لسان العرب ح ١٠ ص ٢٢٦ ، ٢٢٥ .
(٤) سنن البيهقي الكبرى ج٩ ص٩٠ باب فتح مكة حرسها ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير ج١ ص٢٢٠ ، ح (٣٦٨) - تحقيق / محمد عبدالرؤوف المناوي - دار طائر العلم - جدة .

إن استمرار الحياة الزوجية غاية إسلامية يسعى إليها بالدوام والاستمرار، ولا يجوز أن تنتهي إلا لعذر شرعي، فقد قال عليه السلام: (أبغض الحلال إلى الله عز وجل الطلاق) (١) وقد سمى الله ما بين الزوجين من رابطة بالميثاق الغليظ، فقال: ﴿...وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ النساء: ٢١

- وكل من تسبب في نقض هذه العروة فهو في نظر الإسلام خارج عنه لقوله عليه السلام: (ليس منا من خيب "أفسد" امرأة على زوجها) (٢)

- وكذلك المرأة إذا سألت زوجها الطلاق من غير عذر، فحرام عليها الجنة، كما جاء في الحديث: (أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة) (٣) حكمه:

واللحائبة في ذلك الحكم تفصيل حسن نجمله فيما يلي :-

فعندهم قد يكون الطلاق واجباً وقد يكون حراماً وقد يكون مباحاً وقد يكون مندوباً إليه فأما الطلاق الواجب : فهو طلاق الحكمين في الشقاق بين الزوجين إذا رأيا أن الطلاق هو الوسيلة لقطع الشقاق ، وكذلك طلاق المؤلّي بعد التربص مدة أربعة أشهر لقوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ البقرة: ٢٢٦ .

- وأما الطلاق المحرم : فهو الطلاق من غير حاجة إليه، وهو حرام، لأنه ضرر - على الزوجين وما بينهما من مصالح فهو مثل إتلاف المال، وللحديث (لا ضرر ولا ضرار) (١)

(١) سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٥٥ باب في كراهية الطلاق، ح (٢١٧٨) عن ابن عمر مرسلاً - وفي رواية أخرى موصولاً حفظه، قاله البيهقي في السنن الكبرى .

(٢) سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٥٤ باب : فيمن خيب امرأة على زوجها ، ح (٢١٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه وهو حديث صحيح .

(٣) سنن الترمذي ج ٢ ص ٤٩٣ باب : ما جاء في المختلعات ح (١١٨٧)، فقال: حديث حسن، عن ثوبان رضي الله عنه.

-وأما الطلاق المباح : فإنما يكون عند الحاجة إليه لسوء خلق الزوجة وسوء عشرتها والتضرر بها من غير حصول الغرض منها .

- وأما المندوب إليه : فهو الطلاق الذي يكون عند تفريط المرأة في حقوق الله الواجبة عليها مثل الصلاة ونحوها ولا يمكنه إجبارها ، عليها، أو تكون غير عفيفة فعندئذ لا بأس بالتضييق عليها في هذه الحال ، لتفتدي منه، قال الله تعالى : ﴿... وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ...﴾ النساء ١٩ (٢)، والآن نستعرض موضوع " الطلاق " عند الشيخ السعدي وأحكامه المترتبة عليه، ومن الأسباب التي تؤدي إلي الطلاق هو الإيلاء "الحلف" على عدم الوطء .

موقف السعدي من الإيلاء "الحلف" :-

قال تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ، وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٢٦-٢٢٧

يقول : هذا من الأيمان الخاصة بالزوجة، وهو حلف الرجل عدم وطء زوجته مطلقاً أو مقيداً بأقل من أربعة أشهر، أو أكثر فمن آلي من زوجته، وكان دون أربعة أشهر وهذا مثل سائر الأيمان، إن حنث كفر، وإن أتم فله ذلك، وإن كان أبداً أو أكثر من أربعة أشهر رصد له أربعة أشهر مدة، فإن رجع فإن الله غفور على ما تقدم، رحيم بعباده، وإن امتنع عن الرجوع أجبره الحاكم على الطلاق، لأنه حق المرأة (٣) وهذا دليل على عدم الجواز للرجل أن يترك زوجته بدون وطء لمدة أربعة أشهر وأن لها حق المطالبة بالطلاق بعدها إن لم يرجع عن يمينه، وأنه لا يقع الطلاق بمجرد مضي الأربعة أشهر، ولكن يوقف فإما أن يفيء ، وإما أن يطلق، كما ثبت عن

(١) المستدرک ج ٢ ص ٦٦ ح (٢٣٤٥)، صحیح علی شرط مسلم، عن أبي سعید الخدری رضي الله عنه.

(٢) كتاب المجموع للشيرازي ج ١٨ ص ٢١٦ - مكتبة الارشاد - تحقيق /محمد الطيعي ، ج ٢ ص ٢٠٦-٢٠٨ بتصرف ، انظر المغني لابن قدامة المقدسي ج ١ ص ٧٧ وما بعدها - دار الكتاب العربي ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

(٣) مختصر ابن كثير ج ١ ص ٢٠٠ ، انظر فتح القدير ج ١ ص ٢٣٢-٢٣٣ ، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٨١ بتصرف .

كثير من الصحابة رضي الله عنهم، وإذا طلق عليه الحاكم فإن الطلقة رجعية له
مراجعتها في العدة (١)

- فقد ثبت أن النبي ﷺ (آلى من نساءه شهراً واعتزلهن تسعاً وعشرين يوماً
وقال: الشهر تسع وعشرون، ثم راجعهن) (٢).

- وجعل الله هذه المدة لدفع الضرر عن الزوجة، أو لعلها المدة التي تصبر المرأة
فيها عن زوجها، ولا تطيق أكثر من ذلك، كما روي الإمام مالك في الموطأ (٣).

الطلاق قبل الدخول:-

قال تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً
وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُسَاعَدَةِ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾
البقرة: ٢٣٦.

يقول: أي ليس عليكم إثم بتطليق النساء قبل الوطء وقبل فرض المهر وإن كان في
ذلك كسر لخاطرها بعد تعليقها بالخاطب وفرحتها بالزواج إلا أن المتعة تجبر هذا
الكسر وذلك بالمال جبراً لخواترهن على الغني والفقير حسب العرف ولهذا قال
متاعاً بالمعروف واجباً فله ما أحسن هذا الحكم الإلهي وأدله على حكمة شارع
ورحمته ﴿... وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة: ٥٠ (٤).

الطلاق بعد العقد:-

قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا
فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ...﴾ البقرة: ٢٣٧

(١) مختصر ابن كثير ج ١ ص ٢٠١ بتصرف، فتح القدير ج ١ ص ١٣٣-١٣٤، وخالفه الشعراوي ج ٢ ص ٩٨٠.

(٢) البخاري ج ١ ص ١٤٩ باب الصلاة في السطوح ح (٣٧١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه وهو جزء من حديث

(٣) لا يوجد في الموطأ، وهو في سنن البيهقي الكبرى ج ٩ ص ٢٩، ح (١٧٦٢٨) - دار الباز - تحقيق/محمد عطا.

(٤) مختصر ابن كثير ج ١ ص ٢١٦ بالتفصيل، انظر فتح القدير ج ١ ص ٢٥٢، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٩١ -

١٩٢ بتصرف، انظر الشعراوي ج ٢ ص ١٠١٨.

يقول: ثم ذكر حكم المفروض لهن فقال: أي إذا طلقتم النساء قبل المسيس وبعد فرض المهر فلهن نصف المهر ولكم نصفه ما لم يدخله عفو ومسامحة بأن تتنازل عن حقها إذا كانت راشدة، أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وهو الزوج على الصحيح لأن الولي لا يصح أن يعفو عن ما وجب للمرأة ثم رغب في العفو وأنه أقرب لتقوي الله عز وجل وحث على الإحسان في المقابل بين الناس بحيث لا تطغي هذه الأحداث على المعاملة بين الناس بالحسنى (١)

المطلقة بعد العقد وقبل الدخول لا عدة لها :-

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ الأحزاب: ٤٩.

يقول: ويستدل بهذه الآية على أن الطلاق لا يكون إلا بعد النكاح فلو طلقها قبل أن ينكحها لم يقع للآية ﴿ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ فجعل الطلاق بعد النكاح وإذا كان الطلاق الذي هو فرقة تامة لا يقع قبل النكاح فالتحريم الناقص لإيلاء أوظهار ونحوه من باب أولى وأحرى ألا يقع قبل النكاح، كما هو أصح قولي العلماء وعلي جوازه قبل المسيس كما في الآية الأخرى ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ وعلي أن المطلقة قبل الدخول لا عدة لها ويجوز لها الزواج بعد طلاقها مباشرة، وأن العدة تجب بعد الدخول بها، وهل المراد بالدخول والمسيس الوطء كما هو مجمع عليه؟ أو الخلوة ولو لم يحصل معها وطء؟ كما أفتى بذلك الخلفاء الراشدون، وهو الصحيح فمتى دخل عليها وطئها أم لا - إذا خلا بها - وجب عليها العدة، وعلي أن المطلقة، قبل المسيس تمتع على الموسع والمقتر قدره،

(١) ابن كثير ج١ ص٢١٧، فتح القدير ج١ ص٢٥٣، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١٩٢ بتصرف، تفسير الشعراوي ج٢ ص١٠٢٠.

إذا لم يفرض لها مهراً فإن كان لها مهر مفروض، وطلقت فلها نصف المهر فإنه يكفي عن المتعة، وأن العدة حق للزوج (١).

مناقشة رأي السعدي :-

يعتبر السعدي أن الخلوة مع المرأة من الدخول بها، ويترتب على ذلك العدة، وهذا الرأي مرجوح؛ لأن ابن عباس رضي الله عنهما قال في الرجل يتزوج المرأة فيخلو بها ولا يمسه ثم يطلقها، ليس لها إلا نصف الصداق؛ لأن الله يقول: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ...﴾ قال الشافعي: بهذا أقول، وهو ظاهر الكتاب (٢).

- كما أن الخلوة ليس من المساس، وبينهما فرق شاسع في اللغة، كما أن نصف الصداق يعوض هذه الخلوة، بعكس المساس فإنه يستحق المهر كله لقاء التمتع بالمرأة.

الطلاق الرجعي :-

و المقصود به مراجعة الزوج لزوجته أثناء العدة وقبل انتهائها قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبَعُولَتْهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا...﴾ البقرة: ٢٢٨

يقول: أي أن النساء اللاتي طلقهن أزواجهن ينتظرن مدة ثلاثة حيضات أو أطهار على اختلاف العلماء، مع أن الصحيح أن القراء الحيض، ولهذه العدة حكم منها: العلم ببراءة الرحم إذا تكرر عليها ثلاثة أقراء، فلا يؤدي إلى اختلاف الأنساب ولهذا أوجب عليهن الإخبار عما خلق الله في أرحامهن من الحمل أو الحيض؛ لأن الكتمان يؤدي إلى مفسد كثيرة. فكتمان الحمل يؤدي إلى إلحاقه بغير ما هو له رغبة فيه أو استعجالاً لانقضاء العدة فإذا ألحقته بغير أبيه حصل قطع الرحم والإرث، وحرمانه

(١) مختصر ابن كثير ج ٣ ص ٢١٨، انظر ج ١ ص ٢١٧٢٠١، فتح القدير ج ٤ ص ٢٩٠-٢٩١، تيسير الكريم الرحمن ج ٤ ص ١٦٣ بتصرف.

(٢) مختصر ابن كثير ج ١ ص ٢١٧، فتح القدير ج ١ ص ٢٥٣.

من أقاربه ومحارمه، أو تزوج من محارمه وهو لا يدري، وجعل الأعراب أقارب له وما يتبع ذلك من الإرث منه وله، وفي ذلك من الشر والفساد ما لا يعلمه إلا الله .
وأما كتمان الحيض فإن استعجلت فأخبرت به ففيه انقطاع عن حق الزوج وإباحة لغيره وإن كذبت وأخبرت بعدم وجوده لتطول العدة فتأخذ من النفقة ما ليس لها فهذا سحت محرم عليها وربما راجعها بعد انقضاء العدة فيكون ذلك سفحاً لكونها أجنبية وفي ذلك دليل على قبول خبر المرأة عما تخبره عن نفسها لأنها أدرى من غيرها بحالها. (١) وقد خالفه الشعراوي، وقال: بأن القروء هنا في الآية هي الأطهار، لأنها جاءت بلفظ المؤنث (ثلاثة)، ولا تأتي إلا مع المذكر وهو: "الأطهار" (٢)، ويقول: بأن الآية تحتل المعنيين والله أعلم.

وقال: وللأزواج حق الرد أثناء العدة إن أرادوا ألفة ومودة ومفهوم الآية أنه إذا لم يرد الإصلاح فليس له حق الرد بقصد المضارة، وتطويل العدة وهل يملك ذلك؟ فيه قولان: الجمهور على أنه يملك ذلك مع التحريم والصحيح أنه إذا لم يرد الإصلاح لا يملك، كما هو ظاهر الآية الكريمة وهذه حكمة أخرى في هذا التربص وهي: أنه ربما ندم على مفارقتها، فجعلت هذه المدة، ليتروى بها، ويقطع نظره، وهذا يدل على محبته تعالى، الألفة بين الزوجين، وعدم الفراق، وهذا خاص في الطلاق الرجعي، وأما الطلاق البائن فلا حق للزوج فيه (٣)

مناقشة رأي السعدي :-

إن السعدي اعتبر أن المعني الصحيح للقرء هو الحيض مع أنه لم يرد دليل على تعيين أحدهما.

- قال ابن عبد البر: لا يختلف أهل العلم بلسان العرب والفقهاء أن القرء يراد به الحيض، ويراد به الطهر، وإنما اختلفوا في المراد من الآية ما هو على قولين

(١) مختصر ابن كثير ج ١ ص ٢٠٢ بالتفصيل، فتح القدير ج ١ ص ٢٣٦ بالتفصيل، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٨٢.

(٢) تفسير الشعراوي ج ٢ ص ٩٨٤.

(٣) انظر تفسير القرطبي ج ٢ ص ٨٢، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٨٢.

- إن السعدي أخذ بأصح الروايتين عن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله- (١) وهذا يعتبر تعصباً لمذهبه الفقهي الحنبلي لا سيما أنه لم يورد دليلاً على ذلك، لأن القرء مختلف فيه، وهو من الأضداد فلا يتعين أحد المعنيين إلا بدليل - والله أعلم - وأما حديث فاطمة بنت أبي حبيش التي قال لها ﷺ: (دعي الصلاة أيام أقرائك) (٢) فهذا لو صح لكان صريحاً في أن القرء هو الحيض .

الطلاق مرتان :-

قال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ . . .﴾ البقرة: ٢٢٩ يقول: أي أن الطلاق الذي تحصل به الرجعة مرتان، لتمكين الزوج من إرجاع زوجته إن لم يرد المضارة ويراجع نفسه في هذه المدة أما ما فوقها فإما متجراً على الحرام، أو يريد المضارة بها، فلهذا أمره بأن يبقيها بعشرة حسنة و إلا يسرحها ويفارقها، ومن الإحسان ألا يأخذ من ماله شيئاً على فراقها، لأنه ظلم وهي المخالعة بالمعروف، بأن كرهت الزوجة زوجها، لخلقها أو خلقه أو نقص دينه، وخافت ألا تطيع الله فيه فعند ذلك لا يحق لها أن تأخذ شيئاً، وذلك عوضاً له عن المفارقة وفي هذا مشروعية الخلع (٣).

يقول: صاحب كتاب "إعجاز القرآن": كان من حكمة الشارع أن يكون الطلاق مفرقاً وألا يقع دفعة واحدة، لقوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ وهاتان المرتان لا تقعان مرة واحدة بل تكون الأولى رجعية أثناء العدة فإن راجعها ولم تستمر العشرة بينهما وطلقها مرة ثانية فإنه يمكن أن يراجعها بعد هذه التظليقة كذلك أثناء العدة، فإن راجعها ولم يستطيعا إتمام المسيرة معاً وطلقها مرة ثالثة، فإنها حينئذ تحرم، ولا يجوز له مراجعتها

(١) مختصر ابن كثير ج ١ ص ٢٠٢ .

(٢) شرح صحيح البخاري للشيخ زروق الفاسي ت: ٨٩٩هـ، ج ١ ص ٤٤١، كتاب الحيض، باب: إقبال الحيض وإدباره رقم (١٩)، ح (١)، تحقيق/د. عزت عطية، موسي علي - مطبعة حسان، بلفظ (إذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة) .

(٣) انظر تفسير القرطبي ج ٢ ص ٩١، انظر تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٨٥-١٨٦ .

التشريعي، والتشريع المعجز، وصدق الله ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ. . .﴾
الإسراء: ٩ (١) وكما أن المرأة يجوز لها أن تخلع الرجل وتتنازل له عن حقها مقابل ذلك
فكذلك الرجل إذا أراد أن يستبدل زوجة بأخرى لا يحل له أن يأخذ من الأولي شيئاً. ولو
كان قنطاراً قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً
فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثماً مُبِيناً ، وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى
بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ النساء: ٢٢ (٢) والنهي عن الإضرار بالنساء من قبل
الأزواج، والنهي عن عضل النساء من قبل الأولياء يكون في الطلاق الرجعي، وهو ما
كان أقل من ثلاث طلاقات، أما البائن فلا رجوع فيه إلا بعد أن تنكح زوجاً غيره، ثم
يطلقها مختاراً.

(١) الإعجاز القرآن الكريم د. فضل عباس ص ٣٣١ بتصرف .

(٢) انظر تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣٣٣ ، انظر الأساس ج ٢ ص ١٠٢٥ بنحوه .

ثالثاً : الميراث :-

في اللغة : الفرائض جمع فريضة ، والفريضة مأخوذة من الفرض بمعنى التقدير يقول الله تعالى: ﴿ . . . فَصِنْفُ مَا فَرَضْتُمْ . . . ﴾ أي قدرتم. ورث: ورث الشيء أرثه ورثاً لكن الواو تقلب ألفاً فيقولون: إرث. والميراث أصل الياء فيه واو(١).
في الشرع: هو النصب المقدر للوارث ويسمى العلم بها علم الميراث، وعلم الفرائض.

مشروعيته :-

كان العرب قبل الإسلام يورثون الرجال دون النساء، والكبار دون الصغار وكان هناك توارث بالحلف فأبطله الله كله، قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ . . .﴾ النساء: ١١ .

سبب نزول الآية :-

ما جاء عن جابر قال : (جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ بابنتيها من سعد، فقالت : يا رسول الله ،هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك في أحد شهيداً وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً ولا ينكحان إلا بمال فقال : يقضي الله في ذلك فنزلت آية الميراث فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمهما فقال : "أعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن، وما تبقي فهو لك) (٢) .

فضل العلم بالفرائض :-

قال عليه الصلاة والسلام : (تعلموا الفرائض، وعلموها فإنها نصف العلم وهو ينسى وهو أول شيء ينزع من أمتي) (٣)

(١) مجمل اللغة ج ٢ ص ٩٢٣، انظر لسان العرب ج ٢ ص ٢٠٠، ١٩٩ .

(٢) المستدرک کتاب الفرائض ح (٧٩٥٤) عن جابر ﷺ قال : صحيح على شرطها.

(٣) سنن الترمذي باب ما جاء في تعليم الفرائض، وقال: هذا حديث فيه اضطراب ،عن أبي هريرة ﷺ .

أسباب الميراث :-

يستحق الإرث لأسباب ثلاثة :-

(١) النسب الحقيقي : لقوله سبحانه ﴿... وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ...﴾ (الأنفال: ٧٥).

(٢) النسب الحكمي : لقوله ﷺ (الولاء لحمة كلحمة النسب) (١)

(٣) الزواج الصحيح : لقوله سبحانه ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ...﴾ (النساء: ١٢)

ما معني النسب الحكمي في الحديث؟

هو الولاء بالإعتاق بعد العبودية ، والمفهوم في حق المُعتق أنه المنعم على المُعتق كالموجد له فاستحق ميراثه لهذا المعنى ، وحكى الطحاوي ذلك، واستدل بما روي أن رجلاً أعتق عبداً له فمات المُعتق، ولم يترك إلا المُعتق، فجعل رسول الله ﷺ ميراثه للغلام المُعتق (٢) فهو شبيهه بالأب الموجد له (٣).

فالنسب الحكمي: هو النسب بالحكم الشرعي وليس النسب الحقيقي، فالمُعتق صار منسوباً إلى المُعتق بالحكم الشرعي، لأنه كالموجد له . كما أن الأب هو الموجد لابنه في الحياة . كما أن المُعتق أصبح حياً حُكماً بعد أن كان ميتاً حُكماً أو ديانة ، لأنه كان لا يملك نفسه، فأشبهه الميت.

(١) المستدرک ج ٤ ص ٣٧٩ كتاب الفرائض ح (٧٩٩) عن ابن عمر ﷺ وهو جزء من حديث .

(٢) رواه الترمذي وحسنه ج ٤ ص ٤٢٣ كتاب الفرائض باب في ميراث المولى الأسفل . ج (٢١٠٦) عن ابن

عباس ﷺ . تحقيق / إبراهيم عطوة عوض . دار إحياء التراث العربي، ورواه الإمام الطحاوي. أحمد بن محمد الحنفي في شرح الخطط والآثار، ت: ٣٢١هـ

والطحاوي أحمد بن محمد الحنفي ت : ٣٢١هـ ج ٤ ص ٤٠٣ - تحقيق و تصحيح (محمد زهري النجار من علماء الأزهر) دار إحياء الكتب العلمية - ط ١٣٩٩/١ - ١٩٧٩م.

(٣) (تفسير القرطبي ج ٥ ص ١٠٩-١١٠ بتصرف - دار الكتب العلمية ط ١٤٠٨/١-١٩٨٨م انظر أحكام القرآن للكميا المراسي: عماد الدين بن محمد الطبري ت: ٥٠٤هـ . ج ١ ص ٤٤٤-٤٤٦ المكتب العلمية - ط ١٤٠٣/١هـ-١٩٨٣م).

موانع الإرث :-

- ١- الرق : سواء كان تاماً أم ناقصاً .
- ٢- القتل العمد المحرم :فإذا قتل الوارث مورثه ظلماً فإنه لا يرثه اتفاقاً للحديث (ليس للقاتل شيء) (١) .
- ٣- اختلاف الدين : فلا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم، للحديث : (لا يرث المسلم الكافر ولا يرث الكافر المسلم) (٢) .

أصحاب الفروض :-

وهم أصحاب النصيب من الفروض الستة المعينة لهم، وهي : النصف، الربع الثمن الثلثان والثلث والسدس. (٣)

آيات المواريث عند السعدي :-

لقد قام الشيخ السعدي - رحمه الله - في تفسيره ببيان أحكام الورثة كلهم على شكل عناوين لكل صاحب حق، وبشكل منظم مدعماً ذلك بالآيات والأحاديث، فهذا عمل يحسب له في ميزان حسناته - رحمه الله - جزاه الله خيراً.

يقول : أحكام المواريث - بيان أصحابها : -

هذه الآيات والآية التي في آخر السورة (٤) من آيات المواريث المتضمنة لها فإنها مع الحديث الثابت في الصحيح : (ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل

(١) سنن أبي داود ج٤ ص١٨٩ وانظر السنن الكبرى للبيهقي باب : لا يرث القاتل ج٦ ص٢١٩ عن عمر بن شعيب وقال : هذه مراسيل جيدة يقوى بعضها بعضاً فقد روى موصولاً، تيسير الكرمي الرحمن ج١ ص٣٢٣، ٣٢٢ بالتفصيل.

(٢) البخاري ج٦ ص٢٤٨٤ باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم ح(٦٣٨٣) عن أسامة بن زيد .

(٣) انظر الدر المنثور ج٢ ص٤٤٦، ٤٤٥ انظر إعجاز القرآن الكريم ص٣١٩-٣٢٧ بالتفصيل، انظر فقه السنه ج٣ ص٤٢٩، ٤٢٤.

(٤) الآيات (٧-١٢) من سورة النساء، وآية الكلاله: ١٧٦ من السورة.

نكر) (١) مشتقاً على جل أحكام الفرائض، بل على جميعها كما سنري ذلك إلا ميراث الجدات فإنه غير مذكور في ذلك، لكنه قد ثبت في السنن عن بعض الصحابة أن النبي ﷺ أعطي الجدة السدس مع إجماع العلماء على ذلك (٢).

بيان ميراث الأولاد :-

قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ. . . أَي: أولادكم عندكم ودائع، قد وصاكم الله فيهم لتقوموا بمصالحهم الدينية والدينية، كما قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ. . .﴾ التحريم: ٧

فالأولاد وصية عند والديهم فإما أن يقوموا بتلك الوصية فلهم الأجر، وإما أن يضيعوها فعليهم الوزر وهذا يدل على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالدين حيث أوصى الوالدين مع كمال شفقتهم عليهم، ثم ذكر كيفية إرثهم فقال: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ. . .﴾ أي: أن الأولاد الصلب والأولاد لإبن للذكر مثل حظ الأنثيين، إن لم يكن معهم صاحب فرض، أو ما أبقت الفروض يقتسمونه كذلك .

وقد أجمع العلماء على ذلك، وأنه مع وجود أولاد الصلب فالميراث لهم وليس لأولاد الابن شيء، حيث كان أولاد الصلب، ذكوراً أو إناثاً، هذا مع اجتماع الذكور والإناث، وهنا حالتان: انفراد الذكور وسيأتي حكمها، وانفراد الإناث، وقد ذكر بقوله.

أحكام البنات في الميراث :-

﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾، أي: بنات صلب أو بنات ابن ثلاثاً فأكثر، فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة أي: بنتاً أو بنت ابن " فلها النصف"، وهذا إجماع، بقي أن يقال: من أين يستفاد أن للإبنتين الاثنتين، الثلثين بعد الإجماع على ذلك؟ فالجواب: أنه يستفاد من قوله: فإن كانت واحدة فلها النصف " فمفهوم ذلك أنه إن زادت على الواحدة انتقل الفرض عن النصف، وليس بعده إلا الثلثان (٣).

(١) البخاري ج ١٢ ص ١٦ كتاب الفرائض، باب (٧) ح (٦٧٣٥)، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣٢٢، ٣١٦ .

(٢) سنن أبي داود ج ٢ ص ١٢١ - كتاب الفرائض باب (٥) في الجدة، ح (٢٨٩٤) - دار الفكر، انظر مختصر ابن كثير ج ١ ص ٣٦٥، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣١٦ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣١٧، ٣١٦ بتصرف.

وأيضاً فقوله : ﴿لِلذَكَرِ مِثْلَ حِظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ إذا خلف ابناً وبناتاً فإن الابن له الثلثان، وقد أخبر الله أنه مثل حظ الأنثيين، فدل ذلك على أن للبنتين الثلثين، وأيضاً فإن البنت إذا أخذت الثلث مع أخيها - وهو أكثر ضرراً عليها من أختها -، فأخذها له مع أختها من باب أولى وأحرى وأيضاً فإن قوله تعالى في الأختين : ﴿... فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ...﴾ " نص في الأختين الثلثين، فإذا كانت الأختان الائتتان مع بعدهما يأخذان الثلثين، فالابنتان مع قربهما من باب أولى وأحرى، فقد أعطي النبي ﷺ ابنتي سعد بن الربيع الثلثين كما في الصحيح (١) بقي أن يقال: فيما الفائدة في قوله " فوق اثنتين" ؟ قيل :الفائدة في ذلك - والله أعلم - أنه ليعلم أن الفرض الذي هو الثلثان، لا يزيد بزيادتهن على الثلثين، بل من الإثنتين فصاعداً (٢).

ودلت الآية الكريمة أنه إذا وجد بنت صلب واحدة، وبنت ابن أو بنات ابن فإن لبنت الصلب النصف ويبقى من الثلثين اللذين فرضهما الله للبنات أو بنات الابن السدس فيعطي بنت الابن أو بنات الابن، ولهذا يسمى هذا السدس تكملة الثلثين ومثل ذلك بنت الابن مع بنات الابن اللاتي أنزل منها، وتدل الآية أنه متى استغرق البنات، أو بنات الابن الثلثين، أنه يسقط من دونهن من بنات الابن؛ لأن الله لم يفرض لهن إلا الثلثين، فلو لم يسقطن لزم من ذلك أن يفرض لهن أزيد من الثلثين، وهو خلاف النص وكل هذه الأحكام مجمع عليها بين العلماء، والله الحمد .

ودل قوله : "مما ترك" أن الوارثين يرثون كل ما خلف الميت من عقار وأثاث وذهب وفضة وغير ذلك حتى الدية التي لم تجب إلا بعد موته، وحتى الديون التي في الذمة (٣).

(١) تقدم تخرجه ص ٢٩٦ .

(٢) انظر تفسير القرطبي ج ٣ ص ٤٠-٤٣ - دار الكتب العلمية - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، مختصر ابن كثير ج ١ ص ٣٦٢، فتح القدير ج ١ ص ٤٣١، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣١٦-٣١٨ بتصرف، تفسير الشعراوي ج ٤ ص ٢٠٢٧ .

(٣) مختصر ابن كثير ج ١ ص ٣٦٤، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣١٨ .

أحكام الأبوين في الميراث :-

فقال : "ولأبويه " أي أبوه وأمه ﴿ . . . لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ . . . ﴾ أو ولد صلب أو ولد ابن ذكر كان أو أنثى واحداً أو متعدداً، فأما الأم فلا تزيد على السدس مع أحد من الأولاد .

أحكام الأب في الميراث :-

فالأب مع الذكور لا يستحق أزيد من السدس ، فإن كان الولد أنثى أو إناثاً ولم يبق بعد الفرض شيء ، كأبوين وابنتين ، لم يبق له تعصيب ، وإن بقي بعد فرض البنت أو البنات شيء أخذ الأب السدس فرضاً والباقي تعصيباً ؛ لأننا ألحقنا الفروض بأهلها ، فما بقي فلأولى رجل ذكر ، وهو أولى من الأخ والعم وغيرهما .

﴿ . . . فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ . . . ﴾ أي : والباقي للأب ؛ لأنه أضاف المال ، إلى الأب والأم ثم قدر نصيب الأم فدل ذلك على أن الباقي للأب ، وعلم من ذلك أن الأب مع عدم الأولاد لا فرض له ، بل يرث تعصيباً المال كله ، أو ما أبقت الفروض ، ولكنه لو وجد مع الأبوين أحد الزوجين فإنهما يأخذان فرضهما ثم تأخذ الأم ثلث الباقي ، والباقي للأب ، وقد دل على ذلك قوله : ﴿ . . . وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ . . . ﴾

فإن كان له إخوة فلأمه السدس ، أشقاء أو لأب أو لأم ذكوراً وإناثاً ، وارثين أو محجوبين بالأب أو الجد ، ثم قال تعالى : ﴿ . . . مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ . . . ﴾ أي هذه الفروض والأنصبة إنما ترد وتستحق (١) بعد نزع الديون التي على الميت لله ، أو للآدميين ، وبعد الوصايا التي أوصي بها الميت ﴿ . . . آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا . . . ﴾ أي لو رد تقرير الإرث إلى عقولكم القاصرة لحصل من الضرر الكثير والظلم لأناس على حساب الآخرين ﴿ . . . فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ فرضها الله الذي أحاط بكل شيء علماً في تقسيم هذه الأنصبة على أصحابها حكيماً يضع كل نصيب في محله اللائق به .

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي ج ٣ ص ٤٦ ، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣١٨ - ٣٢٠ بتصرف ، تفسير الشعراوي ج ٤ ص ٢٠٢٩ ، ٢٠٢٨ .

حكم الأزواج والزوجات في الميراث :-

قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ نَصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ . . . ﴾ النساء: ١٢، ويدخل في مسمى الولد المشروط وجوده أو عدمه، ولد الصلب أو ولد الابن الذكر والأنثى، الواحد والمتعدد الذي من الزوج أو من غيره، ويخرج عنه ولد البنات إجماعاً.

بيان معنى " الكلاله " ونصيبها في الميراث :-

ثم قال تعالى: ﴿. . . وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ . . . ﴾ أي من أم كما هي في بعض القراءات، وأجمع العلماء أن المراد بالأخوة هنا الأخوة لأم، فإذا كان يُورث كلاله أي: ليس للميت والد ولا ولد أي: لا أب ولا جد ولا ابن، ولا ابن ابن ولا بنت ابن وإن نزلوا، وهذه هي الكلاله كما فسرها بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه (١).

حكم الخنثى والمشكل في الميراث :-

وإن كان مشكلاً، فإن كان الذكر والأنثى لا يختلف إرثهما - كالأخوة للأم - فالأمر فيه واضح وإن كان يختلف إرثه بتقدير ذكوريته و أنوثيته ولم يبق لنا طريق إلى العلم بذلك، لم نعطه أكثر التقديرين لاحتمال من معه من الورثة ولم نعطه الأقل، لاحتمال ظلمه فوجب التوسط بين الأمرين وسلوك أعدل الطريقتين ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ . . . ﴾ التغابن: ١٦ (٢).

ميراث الجد :-

وأما " ميراث الجد " مع الأخوة الأشقاء، أو لأب وهل يرثون معه أم لا ؟ فقد دل كتاب الله على قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: إن الجد يحجب الأخوة أشقاء أو لأب أو لأم كما يحجبهم الأب .

(١) بتصرف انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٣ ص٤٤-٥١ ، تيسير الكريم الرحمن ح١ ص٣٢٠-٣٢٥،

تفسير الشعراوي ج٤ ص٢٠٣٢ .

(٢) فتح القدير ج١ ص٤٣١، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص٣٢٤ .

وبيان ذلك : أن الجد : أب في غير موضع في القرآن كقوله تعالى : ﴿... قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ...﴾ البقرة: ١٣٣، وقال يوسف عليه السلام : ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ...﴾ يوسف: ٣٣ فسمى الله الجد وجد الأب أباً، فدل ذلك على أن الجد بمنزلة الأب يرث ما يرثه الأب، ويحجب من يحجبه^(١).

نقول : من خلال ما سبق إن السعدي - رحمه الله - بين ميراث الجد والجدة الذي لم يرد في القرآن الكريم، ولكن ورد عن طريق السنة المطهرة أو من اجتهاد الصحابة الكرام، كأبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي دلل أن الجد بمنزلة الأب عن طريق القرآن الكريم، وأخذ به العلماء، فأصبح إجماعاً .

- كما أنه فصل في مسألة الميراث : حكم القاتل واختلاف دين الميت، وأقربائه وحكم الرقيق في الميراث وحكم الخنثى والمشكل في الميراث، وميراث الجد وأحكامه والرد على أصحاب الفرائض، وجهات العصبية، هذا إن دل فإنما يدل على سعة علمه وطول باعه في فقه المواريث .

المبحث الرابع

منهجه في استعراض القضايا الاجتماعية :-

ويقصد بها : العلاقة الأسرية بين بعضها البعض وعلاقة الأب بابنه، والابن بأبيه وأمه وإخوته والرجل بزوجته سواء بالإيجاب أو السلب، ويتكون هذا المبحث من مطلبين هامين، هما : الأسرة وتكوينها، والقضايا المعاصرة وعلاجها.

المطلب الأول: الأسرة وتكوينها :-

حرص الإسلام على سلامة الأسرة والمجتمع، فلذلك منع المقدمات التي تؤدي إلى انتهاك حرمة الأسرة والبيوت، حتى يكون مجتمعاً نظيفاً طاهراً من الخبث فجاء بالتعاليم الربانية التي تحفظ المجتمع من هذه الأمراض الفتاكة ، فشرع الاستئناس

(١) مختصر ابن كثير ج ١ ص ٣٦٤، فتح القدير ج ١ ص ٤٣١، تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ٣٢٥.

على البيوت قبل الدخول، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ النور: ٢٧- ٢٩ .

يقول: يرشد الباري عباده المؤمنين إلى عدم الدخول بغير استئذان على البيوت الأجنبية، فإن في ذلك عدة مفسدات: منها ما ذكره الرسول ﷺ حيث قال: (إِنَّمَا جَعَلَ الاستئذان من أجل البصر) (١) فبسبب عدم الاستئذان يقع البصر على العورات التي داخل البيوت فإن البيت للإنسان في ستر العورة بمنزلة الثوب في ستر عورة الجسد، ومنها: أن ذلك يوجب الريبة من الداخل، ويتهم بالشر، سرقة أو غيرها؛ لأن الدخول خفية يدل على الشر ﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ أي تستأذنوا، وسمى الاستئذان استئناساً؛ لأنه يحصل به الأناست، وتعدم الوحشة ﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ وصفه ما جاء في الحديث (السلام عليكم أدخل؟) (٢)

- فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تمتنعوا من الرجوع ولا تغضبوا منه، فإن صاحب المنزل متطوع أو مخير، فإن شاء أذن وإن شاء منع فلا يأخذ أحدكم الكبر والاشمئزاز، وهذا الحكم في البيوت المسكونة سواء فيها متاع الإنسان أم لا، وفي غير المسكونة التي لا متاع فيها .

- وأما البيوت التي فيها متاع وليس فيها أهلها وذلك كبيوت الكراء "الفنادق" فقد ذكرها بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أي: إثم في عدم الاستئذان، وهذا من احترازات القرآن العجيبة (٣) .

(١) البخاري ج ٥ ص ٢٣٠٤ باب الاستئذان من أجل البصر ح (٥٨٨٧) عن سهل بن سعد .

(٢) الترمذي ج ٥ ص ٦٤ ح (٢٧١٠) عن كلدة بن حنبل، وقال: حديث حسن غريب، سنن البيهقي الكبرى ج ٨ ص ٣٤٠ باب الرجل يستأذن كل دار فلا يستقبل الباب.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ج ٣ ص ٣٩٣-٣٩٤ بتصرف، انظر ج ٣ ص ٤١٤-٤١٨، انظر تفسير المراغي ج ٦ ص ٩٦.

نقول : والإنسان الذي لا يستأذن في الدخول ويدخل عنوة أو متسوراً للبيوت يظن فيه الشر عادة، وإن لم يكن كذلك، لأن الله قال ﴿وَأَثُوا بُيُوتَ مَنْ أَبْوَابَهَا﴾ البقرة: ١٨٩، وكذلك فزع داود عليه السلام عندما تسور الخصمان عليه المحراب من غير استئذان، يقول تعالى ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ . . .﴾ ص: ٢١.

وقد جاء في تفسير الحديث النبوي عن الرسول ﷺ : (أن الله أرسل ملك الموت إلى

موسى عليه السلام فلما جاءه صكّه) وفي رواية : ففقأ عينه (١) فإن الذي دعى موسى عليه السلام لأن يفقأ عين ملك الموت؛ لأنه في صورة آدمي فظنه موسى آدمياً حقيقة تسور عليه منزله بغير إذنه، ليوقع به مكروهاً فلما تسور عليه صكّه، أي لطمه على عينه التي ركبت في الصورة البشرية، التي جاء فيها دون الصورة الملكية (٢) ، لذلك شرع الله الاستئناس على البيوت حفظاً للبيوت، وكذلك حفظاً للطارق لئلا يُظنُّ به شراً .

آداب الاستئذان داخل البيت :-

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ النور: ٥٨

يقول : أمر الله المؤمنين بأن يستأذن عليهم أولادهم الصغار، دون الحلم، وكذلك الموالي في أوقات مخصوصة، وهي : قبل صلاة الفجر، لأن النائم يستعمل في نومه ثوباً غير عادي، وحين وضع الثياب من الظهيرة وهو وقت اشتداد الحرارة للتخفيف عن الجسم، ومن بعد صلاة العشاء عند النوم، وذلك لاستبدال الثياب العادية بثوب النوم فهذه الأوقات الثلاثة يجب الاستئذان فيها على الصغير والكبير والمملوك، أما ماعدا هذه الأوقات فالأمر للكبار فقط، وذلك لحصول المشقة من الاستئذان من قِبَل المماليك والصغار لأنهم كثيرو الطواف والتردد على أفراد الكبار، وإذا بلغ الأطفال الحلم وهو إنزال المنى يقظة ومناماً، فيجب عليهم أن يستأذنوا في كل الأوقات، وفي هاتين الآيتين. فوائد .

منها: أن السيد وولي الصغير مخاطبان بتعليم عبيدهم، ومن تحت ولايتهم من الأولاد والكبير، والمملوك، أما ما عدا هذه الأوقات، فالأمر للكبار فقط وذلك لحصول المشقة من الاستئذان من قبل المماليك والصغار، لأنهم كثيرو الطواف والتردد على أفراد

(١) البخاري ج ١ ص ٤٤٩ باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها ح (١٢٧٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) الأحاديث القدسية ج ٢ ص ٣١٣ .

الأسرة، وإذا بلغ الأطفال الحُلُم، فيجب عليهم أن يستأذنوا في كل الأوقات. وفي هاتين الآيتين فوائد العلم والآداب الشرعية؛ لأن الاستئذان وأحكامه لا يتحققان إلا بالتعليم والتأديب .

ومنها: أن الصغير دون البلوغ لا يمكن من رؤية العورة ولا يجوز أن ترى عورته ومنها: أنه ينبغي للواعظ والمعلم ونحوهما ممن يتكلم في مسائل العلم الشرعي أن يقرن بالحكم بيان مأخذه ووجهه، ولا يلقيه مجرداً عن الدليل والتعليل، لأن الله لمَّا بيَّن الحكم المذكور علله بقوله: ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾

ومنها : أن البلوغ يحصل بالإنزال فكل حكم شرعي رُتّب على البلوغ حصل بالإنزال وهذا مجمع عليه، وإنما الخلاف، هل يحصل البلوغ بالسن أو الإنبات للعانة، والله أعلم. (١)

نقول: هذه الآيات فيها من الآداب الشرعية الاجتماعية ومعرفة حدود كل فرد من أفراد الأسرة وبيان حقوقه وواجباته ، حقوقه من حيث التعليم من قبل أبويه العلم الشرعي وواجباته بالاستئذان على والديه في هذه الأوقات بالذات ، لأنها وقت كشف العورات غالباً فينشأ الطفل على طاعة الله وكما بين الإسلام علاقة الأولاد الذكور والإناث إذا بلغوا مرحلة معينة من أعمارهم، وهي عشر سنوات أن يفرق بينهم في الفراش، حتى لا يحدث ما هو محظور فقال : **(وفرقوا بينهم في المضاجع)** (٢) فهل ترك الدين لنا شيئاً إلا بينه ؟ .

الرضاعة :-

قال تعالى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ . . .﴾ البقرة: ٢٣٣

يقول : هذا خبر بمعنى الأمر بالرضاعة حولين كاملين فإذا استوفاهما صار اللبن كسائر الأغذية ولا يعتبر في الزواج ولا يحرمه ويؤخذ من هذا النص ومن قوله

(١) مختصر ابن كثير ج٢ ص٦١٨، ٦١٧ بالتفصيل، فتح القدير ج٤ ص٥١٤٥٠، تيسير الكريم الرحمن

ج٣ ص٤١٤-٤١٧ بتصرف.

(٢) المستدرک ج١ ص٣١١ كتاب الصلاة باب مواقيت الصلاة، ح(٧٠٨) عن عمر بن شعيب، وهو ثقة كأيوب عن نافع

ابن عمر.

﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ أن أقل مدة الحمل ستة أشهر " وعل المولود له " أي: الأب رزقهن وكسوتهن بالمعروف إذا كانت تحت ذمته أو مطلقة فإن عليه رزقها وكسوتها وهي الأجرة للرضاع ودل هذا أنها إذا كانت في ذمته لا يجب لها الأجرة غير النفقة والكسوة كل حسب طاقته، غنى وفقراً ﴿. . . لَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا. . .﴾ لا يحل إلحاق الضرر بالوالدة بسبب ولدها إما أن تمتنع من إرضاعه أو لا تعطى أجرتها من النفقة والكسوة، ﴿. . . وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ. . .﴾ بأن تمتنع عن إرضاعه على وجه الضرر، أو تطلب زيادة على أجرتها. ويُستدل أيضاً أن الولد لأبيه؛ لأنه من كسبه فلذلك جاز له الأخذ من ماله رضي أم أبي بخلاف أمه، ﴿. . . وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ. . .﴾ أي وارث الطفل إذا عدم الأب، وكان الطفل ليس له مال، فعند ذلك يجب على الورثة له مثل ما على أبيه من النفقة والكسوة، فدل على وجوب نفقة الأقارب المعسرين على القريب الوارث المعسر .

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ أي فطام الصبي قبل الحولين عن تراضي بينهما ومشاورة في مصلحة الصبي فلا إثم عليهما فدل على وجوب رضا الطرفين وتحقق مصلحة الطفل في ذلك، قوله : ﴿. . . وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ. . .﴾ أي تطلبوا لهم المرضعات غير أمهاتهم، فلا إثم عليكم ﴿. . . إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ (١)

نقول : وذلك كقوله : ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى ، لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ الطلاق: ٦ .

حقوق الآباء على الأبناء:-

- ورغم الشقاق والاختلاف بينهما في فترة العدة على نفقة الولد إلا أن الله أوصاها بالمعروف بينهما ووعدهما باليسر بعد العسر، فلذلك استحق الوالدان من الله تعالى

(١) انظر تفسير القرطبي ج٢ ص٩٦٩ وما بعدها، تيسير الكريم الرحمن ج١ ص١٨٨-١٩٠ بتصرف، انظر ج٥ ص٢٥٥-٢٥٦ .

لتكريم والإحسان وعدم العقوق لما لا قوه وتحملوه من الآلام والمتاعب أثناء أجل الحمل ثم الرضاع والتربية إلى أن يصبح شاباً يافعاً وتوعد من أنكر هذا المعروف بالنار - والعياذ بالله - وأنه من الخاسرين، فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ لقمان: ١٤ .
فجعل طاعتها مقرونة بطاعة الله تعالى، وأن طاعتها من طاعة الله تعالى وقال :
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا. . .﴾ الإسراء: ٢٣، وقال ﷺ:
(لا يجزي ولد والده إلا أن يجده عبداً مملوكاً فيعتقه) (١) وهذا يدل على عظم حقوق الوالدين لأنهما السبب الثاني في الوجود والحياة بعد الله تعالى، فلا يجزيهما حقهما إلا إذا وهب لهما الحياة، ولا يكون ذلك أبداً إلا إذا وجدتهما مملوكين فيعتقهما، فبذلك تُرد لها حياتهما؛ لأن العبودية موت حكمي، والله أعلم .

لا طاعة إلا في معروف :-

قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا. . .﴾ لقمان ١٥

يقول : وإن اجتهد والداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما في ذلك ولا تظن أن طاعتها في ذلك من الإحسان إليهما؛ لأن حق الله مقدم على حقوق الوالدين، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولم يقل " فعقهما"، بل قال : "فلا تطعهما" في ذلك أما برهما فاستمر عليه ولهذا قال ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ بالمعروف فيما أمر الله به، لا في ما نهى الله عنه. (٢)

بر الوالدين بعد الموت :-

نقول الباحث: ولجعل العلاقة بين الأبناء وآبائهم قائمة لا تنقطع، وبرهما كذلك لا ينقطع جعل الولد الصالح ينفع والديه بعد موتهما، فقال ﷺ: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله

(١) الترمذي ج ٤ ص ٣١٥ باب: ما جاء في حق الوالدين ح (١٩٠٦) عن أبي هريرة، وقال: حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث سهيل بن أبي صالح .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج ٤ ص ١٠٧ ص ٤٩، انظر ج ٣ ص ١٠٤، ١٠٣، ج ٥ ص ١٠، ٩ .

إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له^(١) فما أعظم هذه الرابطة والصلة بين الآباء، والأبناء وبذلك تكون الأسرة، ومن ثم المجتمع مجتمعاً متصلاً، لا تنفصم عراه إلى الأبد .

- وكذلك جعل الرسول ﷺ بر الوالدين بعد موتها ليس مقصوراً عليهما فقط وإنما من برهما أيضاً بر أصحابهما والأرحام التي لا توصل إلا بهما وإنفاذ عهدهما حيث سئل ﷺ وهل عليّ شيء لو الذي أبرهما به بعد موتها فقال : (نعم إنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وأن تصل الأرحام التي لا توصل إلا بهما)^(٢) أو كما قال عليه الصلاة والسلام فهل بعد هذا الإكرام من الله للوالدين من إكرام ؟ اللهم لا

المطلب الثالث

اهتمامه بالقضايا المعاصرة وعلاجها :-

والمقصود بها : على سبيل المثال: قضية الجهاد في الوقت الحاضر، ودور المساجد في نشر الدعوة الإسلامية، وعلاقة الدول ببعضها البعض وغير ذلك .
أولاً: حرمة المسجد :-

(١) قال تعالى : ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ...﴾ الحج: ٤٠ .

يقول : فإن قلت : نرى الآن مساجد المسلمين عامرة لم تخرب مع أن كثيراً منها إمارة صغيرة ، وحكومة غير منظمة ، مع أنهم لا بد لهم بقتال من جاورهم من الإفرنج، بل نرى المساجد التي تحت ولايتهم وسيطرتهم عامرة وأهلها آمنون مطمئنون - مع قدرة ولاتهم من الكفار على هدمها - والله أخبر أنه لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت هذه المعابد، ونحن لا نشاهد دفعاً، أجياب :-

(١) مسلم ج٣ ص١٢٥٥ باب : ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ح(١٦٣١) عن أبي هريرة ؓ .
مختصر ابن كثير ج٣ ص٤٨٤ .

(٢) سنن أبي داود ج٤ ص٣٣٦ باب في بر الوالدين ح(٥١٤٢) عن مالك بن ربيعة السعدي / لم يُحکم عليه .

بأن جواب هذا السؤال والاستشكال ، داخل في عموم هذه الآية، وفرد من أفرادها فمن عرف أحوال الدول الآن ونظامها، وأنها تعتبر كل جنس آخر تحت ولايتها جزءاً منها وعضواً من أعضاء المملكة، فتراعي الحكومة مصالح هذه الأمة الدينية والدينيوية، وخاصة المساجد خوفاً من احتلال نظامها، وإن كانت من الدول الكبار مع وجود التحاسد والتباغض بين النصارى وذلك في قوله تعالى: ﴿... فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾ المائدة: ١٤ فتبقي الحكومة المسلمة، التي لا تستطيع الدفاع عن نفسها سالمة من ضررهم، لقيام الحسد فيما بينهم، فلا يقدر أحد الاعتداء على المسلمين خوفاً من التجائم لدولة أخرى، مع أن الله تعالى قد وعد عباده المؤمنين بالنصر وقد ظهرت أسبابه بشعور المسلمين بضرورة رجوعهم إلى دينهم والحمد لله^(١).

نقول: أي أن الله سبحانه وتعالى يسخر بعض خلقه من الكفار، لحماية أمور المسلمين أو مساجدهم، أو رجال الأمة المجاهدين، وأن الأعداء يقومون بحماية الجاليات الإسلامية عندهم لمصلحتهم، وليس لمصلحة المسلمين وذلك لدوام سلطانهم ولوجود المنافسة على الرياسة في الدنيا مثل: أمريكا وروسيا.

ثانياً: ضرورة الجهاد للأمة :-

قال تعالى: ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ البقرة: ٢٥١.

يقول: وفي هذه القصة " طالوت وجالوت " عبر كثيرة للأمة منها : فريضة الجهاد في سبيله، وفوائده وثمراته وأنه السبب الوحيد في حفظ الدين والأوطان وحفظ الأبدان والأموال .

وأن المجاهدين مهما لاقوا من الشدائد، فإن عاقبتهم حميدة كما أن القاعدين والمتخلفين مع استراحتهم، فإن عاقبتهم وخيمة ومنها : انتداب الرئاسة لمن فيه الكفاءة وهي علم السياسة والتدبير والقوة التي تساعد للوصول إلى هدفه ومن اجتمعت فيه هذه الشروط فهو أحق من غيره، لأن الرئاسة في الإسلام مقام تكليف وليس مقام تشریف، وجمع أموال .

(١) تيسير الكريم الرحمن ج٣ ص ٣٢٥ .

ومنها تفقد الجيوش عند خروجها، وذلك بمنع من لا يصلح للقتال من رجال وركاب لضعفهم أو ضعف صبرهم، أو تثبيطهم لغيرهم، فهذا ضرر محض على الأمة، ومنها: أنه عند حضور البأس والحرب ينبغي تقوية المجاهدين وحثهم على الثبات والصبر والتوكل على الله .

ومنها : أن العزم على الجهاد غير حقيقته فقد يعزم الإنسان عليه ولكن عند حضوره تفتت عزمته كما فعل بعض بني إسرائيل، وكما قال النبي ﷺ: **(وَأَسْأَلُكَ الثَّباتَ فِي الأَمْرِ، وَالْعزيمةَ عَلَى الرشد)** (١) وقال: **(أَسْأَلُكَ الرضاَ بَعْدَ القِضاءِ)** (٢) لأن الرضا بعد القضاء المكروه للنفس، هو الرضا الحقيقي (٣)

-ففي هذه الآية ذكر السعدي كثيراً من الأمور التي يجب أن تتوفر في رؤساء وحكومات هذا العصر الحديث على ضوء القرآن الكريم، وأن أسباب النصر تكمن في اختبار الرئيس المناسب في المكان المناسب، والبطانة المناسبة التي تكون عوناً للرئيس أو القائد على أداء مهامه الموكلة إليه وفي الجيش الذي يكون أفراداه على صلة بالله عز وجل وأن تكون غايتهم إعلاء كلمة الله، لا لغرض من أغراض الدنيا أو شهواتها ففي الحديث: **(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)** (٤) وما آل إليه المسلمون اليوم من الهزيمة والذل والانكسار، وموالات الكفار، إنما هو لعدم تولي الرئاسة لأصحابها على ضوء الشريعة الإسلامية، وكذلك البطانة السوء في كل دولة، التي تزين للرئيس أو القائد الوقوف بجانب الأحزاب الكافرة ضد الدول والشعوب الإسلامية، وكذلك الجيوش الذين لا هم لهم إلا الشهوات وبعد الصلة بينهم وبين ربهم .

(١) الترمذي ج ٥ ص ٤٧٦ باب منه ح (٣٤٠٧) عن شداد بن أوس، وقال : لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) المستدرک ج ١ ص ٦٩٧ باب : الدعاء والتكبير والتهليل والتسييح والذكر ح (١٩٠٠) عن زيد بن ثابت وهو جزء من حديث، وقال : صحيح ولم يخرجاه .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠٠ بتصرف، انظر ظلال القرآن ج ١ ص ٢٦٧ بنحوه .

(٤) البخاري ج ١ ص ٥٨ باب : من سأل وهو قائم عالماً جالساً ح (١٢٣) عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

ثالثاً : التدخين :-

وقد تناول الشيخ السعدي مسألة التدخين وحرمته وذلك في رده على سؤال سألته على الحمد الصالحي، فنشرها للإفادة منها وخوفاً من إثم كتمان العلم .

نص الرسالة:

" من الولد علي الحمد الصالحي : إلى فضيلة الشيخ المُكْرَم عبد الرحمن الناصر السعدي ، بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أرجوكم الإفادة عن حكم شرب الدخان، والاتجار به على وجه التوضيح هل هو حرام أو مكروه؟ أفتونا مأجورين .

الجواب: وبالله التوفيق نسأله الهداية لنا ولإخواننا المسلمين أما الدخان شربه والاتجار به والإعانة على ذلك فهو حرام لا يحل لمسلم تعاطيه شرباً واستعمالاً واتجاراً وعلى من كان يتعاطاه أن يتوب إلى الله توبة نصوحاً كما يجب عليه ان يتوب من جميع الذنوب، وذلك أنه داخل في عموم النصوص الدالة على التحريم في لفظها العام، وذلك لمضاره الدينية والبدنية والمالية التي يكفي بعضها في الحكم بتحريمه، فكيف إذا اجتمعت؟ ثم فصل تلك المضار بادئاً بالمضار الدينية ودلالة النصوص على منعه وتحريمه.

الأدلة النصية : قوله تعالى : ﴿... وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ...﴾
الأعراف: ١٥٧ ، وقوله تعالى: ﴿... وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النساء: ٢٩ .

ومن مضاره الدينية أنه يتقل على العبد العبادات والقيام بالمأمورات خصوصاً الصيام وكذلك يدعو إلى مخالطة الأراذل، ويزهد في مجالسة الأخيار، وهذا من أعظم النقائص أن يكون العبد مؤلفاً للأشرار متباعداً عن الأخيار ويترتب على ذلك العداوة لأهل الخير والبغض لهم والقدح فيهم ، والزهد في طريقهم ومتى ابتلى به الصغار والشباب سقطوا، ودخلوا في مداخل قيمة وكان ذلك عنواناً على سقوط أخلاقهم، فهو باب الشرور كثيرة، فضلاً على ضرره الذاتي.

ومن مضارة البدنية : يوهن القوة ويضعفها، ويضعف البصر وله سريان ونفوذ في البدن والعروق، فيوهن القوي، ويمنع الانتفاع الكلي بالغذاء ومنها: القلب واضطراب الأعصاب وفقد شهية الطعام ، ومنها السعال والنزلات الشديدة التي ربما أدت إلى الاختناق وضيق التنفس والأمراض الصدرية مثل السل وتوابعه ، وله أثر محسوس في مرض السرطان بالإضافة إلى تسويد الشفتين والأسنان وسرعة بلانها وتحطمها وتآكلها بالسوس وانهيار الفم والبلعوم، ومداخل الطعام والشراب حتى يجعلها كاللحم المنهار المحترق، تتألم مما لا يتألم منه.

وأما مضاره المالية : فقد صح عن النبي ﷺ أنه نهى عن إضاعة المال (١) وأي إضاعة أبلغ من حرقه في هذا الدخان، الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، ولا نفع فيه بوجه من الوجوه ،حتى إن كثيراً من المنهمكين فيه يغرمون فيه الأموال الكثيرة وربما تركوا ما يجب عليهم من النفقات الواجبة ،وهذا انحراف محطم وصرف جسيم مضر في المال، وفي الأمور التي لا نفع فيها منهي عنه ،فكيف بصرفه بشيء محقق ضرره؟ .

ولما كان الدخان بهذه المثابة مضر بالدين والبدن والمال، كانت التجارة فيه محرمة وتجارته بأثرة غير رابحة، وقد شاهد الناس أن كل متجر فيه - وإن استدرج ونما ماله في وقت ما - فإنه يُبتلى بالقلّة في آخر أمره، وتكون عواقبه وخيمة (٢).

(١) صحيح البخاري ج٦ ص٢٦٥٨، باب: ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، ح(٦٨٦٢) عن المغيرة رضي الله عنه.

(٢) رسالة في حكم شرب الدخان - الشيخ عبد الرحمن السعدي ص - بتصرف، تقديم: عبد الرزاق عفيفي.

الفصل السادس

تفسير السعدي في الميزان

المبحث الأول : محاسن تفسير السعدي

المبحث الثاني : استدراقات على تفسير السعدي

الفصل السادس

تفسير السعدي في الميزان

- إن لكل جهد بشري مهما وصل إلى أعلى الدرجات كبوات، نظراً لقصور الإنسان وعقلة المحدود والكمال لله وحده.

- فلذلك نجد أن جميع التفاسير الموجودة قديماً وحديثاً لها محاسن ومساوئ والمحاسن تختلف من تفسير لآخر حسب النسبة الموجودة، لأنه لا يوجد إنسان يجزم بمراد الله تعالى في آياته.

- وكذلك من المساوئ أن يركز بعض المفسرين على جانب معين من العلوم ويهمل البعض الآخر، ولا تجد تفسيراً يجمع كل العلوم لقوله تعالى: ﴿... وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ الإسراء: ٨٥، فبعض المفسرين يركز على اللغويات، وبعضهم يركز على الفقه، ومنهم من يركز على النحو والإعراب، ومنهم على القصص والأخبار، ومنهم على العلوم الكونية حسب تخصصه والعلم الذي ينبع فيه، ونجد التفسير الموسع والمختصر.

- والشيخ السعدي - رحمه الله - من جملة هؤلاء المفسرين أجاد في تفسيره في بعض الجوانب، وترك البعض الآخر شأنه شأن باقي البشر من المفسرين فله من المحاسن التي تحسب له، وعليه من الاستدراكات التي تؤخذ عليه في تفسيره ونسأل الله أن يجزي الجميع منهم خير الجزاء على خدمة كتاب الله عز وجل فهذا الفصل يحتوي على مبحثين اثنين وهما: محاسن تفسير السعدي، والثاني: الاستدراكات على تفسيره. ونبدأ إن شاء الله تعالى بالمحاسن، وهذا من الإنصاف أن نذكر المحاسن قبل غيرها، وبالله التوفيق.

المبحث الأول

محاسن تفسير السعدي

كما أشرنا سابقاً يجب على كل إنسان أن يذكر ما لغيره قبل أن يذكر ما عليه من المآخذ ولا يكون كمن إذا رأى من أخيه حسنة كتمها، وإن رأى منه سيئة نشرها أو أذاعها، فهذا شأن كتمة الحق.

منهج السعدي في تفسيره :-

أولاً: من أولى محاسن تفسير السعدي: أنه استهل تفسيره بذكر مجموعة من الفوائد القيمة لا بن القيم -رحمه الله- من كتابه: "بدائع الفوائد" التي تعين القارئ على فهم كتاب الله عز وجل، وهذه الفوائد من علوم شتى: كالنحو والفقه واللغة والبلاغة(١).
ثانياً: أنه أفرد كتاباً مستقلاً احتوى على سبعين قاعدة مهمة في تفسير القرآن الكريم يجب مراعاتها، وقد أسماه " القواعد الحسان لتفسير القرآن" ويقع في مائة واثنين وأربعين صفحة من القطع المتوسط(٢).

ثالثاً: أنه ختم تفسيره بشرح أسماء الله الحسني بعنوان: "فصل في شرح أسماء الله الحسني بصورة مختصرة وقد تطرق إلى جميع المعاني التي يحملها الاسم لله تعالى، مستدلاً على ذلك بالآيات القرآنية أحياناً، وبالسنة المطهرة أحياناً أخرى، فمن أمثلة القرآن الكريم - (الفتح) الذي يحكم بين عباده بأحكامه الشرعية وأحكامه القدرية وأحكام الجزاء وفتح لعباده أبواب الرحمة والأرزاق المتنوعة، وسبب لهم الأسباب التي ينالون بها خير الدنيا والآخرة ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ . . . ﴾ فاطر: ٢.

- (المبدىء المعيد) قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ . . . ﴾ الروم: ٢٧، ابتداء خلقهم ليلوهم أيهم أحسن عملاً ثم يعيدهم ليجزي الذين أحسنوا بالحسنى، ويجزي المسيئين بإساءتهم(٣).

- ومن أمثلة السنة المطهرة: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ . . . ﴾ الحديد: ٣، قد فسرها النبي ﷺ تفسيراً جامعاً واضحاً، فقال يخاطب ربه: (أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء)(٤).

(١) تيسير الكريم الرحمن ج ١ ص ١٤ - ٢٠ - دار الذخائر.

(٢) الكتاب للمؤلف - دار الاستقامة - الطبعة الأولى ١٩٩٥م/١٤١٥هـ.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ج ٥ ص ٤٦١ - ٤٦٣ دار الصفا، انظر نفس المرجع ص ٤٥٦ - ٤٦٦.

(٤) مسلم ج ٤ ص ٢٠٨٤، باب: ما يقول ثم النوم وأخذ المضجع، ح (٢٧١٣) عن أبي هريرة، انظر تيسير الكريم الرحمن ج ٥ ص ٤٦٥.

رابعاً: العبر والعظات :-

وذلك باستخلاص الأحكام والعبر والعظات المستوحاة من الآيات أو القصص أو الأحكام القرآنية، وأدل شيء على ذلك في تفسير السعدي العبر والعظات والدروس التي استخلصها من قصة يوسف عليه السلام حيث بلغت أربعاً وأربعين فائدة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر .

١. فمن ذلك أن هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها وأبينها لما فيها من أنواع التقلبات من حال إلى حال، ومن محنة إلى منحة ومنة، ومن ذل إلى عز، ومن رق إلى ملك ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وائتلاف، ومن حزن إلى سرور، ومن رخاء إلى جذب، ومن جذب إلى رخاء ومن ضيق إلى سعة، ومن أسفار إلى قرار.... الخ.

٢. ومنها أنه يجوز ذكر الإنسان بما يكره على وجه النصيحة لغيره لقوله: ﴿...فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا...﴾ يوسف: ٥.

٣. ومنها أن العدل مطلوب في كل الأمور ليس من السلطان فقط، وإنما من الوالد مع أولاده في المحبة والإتيان، ولهذا لما قدم يعقوب يوسف في المحبة والإتيان جرى منهم ما جرى على أنفسهم، وعلى أبيهم وأخيهم^(١).

فوائد فقهية : "أحكام فقهية" والدلالة عليها من السورة :-

١. إن الشيء إذا تداولته الأيدي وصار من جملة الأموال، ولم يعلم أنه كان على غير الشرع إنه لا إثم على من باشره ببيع أو شراء أو خدمة أو انتفاع أو استعمال فإن يوسف عليه السلام باعه إخوته بيعاً حراماً ثم اشتراه عزيز مصر، فسماه الله سيداً وكان عندهم بمنزلة الغلام المكرم.

٢. أن القرائن يعمل بها عند الاشتباه، فلو تخاصم رجل وامرأته في شيء من أواني الدار فما يصلح للرجل فهو له، وما يصلح للمرأة فهو لها، هذا إن لم توجد بينة والعمل بالقيافة في الأشباه والأثر من هذا الباب.

فإن شاهد يوسف شهد بالقرينة وحكم بها في قدّ القميص، واستدل بقدّه من دُبره على صدق يوسف وكذبها.

(١) تيسير الكريم الرحمن ج ٥ ص ٤٩٠، ٤٨٨، ٤٩١.

ومما يدل على هذه القاعدة أنه استدل بوجود الصواع في رحل أخيه على الحكم عليه بالسرقة، من غير شهادة، ولا إقرار، فعلى هذا إذا وجد المسروق مع السارق - خصوصاً إذا كان معروفاً بذلك - فإنه يحكم عليه بالسرقة، وهذا أبلغ من الشهادة. وكذلك وجود الرجل يتقيأ الخمر، أو وجود المرأة التي لا زوج لها، ولا سيد حاملاً، فإنه يقام بذلك الحد، ما لم يقع ما نع منه، ولهذا سمى الله هذا الحكم شاهداً، فقال:

﴿ . . . وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا . . . ﴾ يوسف: ٢٦.

٣. أن سوء الظن مع وجود القرائن الدالة عليه غير ممنوع ولا محرم فإن يعقوب عليه السلام قال لأولاده ﴿ . . . بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً . . . ﴾ يوسف: ١٨، وقال لهم في الأخ الآخر: ﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ . . . ﴾ يوسف: ٦٤.

٤. جواز استعمال المكاييد التي يتوصل بها إلى الحقوق، وإن العلم بالطرق الخفية الموصلة إلى مقاصدها، مما يحمد عليه العبد، وإنما الممنوع التحايل على إسقاط واجب، أو فعل محرم.

٥. إنه ينبغي لمن أراد أن يوهم غيره بأمر لا يجب لأحد أن يطلع عليه أن يستعمل المعارض القولية وال فعلية، والممانعة من الكذب.

كما فعل يوسف حيث ألقى الصواع في رحل أخيه موهماً أنه سارق، وليس فيه إلا القرينة الموهمة لإخوته، فقال بعد ذلك: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ . . . ﴾ يوسف: ٧٩، ولم يقل: "من سرق متاعنا"، وكذلك لم يقل ﴿ . . . إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ . . . ﴾ بل أتى بكلام عام، يصلح له ولغيره، وليس في ذلك محذور وإنما فيها إيهام أنه سارق ليحصل المقصود الحاضر وأن يبقى عنده أخوه وقد زال عن الأخ هذا الإيهام^(١).

خامساً: استنباط القواعد الفقهية من خلال الآيات:-

١. وذلك عند تفسيره لقصة موسى عليه السلام مع الخضر قال: ومنها القاعدة الكبيرة الجلية وهي: "ارتكاب أخف الضررين أو المفسدتين" فإن قتل الغلام شر ولكن بقاءه حتى يكبر ويفتن أبويه عن دينهما أعظم شراً منه فبقاء الدين أولى من بقاء الغلام.

(١) تيسير الكريم الرحمن ج ٢ ص ٤٩٣، ٤٩٢، ٤٩٨، ٤٩٤، ٤٩٩.

٢. ومنها: القاعدة الكبيرة: "الضرورات تبيح المحظورات" بلا إن صاحبها، وذلك كما خرق الخضر السفينة لتعيب، فتسلم من غضب الملك الظالم، فعلى هذا لو وقع حرق، أو غرق، أو نحوهما في دار إنسان أو ماله وكان إتلاف بعض المال أو هدم بعض الدار فيه سلامة للباقي، جاز للإنسان بل شرع ذلك حفظاً لمال الغير ولو بغير إذنه^(١).

٣. قاعدة "سد الذرائع" وذلك أن الأمر إذا كان مباحاً، ولكنه يفضي إلى محرم، أو يخاف من وقوعه فإنه يمنع منه فالضرب في الأرض مباح، ولكن لما كان وسيلة للفتنة من جهة المرأة منع منه، كما قال تعالى: ﴿... وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ...﴾ النور: ٢٣. (٢).

٤. القاعدة المشهورة: "من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه".
فسليمان عليه السلام عقر الجياد الصافيات المحبوبة للنفس تقديماً لمحبة الله، فعوضه الله خيراً من ذلك، بأن سخر له الريح الرخاء اللينة، والتي تجري بأمره إلى حيث أراد وقصد، غدوها شهر ورواحها شهر، وسخر له الشياطين، أهل القدرة على الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها الآدميون^(٣).

سادساً: الأصول والكلديات اللازمة لتفسير القرآن :-

وذلك بعد فراغه من التفسير، في بعض الطبقات (٤)، وقبل الشروع فيها في البعض الآخر، وهذه الأصول والكلديات تشتمل على أمور بلاغية

- وقواعد في علوم أصول الفقه مثل: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"
- أن الآيات التي ظاهرها التعارض ليس فيها تناقض ولا تعارض.
- الدعوة إلى توحيد الله تعالى وتقرير المعاد.
- ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .
- الاهتمام بالوجوه والنظائر في القرآن ، مثل: لفظ: "الأمة" التي يراد بها الجماعة، ويراد بها المدة ، ويراد بها الدين والملة ، ويراد بها الإمام في الخير .
- وكذلك فعل "استوى" إذا عدى "بعلى" معناه العلو ، وإذا عدى "بإلى" معناه القصد ، وإذا لم يُعد بشيء فمعناه الكمال. (٥)

(١) تيسير الكريم الرحمن ج ٣ ص ١٧٩ بتصرف.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ج ٣ ص ٣٧٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ج ٤ ص ٢٩٣.

(٤) تقدم بيانه ص ٣٣٥ في الحاشية.

(٥) تيسير الكريم الرحمن ج ٥ ص ٤٤٦ وما بعدها.

سابعاً: محاسن تفسير السعدي :-

- ١- الاهتمام بضرب الأمثال في القرآن الكريم.
- ٢- يذكر العبر والعظات من القصص وغيرها.
- ٣- الاهتمام بالنحو والإعراب.

ثامناً: مميزات تفسير السعدي :-

- ١- سهولة الألفاظ ويسر العبارة.
- ٢- اهتمامه بالتفسير الموضوعي في تفسيره.
- ٣- ندرة التعرض للإسرائيليات.
- ٤- عرض آيات العقيدة بأسلوب ميسر، وحسن رده على أهل الأهواء.
- ٥- عدم تعصبه لمذهبه الحنبلي في معظم الأحيان.

المبحث الثاني

الاستدراكات على تفسير السعدي

والمقصود بها: ما فات الشيخ السعدي من قضايا تتعلق بالتفسير لها أهمية كبرى في بيان المعنى المقصود مثل: الاستشهاد بالشعر العربي القديم، وبيان أوجه الاختلاف في القراءات، واستخراج الشواهد النحوية وأثرها على المعنى في الآية، فمن هذه الأمور السابقة الذكر من لم يتطرق إليها البتة، ومنها ما تناوله ولكن بنسبة قليلة جداً لا تكفي المراد، ونبدأ بالقضايا التي لم يتطرق إليها البتة.

أولاً: خلو التفسير من الاستشهاد بالشعر العربي القديم:-

وهذا أول ما يُستدرك على السعدي في تفسيره ، لأن القرآن نزل بلغة العرب . قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا. . .﴾ يوسف : ٢ وقال متحدياً المشركين: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ. . .﴾ فصلت: ٤٤، وقال ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ. . .﴾ إبراهيم: ٤، فمن خلال تفسير السعدي لم نعثر على بيت من الشعر واحد أبداً.

- وقد ورد عن الصحابة والتابعين كثيراً الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر . قال ابن عباس - رضي الله عنهما - الشعر ديوان العرب فإذا أخفى علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه ، وقال أيضاً : إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب .

- وكان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر ، أي : يستشهد به على التفسير، وقد أورد صاحب الإتيان مسائل نافع بن الأزرق نماذج للفائدة ، وهي عبارة عن بيان معنى الكلمات الغريبة في القرآن عن طريق الشعر العربي . وأريد أن أسوق بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ . قال نافع : أخبرني عن قول الله تعالى : ﴿ . . . عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ المعارج:٣٧، قال العزّون : حلق الرفاق . قال : وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم: أما سمعت الشاعر يقول:

فجاؤا يُهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزيناً

٢ . قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ شَوَاطِئُ ﴾ الرحمن:٣٥، قال: الشواظ: اللهب الذي لا دخان له ، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم، أما سمعت قول الشاعر:

يَظُلُّ يَشْبُ كَبيراً بعد كبيرٍ وينفخ دائباً لهب الشواظ^(١)

٣ . قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَنُحَاسٌ ﴾ قال: هو الدخان الذي لا لهب فيه ، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر:

يُضِيءُ كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاساً

٤ . قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَأَكْدَى ﴾ النجم:٣٤، قال كدره بمنه ، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم ، أما سمعت قول الشاعر:

أعطى قليلاً ثم أكدى بمنه ومن ينشر المعروف في الناس يحمد^(٢)

(١) الإتيان ج١ص٢٥٩ بتصرف، مختصر ابن كثير ج٣ص٤١٩ .

(٢) الإتيان ج١ص٢٦٥ بتصرف .

٥. قال : أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لَكُنُودٌ﴾ العاديات: ٦، قال: كفور للنعم ، وهو

الذي يأكل وحده، ويمنع رفده، ويجيع عبده ، أما سمعت قول الشاعر:

شَكَرْتُ لَهُ يَوْمَ الْعُكَاظِ نَوَالَهُ وَلَمْ أَكُ لِلْمَعْرُوفِ ثَمَّ كُنُوداً^(١)

ثانياً : قلة استعراضه للقراءات القرآنية: -

المتأمل في تفسير السعدي - رحمه الله - يخرج بأنه قليل الاستعراض للقراءات القرآنية التي نزل بها الوحي ، والتي لها أكبر الأثر في الأحكام الشرعية واختلافها حسب القراءة القرآنية ، وكذلك المعنى من جهة الألفاظ . فنجد السعدي لم يتطرق لسرد القراءات إلا في بضعة مواضع في القرآن الكريم مما يسبب عدم علم القارئ ببعض الأحكام أو المعاني التي تحتلها الألفاظ ، وهذا ما يمتاز به القرآن على غيره من الكتب السابقة فجمع بين كونه معجزة خالدة ومنهجاً في آن واحد ، بعكس الكتب السابقة حيث كانت المعجزة شيئاً والمنهج شيئاً آخر. وسنذكر بعض الأمثلة على أهمية عرض القراءات وأثرها على الأحكام:

أ- اختلاف الإعراب باختلاف القراءات: -

وذلك كثير في القرآن الكريم فاختلفت الحركات الإعرابية يترتب عليه اختلاف موقع اللفظ من الجملة فعلى سبيل المثال لا الحصر يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿... وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ...﴾ النساء: ١، فهناك قراءتان بالنصب (والأرحام) وأخرى بالجر (والأرحام) ، فعلى القراءة الأولى بالنصب عطفاً على لفظ الجلالة أو على محل به. أما على القراءة الثانية بالجر عطفاً على الضمير في به ، أو بالقسم تعظيماً لشأن الأرحام وحثاً على صلتها^(٢).

ب- "كان" التامة والناقصة: -

فعلى اختلاف القراءات تكون "كان" تامة ، وأحياناً ناقصة وكلها قراءات متواترة عن النبي ﷺ وهذا يدل على أن القرآن هو الأصل ، والقواعد النحوية تابعة له . لا أن

(١) الإتيان ج ١ ص ٢٦٧ بتصرف، انظر فتح القدير ج ٥ ص ٤٨٣، ولفظ آخر:

كنود لعماء الرجال ومن يكن كنوداً لعماء الرجال يُعَدُّ

(٢) إتخاف فضلاء البشر ص ٢٣٦، انظر فتح القدير ج ١ ص ٤١٨.

القرآن تابع لها . فعلى سبيل المثال يقول تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً ﴾ النساء: ١١ ، فالجمهور بالنصب، وعلى هذا تكون "كان" ناقصة ، واسم كان محذوف تقديره: الوارثة أو المرأة واحدة ، والباقون على الرفع على أن "كان" تامة ، أي وإن وُجِدَتْ واحدة.(١)

- وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ﴾ النساء : ٤٠ ، فقرأ (حسنة) بالنصب على أن "كان ناقصة" والتقدير: وإن تك مقال الذرة حسنة ، وقرأ بالرفع على أنها تامة.(٢)

- فمن خلال هذه الأمثلة يتبين لنا مدى بلاغة القرآن الكريم ، وفيه ارتواء لكل ظمان ، ويجمع جميع الآراء في الآية الواحدة، ويجد فيه كل عالم ومجتهد ما يؤيد رأيه ، بخلاف الكتب الأخرى.

ج- اختلاف المعنى باختلاف القراءات:-

المقصود هنا : اختلاف بعض الحروف، وليس اختلاف تضاد ، مثل الحروف المنقطة الفوقية والتحتية ، فلذلك كان رسم القرآن بدون نقط على الحروف حتى يحتمل كل اللهجات العربية المختلفة ، ويكون مفهوماً وواضحاً للجميع ، وهذا من إعجاز القرآن العظيم ، فعلى سبيل المثال لا الحصر .

(١) قال تعالى: ﴿ . . . إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا . . . ﴾ الحجرات: ٦، وفي قراءة أخرى (فتثبتوا) والمعنيان متقاربان يقال: تثبت في الشيء تبينه(٣).

(في قوله تعالى) ﴿ . . . بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ . . . ﴾ البقرة: ١٠ . فقرأ بفتح الياء ، وسكون الكاف إخباراً عن كذبهم، وقرأ بضم الياء ففتح الكاف وتشديد الـذال من التكذيب لتكذيبهم الرسل(٤).

(١) إتحاف فضلاء البشر ص ٢٣٧ ، انظر فتح القدير ج ١ ص ٤٣٢ .

(٢) إتحاف فضلاء البشر ص ٢٤١ ، انظر فتح القدير ج ١ ص ٤٦٧ .

(٣) إتحاف فضلاء البشر ص ٢٤٤ ، انظر نفس المصدر ص ٥١٢ ، انظر فتح القدير ج ٥ ص ٦٠ .

(٤) إتحاف فضلاء البشر ص ١٧٠ ، فتح القدير ج ١ ص ٤٢ .

يقول الباحث : فالقراءة الأولى يكون الكذب صفة لهم في أنفسهم والقراءة الثانية إخبار عن تكذيبهم لغيرهم ، وكل ذلك محتمل بل واقع. وهذا ما يطلق عليه العلماء توجيه القراءات ، وقد ألفت كتب في ذلك. أو في أثر القراءات على التفسير .

ثالثاً : ندرة اهتمامه ببيان معاني المفردات :-

المتأمل في تفسير السعدي لا يكاد يجده يتحدث عن معاني المفردات القرآنية، إلا في موضع واحد أو أكثر عند الحديث عن معنى كلمة "يشري" في قوله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ . . .﴾ البقرة: ٢٠٧ ،

- جاء في الإتيان : وهذا الفن مهم جداً لمفسر للقرآن وهو ما يسمى بإعراب القرآن، وليس المقصود بالإعراب المصطلح عليه عند النحاة، وإنما المقصود معرفة ألفاظه ، كما جاء في حديث ابن عمر مرفوعاً : (من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة ، ومن قرأه بغير إعراب له بكل حرف عشر حسنة) (١) ، وهذا يقتضي طلب هذا الفن من أصوله : "كمفردات غريب القرآن" ، وحتى لا يقول أحد عن القرآن بغير علم ، فقد جاء عن كثير من الصحابة الكرام تخرجهم عن القول بالتفسير في المفردات التي لم يعرفوها مع جلاله قدرهم ، وعلو منزلتهم مثل أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

- فعن ابن عباس قال: كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، يقول : أنا ابتدأتها. وعنه أيضاً قال: كل القرآن أعلمه إلا أربعاً: غسيلين ، وحناناً ، وأوَّاه ، والرَّقِيم ، وقال أيضاً : ما كنت أدري ما قوله ﴿ . . . رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ . . . ﴾ الأعراف: ٨٩ ، حتى سمعت قول بنت ذي يزن : تعال أفاتحك ، تريد : أخاصمك.

ويقول السيوطي : وأولى ما يرجع إليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه ، فقد ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة ، وها أنا أسوق هنا ما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة

(١) مجمع الزوائد ج٧ ص١٦٣: باب: منه في فضل القرآن ومن قرأه، عن ابن مسعود، ورواه الطبراني في الأوسط، وفيه همشلة، وهو متروك.

خاصة ، فإنها من أصح الطرق عنه ، وعليها اعتمد البخاري في صحيحه مرتباً على السور. (١)

أهم الاستدراكات على السعدي في تفسيره :-

- ١ - عدم نسبة الأقوال إلى أصحابها، سواء من الصحابة أو التابعين أو غيرهم من المفسرين، إلا ما نقله عن إماميه ابن تيمية وابن القيم.
- ٢ - ذكر بعض الروايات الإسرائيلية رغم أنه ألزم نفسه بعدم الأخذ بها.
- ٣ - نقض بعض الروايات في التفسير، والتي لا تضر في العقيدة، بنما لا يتعرض لأخطرها بالنقد، مثل: الأقاويل في قصة هاروت وماروت.
- ٤ - لا يهتم بسبب النزول كثيراً، وإن كان له أعظم الأهمية في فهم المعنى.
- ٥ - لا يهتم بذكر القصة مفصلة، بل يذكرها مختصرة.
- ٦ - لا يمهد بمقدمة للموضوع، بل يدخل فيه مباشرة.

نقول : وبعد هذا العرض السريع لأهمية هذه العلوم لمفسر القرآن الكريم ، نجد أن السعدي رحمه الله قد غفل عن الكثير منها ، وإن كان الاختصار منهجه ، لكن كان عليه أن يتعرض لبعضها حتى يكون للتفسير رونقه وجماله ، فهذه العلوم بمثابة الزينة للقرآن الكريم ، ونسأل الله أن يجزيه خير الجزاء على خدمة كتابه العزيز ، وأن يغفر له ما قصر به من الهفوات في بيان هذه العلوم، وليس الهفوات في العقيدة، فهو سلفي كما أشرنا سابقاً ، والكمال لله وحده.

- ونحن كذلك نسأله تعالى أن يوفقنا في هذا البحث المتواضع ، وأن نكون قد نقلنا الصورة الحسنة لهذا التفسير ، ووضحنا ما أشكل فيه من بعض الآراء التي قمنا بالرد عليها ، فإن وفقنا فمن الله ، وإن كان غير ذلك فمن أنفسنا ومن الشيطان ، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل ، وأن ينفع به طلبة العلم الشرعي وغيره لمن أراد التعمق في كتاب الله عز وجل.

وختاماً : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل القرآن الكريم حجة لنا ، لا حجة علينا يوم القيامة ، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلي اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) الإتيان ج ١ ص ٢٤٤-٢٤٥ بتصرف.

الخاتمة

بسم الله أول البحث وآخره ، ونسأله تعالى التوفيق والسداد فيما قدمنا
والعفو والغفران فيما أخرجنا وبعد :-

فهذا عرض مفصل لمنهج الشيخ السعدي في التفسير قدر استطاعتي فإن أصبتُ
فمن الله، وإن أخطأتُ فمن نفسي والشيطان، والكمال لله تعالى وحده .

أولاً: - وقد تناولته من الجانبين: النقلى والعقلى الاجتهادى.

- فأما الجانب النقلى فمن حيث التفسير بالمأثور وأحواله، وتفسيره لآيات
العقيدة.

- أما الجانب العقلى الاجتهادى فمن حيث التفسير بالرأى، والجانب الفقهى
والاجتماعى.

- وقد حاولت جاهداً أن أبين شخصية الشيخ السعدي في تفسيره من نفس
تفسيره بالإضافة إلى بعض كتبه الأخرى، مناقشاً له وراداً عليه بالأدلة، وقللاً
ذلك في تفسيره. وهو - رحمه الله - وإن كان حنبلي المذهب إلا أنه غير
متعصب لمذهبه أو رأيه في أغلب الأحيان وهذه شيمة أهل العلم والصلاح.

- وبعد الاطلاع على تفسير الشيخ السعدي - رحمه الله - وجدت أنه قد سار
على طريقة شراح الحديث كابن حجر العسقلاني في فتح الباري، وغيره من

العلماء وهي الأخذ في بيان فقه الحديث وما يستفاد منه من الأحكام المختلفة في الدين والدنيا.

- وشيخنا السعدي سار على مذهبهم في شرحه لآيات القرآن الكريم، فبعد أن يشرح الآيات شرحاً إجمالياً أو تفصيلاً يتناول الفوائد من هذه الآيات، وهو ما يُسمى بفقه القرآن وهذا يوجد بكثرة في تفسيره وخاصة في تناوله للقصص القرآني وغيره.

ثانياً: - كما أوجه ندائي لطلبة العلم في قسم الدراسات العليا، وخاصة قسم الحديث الشريف بالعناية في هذا التفسير من حيث:-

١. تخريج الأحاديث الواردة في تفسير السعدي.
٢. الاهتمام بجانب " فقه القرآن " وبيانه في تفسيره حيث إنه كثير جداً وكما أسلفنا في خطة البحث، فقد تناوله عدد من طلبة العلم في رسائل الماجستير بعنوان : الجانب العقدي في تفسير السعدي، وكذلك الجانب الدعوي فيه، وأسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل المتواضع في ميزان حسناتي يوم القيامة، وكذلك في ميزان كل من شارك في إخراج هذا البحث إلى النور إنه سميع مجيب " وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين".

الفهارس

- أولاً : فهرس الآيات القرآنية .
- ثانياً : فهرس الأحاديث والآثار .
- ثالثاً : فهرس التراجم .
- رابعاً : فهرس المراجع .
- خامساً : فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	الصفحة
سورة الفاتحة		
٢	رب العالمين	١٣٧، ١٣٨، ٢٤٢
٤	مالك يوم الدين	٢٤٢
٥	إياك نعبد	١٣٣، ٢٠٦، ٢١٥، ٢٤٢
٦	وإياك نستعين	١٣٢، ٢٤٢
٧	صراط الذين أنعمت عليهم	٢٠٠، ٢٤٢
سورة البقرة		
٢	هدى للمتقين	٨٨، ٢١٧
٣	ومما رزقناهم ينفقون	٢١٨، ٢٤٨
٥	أولئك على هدى من ربهم	٢١٨
٦	إن الذين كفروا	٢٠٥
٨	ومن الناس من يقول آمنا بالله	٦٩
٩	يخادعون الله والذين آمنوا	٦٩
١٠	في قلوبهم مرض	٦٩، ٣٢٣
١٥	الله يستهزئ بهم	٦٧
١٧	مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً	٢٢٦
٢٠	إن الله على كل شيء قدير	١٧١
٢١	يا أيها الناس اعبدوا ربكم	١٣٨، ١٣٥
٢٢	الذي جعل لكم الأرض قراراً	١٣٥، ١٣٠، ١٣٨
٢٣	فأتوا بسورة من مثله	١٢٠، ١٢٢
٢٤	أعدت للكافرين	٥٨، ١٦٧
٢٨	كيف تكفرون بالله	٢١٩
٢٩	هو الذي خلق لكم	٢١٦
٣٣	ألم أقل لكم إني أعلم	١٤٣
٣٧	فتلقى آدم من ربه	٢٠٠
٤٣	وأقيموا الصلاة	٢٤٣

رقم الآية	الآية	الصفحة
٤٤	أتأمرون الناس بالبر	٧٩ ، ٨٢
سورة البقرة		
٤٨	واتقوا يوماً لا تجزي نفس	٦٦
٦٨	لا فارض ولا بكر عوان	٢٢٦
٧٤	ثم قست قلوبكم	٧٠
٧٥	أفتطمعون أن يؤمنوا لكم	٣٠ ، ٦١
٨١	فأولئك أصحاب النار	١٦٨
٨٣	وقولوا للناس حسناً	٢٦٧
٨٤	وإذ أخذنا ميثاقكم	٧٩
٨٥	ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم	٧٩
٩٧	فإنه نزله على قلبك	١٧١
١٠٢	وما هم بضارين به من أحد	١٧١
١٠٦	ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير	٩٥
١٠٩	فاعفوا واصفحوا	٩٤
١١٠	وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة	٢٠٠
١١٥	ولله المشرق والمغرب	١٤٣
١٢٦	وارزق أهله من الثمرات	١٣٧
١٣٢	أم كنتم شهداء	٧٥
١٣٣	قالوا نعبد إلهك	٣٠٢
١٣٤	وما كان الله ليضيع إيمانكم	٥٨
١٣٨	ونحن له عابدون	٢١٥
١٤٢	وإن كانت لكبيرة	٩١ ، ١٩١
١٥٠	ومن حيث خرجت فول وجهك	٢٢٠
١٥٣	واستعينوا بالصبر والصلاة	٢٠٩ ، ٢٤٤
١٥٨	إن الصفا والمروة	٢٦٤ ، ١٩٣ ، ٢٧
١٦٣	واللهم إله واحد	١٣٣ ، ٢٠٠ ، ٢٠٨
١٦٤	إن في خلق السموات والأرض	١٤١ ، ٢٠٠ ، ٢٠٨
١٧١	صم بكم عمي	١٣٣

رقم الآية	الآية	الصفحة
١٧٣	إنما حرم عليكم الميتة	١٩٠
	سورة البقرة	
١٧٨	فمن عفي له من أخيه	١٨١
١٧٩	ولكم في القصاص حياة	١٢٣
١٨٠	كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت	٩٦، ١٩٥، ٢٠٢
١٨٤	وعلى الذين يطيقونه فدية	٩٧، ٢٥٦
١٨٥	يريد الله بكم اليسر	٢٥٦
١٨٦	وإذا سألك عبادي عني	٧٩
١٨٧	أحل لكم ليلة الصيام	١٩٩، ٢٥٥
١٨٩	وأتوا البيوت من أبوابها	٣٠٤
١٩٦	فمن كان منكم مريضاً	١٩٥، ٢٣٧، ٢٥٨
١٩٧	الحج أشهر معلومات	١٩٣، ٢١٨، ٢٦١
١٩٨	ليس عليكم جناح	٢١٨، ٢٦٣
٢٠٧	ومن الناس من يشري نفسه	٣٥، ٧٧، ٨٠، ٣٢٤
٢١٠	هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله	١٤٩، ١٧٤
٢١٤	أم حسبتم أن تدخلوا الجنة	٦٦
٢١٨	يسألونك عن الشهر الحرام	١٩٠، ١٩١
٢١٩	يسألونك عن الخمر والميسر	٧٤
٢٢١	ولا تتكفروا بالمشركات	١٩٦
٢٢٦	للذين يؤلون من نسائهم	٢٨٨، ٢٨٩
٢٢٧	وإن عزموا الطلاق	٢٨٨
٢٢٨	والمطلقات يتربصن بأنفسهن	١٩٥، ٢٩٢
٢٢٩	الطلاق مرتان	١٩٩، ٢٩٤
٢٣٠	فإن طلقها فلا تحل له	١٩٩
٢٣١	وإذا طلقتم النساء	٢٩٥
٢٣٢	وإذا طلقتم النساء	٢٩٥
٢٣٣	والوالدات يرضعن أولادهن	٣٠٦

رقم الآية	الآية	الصفحة
٢٣٤	أزواجاً يتربصن بأنفسهن	٩٨
٢٣٦	لا جناح عليكم إن طلقتم	٢٩٠
سورة البقرة		
٢٣٧	وإن طلقتموهن من قبل	٢٩٠
٢٤٠	ويذرون أزواجاً وصية	٩٨
٢٤٣	ألم تر إلى الذين خرجوا	١١٢
٢٤٥	من ذا الذي يقرض الله	٨١
٢٤٦	ألم تر إلى المأ من بني إسرائيل	٣٧
٢٤٧	وقال لهم نبيهم	٣٧
٢٤٨	وقال لهم نبيهم	٣٧
٢٥١	ولولا دفع الله الناس	٣٧، ٣١٠
٢٥٢	تلك آيات الله نتلوها	١١٦
٢٥٤	يا أيها الذين آمنوا أنفقوا	٢١٧
٢٥٥	الله لا إله إلا هو الحي القيوم	١٤٤
٢٥٨	ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه	١٤١
٢٦١	كمثل حبة أنبتت سبع سنابل	٢٣٣
٢٦٤	يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا	٢٢٩
٢٦٥	ومثل الذي ينفقون أموالهم ابتغاء	٢٢٩
٢٦٦	أيود أحدكم أن تكون له جنة	٢٢٩
٢٧٥	الذين يأكلون الربا	٢٦٧، ١٥٧، ٢٧٧
٢٧٧	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات	٢١٠، ٢٤٩
٢٧٩	وإن تبتم فلکم رؤوس أموالکم	٢٧٥
٢٨٠	وإن كان ذو عسرة فنظرة	٢٧٣
٢٨٢	وأشهدوا إذا تبايعتم	١٨٩، ٢٦٨، ٢٧٣
٢٨٣	وإن كنتم على سفر	٢٧٠، ٢٧١
٢٨٥	كل آمن بالله	١٥١
سورة آل عمران		
٣، ٢	الله لا إله إلا هو نزل عليك الكتاب بالحق	٨٨

رقم الآية	الآية	الصفحة
١٨	شهد الله أنه لا إله إلا هو	١٣٢
٤٢	وإذ قالت الملائكة يا مريم	١١٢
سورة آل عمران		
٤٣	يا مريم اقنتي	١١٦
٨١	لتؤمننَّ به ولتنصرُنَّه	٢٠٧
٩١	إن الذين كفروا وماتوا	٦٦
٩٣	كل الطعام كان حلاً	١١٦
٩٧	والله على الناس حج البيت	١٩٤، ٢٠٠، ٢٥٩
١٠١	وكيف تكفرون	٢١٩
١٢٠	وإن تصيروا وتفقوا	٢١٠
١٣٠	لا تأكلوا الربا أضعافاً	٢١٠، ٢٧٥، ٢٧٧
١٤٠	وتلك الأيام نداولها بين الناس	١٣
١٤٢	أم حسبتم أن تدخلوا الجنة	٦٦
١٥٤	وليبتلّي الله ما في صدوركم	٦٧
١٦١	ومن يغلل يأتي بما غل	٢٠٨
١٧٠	ولا تحسبن الذين قتلوا	١٥٠، ١٦٣
١٧٣	الذين قال لهم الناس	١٩٤
١٧٩	ما كان الله لينذر المؤمنين	٦٧
١٨١	لقد سمع الله قول الذين قالوا	٨١
١٨٥	فمن زحزح عن النار	١٦٢
١٨٧	وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب	١١٦
١٩١	ويتفكرون في خلق السموات والأرض	٢٣٤
١٩٨	وما عند الله خير للأبرار	١١٣
سورة النساء		
١	يا أيها الناس اتقوا ربكم	٢٠١، ٢١١، ٢٨٠، ٣٢٢
٣	وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى	٢٢٨، ٢٨١
٤	وآتوا النساء صدقاتهن نحلة	٢٨٢

رقم الآية	الآية	الصفحة
٦	فإذا دفعتم إليهم أموالهم	٢٠١ ، ١٨٩
٧	للرجال نصيب مما ترك الوالدان	٩٦ ، ٣٢
١٠	إن الذين يأكلون أموال اليتامى	٢٧٨
١١	سورة النساء يوصيكم الله في أولادكم	٢٩٦ ، ١٩٦ ، ٩٧ ٣٢٣
١٢	وإن كان رجل يورث كلالة	٢٥٢ ، ٧٤ ، ٨٧ ٣٠١ ، ٢٩٧
١٤	ومن يعص الله ورسوله	١٨٢ ، ١٦٩
١٥	واللاتي يأتين الفاحشة	٧١
١٦	واللذان يأتيانها منكم	٧١
١٩	ولا تعضلوهن لتذهبن	٢٨٩
٢١	وأخذن منكم ميثاقاً	٢٨٨
٢٢	وإن أردتم استبدال زوج	٢٩٥
٢٣	حرمت عليكم أمهاتكم	٢٨٣ ، ١٩٤
٢٤	وأحل لكم ما وراء ذلكم	٢٨٦ ، ٢٨٢
٢٩	ولا تقتلوا أنفسكم	٣١٢
٣١	إن تجتنبوا كبائر	١٩٢
٣٤	الرجال قوامون على النساء	٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢١٧
٣٥	وإن خفتم شقاق بينهما	٢٨٦
٤٠	وإن تك حسنة يضاعفها	٣٢٣
٤٣	وإن كنتم مرضى أو على سفر	٢٣٦
٥١	يؤمنون بالحبب والطاغوت	٢٠٧
٥٨	أدوا الأمانات إلى أهلها	٢٠٧ ، ١٦٧
٦٩	فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم	٢٠٠
٨٩	الله لا إله إلا هو	١٦٤
٩٢	فمن لم يجد فصيام شهرين	٢٥٧
٩٣	ومن يقتل مؤمناً متعمداً	١٨٢ ، ٣٨

رقم الآية	الآية	الصفحة
٩٥	لا يستوي القاعدون	٢٠٢
٩٦	درجات منه ومغفرة	٢٠٢
٩٧	إن الذين توفاهم الملائكة	١٥٣
١١٢	ومن يكسب خطيئة أو إثماً	٨١
١١٣	وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة	٨١، ٧٧
سورة النساء		
١١٥	ويتبع غير سبيل المؤمنين	٢٢٤
١٢٤	وإن امرأة خافت من بعلها	٢٨٥
١٢٧	وترغبون أن تتكوهن	١٩٩
١٣٠	وإن ينفرقا يغن الله	٢٨٦
١٣٦	ومن يكفر بالله وملائكته	١٥٣، ١٥١
١٤٧	ما يفعل الله بعذابكم	١٦٦
١٦١	وأخذهم الربا	٢٧٥
١٧٢	لن يستنكف المسيح	٢٠٥، ١٥٣، ١٥٢
١٧٦	والله بكل شيء عليم	١٩٤
سورة المائدة		
١	يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود	٢٠٧
٢	ولا أمين البيت الحرام	١٩٧
٣	حرمت عليكم الميتة والدم	٢٠٠، ٧٠
٥	إذا أتيتموهن أجورهن	٢٨٧، ١٩٦
٦	وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم	١٩٣، ٨٦
١٤	فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء	٣١٠
١٥	يهدي به الله من اتبع رضوانه	١٩١
٣٦	إن الذين كفروا لو أن لهم	٦٦
٣٨	والسارق والسارقة	٨٧
٤٨	فاستبقوا الخيرات	٢٤٥
٥٠	ومن أحسن من الله حكماً	٢٩٠
٦٠	أولئك شر مكاناً	٢٢٤
١٠٦	إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية	١٨٩

رقم الآية	الآية	الصفحة
	سورة الأنعام	
١٤	قل أغير الله أتخذ ولياً	١٢٩
٣٨	ما فرطنا في الكتاب من شيء	١٧٠
٦١	حتى إذا جاء أحدكم الموت	١٥٣
٦٤	قل أغير الله أبغي رباً	١٣٠
	سورة الأنعام	
٨٤	ومن ذريته	٢٢٢
٩٣	ولو ترى إذا الظالمون	١٦٣، ١٦١، ٣٤
١٠١	بديع السموات والأرض	١٤٨
١٠٢	وهو علي كل شيء وكيل	١٤٨
١٠٣	لا تدركه الأبصار	١٧٥
١٠٥	وليقولوا درست	٢٢٣
١٠٧	ولو شاء الله ما أشركوا	١٧١
١١٢	وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً	١٣٠
١١٤	أفغير الله أبغي حكماً	١٣٠
١٤١	وأتوا حقه يوم حصاده	٢٥١
١٤٥	قل لا أحد فيما أوحى إلي	١٩٠، ٧٠
١٤٨	سيقول الذين أشركوا	١٧٢
١٥٨	يوم يأتي بعض آيات ربك	٥٩
	سورة الأعراف	
٢، ١	المص، كتاب	٨٨
٢٤	قال اهبطوا	٢٢٣
٢٧	إنه يراكم هو وقبيله	١٥٥
٢٩	كما بدأكم تعودون	١٦٥
٣١	وكلوا واشربوا ولا تسرفوا	٢٣٧
٥٤	ثم استوى على العرش	١٤٨، ١٢٩، ١٢٣
٥٧	كذلك نخرج الموتى	١٦٦
٥٩	لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه	١٢٧

رقم الآية	الآية	الصفحة
٦٥	قال يا قوم اعبدوا الله	١٢٧
٧٠	أجبتنا لنعبد الله وحده	١٣٠
٧٥	للذين استضعفوا لمن آمن	٢٠٠
٨٥	اعبدوا الله	١٢٧
٨٩	ربنا افتح بيننا	٣٢٤
سورة الأعراف		
٩٢	الذين كذبوا شعيباً	٢٢١
١٢٧	ويذكرك وآلهتك	١٢٩
١٤٣	قال رب أرني أنظر إليك	١٧٧
١٤٨	ألم يروا أنه لا يكلمهم	١٤٧
١٥٧	ويحل لهم الطيبات	٣١٢
١٧٥	فمثله كمثل الكلب	٢٣٣ ، ٢٣١
١٨٠	ولله الأسماء الحسنى	١٧٧ ، ١٤٣
سورة الأنفال		
٥	كما أخرجك ربك	٢٠٥
٤٥	إذا لقيتم فئة فاثبتوا	٢٤٥
٥٠	فكيف إذا توفتهم الملائكة	١٦١
٦٥	إن يكن منكم عشرون صابرون	١٠٠
٦٦	الآن خفف الله عنكم	١٠٠
٧٥	وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض	٢٩٧
سورة التوبة		
٥	فاقتلوا المشركين	٢٤٩ ، ١٩٧
٦	وإن أحد من المشركين استجارك	١٩٤ ، ١٧٨ ، ٥٩
٢٨	إنما المشركون نجس	١٩٧
٣١	وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً	١٣٢
٣٤	والذين يكنزون الذهب	٢٥٣
٣٥	يوم يحمى عليها	٢٥٣
٣٦	فلا تظلموا فيهن أنفسكم	٢٢٢

رقم الآية	الآية	الصفحة
٦٠	إنما الصدقات للفقراء والمساكين	٢٥٠
٧٩	سخر الله منهم	٦٧
٨٠	استغفر لهم أو لا تستغفر لهم	٦٧
	قد نبأنا الله	١٤٨
١٠٠	والسابقون الأولون	١٨٣
	سورة التوبة	
١٠١	سنعذبهم مرتين	٣٤
١٠٣	خذ من أموالهم صدقة	٢٥١، ٢٤١، ٢٤٧
١١١	إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم	٨٣، ٣٦
١٢٢	وما كان المؤمنون لينفروا كافة	٢٤١، ٢٢٢
١٢٣	قاتلوا الذين يلونكم من الكفار	١٩٨
	سورة يونس	
٢٤	إنما مثل الحياة الدنيا	٢٣٠، ٢٢٦
٣٨	قل فأتوا بسورة مثله	١١٨
٣٧	وما كان هذا القرآن أن يفترى	١١١
٥٣	ويستتبئونك أحق هو؟	١٦٦
٩٩	ولو شاء ربك لآمن	٢٢١
١٠١	قل انظروا ماذا في السموات	٢٣٤
	سورة هود	
٤	إلى الله مرجعكم	١٦٦
٦	وما من دابة في الأرض	١٣٨
٧	ليبلوكم أيكم أحسن عملاً	٦٠، ٥٩
١٣	فليأتوا بعشر سور مثله	١٢٢، ١١٨
٤٠	وما آمن معه إلا قليل	٢٢٣
٦١	هو أنشأكم من الأرض	٢٨٠
٧٧	ولما جاءت رسلنا لوطاً	١٥١
٨١	إن موعدهم الصبح	١١٣

رقم الآية	الآية	الصفحة
١٠٥	فأما الذين شقوا	١٦٩
١٠٦	وأما الذين سعدوا	١٦٩
١١٥	إن الحسنات يذهبن السيئات	١٩٢
١٢٠	وكللاً نقص عليك	٢١٣، ١١٦
	سورة يوسف	
	إنا أنزلناه قرآناً عربياً	٢١٢، ٣٢٠، ٢١٤
٣	نحن نقص عليك أحسن القصص	١١٤، ٢١٢، ٢١٤
٥	فيكيدوا لك كيلاً	٣١٨
٨	لقد كان في يوسف وإخوته	١١٤
١٨	قال بل سولت لكم أنفسكم	٣١٨
٢٦	وشهد شاهد من أهلها	٣١٨
٣٣	واتبعت ملة آبائي	٣٠٢
٤١	قضي الأمر الذي فيه تستفتيان	٢٢٧
٥١	الآن ححص الحق	٢٢٧
٦٤	هل آمنكم عليه	٣١٨
٧٩	قال معاذ الله	٣١٨
٩٣	وأتوني بأهلكم أجمعين	٢٢١
١٠٦	وما يؤمن أكثرهم بالله	١٣١
١١١	لقد كان في قصصهم عبرة	١١١، ١١٦
	سورة الرعد	
١١	إن الله لا يغير ما بقوم	١٥٣، ١٧، ٩
١٧	أنزل من السماء ماء	٢١٣، ٢٣١، ٢٣٢
١٨	والذين لم يستجيبوا له	٦٦
٢٨	ألا بذكر الله تطمئن القلوب	١٢٩
	سورة إبراهيم	
١	الر، كتاب أنزلناه	٨٨

رقم الآية	الآية	الصفحة
٤	وما أرسلنا من رسول	٣٢٠
١٨	والذين كفروا بربهم أعمالهم	٢٢٩
٢٢	وما كان لي عليكم من سلطان	١٦٠
٢٤	ألم تر كيف ضرب الله مثلاً	٢٣٢ ، ٢٢٨
٢٧	يثبت الله الذين آمنوا	١٦٣
سورة إبراهيم		
٢٨	ألم تر إلى الذين بدلوا	٢٦٠
٣٧	فاجعل أفئدة من الناس	١٢
سورة الحجر		
٩	إنا نحن نزلنا الذكر	١٨٤ ، ١١٧
٢٧	والجان خلقناه من قبل	١٥٦ ، ١٥٥
٣٠	فسجد الملائكة	٢٢٠
٩٩	واعبد ربك حتى يأتيك اليقين	١٣٢
سورة النحل		
١٧	أفمن يخلق كمن لا يخلق	١٣٥
٣٦	ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً	١٢٧
٤٣	فاسألوا أهل الذكر	٢٤١
٤٤	وأنزلنا إليك الذكر	١٨٦
٥١	وقال الله لا تتخذوا إلهين	١٣٣
٦٤	وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين	٦٥
٧٥	ضرب الله مثلاً عبداً	١٣٦
٨٠	ومن أصوافها	١٩٦
٩٩	إنه ليس له سلطان	١٦٠
١٠٠	إنما سلطانه على الذين يقولونه	١٦٠
١٠١	وإذا بدلنا آية	٩٢
١٠٣	ولقد نعلم أنهم يقولون	١١٨
١١٢	ضرب الله مثلاً قرية	١٣
١٢٤	ادع إلى سبيل ربك	٢٨٥

رقم الآية	الآية	الصفحة
	سورة الإسراء	
٩	إن هذا القرآن يهدي	٢٩٥
١٦	وإذا أردنا أن نهلك قرية	١١٣
٢٣	وقضى ربك	١٩٤ ، ٢٠٨ ، ١٣٣
٢٩	ولا تجعل يدك مغلولة	٢٣٦ ، ٢٢٦
	سورة الإسراء	
٣٦	ولا تقف ما ليس لك به علم	٢٣٥
٦٤	وشاركهم في الأموال والأولاد	٢٩
٧٨	أقم الصلاة لدلوك الشمس	٢٤٦
٨٥	وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً	٢٤٦ ، ٣١٥
٨٨	قل لئن اجتمعت الإنس والجن	١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٥٦
١١٠	قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن	٢٢٦ ، ١٤٦
	سورة الكهف	
٤٩	ولا يظلم ربك أحداً	١٩٤
٥٠	أفتتخذونه وذريته أولياء	١٥٦
٦٤	فارتدا على آثارهما قصصاً	١٠٩
٨٤	وآتيناه من كل شيء سبباً	١٠٤
٨٥	فأتبع سبباً	١٠٤
١٠٧	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات	١٦٨
١٠٨	خالدين فيها لا يبيغون عنها حولاً	١٦٨
	سورة مريم	
٢٦	فإما ترين ، فقولي إني نذرت	٢٥٤
٤٢	لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر	١٧٨ ، ١٤٤
٤٤	إن الشيطان كان للرحمن عصياً	٢١٩
٥٩	فخلف من بعدهم خلف	٢٤٧
٧٦	ويزيد الله الذين اهتدوا هدى	٧٤
٩٧	وتنذر به قوماً لداً	١٢٠

رقم الآية	الآية	الصفحة
	سورة طه	
٥	الرحمن على العرش استوى	٢١٧
١٢	فاخلع نعليك	٢٩
١٥	إن الساعة آتية	٨٦ ، ١٦٦
٥٠	ربنا الذي أعطى كل شيء	١٣٠
٩٩	وكذلك نقص عليك	١١٦
	سورة طه	
١٢٣	فمن اتبع هداي	١١٧
١٢٤	ومن أعرض عن ذكرى	١٦٤ ، ٧٦ ، ٣٤
	سورة الأنبياء	
١	اقترب للناس حسابهم	١٦٤
١٩	ومن عنده لا يستكبرون	١٥٢
٢٠	يسبحون الليل والنهار	١٥٢
٢٥	وما أرسلنا من قبلك من رسول	١٢٧ ، ١١٦
٥٦	قال بل ربكم رب السموات والأرض	١٤٠
٦٥	لقد علمت ما هؤلاء ينطقون	١٧٨
٦٦	أفتعبدون من دون الله	١٧٨
٦٧	أف لكم ولما تعبدون من دون الله	١٧٨
١٠٨	قل إنما يوحى إليّ	١٢٨
	سورة الحج	
٥	يا أيها الناس	١٦٥
٦	ذلك بأن الله هو الحق	١٦٥
٧	وأن الساعة آتية	١٦٥
٢٥	ومن يرد فيه بإلحاد بظلم	٨
٢٨	ليشهدوا منافع لهم	٢٦٥
٣٠	وأحلت لكم الأنعام	١٩٩
٣١	ومن يشرك بالله	٢٢٨

رقم الآية	الآية	الصفحة
٣٢	ومن يعظم شعائر الله	٢٧، ٢٦٤
٣٦	والبدن جعلناها لكم	٢٦٦
٤٠	ولولا دفع الله الناس	٣٠٩
٥٢	فينسخ الله ما يلقي الشيطان	٩٢
٧٣	يا أيها الناس ضرب مثل	١٣٦، ٢٢٦، ٢٢٨
٧٨	وما جعل عليكم في الدين من حرج	٢٤١
سورة المؤمنون		
١	قد أفلح المؤمنون	١٦٧
٣٠	إن في ذلك لآيات	١١٧
٤١	فبعداً للقوم الظالمين	٧٥
٩١	ما اتخذ الله من ولد	١٣٤
٩٨	وقل رب أعوذ بك	١٥٧
٩٩	وأعوذ بك رب	١٥٧
١٠٠	كلا إنها كلمة هو قائلها	١٦٠
١١٧	إنه لا يفلح الكافرون	٢٠٦
١١٨	وقل رب اغفر وارحم	٢٠٦
سورة النور		
٢	الزانية والزاني	١٩٤
٤	والذين يرمون المحصنات	١٩٤
٥	إلا الذين تابوا وأصلحوا	١٩٤
٢٣	ولا يضربن بأرجلهن	٣١٩
٢٧	لا تدخلوا بيوتاً	٣٠٣، ٣١٨
٢٨	فإن لم تجدوا فيها أحداً	٣٠٣
٢٩	ليس عليكم جناح	٣٠٣
٣٣	وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً	٢٢٥، ٣٠٣
٣٩	والذين كفروا أعمالهم	٢٢٩

رقم الآية	الآية	الصفحة
٥٨	ليستئنذنكم الذين ملكت أيمانكم	٣٠٥
٦٣	فليحذر الذين يخالفون	١٩٣
سورة الفرقان		
٢	الذي له ملك السموات والأرض	١٧٠
٥	وقالوا أساطير الأولين اكتتبها	١١٨
٦٧	والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا	٢٢٦
سورة الشعراء		
٩ ، ٨	إن في ذلك لآيات، وإن ربك لهو العزيز الرحيم	١٣٤
٨٧	ولا تخزني يوم يبعثون	٢٠٥
سورة النمل		
٢٠	مالي لا أرى الهدهد	١٠٥
٢٥	ألا يسجدوا لله	١٠٦
٥٢	فتلك بيوتهم خاوية	١٣٤
٥٣	وأنجينا الذين آمنوا	١٣٤
٦٦	بل ادارك علمهم في الآخرة	١١٥
سورة القصص		
٧	إنا رادوه إليك	٢٠٦
٨	فالتقطه آل فرعون	٢٢٣ ، ٢٠٧
١١	وقالت لأخته قصيه	١٠٩
١٤	ولما بلغ أشده واستوى	٢١٦
١٧	فلن أكون ظهيراً للمجرمين	٢٠٦
٣١	يا موسى أقبل ولا تخف	٢١٩
٣٨	يا أيها المأ ما علمت لكم	١٢٩ ، ١٢٨
٨٣	تلك الدار الآخرة	٢١٦
٨٦	فلا تكونن ظهيراً للكافرين	٢٠٦
٨٧	ولا يصدنك عن آيات الله	٢٠٦
٨٨	ولا تدع مع الله إلهاً آخر	٢٠٦ ، ٥٦

رقم الآية	الآية	الصفحة
سورة العنكبوت		
٢	أحسب الناس أن يتركوا	٦٧
٢٥	ثم يوم القيامة يكفر بعضكم	٨
٣٨	وعاداً وشمود وقد تبين لكم	١٣٤
٤٠	وما كان الله ليظلمهم	٢٥١
٤١	مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء	٢٢٨
سورة العنكبوت		
٤٣	وتلك الأمثال نضربها للناس	٢٣٠
٤٥	وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى	٢٤٢
سورة الروم		
١	الم	١٢٠
٢	غلبت الروم	١٢٠
٣	في أدنى الأرض	١٢٠
٢١	ومن آياته	٢٨٠ ، ٢٧٩
٢٧	وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده	٣١٦ ، ١٦٥
٢٨	ضرب لكم مثلاً من أنفسكم	١٣٦
٣٩	وما آتيتم من زكاة	٢٧٦ ، ٢٧٥ ، ٢٥٢
سورة لقمان		
١٤	ووصينا الإنسان بوالديه	٣٠٨
١٥	وإن جاهداك على أن تشرك بي	٣٠٨
٤٥	إن الله عنده علم الساعة	١٥٠
سورة السجدة		
١	الم، تنزيل الكتاب	٨٨
١١١	قل يتوفاكم ملك الموت	١٥٣
٢١	ولنذيقنهم من العذاب الأدنى	١٦٣ ، ٣٤
سورة الأحزاب		
١٩	فإذا جاء الخوف	٦٧

رقم الآية	الآية	الصفحة
٣٤	إنما يريد الله أن يذهب	١٨٣
٣٨	وكان أمر الله قدراً مقدوراً	١٧٠
٤٣	هو الذي يصلي عليكم وملائكته	٣٣
٤٩	إذا نكحتم المؤمنات	٢٩١ ، ١٩٥
٥٢	لا يحل لك النساء من بعد	٢٨٢
٦٣	يسألونك عن الساعة	٨٦
	سورة سبأ	
٣	وما يعزب عن ربك	١٤٤
١٣	ومن الجن من يعمل بين يديه	١٥٦
١٤	فلما خر تبينت الجن	١٥٦
١٨	وجعلنا بينهم وبين القرى	٧٧
٢٠	ولقد صدق عليهم إبليس ظنه	١٥٨
٢٤	وإننا أو إياكم لعلى هدى	٢١٨
٤٠	ويوم يحشرهم جميعاً	١٥٤
٤١	قالوا سبحانك أنت ولينا	١٥٤
	سورة فاطر	
٢	ما يفتح الله للناس	٣١٦
١٢	وما يستوي البحران	٢٣٧
٢٠	وما يستوي الأحياء ولا الأموات	٣١٥
٢٨	إنما يخشى الله من عباده العلماء	٥٥
٤٠	قل أرأيتم شركاءكم	١٣٥
	سورة يس	
٥٢	قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا	١٦٤

رقم الآية	الآية	الصفحة
	سورة الصافات	
٣٠	وما كان لنا عليكم من سلطان	١٦٠
	سورة ص	
٢١	وهل أتاك نبأ الخصم	٣٠٤
٢٩	كتاب أنزلناه إليك مبارك	١٨٧
٣٧	والشياطين كل بناء وغواص	١٥٦
٤٩	هذا ذكر	٢٠٦
٥٥	هذا وإن للطاغين	٢٠٦
٨٢	فبعزتك لأغوينهم أجمعين	١٦٠
٨٣	إلا عبادك منهم المخلصين	١٦٠
	سورة الزمر	
٢٩	ضرب الله مثلاً رجلاً	١٣٦
٤٧	ولو أن للذين ظلموا	٦٦
	سورة غافر	
٧	ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً	١٥٤، ١٥٢، ٣٣
٨	ربنا وأدخلهم جنات عدن	١٥٤، ١٥٢، ٣٣
٩	وقهم السيئات	١٥٢، ٣٣
١٣	هو الذي يريكم آياته	١٤٢
١٤	فادعوا الله مخلصين له الدين	١٤٢
٤٦	النار يُعرضون عليها	١٦١، ٧٦، ٣٤
٥٧	لخلق السموات والأرض	٢٣٤
٦٠	إن الذين يستكبرون عن عبادتي	١٣١
٨٤	فلما رأوا بأسنا قالوا	٥٩
٨٥	فلم يك ينفعهم إيمانهم	٥٩
	سورة فصلت	
١	حم، تنزيل	٨٨
٦	وويل للمشركين	٢٥٠

رقم الآية	الآية	الصفحة
	سورة فصلت	
٤٢	لا يأتيه الباطل من بين يديه	١٨٤
٤٤	ولو جعلناه قرآناً أعجمياً	٣٢٠
٥٣	سنزيهم آياتنا في الأفاق	٢٣٤
	سورة الشورى	
٥	ويستغفرون لمن في الأرض	١٥٢
١١	ليس كمثل شيء	١٧٩ ، ١٣٧
٢١	أم لهم شركاء شرعوا لهم	١٣٠
٣٢	ومن آياته الجوار في البحر	٢٣٨
٣٣	إن يشأ يسكن الريح	٢٣٨
	سورة الزخرف	
١٣	لنستوا علي ظهوره	٢١٧
٥٨	ما ضربوه لك إلا جدلاً	١٢٠
٧٧	ونادوا يا مالك	١٦٨
٨٥	وعنده علم الساعة	٨٦
	سورة الدخان	
٢٩	فما بكت عليهم السماء والأرض	٧٦
	سورة الجاثية	
١٩	ثم جعلناك علي شريعة	١٣٠ ، ٦١
	سورة الأحقاف	
١٧	والذي قال لوالديه	١٩٣
	سورة محمد	
١١	ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا	٢٢٧
١٥	مثل الجنة التي وعد المتقون	٢٢٥
٢٠	رأيت الذين في قلوبهم مرض	٦٧
٢٤	أفلا يتدبرون القرآن	٢٢٠ ، ١٨٧
٣١	ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين	٦٧
٣٣	ولا تبطلوا أعمالكم	١٩١

رقم الآية	الآية	الصفحة
	سورة الفتح	
١٦	قل للمخلفين من الأعراب	١٢٠
٢٩	وعد الله الذين آمنوا	١٨٣ ، ٢٣٣
	سورة الحجرات	
٦	إن جاءكم فاسق	٣٢٣
١٢	اجتنبوا كثيراً من الظن	١٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٣٣
١٣	يا أيها الناس إنا خلقناكم	٢٧٩ ، ٢٨٠
	سورة ق	
٦	أفلم ينظروا إلي السماء	٢٣٤
١٧	عن اليمين وعن الشمال قعيد	١٩٠
	سورة الذاريات	
٢٠	وفي الأرض آيات للموقنين	٢٣٥
٢١	وفي أنفسكم أفلا تبصرون	٢٣٥
٢٤	هل أتاك حديث إبراهيم	١٥٢
٤٩	ومن كل شيء خلقنا زوجين	٢٧٩
٥٦	وما خلقت الجن والإنس	١٥٦
	سورة الطور	
٣٤	فليأتوا بحديث مثله	١١٨
٣٥	أم خلقوا من غير شيء، أم خلقوا السماوات والأرض	٣١
	سورة النجم	
٣	وما ينطق عن الهوى	٧٧ ، ٣٢١
٤	إن هو إلا وحي يوحى	٧٧ ، ٣٢١
٣٢	فلا تزكوا أنفسكم	٢٤٧
٣٤	وأعطى قليلاً وأكدى	٣٢١
٥٨	ليس لها من دون الله كاشفة	٢٢٧

رقم الآية	الآية	الصفحة
	سورة الرحمن	
١٥	وخلق الجان من مارج	١٥٥
	كل من عليها فان	١٩٣
٣٣	يا معشر الجن والإنس	١٥٦
٣٥	يرسل عليكم شواظ	٣٢١
	سورة الحديد	
٣	هو الأول والآخر	٣١٦
٤	يعلم ما يلج في الأرض	٢٠٥
١٤	ينادونهم ألم نكن معكم	٣١٦، ٦٧
١٥	فاليوم لا يؤخذ منكم فدية	٦٦
	سورة المجادلة	
٣	فتحرير رقبة مؤمنة	١٨٩
	سورة الحشر	
٧	وما أتاكم الرسول فخذوه	٦٢
٩	ويؤثرون علي أنفسهم	٥٦
٢١	ويضرب الله الأمثال	٣٢٤
	سورة الممتحنة	
١	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي	١٤
	سورة الصف	
٢	لم تقولون ما لا تفعلون	٨٢، ٧٩
	سورة الجمعة	
٩	إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة	٢٧٠
	سورة التغابن	
١٦	فاتقوا الله ما استطعتم	٣٠٢
	سورة الطلاق	
١	يا أيها النبي إذا طلقتم النساء	٢٩٤
٢	وأشهدوا ذوي عدل منكم	٢٩٥، ١٨٩

رقم الآية	الآية	الصفحة
	سورة الطلاق	
٣	قد جعل الله لكل شيء قدراً	١٧٠
٤	ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً	٢٩٥ ، ١٩٣
٥	ومن يتق الله	٢٩٥
٦	فإن أرضعن لكم	٣٠٧
٧	سيجعل الله بعد عسر يسراً	٢٩٥ ، ٣٠٧
١٢	ومن الأرض مثلهن	١٢٣
	سورة التحريم	
٧	قوا أنفسكم وأهليكم ناراً	٢٩٩
١٢	وصدقت بكلمات ربها وكتبه	٨٥
	سورة الملك	
٢	ليبلوكم أيكم أحسن عملاً	٦٠ ، ٥٩ ، ١٦٦
١٤	ألا يعلم من خلق	٢٥٤
	سورة القلم	
٤	وإنك لعلي خلق عظيم	٥٥
٥١	وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك	١١٨
	سورة الحاقة	
١٧	ويحمل عرش ربك	١٥٤ ، ١٥٢
	سورة المعارج	
٣٠	إلا علي أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم	٢٨٧
٣٧	عن اليمين وعن الشمال	٣٢١
	سورة نوح	
٢٣	وقالوا لا تذرنا آلهتكم	١٣٩
	سورة الجن	
٩	وأنا لا ندري أشر أريد	١٥٥
١٤	وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون	١٥٦
١٥	وأما القاسطون	١٥٦
٢٣	ومن يعص الله ورسوله	١٩٢

رقم الآية	الآية	الصفحة
٢٠	سورة المزمل وأقرضوا الله قرضاً حسناً	٨١
٣٧	سورة المدثر كل نفس بما كسبت رهينة	٢٧٠ ، ١٩٩
٢٢	سورة القيامة وجوه يومئذ ناضرة	١٧٦
٢٣	إلي ربها ناظرة	١٧٦
٣٦	أحسب الإنسان أن يترك سدى	١٦٥
٤٠	أليس ذلك بقادر	١٦٥
١	سورة المرسلات والمرسلات عرفاً	٢٢٣
٢٤	سورة النازعات أنا ربكم الأعلى	١٢٩ ، ١٢٨
٢٥	فأخذته الله نكال الآخرة والأولى	١٢٩
١٦ ، ١٥	سورة التكويد فلا أقسم بالخنس، الجوار الكنس	٢٣٨
١٧	والليل إذا عسعس	١٩٨
١٠	سورة الانفطار وإن عليكم لحافظين	١٥٣
١٥	سورة المطفين كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون	١٧٦
١٥	سورة البروج ذو العرش المجيد	٨٥
١	سورة الطارق والسماء والطارق	٢٣٩
٢	وما أدراك ما الطارق	٢٣٩
٣	النجم الثاقب	٢٣٩

رقم الآية	الآية	الصفحة
٢٠	سورة الغاشية وإلى الأرض كيف سطحت	٢٣٩
٥	سورة الشمس والسما والما بناها	٢٢٣
١	سورة الليل والليل إذا يغشى	٢٢٤
٤	إن سعيكم لشتى	٢٢٤
١٩	الذي يؤتي ماله يتزكى	٢٥٢
١	سورة الشرح ألم نشرح لك صدرك	٩٠
٧	سورة الزلزلة فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره	١٦٨
٨	ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره	١٦٨
٦	سورة العاديات إن الإنسان لربه لكنود	٣٢٢
١	سورة العصر والعصر	١٩٣
٢	إن الإنسان لفي خسر	١٩٣
٥	فإن مع العسر يسراً	١٩٣
٦	إن مع العسر يسراً	١٩٣
١	سورة الفيل ألم تر كيف فعل ربك	٩٠
٥	فجعلهم كعصف مأكول	٢٠٧
١	سورة قريش لإيلاف قريش	٢٠٧
٦	سورة الكافرين لكم دينكم ولي دين	٢٢٧
١	سورة الإخلاص قل هو الله أحد	١٤٤، ٥٨
٢	الله الصمد	٥٨

فهرس الأحاديث والآثار

صفحة	الحديث	مسلسل
٢٨٧	أبغض الحلال	.١
١٨٦	اتقوا الحديث	.٢
٥٥	أدبني ربي	.٣
٢٨١	إذا أتاكم من ترضون دينه	.٤
٣٠٨ ، ٤٤	إذا مات ابن آدم	.٥
٢٨٧	إذهبوا فأنتم الطلقاء	.٦
٢٤٥	أرحنا بها يا بلال	.٧
٣٠٤	أرسل ملك الموت	.٨
٣١١	أسألك الثبات في الأمر	.٩
٣١١	أسألك الرضا	.١٠
٢٩٩	أعطي الجدة السدس	.١١
٢٦٧	أفضل الكسب	.١٢
٢٩٠	آلى من نسائه شهراً	.١٣
٦٨ ، ٦٥	ألا إني أوتيت القرآن	.١٤
٦٨	ألا هل عسى	.١٥
٢٩٨	ألحقوا الفرائض بأهلها	.١٦
٢٦٦	الدين النصيحة	.١٧
٢٧٦	الذهب بالذهب	.١٨
٣٠٤	السلام عليكم أدخل؟	.١٩
١٩٢	الصلوات الخمس	.٢٠
٤٦	العلماء ورثة الأنبياء	.٢١
٢٥١	اللهم صل علي آل ابن أبي أوفى	.٢٢
١٨٨	اللهم فقهه في الدين	.٢٣
٢٠	النساء شقائق الرجال	.٢٤
١٨٣	أما ترضى أن تكون مني	.٢٥

صفحة	الحديث	مسلسل
٢٩٧	الولاء لحمة	.٢٦
١٢٧	أمرت أن أقاتل الناس	.٢٧
٣٢ ، ٢٨	إن الله قد أعطي كل ذي حق حقه	.٢٨
٢٠٢	إن في الجنة مائة	.٢٩
٢٣٢	إن القرآن نزل	.٣٠
٢٩٧	أن رجلاً أعتق عبداً	.٣١
٢٦٣	أن رجلاً	.٣٢
٧٦	إن الرجل إذا مات	.٣٣
١٤٦	أنا الرحمن خلقت الرحم	.٣٤
١٦٠	إن الشيطان قد يئس	.٣٥
٦٩	إن الصدق يهدي إلي البر	.٣٦
١٧٠ ، ١٥١	أن تؤمن بالله وملائكته	.٣٧
٣١٦	أنت الأول	.٣٨
٢٩٠	أن عمر رضي الله عنه - سمع امرأة	.٣٩
٢٤٨	إنك تأتي أقواماً	.٤٠
١٤٣	إن لله تسعاً وتسعين اسماً	.٤١
٥٥	إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	.٤٢
٣٠٤	إنما جعل الاستئذان	.٤٣
١٤	إنها أمانة	.٤٤
٢٧١	إني لأمين في الأرض	.٤٥
١٧٩	أوقد على النار	.٤٦
٦٩	آية المنافق ثلاث	.٤٧
٢٨٨	أيما امرأة	.٤٨
١٠٢	بلغوا عني ولو آية	.٤٩
١٢٦	تركت فيكم ما إن تمسكنم به	.٥٠
٢٩٦	تعلموا الفرائض	.٥١
٥٨	تفترق اليهود	.٥٢
٨	تكون مات شاء الله	.٥٣

صفحة	الحديث	مسلسل
٢٥٨	تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم	.٥٤
٢٨١	تتكح المرأة لأربع	.٥٥
٢٩٦	جاءت امرأة سعد	.٥٦
١٠٤، ٦٩	حدثوا عن بني إسرائيل	.٥٧
٧١	خذوا عني، خذوا عني	.٥٨
٢٧، ٦٨، ٢٦٠، ٢٦٥	خذوا عني مناسككم	.٥٩
٦٣	خذي ما يكفيك وولديك	.٦٠
٥٨	خير القرون قرني	.٦١
٤٤	خيركم من تعلم القرآن وعلمه	.٦٢
٢٦٦	دخلت العمرة في الحج	.٦٣
٢٩٣	دعي الصلاة	.٦٤
٣٠٥	ذكرك أخاك بما يكره	.٦٥
٨٠، ٣٥	ربح البيع صهيب	.٦٦
٢٥٩	سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم	.٦٧
١٥٨	سحر النبي صلى الله عليه وسلم	.٦٨
١٠٢	صاحب موسى هو الخضر	.٦٩
٢٤٤	صلاة الجماعة أفضل	.٧٠
٦٨	صلوا كما رأيتموني أصلي	.٧١
٢٠	طلب العلم فريضة	.٧٢
٧	عليكم بالجماعة	.٧٣
٢٤٩	فإن أدوها فقد عصموا مني	.٧٤
٢٥٩	فمن لم يجد الهدي	.٧٥
٢٥٤	فيما سقت السماء	.٧٦
٢٤٢	قسمت الصلاة	.٧٧
٢٥٢	كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث خارصاً	.٧٨
٢٨٤	كان فيما أنزل من القرآن	.٧٩
٢٥٥	كل عمل ابن آدم له إلا الصوم	.٨٠

صفحة	الحديث	مسلسل
٢٧٠	كل مولود يولد على الفطرة	.٨١
٩٤	كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور	.٨٢
١٨٣	لا تسبوا أصحابي	.٨٣
١٠٣	لا تصدقوا أهل الكتاب	.٨٤
٢٦٧	لا خير فيها	.٨٥
٢٨٨	لا ضرر ولا ضرار	.٨٦
٢٠١، ٩٧	لا وصية لوارث	.٨٧
٢٦٧	لا يبيع أحدكم على بيع أخيه	.٨٨
٣٠٨	لا يجزي ولد والده	.٨٩
١٩٧	لا يحج بعد العام مشرك	.٩٠
٢٩٨	لا يرث المسلم الكافر	.٩١
١٣١	لا يقولن أحدكم	.٩٢
٢٧٦	لعن الله أكل الربا	.٩٣
١٦٧	لما خلق الله الجنة	.٩٤
٢٩	لو أن أحدكم إذا أراد	.٩٥
٢٨٥	لو كنت امرأةً أحداً	.٩٦
٢٩٨	ليس للقاتل شيء	.٩٧
٢٨٨	ليس منا من خيب امرأة	.٩٨
١٣٢	ما شاء الله وثئت	.٩٩
١٩٥	ما قطع من البهيمة	.١٠٠
٢٥٣	ما من صاحب كنز	.١٠١
١٦١	مر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي قبرين	.١٠٢
١٥٧	من أتى عرفاً فصدقه	.١٠٣
١٨٨	من سئل عن علم	.١٠٤
٣١١	من قاتل لتكون كلمة الله	.١٠٥
١٨٧	من قال في القرآن	.١٠٦
٢٤٣	من لم تنته صلواته	.١٠٧
٣٢٤	من قرأ القرآن	.١٠٨

صفحة	الحديث	مسلسل
٩٠	من قرأ حرفاً	.١٠٩
٢٧٣	من نفس عن مسلم	.١١٠
٣١٣	نهى صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال	.١١١
١٩٥	نهى صلى الله عليه وسلم عن عصب الفحل	.١١٢
٣٠٩	هل علي شيء؟	.١١٣
٧٠	هو الطهور ماؤه	.١١٤
١٧٦	واعلموا أنكم لن تروا	.١١٥
٢٧٣	والذي نفسي بيده	.١١٦
٢٤١	وإن فضل العالم على العابد	.١١٧
٢٤٥	وجعلت قرّة عيني في الصلاة	.١١٨
٣٠	وفرّقوا بينهم في المضاجع	.١١٩
١٥٥	وقد حيل بيننا وبين خبر السماء	.١٢٠
٢٤٦	ولا يزال عبدي يتقرب إليّ	.١٢١
٢٦٩	ومن كان في حاجة أخيه	.١٢٢
٢٨٧	يا أيها الناس	.١٢٣
١٥٠	يا جابر مالي أراك	.١٢٤
١٥٧	يا رسول الله إني أصرع	.١٢٥
٢٧٩	يا معشر الشباب	.١٢٦
٢٨٣	يحرم من الرضاع	.١٢٧

فهرس الأعلام (التراجم)

الصفحة	اسم العلم	مسلسل
٢٠٣	إبراهيم بن عمر (البقاعي)	.١
١٢٩	أحمد بن علي (المقريري)	.٢
١١٩	حمد بن محمد (الخطابي)	.٣
١٥٢	دحية الكلبي	.٤
٧٣	زيد بن ثابت	.٥
٨٩	زياد بن يحيى (الفراء)	.٦
٧٦	سفيان بن عيينة	.٧
٩٨	سلمة بن الأكوع	.٨
٣٥	عبد الرحمن بن قل (أبو عثمان النهدي)	.٩
٢٥	عبد الرحمن بن علي (ابن القيم)	.١٠
٨٤	عبد الغني الدمياطي (البنا الدمياطي)	.١١
٣	عبد الله بن جلوي	.١٢
١٤٧	عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة)	.١٣
٢٦	عبدة بن عمرو (السلماني)	.١٤
٧٣	عطاء بن أبي رباح	.١٥
١٠٧	عطاء بن السائب	.١٦
٣٥	عكرمة مولى ابن عباس (رضي الله عنهما)	.١٧
١٠٨	علي بن أحمد (ابن حزم الظاهري)	.١٨
٧٨	علي بن أحمد (الواحدي)	.١٩
١٤٧	علاء الدين بن العطار	.٢٠
٨٠، ٣٥	علي بن يزيد	.٢١
٥٦	كعب بن زهير رضي الله عنه	.٢٢
٧٢	مجاهد بن جبر	.٢٣
٤٥	محمد الأمين الشنقيطي (الشنقيطي)	.٢٤
٤٥	محمد بن عبد العزيز المانع	.٢٥
٢٠٣	محمد بن عبد الله (ابن العربي)	.٢٦

الصفحة	اسم العلم	مستند
٣	محمد بن عبد الله (الرشيد)	.٢٧
٨٩	محمد بن يزيد (المبرّد)	.٢٨
٩٤	مكيّ بن أبي طالب	.٢٩
٦٢	موفق الدين اليسري	.٣٠
١٠٦، ١١٠	نائف الهذال	.٣١
١٠٩،١١٠	نافع بن الأزرق	.٣٢
٩٣	هبة الله بن سلامة	.٣٣
٣٦	هشام بن عامر	.٣٤
٦٣	هند بنت عتبة	.٣٥
٢٧	يزيد بن طهمان (الرقاشي)	.٣٦
٨٩	يوسف بن عبد الرحمن (المزي)	.٣٧

فهرس المراجع

كتب التفسير :-

١. أحكام القرآن - للإمام أحمد بن علي الجصاص ت: ٣٧٠هـ - دار الكتاب العربي - بدون تاريخ.
٢. أحكام القرآن - لعماد الدين بن محمد الطبري - الشهير بالكلية الهراسي ت: ٥٠٤هـ - المكتبة العلمية - بدون تاريخ.
٣. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي - ط ١٤٠٦/١هـ.
٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، ت: ٩٨٢هـ - دار الفكر.
٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي الجكني ت: ١٣٩٣هـ - ط. مكتبة ابن تيمية - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٦. الأساس في التفسير لسعيد حوى - دار السلام - ط ١٤٠٩/٢هـ .
٧. البحر المحيط لأبي حيان: محمد بن يوسف الأندلس الغرناطي ت: ٧٥٤هـ - تحقيق/مجموعة من العلماء - دار الكتب العلمية - ط ١٤٢٢/١هـ .
٨. التسهيل لابن جزي الكلبي - دار الكتب العربي - ط ١٣٩٣/٢هـ .
٩. التفسير القيم لابن القيم الجوزي - جمع: محمد الندوي - تحقيق /محمد حامد الفقي - دار الكتب العلمية .
١٠. التفسير الكبير لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي ت: ٨٢٨هـ - تحقيق وتعليق /د. عبد الرحمن عميرة - دار الكتب العلمية - ط ١٤٠٨/١هـ - ١٩٨٨م.
١١. التفسير المنير د. وهبة الزحيلي - دار الفكر - ط ١٩٩١/١م .
١٢. الجامع لأحكام القرآن للقاضي أبي عبد الله محمد بن عبد الله المالكي ابن العربي ت: ٥٤٣هـ - تحقيق/محمد علي البجاوي - دار الفكر .
١٣. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي المالكي ت: ٦٧١هـ - مطبعة كتاب الشعب ،مطبعة دار الكتب المصرية - ط ٣ - بدون تاريخ.
١٤. الدر المنثور في التفسير بالمأثور - للإمام السيوطي ت: ٩١١هـ - دار الفكر .
١٥. القواعد الحسان لتفسير القرآن للشيخ عبد الرحمن السعدي ١٣٧٦هـ - دار الإستقامة - ط ١٤١٥/١هـ - ١٩٩٥م .

- ١٦ . الكشاف للإمام محمود بن عمر الزمخشري، أبي القاسم جار الله الخوارزمي ت: ٥٣٨هـ - دار المعرفة .
- ١٧ . المبصر لنور القرآن لنانة صبري - الرسالة المقدسة ط ١٤٢٢/١هـ .
- ١٨ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - لأبي محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي ت: ٥٤٦هـ - تحقيق /المجلس العلمي بمكناس :المجلس العلمي بفاس .
- ١٩ . المقتطف من عيون التفاسير للعلاقة مصطفى المنصوري -حققه وخرج أحاديثه/محمد علي الصابوني -دار السلام .
- ٢٠ . أيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري ط ١٤١٤/١هـ .
- ٢١ . بحر العلوم، لأبي الليث، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي، ت: ٣٧٣هـ - دار الكتب العلمية ط ١٤١٣/١هـ .
- ٢٢ . أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين، عبدالله بن عمر البيضاوي الشافعي، ت: ٦٩١هـ - مصطفى البابي الحلبي - بمصر - ط ١٣٨٨/٢هـ .
- ٢٣ . لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين، أبو الحسن، علي بن محمد بن إبراهيم الخازن، ت: ٧٤١هـ، وبهامشه تفسير البغوي - دار الفكر + المكتبة التجارية - بدون تاريخ.
- ٢٤ . تفسير الشعراوي للعلامة محمد متولي الشعراوي ت: ١٩٩٧م -قطاع الثقافة -أخبار اليوم- ط/١٩٩١م .
- ٢٥ . محاسن التأويل، لجمال الدين أبي الفرج بن محمد القاسمي، ت: ١٣٣٢هـ - دار الفكر - بدون تاريخ.
- ٢٦ . تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار للشيخ رشيد رضا -دار الفكر ط ٢ .
- ٢٧ . تفسير المراغي للشيخ محمد مصطفى المراغي - دار الفكر - بدون تاريخ.
- ٢٨ . مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي، ت: ٧٠١هـ - دار الكتاب العربي - بدون تاريخ.
- ٢٩ . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي -دار الذخائر -تقديم عبد الله البسام، محمد زهري النجار، طبعة دار الصفا - ومكتبة الأوس .
- ٣٠ . جامع البيان عن تأويل أي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠هـ - دار الفكر + دار المعرفة .
- ٣١ . روح القرآن بقلم: عفيف طبارة -دار العلم للملايين .
- ٣٢ . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني -للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ت: ١٢٧٠هـ - دار الفكر -١٣٩٨هـ -١٩٨٣م .

٣٣. زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج الجوزي ت: ٥٩٧هـ - دار الفكر - ط ١٤٠٧/١هـ .
٣٤. فتح القدير للإمام محمد بن علي الشوكاني ١٢٥٠هـ - دار الفكر - ١٤٠٣هـ .
٣٥. في رحاب التفسير للشيخ عبد الحميد كشك - المكتب المصري الحديث .
٣٦. في ظلال القرآن الشيخ سيد قطب ١٩٦٦م - دار الشروق - ط ١٤٠٦/٢هـ .
٣٧. مختصر تفسير ابن كثير للحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي ٧٧٤هـ - مكتبة الفيصلية - إختصار وتحقيق / الشيخ محمد علي الصابوني + دار التراث العربي .
٣٨. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام أبي عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي ت: ٦٠٦هـ - دار الكتب العلمية - طهران د .

كتب علوم القرآن

٣٩. أساليب البيان في القرآن والسنة للأستاذ خالد السعيد - من مطبوعات الجامعة الإسلامية
٤٠. أساليب البيان في القرآن والسنة - إعداد د. زكريا الزميلي .
٤١. أسباب النزول وبها مشه الناسخ والمنسوخ للإمام أحمد بن علي الواحدى - مكتبة المنتبي
٤٢. إعجاز القرآن الكريم د. فضل عباس أ. سناء عباس - المكتبة الوطنية - ١٩٩١م .
٤٣. إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويش - اليمامة - دار ابن كثير ط ١٤٥١/٤هـ .
٤٤. الإتيان في علوم القرآن الإمام السيوطي - دار الكتب العلمية ط ١٤١٥/٣هـ - ١٩٩٥م .
٤٥. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم د. عبد السلام اللوح - دار آفاق - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
٤٦. البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشى - دار إحياء الكتب العربية - ط ١٣٧٦/١هـ .
٤٧. البيان في إعجاز القرآن لمحمد السباعي الديب - مكتبة محمد علي صبيح - الجامعة الإسلامية ط / ١٣٨٠هـ ، (٨٥-١٩٨٦م) .
٤٨. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق د. صلاح الخالدي - دار النفائس - ط ١٤١٨/١هـ - ١٩٩٧م .
٤٩. التفسير والمفسرين د. محمد حسين الذهبي - مكتبة وهبة ط ١٤١٦/٧هـ - ١٩٩٥م .
٥٠. التفسير ومناهج المفسرين د. عصام زهد ، د. جمال الهوبي ط ٢ مطبعة مقداد - غزة - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

٥١. المدخل إلى التفسير الموضوعي د. عبد الستار فتح الله سعيد - دار التوزيع والنشر الإسلامية ط ١٤١٧هـ .
٥٢. الموجز في علوم البلاغة للأستاذ كمال الديب - لجنة المطبوعات في الجامعة .
٥٣. الفصل للإمام علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري ٤٥٦هـ - دار المعرفة - ط ١٣٩٥/٢هـ - ١٩٧٥م وبهامشه الممل والنحل للشهر ستاني .
٥٤. النسخ في القرآن الكريم د. مصطفى زيد - دار الوفاء ط ١٤٠٨/٣هـ .
٥٥. إملاء ما من به الرحمن للكعبري ت: ٦١٦هـ دار الكتب العلمية - ط ١٣٩٩/١هـ .
٥٦. بدائع الفوائد لابن القيم الجوزي ضبط وتخريج / أحمد عبد السلام - دار الكتب العلمية - ط ١٤١٤/١هـ .
٥٧. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني - تحقيق وتعليق / محمد خلف الله د. محمد زغلول سلام ط ٣ - دار المعارف بمصر .
٥٨. دراسات في القرآن وعلومه د. عصام زهد ط ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م مطبعة مقداد - غزة .
٥٩. مباحث في التفسير الموضوعي مسلم - دار القلم ط ١٤١٠/١هـ - ١٩٨٩م .
٦٠. مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان - مؤسسة الرسالة ط ٩ .
٦١. معترك الأقران في إعجاز القرآن للإمام السيوطي - دار الفكر العربي - تحقيق / علي البجاوي .
٦٢. معجز القرآن للشيخ الشعراوي - الكتاب الأول - مكتبة التراث الإسلامي .
٦٣. مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ عبد العظيم الزرقاني - دار إحياء التراث العربي .
٦٤. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للعلاقة شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الشهيد (بالبنا الدمياطي) ١١٧هـ - وضع حواشيه: الشيخ أنس مهرة - دار الكتب العلمية ط ١٤١٩/١هـ - ١٩٩٨م .
٦٥. إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء الكعبري - عالم الكتب ط ١٤١٧/١هـ - تحقيق / محمد عزوز .
٦٦. المغني في علم التجويد د. عبد الرحمن يوسف الجمل - مكتبة فكري عبد اللطيف - غزة - ط ١٤١٨/١هـ .
٦٧. النشر في القراءات العشر للإمام محمد بن محمد الشهيد (بابن الجزري) ٨٣٣هـ - دار الكتب العلمية .

كتب الحديث وعلومه :-

٦٨. الجامع الصغير للإمام عبدالرحمن السيوطي. ت: ٩١١هـ - دار طائر العلم - جدة - تحقيق / محمد عبدالرؤوف المناوي.
٦٩. السنن الصغرى للنسائي للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت: ٣٠٣هـ - مكتبة الدر - المدينة ط ١/١٠٤١٠هـ - ١٩٨٩م - تحقيق/د.محمد ضياء الرحمن الأعظمى .
٧٠. السنن الكبرى للنسائي - دار الكتب العلمية ط ١/١٤١١هـ - ١٩٩٨م - تحقيق /د.عبد القادر النبداري ،سيد كسروي حسن.

٧١. المستدرک علی الصحیحین للإمام أبي عبد الله الحاكم ٤٠٥هـ .
٧٢. سنن ابن ماجة للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجة
ت: ٤٥٨هـ - دار الجیل - بیروت ط ١/١٤١٨هـ .
٧٣. سنن أبي داود - للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني ت: ٢٧٥هـ - دار الفكر .
٧٤. سنن البيهقي لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت: ٤٥٨هـ - دار الباز - ١٤١٤هـ -
- تحقيق/محمد عبد القادر عطا .
٧٥. سنن البيهقي الكبرى - مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ط ١٤١٤هـ - ١٩٩٤هـ -
تحقيق/محمد عبد القادر عطا .
٧٦. سنن الترمذي للإمام محمد بن عيسى الترمذي: ٢٧٩هـ - مصطفى البابی الحلبي
، دار التراث العربي - تحقيق وتعليق /إبراهيم عوض .
٧٧. شرح الخطط والآثار للإمام أحمد بن محمد الحنفي الطحاوي، ت: ٣٢١هـ - تحقيق
وتصحيح/ محمد زهري النجار، من علماء الأزهر الشريف - دار إحياء التراث
العلمية - ط ١/١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
٧٨. شرح جوامع الأخبار للشيخ عبد الرحمن السعدي - دار الريان للتراث - تصحيح
وتخريج / أشرف بن عبدالمقصود .
٧٩. شرح صحيح البخاري للشيخ زروق الفاسي ت: ٨٩٩هـ - تحقيق/د. عزت عطية
، موسى علي مطبعة حسان .
٨٠. شعب الإيمان للبيهقي - دار الكتب العلمية ط ١/١٤١٠هـ - تحقيق/السيد بسيوني
زغلول .
٨١. صحيح الإمام البخاري لأبي عبد الله بن إسماعيل البخاري ت: ٢٥٦هـ - دار ابن
كثير - اليمامة ط ٣/١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - تحقيق/مصطفى البغا .
٨٢. صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت: ٢٦١هـ - المكتب الإسلامي
- تحقيق /محمد فؤاد عبد الباقي + دار إحياء الكتب العلمية .
٨٣. كشف الخفاء ومزيل الإلباس للإمام إسماعيل بن محمد الجراحي العجلوني
ت: ١١٢٦هـ - مؤسسة الرسالة - تحقيق /أحمد القلاش .
٨٤. مسند أبي عوانة يعقوب بن اسحق الإسفراييني ت: ٣١٦ ط ١/ دار المعرفة ٩٩٨م .
٨٥. مسند أبي يعلى أحمد بن المثني التميمي الموصلي ت: ٣٠٧هـ - تحقيق وتخريج
حسين أسد ط ١/١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م - دار المأمون للتراث .
٨٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للإمام علي بن أبي بكر الهيثمي ت: ٨٠٧هـ - دار
الريان للتراث + دار الكتاب العربي - ١٤٠٧هـ .

٨٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ت: ٢٤٠هـ - مؤسسة قرطبة - مصر - دون تاريخ + دار الفكر - المكتب الإسلامي .
- كتب العقيدة :-**
٨٨. الأسماء والصفات لابن تيمية - تحقيق/مصطفى عطا - دار الكتب العلمية
٨٩. الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد لعلاء الدين بن العطار - تحقيق وتعليق /علي عبد الحميد - دار الكتب الأثرية - عمان .
٩٠. الإيمان أركانه ونواقضه ، محمد نعيم ياسين - المطابع التعاونية .
٩١. التحف في مذهب السلف للإمام الشوكاني - توزيع الجامع الإسلامية بالمدينة - مطبعة المدني بجدة .
٩٢. الخطط والآثار لأحمد بن علي المقرئزي. ت: ٨٤٥هـ - دار صادر - بيروت - بدون تاريخ.
٩٣. الصفات الإلهية بين السلف والخلف للوكيل .
٩٤. العقيدة الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني - دار القلم - ط ١٣٩٩/٢هـ - ١٩٧٩م .
٩٥. تجريد التوحيد للمقرئزي - تحقيق وتعليق وتقديم / علي حسن عبد الحميد - دار عمار - عمان - ط ١٤٠٧/١هـ - ١٩٨٧م .
٩٦. تفسير سورة الفاتحة لمحمد بن عبد الوهاب - تحقيق /فهد الرومي - مكتبة الحرمين - الرياض - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
٩٧. تقريب التدمرية للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين - خرج أحاديثه السيد بن عباس بن علي الجليمي - مكتبة السنة - ط ١٤١٣/١هـ - ١٩٩٢م .
٩٨. درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية - تحقيق /محمد رشاد سالم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ط ١٤٠١/١هـ - ١٩٨١م .
٩٩. رسالة الحسنه والسيئة - تحقيق وتقديم / محمد غازي - مكتبة المدني - جدة - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
١٠٠. شرح العقيدة الطحاوية في العقيدة السلفية لقاضي القضاة العلامة صدر الدين علي بن علي بن محمد أبي العز الحنفي - دار التراث - تحقيق /أحمد شاکر - بدون طبعة .
١٠١. كبري اليقينيات الكونية د.محمد سعيد رمضان البوطي - مطبعة مسعودى القدس - وادي الجوز - ط ١٣٩٩/٦هـ .
١٠٢. مجموع الفتاوى لابن تيمية - جمع /عبد الرحمن القاسم وابنه محمد - طبعة بأمر الملك فهد - بدون تاريخ.

كتب الفقه :-

١٠٣. الأم مع مختصر المزني، للإمام محمد بن إدريس الشافعي. ت: ٢٠٤هـ — دار الفكر - ط ١٤٠٣/٢هـ.
١٠٤. الرسالة للإمام الشافعي - تحقيق وشرح أحمد شاكر - ١٣٠٩هـ .
١٠٥. الفتاوى السعدية للشيخ عبد الرحمن السعدي - منشورات المؤسسة العيدية بالرياض - ١٤٠٣هـ ت - ١٩٨٣م .
١٠٦. المجموع للشيرازي - مكتبة الإرشاد - تحقيق /محمد المطيعي .
١٠٧. المغني لابن قدامة المقدسي - دار الكتاب العربي - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
١٠٨. رسالة في حكم شرب الدخان للشيخ عبد الرحمن السعدي - تقديم /عبد الرزاق عفيفي.
١٠٩. فقه السنة السيد سابق - دار الفكر - ط ١٤٠٣/٤هـ - ١٩٨٤م .
١١٠. مجموع الفوائد واقتناص الأوابد للشيخ السعدي - اعتني به /سعد بن فواز العميل - وقدم له : الشيخ عبد الله البسام - دار ابن الجوزي ط ١٤١٨/١هـ - ١٩٩٨م .
١١١. مدارج السالكين لابن القيم الجوزي - دار الحديث ط ١٤٠٣/١هـ - ١٩٨٣م .
١١٢. مغني المحتاج للإمام يحيى بن شرف النووي - شرح :محمد الخطيب - دار إحياء التراث العربي .

كتب السيرة النبوية :-

١١٣. الرحيق المختوم ،صفي الرحمن المباركفوري - دار المنار ط ١٤١٥/١هـ .
١١٤. تهذيب سيرة ابن هشام ،عبد السلام هارون - دون تاريخ.
١١٥. زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم - دار الكتاب العربي - دون تاريخ.
١١٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ليوסף بن عبد الله بن عبد البر دار الجيل - ط ١٤١٢/١هـ - تحقيق/محمد علي البجاوي .

كتب التراجم والتاريخ :-

١١٧. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني - دار الجيل - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م - تحقيق/علي محمد البجاوي .
١١٨. الأعلام لخير الدين الزركلي - دار العلم للملايين .
١١٩. البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي - مطبعة السعادة - مصر .
١٢٠. البردة ،عبد العزيز آل عبد العال - (الحاسوب) .
١٢١. التاريخ الإسلامي - محمود شاكر - الكتاب الإسلامي .

١٢٢. الثقات لابن حبان البستي ت: ٣٥٤هـ - دار الفكر - ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م - تحقيق /السيد شرف الدين أحمد .
١٢٣. الجرح والتعديل للإمام الحافظ أبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم. ت: ٣٢٧هـ - دار الكتب العلمية - ط ١ - بدون تاريخ.
١٢٤. الرياض، حضارة عريقة وحاضر زاهر - من إصدارات المعهد العربي لإنماء المدينة.
١٢٥. الرياض -مدينة المستقبل - من إصدارات المعهد العربي لإنماء المدينة - لعام ١٩٩٨م.
١٢٦. العواصم من القواصم للإمام أبي بكر ابن المالكي -خرج أحاديثه محمود الإستانبولي، وعلق عليه /محب الدين الخطيب.
١٢٧. المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالله. ت: ٨٨٤هـ - مكتبة الرشيد - ط ١/١٠٤١هـ - ١٩٩٠م - تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين.
١٢٨. تاريخ نجد الحديث لأمين الريحاني - دار الجيل - بيروت - بدون تاريخ.
١٢٩. تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني. ت ٨٥٢هـ - حققه وعلق عليه ووضحه وأضاف إليه، أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني - تقديم: بكر أبو زيد - دار العاصمة - السعودية - ط ١/١٦٤١هـ.
١٣٠. تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني - دار صادر - ط ١/١٣٢٥هـ .
١٣١. تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ أبي الحجاج يوسف بن عبدالرحمن المزني. ت: ٧٤٢هـ - حققه وضبط نصه وعلق عليه د. بشار معروف - مؤسسة الرسالة - ط ١/١٣١٤هـ.
١٣٢. طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي ت: ٣٧٩هـ - تحقيق /محمد أبو الفضل إبراهيم - ط ٢/ دار المعارف .
١٣٣. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة - مكتبة المنتبي - دار إحياء التراث العربي .
١٣٤. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة - مؤسسة الرسالة - ط ٣/١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
١٣٥. معرفة القراء الكبار للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت: ٧٤٨هـ - حققه وقيد نصه وعلق عليه : بشار معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح عباس - مؤسسة الرسالة - ط ١/١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
١٣٦. ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم لأمين محمد سعيد - مكتبة مدبولي - ١٩٩٩م.

١٣٧. موسوعة التاريخ الإسلامي - د. أحمد شلبي - مكتبة النهضة ط٣/١٩٨٥ م .
١٣٨. موسوعة القبائل العربية : بحوث ميدانية وتاريخية ، محمد سليمان الطيب - دار
الفكر العربي - دون تاريخ.

كتب اللغة والمعاجم :-

١٣٩. القاموس المحيط للعالم العلامة الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي
الشيرازي ت: ٨١٧هـ .
١٤٠. المفردات للراغب الأصفهاني .
١٤١. تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى. ت: ٣٧٠هـ - تحقيق/ إبراهيم
الأبياري - دار الكاتب العربي - ١٩٦٧م.
١٤٢. لسان العرب - جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأفرقي
ت: ٧١١هـ - دار المعارف - تحقيق / عبد الله الكثير ، محمد حسب الله ، هشام الشاذلي
- دار صادر .
١٤٣. مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت: ٣٩٥هـ - دراسة وتحقيق/
زهير سلطان - مؤسسة الرسالة ط٢/ ١٤٠٦هـ .

كتب ثقافية :-

١٤٤. الجامع في الإعراب لعزالدين جرادة - مكتبة آفاق/ غزة - مكتبة المستقبل -
الخليل.
١٤٥. الطب النبوي لابن قيم الجوزي - تحقيق / سيد إبراهيم - دار الحديث ط١/ ١٤١١هـ .
١٤٦. الوسائل المفيدة للحياة السعيدة للشيخ السعدي - مؤسسة النور .
١٤٧. تحفة العروس أو الزواج الإسلامي السعيد ، محمود مهدي الإستانبولي - الناشر دار
عمر بن الخطاب .
١٤٨. فنون الأفنان لابن الجوزي - مكتبة ابن سينا - بدون تاريخ.

الرسائل :-

١٤٩. مناهج الإسلاميين في إثبات وجود الله ووحديته - رسالة مقدمة لنيل درجة
الدكتوراة - إعداد الطالب / صالح الرقب - ١٤١٢هـ .
١٥٠. منهج الشعراوي في تفسيره - رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير إعداد الطالب/
إبراهيم صيدم - ٢٠٠٠م - ١٤٢١هـ .

الدوريات :-

فاكس من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض - رمضان

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
ب	إهداء
ت	شكر وتقدير
ث	أسباب اختيار الموضوع
ج	أهمية البحث - أهداف البحث - الجهود السابقة
ح	منهجي في البحث
خ	خطة البحث
٢	عصر الشيخ السعدي وأهمية تفسيره : وفيه مبحثان المبحث الأول : عصر الشيخ السعدي. أولاً : الحالة السياسية
٣	المرحلة الأولى - المرحلة الثانية من الكفاح
٤	نتائج فتح الأحساء
٥	أثر الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م
٦	ومن الجدير بالذكر - تنبيه
٧	محاولة الملك عبد العزيز الثاني ضم العوازم - الثورة العربية الكبرى
٩	خلاصة الحالة السياسية
١٠	ثانياً : الحالة الاجتماعية - الحالة الاجتماعية لقبيلة حرب
١٣	العلاقة التي كانت تسود الفترة - أولاً : العلاقة بين الحكام أنفسهم
١٤	استعانة الحكام العرب ببريطانيا علي بعضهم البعض - الخلاف بين أبناء الأسرة الحاكمة الواحدة
١٥	العلاقة بين الحكام والمحكومين - صاحب موسوعة التاريخ الإسلامي ثالثاً : الحالة الثقافية والحركة العلمية وأثرها على منهج الشيخ - الحركة العلمية
١٦	أولاً : حصر التعليم الشرعي " القرآن الكريم "
١٧	ثانياً : يقول صاحب كتاب موسوعة القبائل العربية التعليم : أول اجتماع في تاريخ المملكة بمكة المكرمة
١٨	أسس النظام التعليمي في البلاد الحجازية

١٩	التعليم العام للبنين بمدينة الرياض
٢١	مدرسة المعارف بنجد - تعليم البنات - الأهداف الرئيسية في تعليم - مرحلة البنات : مرحلة الكتاتيب
٢٢	الخلاصة - أثر الحركة العلمية علي منهج الشيخ - منهج السعدي في النقد - هدف السعدي من تفسيره.
٢٣-٢٤	أهمية تفسير السعدي - أولاً : مميزات التفسير - بيان عقيدة أهل السنة
٢٤	الوضع والتيسير - إبراز القيمة العلمية الشرعية
٢٥	ربط التفسير بالواقع المعاصر - عدم الخوض في التفسير العلمي
٢٦	المصادر التي اعتمد عليها المفسر في تفسيره
٢٧	الصفا والمروة ركن من أركان الحج
٢٨	الرد علي الناسخ - النسخ في آية الوصية
٣٢	المطلب الثالث : أنواع التفسير التي اشتمل عليها تفسير السعدي
٣٣	التفسير الموضوعي - نماذج من التفسير الموضوعي عند السعدي
٣٤	إثبات عذاب القبر - التفسير التحليلي
٣٥	نموذج من تفسيره التحليلي
٣٦	التفسير الإجمالي - نماذج منه عند السعدي
٣٨	التفسير المقارن - نموذج من التفسير المقارن
٣٩	الخلاصة
٤٠	الفصل الأول : الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي وترجمته
٤١	المبحث الأول : ترجمة المفسر - المطلب الأول : اسمه ونسبه
٤٢	المطلب الثاني - حياته العلمية - أثاره العلمية
٤٣	ثناء تلميذه عليه - مكانة المؤلف العلمية
٤٤	غايته من التصنيف
٤٥	المطلب الثالث شيوخه وتلاميذه
٤٦	المطلب الرابع : مصنفاته - أولاً التفسير
٤٧	ثانياً : علوم القرآن ثالثاً : الحديث النبوي الشريف
٤٨	رابعاً : كتب في مجال العقيدة
٤٩	خامساً : كتب في مجال الفقه

٥١	سادساً : كتب في مجال اللغكة العربية ، سابعاً : منوعات شاملة
٥٦-٥٥	المطلب الخامس: أخلاقه ووفاته
٥٧	المبحث الثاني : عقيدته
٦٠	المبحث الثالث : مذهبه الفقهي
٦٥	الفصل الثاني : المبحث الأول : التفسير بالمأثور ، وفيه أربعة مطالب: المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن
٦٨-٦٩، ٧١	المطلب الثاني : تفسير القرآن بالسنة - أمثلة على منهج السعدي في تناوله السنة النبوية في تفسيره - تفصيل المجل في القرآن
٧٣	المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضي الله عنهم
٧٥	المطلب الرابع: تفسير القرآن بأقوال التابعين
٧٧	خلاصة المبحث
٧٨	المبحث الثاني : اهتمامه بعلوم القرآن - المطلب الأول : اهتمامه بأسباب النزول
٨٢	هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب
٨٣	المطلب الثاني: قلة استعراضه للقراءات القرآنية - تعريف القراءات
٨٤	اصطلاحاً
٨٥-٨٦	توجيه القراءات وأثرها على التفسير - الرد على المخالفين واستنباط الأحكام الشرعية بقراءة الجمهور
٨٦	توجيه القراءات مع الترجيح - مناقشة السعدي في بعض القراءات
٨٧	- أمثلة من القرآن على هذه الروايات ومناقشتها - خلاصة القول
٨٧	المطلب الثالث : الحروف المقطعة في أوائل السور
٨٨	اختلاف المفسرين في معنى هذه الحروف
٨٩	رأي الإمام السعدي في الحروف المقطعة
٩٢	المطلب الرابع : الناسخ والمنسوخ - النسخ لغة
٩٢	اصطلاحاً - مدى أهمية علم الناسخ والمنسوخ في تفسير القرآن
٩٣-٩٤	سبب تأليف أبي القاسم لكتابه "الناسخ والمنسوخ" - شروط النسخ ما يقع فيه النسخ -
٩٥	طريق معرفة الناسخ والمنسوخ - بيان معنى النسخ عند الشيخ السعدي - رحمه الله-
٩٥	عرض السعدي لآراء المفسرين في آيات النسخ ومناقشتها
٩٦	مناقشة رأي السعدي فيما ذهب إليه

٩٨	الرد على السعدي
١٠١-١٠٢	المطلب الخامس: موقفه من الإسرائيليات - تعريفها - موقف المفسرين من الإسرائيليات
١٠٢	الإسرائيليات من حيث القبول أو الرد
١٠٤	موقف الشيخ السعدي من الروايات الإسرائيلية
١٠٦	تعليق على اعتراض السعدي في تفسيره الآية
١٠٨	ملاحظة لا بد منها على منهج السعدي في الإسرائيليات
١٠٩	المطلب السادس: موقفه من القصة القرآنية - القصة لغة واصطلاحاً
١١٠	تكرار القصص وحكمته
١١٠	القصة القرآنية حقيقة لا خيال
١١١-١١٢	خصائص القصة القرآنية - منهج السعدي في تناول القصة القرآنية
١١٣	استنباط العبر والعظات من القصة القرآنية
١١٤	استنباط القواعد الفقهية من خلال القصة القرآنية
١١٤	أنواع التعليم القصصي في القرآن
١١٥-١١٦	تقرير توحيد الألوهية من خلال القصة القرآنية - أثر القصص القرآني في التربية
١١٧	والتهديب. المطلب السابع: فوائد القصص - المطلب السابع: الإعجاز
١١٧	المعجزة في اللغة - شروط تحقيق الإعجاز في القرآن الكريم
١١٨	شروط المعجزة
١١٩-١٢٠	القول في بيان إعجاز القرآن - نقض هذا الرأي
١٢٤	الخلاصة
١٢٥	الفصل الثالث: منهجه في تفسير آيات العقيدة والرد على المخالفين
١٢٦	المبحث الأول: منهج السعدي في التوحيد، ومنه مطلبان
١٢٦	المطلب الأول: وحدانية الله تعالى وأدلتها - التوحيد لغة
١٢٧	اصطلاحاً - الأدلة على توحيد الله عز وجل من القرآن الكريم فالسنة النبوية
١٢٨	النفي والإثبات في التوحيد
١٢٩	معنى توحيد الألوهية عند السلف
١٣١	مسلك أهل السنة والسلف في إثبات وحدانية الله
١٣٣-١٣٤	الأدلة العقلية عند السلف - عقوبة أهل الشرك - صلاح الكون
١٣٧	المطلب الثاني: أنواع التوحيد - توحيد الله عز وجل من حيث متعلقة

	أولاً: توحيد الربوبية -أنواع التربية : عامة وخاصة
١٣٨	منهج السعدي في إثبات توحيد الربوبية -من خلال السورة والآيات
١٣٩	ثانياً : توحيد الألوهية
١٣٩ ١٤٠-١٤١	تقرير الألوهية أثناء السورة وبعدها -بعد الشرح العام أو القصة - الاستدلال بتوحيد الربوبية
١٤٣	موقف السعدي من الأسماء والصفات
١٤٣	الأسماء والصفات كما جاءت في الكتاب والسنة من غير تأويل
١٤٤	مذهب سلف الأمة في الصفات مبني علي أصليين
١٤٦	إقرار الصفات كما جاءت في الكتاب والسنة من غير تأويل
١٤٧	استعراض الشيخ السعدي لآيات الأسماء والصفات وإثباتها
١٥٠	المبحث الثاني : منهج السعدي في القضايا الغيبية - المطلب الأول : الملائكة
١٥١	حقيقة الملائكة وصفاتهم
١٥٣	موقف السعدي من الملائكة - وجوب الإيمان بهم
١٥٤	شرف الملائكة بالعبودية - فضل حملة العرش وأدبهم مع ربهم
١٥٥	المطلب الثاني : الجن - حقيقتهم - الإيمان بهم واجب
١٥٦	ما ورد في بيان حقيقتهم وصفاتهم
١٥٧	هل للجن تأثير علي الإنسان ؟ -يقول السعدي
١٥٩	موقف السعدي من الجن
١٦٠	المطلب الثالث : عذاب القبر ونعيمه - الدليل من القرآن
١٦١	من السنة -إنكار عذاب القبر ونعيمه
١٦٢	كيفية العذاب والنعيم -موقف السعدي من عذاب القبر ونعيمه
١٦٣	اعتبار العذاب عند الاختصاص من عذاب القبر -إثبات فتنة القبر
١٦٤	الاستشهاد بالآيات القرآنية لإثباته - المبحث الرابع : البعث والجزاء
١٦٥	البعث حقيقة لا شك فيها - إثبات البعث بالدليل العقلي - رد السعدي علي منكري البعث
١٦٧	المطلب الخامس : الجنة والنار
١٦٨	موقف السعدي من قضية الجنة والنار
١٦٩-١٧٠	المطلب السادس : القضاء والقدر - تعريف القضاء والقدر
١٧٠-١٧١	تعريف المصطلحين - مراتب القضاء والقدر عند السعدي - رد السعدي علي القدرية

١٧٢-١٧١	ولا يرضى لعباده الكفر - رد السعدي علي شبة المحتجين بالقدر علي الشرع
١٧٣	المبحث الثالث : رد علي المخالفين لأهل السنة والجماعة
١٧٥	المطلب الأول : الرد علي الأشاعرة - مذهب السعدي في الرد عليهم
١٧٦	المطلب الثاني : الرد علي المعتزلة - تعريف المعتزلة
١٧٧	رد السعدي علي المعتزلة
١٧٨	مناقشة السعدي للمعتزلة في مسألة خلق القرآن
١٧٩	الرد علي المعتزلة بشكل عام
١٨٠	المطلب الثالث : الرد علي الخوارج - رد السعدي علي عقيدتهم
١٨٢	رد الشيخ السعدي على الخوارج في مسألة القاتل العمد
١٨٣	موقف السعدي من الصحابة الكرام رضي الله عنهم
١٨٤	خاتمة
١٨٦	الفصل الرابع : منهج السعدي في التفسير بالرأي - معني التفسير بالرأي - المانعون وأدلتهم - أدلة المانعين
١٨٧	أدلة المؤيدين
١٨٨	حقيقة الخلاف - المبحث الأول : أصول التفسير بالرأي
١٨٩	المطلب الأول : المطلق والمقيد - أقسام المطلق و المقيد - الضابط
١٩٠	منهج السعدي في المطلق والمقيد
١٩٣	المطلب الثاني : العام والخاص
١٩٤	أولاً : العام - أقسامه - الباقي علي عمومه
١٩٤	ثانياً : الخاص
١٩٦	تخصيص السنة بالقرآن
١٩٧-١٩٦	العام والخاص عند السعدي - الرد علي السعدي في هذه المسألة
١٩٨	مناقشة الرأي
١٩٩	الخلاصة في هذا الرأي - المطلب الثالث : المجمل والمفصل - تعريفه
٢٠٠	المجمل والمفصل عند السعدي
٢٠٢	مناقشة هذا الرأي
٢٠٣	المطلب الرابع : علم المناسبات - تعريف - آراء العلماء فيه
٢٠٤	المعارضون لهذا العلم - التوفيق بين الرأيين

٢٠٥	أوجه المناسبات
٢٠٦	ألوان المناسبات - أولاً: فاتحة السورة مع خاتمتها
٢٠٧	ثانياً: مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها ثالثاً: المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة
٢٠٨	منهج السعدي في علم المناسبات - ألوان المناسبات في تفسيره
٢١٤	خلاصة - المبحث الثاني: التفسير اللغوي
٢١٥	المطلب الأول: الأساليب البلاغية والأسرار البيانية
٢١٦	ثانياً: الوجوه والنظائر - نموذج من تفسيره علي الوجوه والنظائر
٢١٨	نماذج من تفسيره علي بلاغة الحروف
٢٢٠	التوكيد - نماذج من تفسير السعدي علي التوكيد
٢٢١	المطلب الثاني: النحو والإعراب - عود الضمائر
٢٢٣	أنواع الحال - وظيفة الحرف في الجملة القرآنية
٢٢٤	نماذج متفرقة من علم النحو والإعراب
٢٢٥	المطلب الثالث: عنايته السعدي بضرب الأمثال - الأمثال وتعريفها
٢٢٦	أنواع الأمثلة في القرآن
٢٢٧	الأمثال المرسله - حكم استعمالها
٢٢٧	نماذج من ضرب الأمثال عند السعدي من كتاب " القواعد الحسان "
٢٢٩	نماذج من تفسير السعدي في ضرب الأمثال
٢٣٤-٢٣٣	المبحث الثالث: التفسير العلمي - رأي العلماء فيه
٢٣٥-٢٣٤	أولاً: أدلة المؤيدين - ثانياً: رأي المعارضين
٢٣٥	ثالثاً: رأي الباحثين جواز التفسير العلمي بشروط
٢٣٦	موقف السعدي من التفسير العلمي - المطلب الأول: علم الطب
٢٣٧	المطلب الثاني: علم البحار
٢٣٨	المطلب الثالث: علم الفلك
٢٤١	الفصل الخامس: منهجه في عرض المسائل الفقهية والقضايا الاجتماعية - منهجه في استعراض المسائل الفقهية - المبحث الأول: العبادات
٢٤٢	المطلب الأول: الصلاة - في اللغة - في الاصطلاح - الصلاة عند السعدي
٢٤٣-٢٤٢	أولاً: الصلاة تنتهي عن الفحشاء والمنكر - ثانياً: صلاة الجماعة فرض عين
٢٤٤	مناقشة هذا الرأي والرد عليه - ثالثاً: الصلاة عون علي طاعة الله

٢٤٦-٢٤٥	الاستدلال بالآيات علي الصلاة - الصلوات الخمس في آية واحدة
٢٤٧	مناقشة رأي السعدي - ضياع الصلاة ضياع لسائر الأعمال - الخلاصة المطلب الثاني : الزكاة - لغة
٢٤٨	اصطلاحاً - موقف السعدي من آيات الزكاة
٢٤٩-٢٤٨	الزكاة نفع عام - الزكاة حصن - الزكاة عصمة للدماء والأموال
٢٥٠	مصارف الزكاة
٢٥١	وجوب الزكاة في معظم الأموال
٢٥٢	الدين أولى من إخراج الزكاة
٢٥٣	منهج السعدي في عرض القضايا الفقهية - زكاة الذهب والفضة
٢٥٤	المطلب الثالث : الصوم - الصوم لغة
٢٥٥	في الاصطلاح - فضل الصيام - استعراض السعدي لآيات الصيام فوائد الصيام
٢٥٦	الحكمة من الصيام - أولاً : يذكر الآراء في المسألة ويرجع أحدها
٢٥٧	ثانياً : صيام الكفارات - القتل الخطأ
٢٥٩-٢٥٨	الصيام في الحج - المطلب الرابع : الحج - في اللغة
٢٥٩	في الاصطلاح - استعراض الشيخ لآيات الحج والعمرة
٢٦٠	توضيح المشاكل - الاستدلال علي وجوب الحج والعمرة
٢٦١	محظورات الإحرام الحسية - زمن الحج - الرد علي جواز الإحرام بالحج قبل أشهره
٢٦٢	محظورات الإحرام المعنوية - الحكمة من وجوب الهدى في التمتع والقرآن
٢٦٣	الرد علي الحكم بوجوب العمرة - حكم الكسب في الحج
٢٦٤	مناسك الحج - الاستدلال علي فريضة السعي بين الصفا والمروة
٢٦٥	فوائد زيارة البيت الحرام
٢٦٦	منافع الهدى - المبحث الثاني : فقه المعاملات
٢٧٦	المطلب الأول : البيوع والإشهاد عليها - أولاً : البيوع لغة - اصطلاحاً
٢٦٨	مشروعيته من الكتاب والسنة - أركانه - عرض السعدي لآيات البيع والإشهاد عليه
٢٦٩	ثانياً: الرد علي حكم وجوب الكتابة
٢٧٠	المطلب الثاني : الرهان - في اللغة - اصطلاحاً
٢٧١-٢٧٠	مشروعيته - موقف السعدي من مسألة الرهان

٢٧٢	المطلب الثالث : الدين - في اللغة - مشروعيته
٢٧٣	الترهيب من التفريط فيه - موقف السعدي من مسألة الدين
٢٧٥-٢٧٤	الدين مقدم علي الوصية - المطلب الرابع : الربا - في اللغة
٢٧٦-٢٧٥	حكمه - أقسامه
٢٧٧-٢٧٦	استعراض السعدي لآيات الربا وموقفه منه - المرابي محارب لله
٢٧٩	المبحث الثالث : فقه الأحوال الشخصية - تعريف - المطلب الأول : الزواج الزواج وأحكامه عند الإمام السعدي
٢٨٠	عمارة الأرض أصل البشرية - الزواج آية من آيات الله
٢٨١	شروط الزواج اللازم توفرها - تعدد الزوجات
٢٨٢	المهر ركن من أركان الزواج وهو حق للمرأة وحدها
٢٨٣	المحرمات من النساء - المحرمات من الرضاع
٢٨٥-٢٨٤	المحرمات بالمصاهرة - المحرمات بالجمع - قوامة الرجل - معالجة القرآن لنشوز الزوجين
٢٨٦	معالجة القرآن للشقاق بين الرجل والمرأة - موقف السعدي من زواج المتعة
٢٨٧	المطلب الثاني: الطلاق - في اللغة - في الشرع - كراهته
٢٨٩-٢٨٨	الطلاق - حكمه - تفصيل الحنابلة لحكم الطلاق - موقف السعدي من الإيلاء
٢٩٠	الطلاق قبل الدخول - الطلاق بعد العقد
٢٩١	المطلقة بعد العقد وقبل الدخول لا عدة لها - مناقشة رأي السعدي
٢٩٢	الطلاق الرجعي
٢٩٣	مناقشة رأي السعدي
٢٩٤	الطلاق مرتان - قول صاحب كتاب إعجاز القرآن
٢٩٦	ثالثاً : الميراث - في اللغة - في الشرع - سبب نزول الآية فضل العلم بالفرائض
٢٩٧	أسباب الميراث - معني النسب الحكمي
٢٩٨	موانع الإرث - أصحاب الفروض - آيات المواريث عند السعدي
٢٩٩	بيان ميراث الأولاد - أحكام البنات في الميراث
٣٠٠	أحكام الأبوين في الميراث
٣٠١	أحكام الأب في الميراث - حكم الأزواج والزوجات
٣٠٢	بيان معني الكلاله - حكم الخنثى والمشكل في الميراث - ميراث الجد

٣٠٣	المبحث الرابع : منهجه في استعراض القضايا الاجتماعية - تعريفها المطلب الأول : الأسرة وتكوينها - حفظ البيوت
٣٠٥	آداب الاستئذان داخل البيت
٣٠٨-٣٠٧	ثانياً : حقوق الآباء علي الأبناء - ثالثاً : لا طاعة إلا في معروف
٣٠٩-٣٠٨	رابعاً : بر الوالدين بعد الموت - المطلب الثالث : اهتمامه بالقضايا المعاصرة وعلاجها - أولاً : حرمة المسجد
٣١٠	ثانياً : ضرورة الجهاد للأمة
٣١٢	ثالثاً : التدخين - نص الرسالة - الأدلة النصية
٣١٣	مضاره البدنية - مضاره المالية
٣١٥	الفصل السادس: تفسير السعدي في الميزان - المبحث الأول : محاسن تفسير السعدي
٣١٦	منهج السعدي في تفسيره
٣١٧	رابعاً : العبر والعظات في تفسيره - أحكام فقهية والدلالة عليها
٣١٨	خامساً : استنباط القواعد الفقهية من خلال الآيات
٣١٩	سادساً : الأصول والكليات اللازمة لتفسير القرآن - محاسن ومميزات تفسير السعدي
٣٢٠	المبحث الثاني: الاستدراكات علي تفسير السعدي - أولاً : خلوه من الشعر العربي
٣٢١	ثامناً : قلة استعراض للقراءات القرآنية - اختلاف الإعراب باختلاف القراءات
٣٢٤	اختلاف المعنى باختلاف القراءات - ندرة اهتمامه ببيان معاني المفردات
٣٢٥	أهم الاستدراكات على السعدي
٣٢٧-٣٢٦	الخاتمة
٣٢٨	الفهارس
٣٢٩	فهرس الآيات القرآنية
٣٥٤	فهرس الأحاديث والآثار
٣٥٩	فهرس التراجم (الأعلام)
٣٦١	فهرس المراجع
٣٧٠	فهرس الموضوعات

In The Name Of Allah The Merciful Compassionate

Thanks to Allah and peace on his mankind whom He has chosen.

This thesis belongs to interpretation and knowledges of Qur'an, and this is clear in its title. "It is the method of Al Sheikh Abdul Rahman Al Saadi in his interpretation: "Taysir Alkarim Alrahman".

The thesis began by an introduction which took:

Firstly: The social, political and scientific condition which Al Saadi was contemporary.

Secondly: The kind of interpretations which Al Saadi's interpretation contained, and the sources which Al Saadi took his interpretation from, and the effect of the scientific movement on his interpretation.

And in the first chapter he mentioned the biography of the expounder, his name, his relationship, his knowledge, his compilations, his religion, his doctrinal belief and his morals and death.

In the second chapter he mentioned:

- 1- The method of the expounder of the interpretation by the transmitted which contained the interpretation of Qur'an by Qur'an and Sunna and the sayings of the companions of the prophet and the followers.
- 2- The method of the expounder to mention the knowledge of Qur'an, such as the causes of reveal. The abolitionist and the abolished, the separated letters at the beginning of the chapters of the Qur'an, the Qur'an story, the miracle of Qur'an and the Qur'an recitations.
- 3- In the third chapter he mentioned:

Firstly: the interest of the expounder of the issues of religion such as unifying and its kinds, the unifying of divinity, the unifying of Lordship, and names and qualities.

Secondly: His interest of the divination issues, such as angels, Jinn, fate and destiny, resurrection and reward, paradise and hell, torture and comfort of grave.

Thirdly: his replay to the incongruous groups with Sunna people, such as Al Ashaaia, Al Muatazila, Al Khawarij, Al Qadaria and Al Murijaa.

4- The fourth chapter: the method of the expounder in the interpretation by opinion which contains the eloquence styles, grammar and parsing, general and special, free and fettered, summary and detailed. Secondly: Knowledge of opportunities proverbs in Qur'an. Thirdly; His opinion in the scientific interpretation such as medicine, sea science and astronomy.

The fifth chapter: his mention of the knowledge issues:

Firstly: such as the knowledge of worships such as Salat, Zakat, Fasting and Hajj.

Secondly: knowledge of interactions which contain sales, witness, pledge, debt and usury.

Thirdly: knowledge of personal conditions such as marriage, divorce and legacy.

Fourthly: his interest of the social issues such as the family and its forming, the contemporary issues such as, fight in the way of Allah (Al Jihad), the sacredness of mosques in the countries of irreligion and smoking problem.

The sixth chapter, which talks about the interpretation of Sheikh Al Saadi in the balance which conations.

Firstly: the merits of Al Saadi interpretation.

Secondly: the shortcomings of his explantion.

The expounder